

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



لَمَّا أُخْرِجَتْ لَطَبُ الْأَصْلَاحِ فِي أَيْمَانِهَا

# الاصلاح الحسني

مجلة فضائية متخصصة في النهضة الحسينية وتُعنى بالدراسات الدينية

تصدر عن

مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية / النجف الأشرف - قم المقدسية

فريق الشؤون الفكرية / العتبة الحسينية المقدسية

العدد التاسع

السنة الثالثة ( ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م )



# الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية وتُعنَى بالدراسات الدينية



الهيئة الاستشارية

آية الله السيد عادل العلوي

آية الله السيد منير الخباز

آية الله السيد رياض الحكيم

العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

آية الله الشيخ محمد المسند

آية الله الشيخ محمد مهدي الأصفى

آية الله الشيخ محمد جواد فاضل النكراني

العلامة الدكتور الشيخ محمد باقر المقدسي



# الإصلاح الحسيني

تصدر عن مركز الدراسات التخصصية  
في النهضة الحسينية/ النجف الأشرف- قم المقدسة  
قسم الشؤون الفكرية  
العتبة الحسينية المقدسة

\* الإشراف العام: .....  
سماحة الشيخ علي الفتلاوي

\* إدارة المركز: .....  
الشيخ باقر الساعدي  
الشيخ رافد التميمي (فرع قم المقدسة)

\* معاونة المركز: .....  
الشيخ عباس الحمداوي  
الشيخ حيدر الأسدي (فرع قم المقدسة)

\* رئيس التحرير.....  
الشيخ قيصر التميمي

\* مدير التحرير.....  
الشيخ صباح عباس الساعدي

\* هيئة التحرير.....  
د. السيد حاتم البخاتي  
الأستاذ ثناء الدين الدهلكي  
الشيخ محمد الكروي القيسي  
الأستاذ حيدر الساعدي

\* المقابلة وتقويم النص.....  
الشيخ عدنان الطائي  
الشيخ عصام السعيد  
الشيخ مصطفى الدالي

\* التصميم والإخراج الفني.....  
السيد علي مطر الهاشمي

\* معتمد الترجمة الإنجليزية.....  
بدر شاهين

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: 7-240-984-964-978-ISSN

## هوية المجلة :

مجلة علمية فصلية تخصصية تُعنى بالبحوث المتخصصة في مجال النهضة الحسينية، وكذا الدراسات العلمية في حقول المعرفة الدينية. تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدسة، التابع لقسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدسة.

## اهتمام المجلة :

تهتم المجلة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

كما تهتم المجلة أيضاً باستقطاب ونشر البحوث والدراسات الدينية التخصصية ذات الجوانب التجديدية والإبداعية، وذلك في كافة الحقول والمجالات، فتمتد لتشمل الدراسات القرآنية والعقدية والفكرية والتاريخية والفقهية، وكذا ما يرتبط بالتراث الديني، من الأدعية والزيارات والنصوص الدينية بشكل عام.

فالمجلة تتطلع لاستيعاب جميع المجالات المهمة والحساسة في أبواب العلوم والمعارف الدينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمنة لجوانب من الإبداع والحداثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

## أهداف المجلة:

- ١- إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينية من خلال البحوث والدراسات.
- ٢- نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينية.
- ٣- إحياء التراث الديني والحسيني.
- ٤- فتح نافذة علمية لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافة حقول المعرفة الدينية.
- ٥- الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكرين.
- ٦- استثمار الأقسام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب البحوث والدراسات والمقالات العلمية القيمة لنشرها تعميمًا للفائدة.
- ٧- فسح المجال أمام الباحثين والمفكرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.
- ٨- التصدي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول الدين بصورة عامة والنهضة الحسينية بصورة خاصة.

## ضوابط النشر

تدعو المجلة العلماء والأساتذة والباحثين وكل من لديه اهتمام في مجال الكتابة والتحقيق إلى رفدها بتأجيلهم القيمة، على أمل ملاحظة الأمور التالية:

- أن تكون البحوث مرتبطة باختصاص المجلة وأركانها.
- ألا تكون منشورة أو بصدد النشر في كتاب أو مجلة.
- أن تكون ضمن المناهج العلمية المتبعة.
- أن تكون بحوثاً مبتكرة وبلغة معاصرة.
- أن يكون البحث على قرص ليزري فيما لو كان منضداً.
- حقوق النشر محفوظة.
- الأفكار المطروحة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- لا تعاد البحوث لأصحابها نُشِرَت أم لم تُنشر.
- يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنيّة.
- إجراء التعديلات والتلخيصات اللازمة من صلاحيات المجلة.
- للمجلة حق إعادة نشر البحث أو المقال في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصه الأصلي.
- كل ٢٥٠ كلمة تحسب صفحة واحدة.
- المجلة تتبع نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
- تعتبر الأولوية في المجلة للمقالات والبحوث الحسينية.
- المجلة غير ملزمة بنشر ما يقل عن ١٥ صفحة أو يزيد عن ٣٠ صفحة.

## مراكز النشر:

- \* النجف الأشرف: الروضة الحيدرية - معرض الكتاب الدائم.
- \* النجف الأشرف: شارع الرسول ﷺ - مكتبة دار الهلال.
- \* النجف الأشرف: قرب مشروع الماء - مكتبة العراق الجديد.
- \* النجف الأشرف: سوق الحويش - دار الغدير.
- \* كربلاء المقدسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدسة.
- \* بغداد: شارع المتبّي - مكتبة العين.
- \* البصرة: العشار - مكتبة الإمام الهادي عليه السلام.
- \* إيران - قم المقدسة: صفائية - سوق الإمام المهدي عليه السلام - مكتبة فدك.
- \* إيران - قم المقدسة: سوق كذرخان - مكتبة الهاشمي.



# المحتويات

## مقال التكرير

مظلومية الإمام الحسين عليه السلام ومأساة كربلاء في النصّ الديني (دراسة مفهومية - وثائقية)

الشيخ قيصر التميمي..... ١٣

## ملف العصر

المظلومية في كربلاء

ثورة من وحيّ المأساة

نظرة في المأساة والمظلومية في كربلاء

حوار مع آية الله الشيخ محمّد جواد فاضل اللكراني..... ٤١

هل خطّ الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟

الشيخ نعمة الله الصالحي النجف آبادي..... ٥٥

قراءة نقدية لمبحث المظلومية في كتاب (الشهيد الخالد)

الشيخ رافد التميمي..... ٧٣

انتهاك حقوق المرأة والطفل في واقعة عاشوراء

الشيخ محمد جليل الكروي القيسي..... ٩٩

المأساة والمظلومية في أبعادها الإنسانية (الثورة الحسينية أنموذجاً)

السيد محمد باقر الهاشمي..... ١٣٥

المظلومية في عزّة وإبائه.. وجه آخر للنصر

الشيخ إسكندر الجعفري..... ١٥٣

## التوظيف العقدي والديني لمأساة كربلاء في تراث المعصومين عليه السلام

١٨١ ..... الشيخ صباح عباس الساعدي.

### المشينة الإلهية لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام

٢٠١ ..... السيد شهيد طالب الموسوي.

### دراسة فقهية في الظالمية والمظلومية (كربلاء أنموذجاً)

٢٣٣ ..... الشيخ حبيب عبد الواحد الساعدي.

## دراسات في النهضة الحسينية

### منطلقات النهضة الحسينية وخلفياتها

#### القسم الخامس (مفاصل الحركة الحسينية)

٢٧١ ..... السيد محمد الشوكي.

### المؤسسة الشعائرية

#### القسم الثاني (الأهداف والغايات)

٢٨٩ ..... الشيخ عامر الجابري.

### فقه التربة الحسينية (القسم الرابع)

٣٠٩ ..... الشيخ أحمد العلي.

### توثيق الشعر المنسوب إلى الإمام الحسين عليه السلام (القسم الأول)

٣٣٩ ..... د. عادل لعيبي.

## دراسات في

### الاختلاف والتعارض في أحكام الجرح والتعديل عند أهل السنة

#### (عمق في المشكلة ومتاهات في الحلول)

٣٧٩ ..... د. السيد حاتم البخاتي.

٤٠٧ ..... خلاصة المقالات باللغة العربية والإنجليزية.

# مَقَالَةُ التَّحْقِيقِ

مِظْلُومِيْنَا الْأَمَامِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
وَمَنْاسِبَاتُهُ كَرِّبَلَاءٍ فِي النَّصْرِ الَّذِي نَبِيْنَا  
دِرَاسَةٌ مَعْرِفِيَّةٌ - وَنَاقِيَةٌ



تُشرق مجلّة (الإصلاح الحسيني) في عامها الثالث بملفها الخاص بثقافة (المظلومية)، وهو من الملفّات المهمة والمفصليّة في تراث وأدبيات ومعالم النهضة الحسينيّة المباركة، وقد تحدّثنا في مقال التحرير بإيجاز وتلخيص حول بعض الأطر المفهومية والوثائق العامّة لمبدأ المظلوميّة الحسينيّة في النصّ الديني؛ لينتقل بعدها القارئ الكريم للغور في أعماق سلسلة مترابطة من البحوث والمقالات التفصيليّة العلميّة والمتميّزة، دونتها يرع ثلّة مباركة من العلماء والأساتذة والباحثين، حيث أثروا بكتاباتهم القيمة هذا الملفّ الخاصّ وأشبعوه بحثاً وتدقيقاً وتحقيقاً بصورة غير مسبوقة.

## مِظْلُومِيَّةُ الْأِمَامِ الْحُسَيْنِ وَمَا سَبَّأَ كَرِّ بَلَاءٍ فِي النَّصِّ الدِّينِيِّ دِرَاسَةٌ مَفْرُومِيَّةٌ - وَنَاقِيَةٌ

الشيخ قيصر التميمي

هناك من يُعجبه الالتحاق بركب الظالمين والاصطفاف في طابور الجلّادين والحمقى، ويُعفي عقله؛ ليَتَّهم المظلوم بما يُسمّى بـ(عقدة الشعور بالمظلومية)، ويُحدّر الأفراد والشعوب من خطورة الإحساس والإصابة بهذا الشعور، ويصفه بالداء الخطير والجرثومة القاتلة، التي تنشر بينهم عدوى الكراهية والتباغض والاحتراب، وتخلق

مجتمعات موبوءة حاضنة للجريمة والإرهاب؛ ولذا ينبغي توخي الحذر من كلّ مظلوم يشعر بالظلم؛ لأنه يحمل عُقدة الانتقام من الآخرين، ولا علاج لهذا الداء والمرض الخطير، إلا باقتلاعه من جذوره، فيتحتّم على كلّ مظلوم- كي يتماثل للشفاء- ألا يستشعر آلام مظلوميته، وأن يرمي هذه القمامة في حاويات الذاكرة؛ ليعيش حياته بصحة وعافية واستقرار، وإذا صادفه القدر ووجد نفسه مظلوماً في مستقبل الأيام، فعليه أن يتناسى ويتغاضى ويعيش قَدْرَه، وهكذا تدور على المظلوم الدوائر، فتباً للمظلوميات وأهلها، وليهنأ الظلّمة بالأمن والسلام، هكذا يجلو للبعض أن يُفكّر.

وقد يكون لهذا الكلام أسبابه ومبرراته المعقولة والموضوعيّة، لو كان الشعور بالقهر والمظلومية مجرد أوهام وعُقد نفسية سيكولوجية لا واقعية لها، تعيشها بعض الأفراد والمجتمعات الموبوءة والمصابة بداء التخلف والدونية، فتعيق تقدّمهم ورقبهم الحضاري، وتُصيبهم بداء الانطوائية والتوحّش والانكفاء على الذات... لكننا نعتقد أن الإنسان بطبعه لا يُحب التعايش مع ذلك الشعور أبداً، ويتمنى الخلاص منه بأيّ صورة وشكل من الأشكال، فمن النادر جداً أن تجد شخصاً يرتضي لنفسه أن يكون مظلوماً ويعيش في ظلّ المظلوميّة وذُلمها؛ ولذا كانت المظلوميّة ولا زالت عُقدة الظالم، ومرضه الخبيث، وداء العضال، وخطيئته التي ينبغي أن يُحاسب ويُلام عليها.. وأما المظلوم، فقد أودع الله تعالى في فطرته مجسّات الشعور بالمظلومية؛ ليتحوّل هذا الإحساس إلى ردّة فعل عنيفة وبركان نائر في وجه الظالمين، ولا يمكن أن يُجَارَب الظلم أو يُقَارَع إلا بمثل هذا الشعور الغريزي والفطري، وسيبقى من يفتقده قابعاً في دائرة الذلّ والهوان مدى الحياة.

إذن؛ نحن بحاجة ماسّة إلى ما قد يُسمّيه البعض بموجب الكراهية والتباغض والانتقام، ومن موجبات ذلك الشعور بالمظلوميّة، ولكن ينبغي أن يكون هذا الإحساس سلاحاً فتاكاً بوجه الظالم الحقيقي.. وهذه هي ثمرة ذلك الشعور الغريزي..

فينبغي محاسبة الظالم، وتشجيع المظلوم على شعوره هذا، وتنميته ليكون رصاصة قاتلة بوجه الظالمين، فلا يهنأ الظالم أبداً في مجتمع يشعر بظلمه وجوره، فالمظلومية «تستصرخ ضمائر الناس وتوقظ وجدانهم، وتدفعهم للوقوف إلى جانب أهل الحق المظلومين، كما تستثير نقيمتهم وغضبهم ضد المعتدين الظالمين»<sup>(١)</sup>.

### الصيرورة والتكوّن الأفهومي لمفردة المظلومية

المظلومية: هي كالتّلامة والظّليمة والمُظلمة في المعنى، وهي اسم يحكي ذات حقيقة الظلم ومعناه لغةً، ولكن مع اختلاف في اللحاظ والاعتبار، فبلحاظ وقوع الظلم على المظلوم وتلبّسه به بتأثير الظالم يتقرّر مفهوم ومعنى المظلومية، ويقع ذلك في قبال مفهوم الظالمية، الذي هو الظلم ذاته أيضاً، ولكن بلحاظ إيقاعه من قبل الظالم وكونه فاعلاً للظلم بحقّ المظلوم. وأمّا معنى ومفهوم الظُّمّ في اللغة، فهو: «وَضَع الشَّيْءَ فِي غير موضِعِهِ... وأصل الظُّمّ الجَوْرُ ومُجَاوِزَةُ الحدِّ... والظُّمّ المَيْلُ عن القصد... وتَظَلَّم منه شَكَا مِنْ ظُلْمِهِ، وتَظَلَّم الرجلُ أَحَالَ الظُّمّ على نَفْسِهِ... والمُتَظَلَّمُ الذي يَشْكُو رَجُلًا ظَلَمَهُ والمُتَظَلَّمُ أيضاً الظالمُ... وتَظَلَّمَنِي فلانٌ. أي: ظَلَمَنِي مالي... ويُقال: تَظَلَّم فلانٌ إلى الحاكمِ مِنْ فلانٍ فَظَلَمَهُ تَظْلِيماً. أي: أَنْصَفَهُ مِنْ ظالمِهِ وَأَعانَهُ عَلَيْهِ... والظُّلْمَةُ المانِعُونَ أَهْلَ الحُقوقِ حُقوقَهُمْ... ويُقال: ظَلَمْتُهُ فَتَظَلَّم. أي: صَبَرَ على الظُّمّ... واطَلَمَ وانظَلَمَ اِحْتَمَلَ الظُّمّ، وظَلَمَهُ أَنْبَأَهُ أَنَّهُ ظالمٌ أو نَسَبَهُ إلى الظُّمّ»<sup>(٢)</sup>.

وحاصل معنى (المظلومية) في اللغة: هو أنّها عبارة عمّا يلحق المظلوم بفعل الظالم من الجور والأذى، والحيف والتجاوز، والابتزاز ونهب الحقوق، والقتل وسلب الممتلكات ونحو ذلك.

(١) الصفّار، حسن، المرأة العظيمة: ص ١٧٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب: ج ١٢، ص ٣٧٣، مادة ظلم.

وأما مفهوم (المظلومية) في العقل والرؤية الفلسفية، فهو من مقولة الإضافة، وهي الهيئة الحاصلة من نسبة متكررة قائمة بين طرفين متخالفين هما (الظالم والمظلوم)، وكل واحد من هذين الطرفين يتشارك مع الآخر في صناعة وبناء معنى المظلومية ومفهومها وحققتها في الذهن.

لكننا حينها نلاحظ مضامين ومُعطيات النصوص الدينية في هذا المجال، نراها تصف المظلومية في صيرورتها وتكوّنها بما يُشبه الإضافة الإشرافية، التي يرتبط ويتعلّق المضاف والإضافة فيها بطرف واحد فحسب، فالمظلومية بمعناها ومفهومها الديني تُعبّر عن جريمة نكراء بحق الإنسانية، وظاهرة مأساوية في المجتمع البشري، لا يصنعها ولا يتحمّل وزرها إلا الظالم وحده، ولو ساهم المظلوم مع الظالم وسعى في صناعتها وتكوينها، فإنه سيكون في صفوف الظالمين، لا المظلومين.

### مبدأ المظلومية في النصّ الديني

ومن هذا المنطلق؛ نجد بأن النصوص الدينية - كما سيأتي - قد اهتمّت بمفردة (المظلومية) اهتماماً لافتاً، واصططّت وتضامنت بحماس بالغ مع فئة المظلومين والمضطهدين، ودافعت بقوة وحزم عن أحاسيسهم ومشاعرهم ومعاناتهم والضعف والكبيرة التي يواجهونها بسبب ما يقع عليهم من الإجحاف والظلم والاضطهاد، وسنرى أيضاً كيف احتشدت في مضامين تلك النصوص الدينية المتضافرة كل أساليب الإدانة والشجب والاستنكار والتعنيف والتوبيخ للظلمة والمتجبرّين، وتحميلهم مسؤولية صناعة المظلومية في المجتمعات الإنسانية.

### المظلومية في القرآن الكريم

حينما نطالع الآيات القرآنية بهذا الخصوص نراها حافلة بمعاني تلك الحقيقة الإلهية



المهمّة، وهي ثنائية التضامن مع المظلوم والتنديد بالظالم وتحمله كامل المسؤولية، ففي قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ \* وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ \* وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ \* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>، نلمس تعاطفاً وتضامناً واضحاً وصريحاً مع فئة المظلومين، حيث أعطاهم الله تعالى في هذا النصّ القرآني الحقّ الكامل في النهوض للدفاع عن أنفسهم، والتحرّك العسكري المسلّح في سبيل استرجاع حقوقهم والانتصار والغلبة على من ظلمهم واعتدى عليهم، مع تجريم الظالمين وهدر دمائهم وأموالهم وتحميلهم المسؤولية الكاملة. وهذا يعني أن دور المظلوم ومسؤوليته هو محاربة المظلوميّات بكل ألوانها والسعي للقضاء عليها وعلى صنّاعها، لا أنه يسعى للمشاركة في إنتاجها وصناعتها، بأيّ وجه من الوجوه، ولايّي سبب من الأسباب.

وبذات البيان والمضمون ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>، فالهجرة بسبب الظلم هجرة في سبيل الله، وهي الخطوة الأولى في مقارعة الظلم والظالمين، تليها مرحلة الثورة والخروج المسلّح والجهاد في سبيل الله، كما نصّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ \* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾<sup>(٣)</sup>، ويُعدّ هذا النصّ القرآني المبارك أوّل مرسوم إلهي في الإسلام لإعلان الحرب المفتوحة على الظالمين، وحثّ المظلومين للخروج العسكري المسلّح على صنّاع الظلم والإرهاب والاضطهاد، فالظلمية صناعة الظالم وجريته، وإن وظيفة المظلوم وتكليفه

(١) الشورى: آية ٣٩-٤٢.

(٢) النحل: آية ٤١.

(٣) الحج: آية ٣٩-٤٠.

الشرعي هو الجهاد في سبيل استئصالها والقضاء عليها، للخروج من واقع المظلومية الميري؛ فيجب القضاء على الظلامة والمظلومية أينما وجدت، لا المشاركة والسعي في صناعتها.

وفي نصّ قرآنيّ آخر استثنى الله تعالى من زمرة الغاوين ثورة المظلومين على الظالمين، فليست ثورتهم بكل ألوانها ومظاهرها الشرعية من أصناف الغواية والبغي، وإنما هي من

الحقوق المشروعة والمكفولة للمظلوم في دفاعه عن نفسه ومجتمعه، وذلك ما ورد في قوله

تعالى حول ثورة الشعراء الأدبية وأنصارها: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ

فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ \* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسِعَعُوا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>،

فالظلومون من الذين آمنوا، هم أصحاب المواقف والمبادئ الثابتة والمشروعة، وهم

الذين يقولون ما يفعلون، ومسموح لهم أن ينطلقوا في ثورتهم ضدّ الظلم من (القول)

ومحافل الشعر والأدب إلى (الفعل) والحركة المسلّحة للانتصار على ظالمهم.

وفي طائفة أخرى من الآيات القرآنية أجاز الله تعالى للمظلوم ما هو ممنوع على

الآخرين، من قبيل الجهر بالسوء في حقّ الظالمين، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ

الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>، ففي مجمع البيان عن أبي

جعفر الباقر عليه السلام: «لا يحبّ الله الشتم في الانتصار (إلا من ظلم)، فلا بأس له أن ينتصر

ممن ظلمه بما يجوز الانتصار به في الدين»<sup>(٣)</sup>، وفي تفسير القمي: «أي: لا يحبّ أن يجهر

الرجل بالظلم والسوء ويظلم، إلا من ظلم فقد أطلق له أن يعارضه بالظلم»<sup>(٤)</sup>. ومن

هذا القبيل أيضاً جواز قتل الظالم قاتل النفس البريئة ظلماً وعدواناً، كما في قوله تعالى:

(١) الشعراء: آية ٢٢٤-٢٢٧.

(٢) النساء: آية ١٤٨.

(٣) الطبرسي، أبو علي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ٣، ص ٢٢٥.

(٤) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٧.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾<sup>(١)</sup>. فالنفوس المحترمة تفقد احترامها وحصانتها إذا أصبحت ظالمة، ويُقتل الظالم قصاصاً بدم المظلوم.

وفي نص قرآني آخر وُضع الظلم في عداد الفتن الخطيرة التي ينبغي إخمادها والقضاء عليها، وإلا فإنها ستُصيب أيضاً بشررها وضررها المؤمن المظلوم، الساكت على فتن الجور والظلم والاضطهاد، والمشارك بسكوته في صناعتها، يقول تعالى: ﴿ وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾<sup>(٢)</sup>، فالمظلوم مهدد بخطر الاقتتان ما لم يقف بوجه الظالم لدرء فتنة ظلمه وطغيانه.

ومن هذا النصّ القرآني؛ يُفهم أيضاً بأن مَنْ يسعى ليُصبح مظلوماً يكون شريكاً في صناعة فتنة الظالمين، فلا خيار أمام المؤمن إلا بمحاربة الظلم والعمل على اجتنائه واقتلاع فتنته من جذورها.

### تخليد ذكرى المظلوميات في القرآن الكريم

لقد تصدّى القرآن الكريم في آياته لتخليد ذكرى كثير من المظلوميات المساووية والمؤلمة التي شهدتها التأريخ البشري، وما ذلك إلا لإعلان التضامن مع المظلومين، وشجب واستنكار ما اقترفه الظالمون من جرائم وانتهاكات بحق الإنسانية، ولتبقى تلك المظلوميات الخالدة دروساً في الحرية والإباء للأجيال اللاحقة، ولعلّ من أوائل تلك الظلامات التي خلّدها القرآن الكريم هي الجريمة التي اقترفها قابيل بحق أخيه هابيل، حينما أقدم على قتله ظلماً وعدواناً، وقد استنكر الله تعالى هذه الجريمة بالقول: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>. ومن الظلامات الخالدة

(١) الإسراء: آية ٣٣.

(٢) الأنفال: آية ٢٥.

(٣) المائدة: آية ٣٠.

أيضاً في جملة من النصوص القرآنية مقاتل الأنبياء والمرسلين ﷺ على أيدي الجبارين والظالمين من أقوامهم وأممهم، كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ لَهُمْ الْعَذَابُ الَّذِي كَانُوا يُكْفِرُونَ﴾ (١). ومن هذا القبيل أيضاً ظلامه يوسف عليه السلام مع إخوته الذين ألقوه في البئر بلا رحمة ولا شفقة، وفرقوا بينه وبين أبيه سنين طويلة قاسية، وقد خلد الله تعالى هذه الظلامه في سورة كاملة من سور القرآن الكريم، وهي سورة يوسف. ومن تلك الظلامات أيضاً ظلامه الموالي من البنات والفتيات التي كانت تُدفن ظلماً وعدواناً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (٢). وأيضاً ظلامه ناقة صالح، ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا \* فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا \* فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا \* وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ (٣). وغير ذلك من الظلامات والمظلوميّات التي خلدتها الله تعالى في القرآن الكريم، تُتلى آناء الليل وأطراف النهار، لتبقى صرخة استنكار وتنديد بالظالمين، ودرسا وعبرة خالدة لكلّ المظلومين والأحرار في العالم على مدى العصور والدهور. وفي ضوء هذا النهج القرآني - كما سنلاحظ - جاء التأكيد في النصوص الدينيّة الحسينيّة على تخليد مأساة كربلاء، ظلامه التاريخ الكبري، في ضمائر الأجيال المتعاقبة.

### متى يستحق المظلوم التضامن والتقدير على مظلوميّته؟

وأما دائرة النصوص والأحاديث الشريفة الواردة في خصوص مبحث الظلم والمظلوميّة، فهي واسعة وكثيرة جداً، تفوق حدّ الحصر والإحصاء، ولعلّ أغلبها يدور في فضاء المضامين القرآنيّة المتقدّمة، وسوف نكتفي منها بذكر النصوص والأحاديث

(١) آل عمران: آية ٢١.

(٢) التكويد: آية ٨-٩.

(٣) الشمس: آية ١٢-١٥.

المرتبطة بالنهضة الحسينية المباركة، تجنباً للإطالة، وتخصيماً للبحث بمورده.

ولكن قبل الانتقال إلى ذلك أحببت الإشارة إلى بعض النصوص الدينية العامة التي تضع حدوداً وشروطاً خاصة للمظلوميّات والظلامات التي تستحقّ التعاطف والتضامن والنصرة الإلهية، وهي كما يلي:

١- أن يكون المظلوم مُخلصاً في توجّهه إلى الله تعالى بمظلوميّته، وأن لا يرى ولا يجد له ناصراً على ظالميه إلا الله ﷻ، وهذا هو ما نفهمه من قول النبي الأكرم ﷺ: «يقول الله ﷻ: اشتدّ غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري»<sup>(١)</sup>.

٢- ألا يكون المظلوم شريكاً مع الظالم في صناعة مظلوميّته، وهو ظاهر جملة من الآيات القرآنية المتقدمة كما أشرنا.

٣- ألا يكون المظلوم متورّطاً بالظلم لغيره من الناس بما يُماثل مظلوميّته، ففي الحديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله ﷻ يقول: وعزّي وجلالي، لا أُجيب دعوة مظلوم دعاني في مَظْلَمَةٍ ظَلَمَهَا ولأحد عنده مثل تلك المظلمة»<sup>(٢)</sup>.

٤- ألا يكون راضياً بظلم الآخرين، ولا مُتضامناً مع الظالمين في ظلمهم، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «من عَدَرَ ظالماً بظلمه سلّط الله عليه من يظلمه، فإن دعاءه يُستجَب له، ولم يأجره الله على ظلامته»<sup>(٣)</sup>.

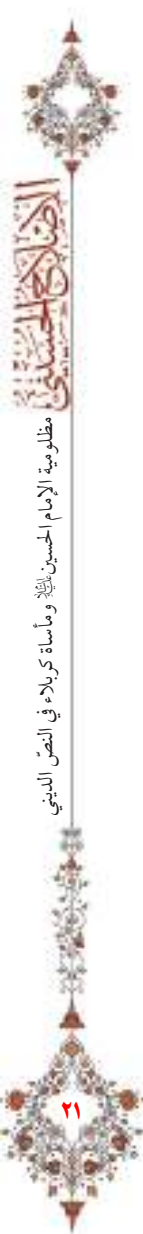
٥- ألا يكون مسرفاً ولا متجاوزاً حدوده الشرعية حينما يدعو على ظالميه بالانتقام، وإنما يتقيّد في دعائه وانتقامه بما أجازاه الله تعالى له في الدين، وفي هذه النقطة يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إن العبد ليكون مظلوماً، فلا يزال يدعو حتى يكون ظالماً»<sup>(٤)</sup>.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ص ٤٠٥.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ٢٧٢.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٣٣٤.

(٤) المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٣٣.



## المظلومية في النصّ الدينيّ الحسينيّ

حينما نأتي إلى جريمة التأريخ الكبرى - مأساة كربلاء - نجدها قد حملت في صفحاتها من معاني وصور المظلومية والاضطهاد والقهر ما لم تره العيون إلا في كربلاء، وانطلاقاً من حجم المظلومية والمأساة يُلاحظ بأن النصوص المحيطة بفاجعة كربلاء قد امتلأت بعبارات ومعاني الظلم والمظلومية، ويُلاحظ أيضاً بأن بعضها عبارة عن أحاديث قدسيّة واردة عن الله تعالى مباشرة، وبعضها الآخر مأثور عن ملائكة السماء، وبعض ثالث جاء على لسان الأنبياء والرسل والأوصياء، وخصوصاً في نصوص (الأذكار والأدعية والزيارات)، بما يفوق حدّ الإحصاء والاستقصاء، والذي يُفهم من مجمل هذه النصوص: أنّ الله تعالى قد أخبر الصفوة الطاهرة من خلقه بخطورة الموقف والمرحلة، وبين لهم عظم الفاجعة، وحذّر الكون بأكمله من هول ما سيقع، وحمل الأمة بكاملها مسؤولية ارتكاب تلك الجريمة النكراء، وافترض على كلّ مؤمن أن يقف أمام الحسين عليه السلام؛ ليشهد ويُقرّ له بالمظلومية، ويُدينها ويستنكرها بشدّة، ويتبرأ مما فعله الظالمون، كي لا يكون شريكاً ولا مشمولاً بفنتتهم الكبرى التي سيواجهون الله تعالى بها، حيث سيثأر ويتنقم منهم لدم الحسين عليه السلام شرّ انتقام.

ونحاول فيما يلي أن نستعرض مجموعة من النصوص الدينيّة المختصّة بمظلوميّة فاجعة كربلاء في إطار العناوين التالية:

### أ. التأكيد على عنوان (مظلوميّة الحسين عليه السلام) في النصّ الدينيّ

يطالعنا التراث الدينيّ الحسيني بحشد هائل من المضامين، وباهتمام بالغ ومنقطع النظر، في أحاديث ونصوص صريحة ومتنوّعة ومتضافرة، هدفها ترسيخ وتوثيق وتخليد صورة (المظلوميّة) في النفوس، ما يطبع لها ولكربلاء في أذهاننا ثنائية متلازمة لا تنفك أبداً، ذلك حينما نقرأ في التراث الدينيّ أن الله تعالى والأنبياء والأوصياء قد قرنوا

عنوان المظلومية بالقضية الحسينية في أغلب الموارد التي يُذكر فيها الحسين عليه السلام وثورته المباركة، ولتوثيق هذه الفكرة نستطلع موجزاً بعض النصوص الواردة في هذا المجال:

١- ما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الرضا عليه السلام بأن الله تعالى أوحى إلى نبيه إبراهيم عليه السلام بالقول: «يا إبراهيم، مَنْ أَحَبَّ خَلْقِي إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: يَا رَبِّ، مَا خَلَقْتَ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَبِيبِكَ مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: أَفَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ نَفْسُكَ؟ قَالَ: بَلْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. قَالَ: فَوَلَدَهُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ وَلَدُكَ؟ قَالَ: بَلْ وَوَلَدَهُ. قَالَ: فَذَبِحْ وَوَلَدَهُ ظَلماً عَلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِ أَوْ جَعِ لِقَلْبِكَ أَوْ ذَبِحْ وَلَدَكَ بِيَدِكَ فِي طَاعَتِي؟ قَالَ: يَا رَبِّ، بَلْ ذَبِحَ وَوَلَدَهُ ظَلماً عَلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِ أَوْ جَعِ لِقَلْبِي. قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمَ، فَإِنْ طَائِفَةٌ تَزْعَمُ أَنَّهَا مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ سَتَقْتُلُ الْحُسَيْنَ ابْنَهِ مِنْ بَعْدِهِ ظَلماً وَعَدواناً كَمَا يُذَبِحُ الْكَبْشَ، وَيَسْتَوْجِبُونَ بِذَلِكَ سَخَطِي. فَجَزَعِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لِذَلِكَ، وَتَوَجَّعِ قَلْبَهُ، وَأَقْبِلْ بِيَكِي»<sup>(١)</sup>، ونلاحظ في هذا النص المبارك التأكيد الالاف والمتكرّر عن الله تعالى على فكرة الظلم والمظلومية، ودورها في صناعة الألم والحزن والبكاء على مصيبة الحسين عليه السلام، كما نلمس بوضوح أيضاً التأكيد على أن الحسين عليه السلام ستقتله الأمة ظلماً وعدواناً، وأنها سوف تستوجب بذلك السخط والغضب والانتقام الإلهي.

٢- ما يرويه المجلسي في البحار، بأن الله تعالى أوحى إلى آدم حينما جُرحت رجله في كربلاء بالقول: «يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَوَلَدُكَ الْحُسَيْنَ ظَلماً، فَسَالِ دَمَكَ مُوَافِقَةً لِدَمِهِ»<sup>(٢)</sup>، حيث اقترن مقتل الحسين عليه السلام في هذا النصّ بعنوان المظلومية، واستحقّ بذلك مواساة الأنبياء.

٣- ما يرويه الطوسي بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه قال: «لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ مَا كَانَ، ضَبَعَتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَتْ: يَا رَبِّ، يُفْعَلُ هَذَا

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ٥٩.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٤٢.

بالحسين صفيك وابن نبيك؟! قال: فأقام الله لهم ظلّ القائم عليه السلام، وقال: بهذا أنتقم له من ظالميه»<sup>(١)</sup>، حيث اقترنت في هذا النص أيضاً مأساة الحسين عليه السلام بعنوان الظالمية، والتي هي المظلومية ذاتها كما تقدّم، ولكن بلحاظ فعل الظالمين وما ارتكبه من جريمة بشعة بحقّ ابن النبي الأكرم عليه السلام، وستكون هذه المظلومية شعار القائم عليه السلام حينما ينتقم من قتلة جدّه الحسين عليه السلام.

٤- ما ورد في كامل الزيارات، عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام، أنه قال: «مرّ بالحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك وهو يُقتل، فخرجوا إلى السماء، فأوحى الله إليهم: يا معشر الملائكة، مرّتم بابن حبيبي وصفيي محمد عليه السلام وهو يُقتل ويضطهد مظلوماً فلم تنصروه»<sup>(٢)</sup>، فانزلوا إلى الأرض إلى قبره فابكوه شعثاً غبراً إلى يوم القيامة. فهم عنده إلى أن تقوم الساعة»<sup>(٣)</sup>، وهذا النصّ كما هو واضح يؤكّد على اقتران وتلاحم فاجعة المقتل الحسيني بجُرم الاضطهاد والمظلومية؛ لتكتمل به صورة المأساة، ويؤكّد النصّ أيضاً على أن نصرة الحسين (المظلوم) فرض واجب على أهل السماء قبل أهل الأرض، وأن الخلائق بأجمعها تتحمّل مسؤولية التقصير في أداء هذا الواجب المقدّس.

٥- حينما قام الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام خطيباً في مجلس يزيد للتعريف بنفسه الطاهرة، وفضح الظالمين أمام الرأي العام، قال في جملة ما جاء في خطبته الشريفة: «أنا ابن المقتول ظلماً، أنا ابن المحزوز الرأس من القفا»<sup>(٤)</sup>، فجاء عليه السلام بمفردة القتل مقرونة بالظلم؛ ليكشف للجُمهور معالم الكارثة والمأساة.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ١٨٤.

(٢) لعلّ المقصود: هو أن هؤلاء الملائكة لم يعرضوا على الإمام الحسين عليه السلام حين نزولهم استعدادهم للنصرة والقتال بين يديه كما فعل ذلك طوائف أخرى من الملائكة، فلا ينافي هذا النصّ بعض النصوص الأخرى الدالة على أن الحسين عليه السلام قدر فرض مشاركة الملائكة في الأحداث الأخيرة لمعركة الطف.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٢٦.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٣٠٥.



٦- ما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام، والذي يؤكد فيه على مشهد المأساة والمظلومية في مقتل الحسيني، حيث يقول: «إن الحسين صاحب كربلاء قُتل مظلوماً مكروباً عطشاناً لهفاناً»<sup>(١)</sup>.

٧- ما روي عن الباقر أو الصادق عليهما السلام - والترديد من الراوي - أنه قال: «من أحب أن يكون مسكنه الجنة ومأواه الجنة فلا يدع زيارة المظلوم. قلت: ومن هو؟ قال: الحسين بن علي صاحب كربلاء»<sup>(٢)</sup>، حيث اقترنت الزيارة ومطلوبيتها وثوابها بوصف المظلومية، ومعروف أن الوصف مُشعر بالعلية، بمعنى أن للمظلومية مدخلية وتأثير في محتوى ومضمون هذا النص الشريف.

٨- ما ورد أيضاً من التأكيد على عنوان (المظلومية الحسينية) في كلام الإمام الصادق عليه السلام، حيث يقول: «إن الحسين عليه السلام قُتل مظلوماً مضطهداً نفسه، عطشاناً هو وأهل بيته وأصحابه»<sup>(٣)</sup>.

٩- ما ورد من التعريف بشخص الإمام الحسين عليه السلام في إحدى الزيارات الشريفة المروية عن الإمام الصادق عليه السلام، وأن من جملة ما يقوله الزائر: «لبك داعي الله، إن كان لم يُجيبك بدني فقد أجابك قلبي وشعري وبشري ورأبي وهواي، على التسليم لخلف النبي المرسل والسبط المنتجب، والدليل العالم، والوصي المبلغ، والمظلوم المهتمم»<sup>(٤)</sup>، حيث جاءت المظلومية واحدة من مفردات هذا التعريف الشريف.

## ٢- لعن الأمة الظالمة وتحميلها مسؤولية ما واجهه الحسين عليه السلام من مظلومية ومأساة

تؤكد الأحاديث والنصوص الدينية على أن الأمة الإسلامية - بل الإنسانية بأكملها -

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣١٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٦٩.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٨٩.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٤٠.

هي التي تتحمّل مسؤوليّة الظلم والاضطهاد الذي تعرّض له الإمام الحسين عليه السلام في مسيرته وحركته الإصلاحية؛ ولذا ورد في بعض نصوص الزيارة قول الزائر: «ضمنت الأرض ومن عليها دمك وثارك يا بن رسول الله»<sup>(١)</sup>، فالإنسانية بكافة ألوانها وأطيافها بين ظالم للحسين عليه السلام أو راضٍ بظلمه وساکت عنه، وبين رافض متضامن وزائر وثارٍ مُطالب بدم الحسين عليه السلام، ولا مجال للحياد أبداً، فإما مع أو ضد<sup>(٢)</sup>. ونستعرض فيما يلي تحت هذا العنوان بعض النصوص الدينية التي تؤكد على الشجب والاستنكار واللعن الدائم والمتواصل للأمة الظالمة والأمم الراضية بظلمها والسائرة على نهجها، وهي على طوائف كثيرة، منها ما يلي:

١- ما ورد في النصوص والزيارات الكثيرة والمتضافرة، قولهم عليه السلام المتكرر: «ولعن الله أمة ظلمتك»<sup>(٣)</sup>. أو بنص آخر: «فلعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة ظلمتك، ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به»<sup>(٤)</sup>. وأيضاً في نصّ ثالث مماثل: «فلعن الله من قتلك، ولعن الله من ظلمك، ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به»<sup>(٥)</sup>. وفي نصّ رابع: «لعن الله أمة ظلمتك، وأمة قتلتك، وأمة قاتلتك، وأمة أعانت عليك، وأمة خذلتك، وأمة دعتك فلم تُجيبك، وأمة بلغها ذلك فرضيت به، وألحقهم الله بدرك الجحيم»<sup>(٦)</sup>. وفي نصّ

(١) المصدر السابق: ص ٣٦٢.

(٢) وأما القاصرون الذين لم يتعرّفوا على الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، فهم أيضاً بين رافض للظلم بكل ألوانه، بما في ذلك مظلومية الحسين عليه السلام لو اطّلع عليها، وهذا يكون في زمرة القاصرين المستضعفين المرجون لأمر الله، إمّا أن يعدّ بهم أو يتوب عليهم، وبين حامل للواء الظلم أو راضٍ به، فيُدرج في زمرة الظالمين للحسين عليه السلام.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٨٧.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٧٢١.

(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١١٤.

(٦) المصدر السابق: ج ٦ ص ٥٨.

خامس: «فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت»<sup>(١)</sup>. وورد في زيارة علي بن الحسين عليه السلام: «السلام عليك أيها المظلوم وابن المظلوم، لعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة ظلمتك، ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به»<sup>(٢)</sup>. فإن هذه الطائفة من النصوص صريحة ألفاظها في كل معاني ومضامين الشجب والإدانة والاستنكار لفاجعة الدهر الكبرى، والتأكيد على أن النعمة واللعنة الإلهية ستحل في سواد الأمة الظالمة للحسين عليه السلام، وأن لعنات السماء المؤبدة ستبقى تلاحق الأمم والأجيال المتضامنة مع تلك الأمة، والراضية بما اقترفت من الجرم والظلم والاضطهاد في أحداث كربلاء الدامية، وسيبقى كل إنسان حرّ زائر للحسين عليه السلام عارف بقضيته يستنكر تلك الفاجعة ويطلب السماء بإنزال المزيد من لعناتها على الظالمين بكافة أصنافهم.

٢- ما ورد في جملة من النصوص والزيارات المستفيضة عنهم عليهم السلام، قول الزائر: «لعن الله الظالمين لكم من الأولين والآخرين»<sup>(٣)</sup>. وفي نص آخر: «ألا لعن الله قاتلك، ولعن الله ظالميك، ولعن الله ساليك ومبغضيك من الأولين والآخرين»<sup>(٤)</sup>. وفي نص ثالث: «اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد وآخر تابع له على ذلك، اللهم العن العصابة التي جاهدت الحسين وشايعت وبايعت وتابعت على قتله، اللهم العنهم جميعاً»<sup>(٥)</sup>. وهذه الطائفة من النصوص صريحة أيضاً في كون (المظلومية الحسينية) جريمة عظمى وكارثة كبرى بحق الإنسانية، يتحمّل وزرها الأولون والآخرون، ممن تلطّخت أيديهم بدماء الصفوة من ذرية الأنبياء، المؤسسون منهم، والممهّدون، والفاعلون، والداعمون، والمؤيّدون لتلك الجريمة النكراء، وقد ورد في الحديث الشريف: «العامل

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٣٧.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجب: ص ٧٢٢.

(٣) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤١٥-٤١٦ و ٥١٧-٥١٩.

(٤) الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ٤٩٩.

(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجب: ص ٧٧٦.

بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم»<sup>(١)</sup>.

٣- ما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه قال: «لما ضُرب الحسين بن علي عليه السلام بالسيف، ثم ابتدر ليُقطع رأسه، نادى منادٍ من قِبل الله ربّ العزة تبارك وتعالى من بطنان العرش، فقال: ألا أيتها الأمة المتحيرة الظالمة الضالّة بعد نبيّها، لا وفّقكم الله لأضحى ولا فطر»<sup>(٢)</sup>. وفي نص آخر عن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، أنه قال: «إن الناس لما قتلوا الحسين (صلوات الله عليه) أمر الله تبارك وتعالى ملكاً يُنادي: أيتها الأمة الظالمة القاتلة عتره نبيّها، لا وفّقكم الله لصوم ولا فطر»<sup>(٣)</sup>. ولا شك بأن سلب التوفيق للطاعة من أبرز مظاهر نزول اللعنة الإلهية على تلك الأمة الظالمة.

### ٣. مظلومية الحسين عليه السلام توجب العذاب الأبدي لظالميه

ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «أن أعوان الظلمة يوم القيامة في سُرادق من نار، حتى يحكم الله بين العباد»<sup>(٤)</sup>، وهذه هي حال الظالمين أيضاً بالأولوية القطعية، وهو صريح قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾<sup>(٥)</sup>، وفي هذا الإطار تؤكد جملة من النصوص والروايات على أن السبب الأساس والحدّ الأوسط لدخول سفّاحي كربلاء النار وخلودهم فيها هو الظلم والمظلومية التي اقترفوها بحق الإمام الحسين عليه السلام وصحبه الكرام وأهل بيته الطاهرين، ومن تلك النصوص ما يشهد به المؤمن في زيارته للروضة الحسينية المقدّسة، حينما يقول: «أشهد أنك قتلت مظلوماً، وأن قاتلك في النار»<sup>(٦)</sup>. وأيضاً ما ورد في خطبة لفاطمة الصغرى عليها السلام في أهل الكوفة، جاء فيها قولها:

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢ ص ٣٣٣.

(٢) الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ص ١٩٣.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ١٦٩.

(٤) المصدر السابق: ج ٥ ص ١٠٧.

(٥) هود: آية ١١٣.

(٦) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٠٦.

«ثم تُخلّدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين»<sup>(١)</sup>. وهذا أيضاً ما يدعو به الزائر لقبور شهداء الطف، حيث يجعل المظلومية سبباً وموجباً لدعائه بهلاك الظالمين، فيقول: «أسأل الله الذي حملني إليكم حتى أراي مصارعكم، أن يُرينيكم على الحوض رواء مرويين، ويُريني أعداءكم في أسفل درك من الجحيم، فإنهم قتلوكم ظلماً وأرادوا إماتة الحق، وسلبوكم لابن سمية وابن أكلة الأكباد»<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- شهادة المؤمن وإقراره بـ(مظلومية الحسين عليه السلام) أمام الله تعالى

إن من المفردات الشائعة والمنتشرة بكثرة في زيارات الإمام الحسين عليه السلام الخاصة والعامّة، هي شهادة المؤمن الزائر وإقراره - حينما يقف للزيارة - بأن الحسين عليه السلام قد قُتل مظلوماً مضطهداً شهيداً في سبيل الله، وما نفهمه من موقف الإدلاء والاعتراف هذا: هو أن الله تعالى يريد من المؤمن بالحسين عليه السلام وقضيّته أن يقف أمام محكمة العدل الإلهي ليُدلي بشهادته، ويتبرأ - بصورة دائمة ومستمرّة وخالدة - من وقائع المجزرة التاريخية والمساوية التي ارتكبتها الظالمون، وأن يجعل نفسه في حرز وبمناى بعيد عن الظالمين الذين ستشملهم لعنة السماء والثأر الإلهي، ويصطفّ مع أصحاب الثأر والدم الذي لا يدرك ثأره من الأرض إلّا بأولياء الله. والنصوص الواردة في هذه النقطة بالخصوص مستفيضة ومتضافرة، منها:

قول الزائر: «أشهد أنك قُتلت مظلوماً، وأن الله منجز لكم ما وعدكم»<sup>(٣)</sup>، ولا شك في أن هذه الشهادة من أجل وأوضح صور التخليد لمظلومية كربلاء.

ويقول الزائر أيضاً: «أشهد موقناً أنك أمين الله وابن أمينه، قُتلت مظلوماً ومضيت

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٨.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٢٢.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجب: ص ٧٢٥.

شهِيداً»<sup>(١)</sup>. وفي نصٍّ مماثل: «أشهد أنك أمين الله وابن أمينه، عشت سعيداً ومضيت حميداً ومُتت فقيداً مظلوماً شهيداً، وأشهد أن الله منجز ما وعدك ومهلك مَنْ خذلك ومعذب مَنْ قتلَكَ، وأشهد أنك وفيت بعهد الله وجاهدت في سبيله حتى أتاك اليقين»<sup>(٢)</sup>، حيث اقترنت الشهادة بالمظلومية، بما يشهد ويقرّ به المؤمن فرضاً، من كون الإمام الحسين عليه السلام أمين الله وابن أمينه.

ومن ذلك أيضاً قول الزائر: «أشهد أنك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وجاهدت في الله حق جهاده حتى استُبيحَ حرمك وقُتلت مظلوماً»<sup>(٣)</sup>. وأيضاً قوله: «وأشهد أنك قد بلّغت ونصحت وصبرت على الأذى، وأنت قد قُتلت وحُرمت وغُصبت وظلمت، وأشهد أنك قد جُحدت واهتُضمت وصبرت في ذات الله»<sup>(٤)</sup>، فاقترنت الشهادة بالمظلومية في هذا النصّ بما يشهد به المؤمن للحسين عليه السلام في ملحمة كربلاء حينما وقف للتبليغ والدفاع عن أقدس وأهمّ الشعائر والفرائض الدينية.

## ٥. الصلاة والتسليم على الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره بوصف (المظلومية)

ومن المراسم الواردة بكثرة أيضاً في نصوص ومفردات الزيارات الحسينية، هي أن يتوجّه الزائر بالصلاة والتسليم على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره بوصف الشهادة (المظلومية) والاضطهاد، فيقول فيما يتلو من الزيارة: «اللهم صلّ على الحسين بن علي، المظلوم الشهيد قتيل الكفرة، وطريح الفجرة، السلام عليك يا أبا عبد الله»<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ٤٠٢.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١١٤.

(٣) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٢٢.

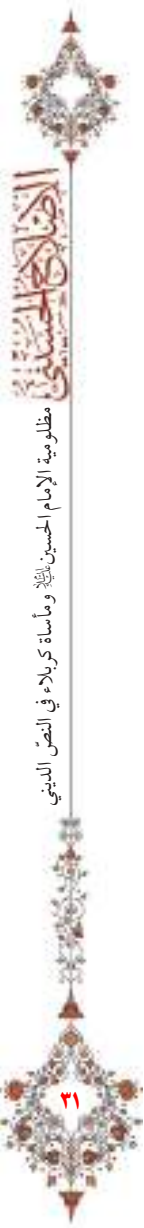
(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٥٩.

(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجب: ص ٤٠٢.

ويصلي عليه أيضاً بالقول: «اللهم صلّ على الإمام الشهيد المقتول المظلوم المخدول»<sup>(١)</sup>.  
وبالقول أيضاً: «اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وصلّ على الحسين المظلوم الشهيد  
الرشيد»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك يُسَلَّم الزائر على الحسين عليه السلام بوصف المظلوميّة، فيقول: «السلام عليك يا  
أول مظلوم انتُهِك دمه وصُيِّعت فيه حرمة الإسلام، فلعن الله أمة أسست أساس الظلم  
والجور عليكم أهل البيت»<sup>(٣)</sup>. وأيضاً يقول: «السلام على الحسين المظلوم الشهيد»<sup>(٤)</sup>.  
ويقول: «السلام على المقتول المظلوم، السلام على الممنوع من ماء الفرات»<sup>(٥)</sup>. ويخصّ  
الحسين عليه السلام في تسليمه بالقول: «سلام الله وسلام ملائكته وأنبيائه ورسله والصالحين  
من عباده وجميع خلقه ورحمته وبركاته على محمد وأهل بيته وعليك يا مولاي الشهيد  
المظلوم»<sup>(٦)</sup>. ويقول الزائر أيضاً: «السلام على القتل المظلوم»<sup>(٧)</sup>. و«السلام على المحتسب  
الصابر، السلام على المظلوم بلا ناصر»<sup>(٨)</sup>. و«السلام عليك يا قتل الظالمين»<sup>(٩)</sup>.  
و«السلام على من أريق بالظلم دمه»<sup>(١٠)</sup>. وأيضاً يقول الزائر في سلامه على أنصار  
الحسين عليه السلام: «السلام عليكم يا أنصار أبي عبد الله الحسين الشهيد المظلوم»<sup>(١١)</sup>. ولا شكّ

- 
- (١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٢٥.
  - (٢) ابن طائوس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ص ٣٤٢.
  - (٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٣٧.
  - (٤) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجب: ص ٧٨٨.
  - (٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٣٦.
  - (٦) الكفعمي، إبراهيم، المصباح: ص ٥٠١.
  - (٧) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٩٨.
  - (٨) المصدر السابق: ص ٤٩٩.
  - (٩) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٢٦٨.
  - (١٠) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٩٩.
  - (١١) ابن طائوس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ص ٦٥.



بأن في هذا الموقف تخليداً للذكرى وتذكيراً دائماً ومستمراً بألوان وآلام المظلومية التي واجهها الحسين عليه السلام في مقتله، وكم هو حزين ومُفجع أن يُصرع عزيزك الموت وهو يتألم، وتقف أنت الشاهد على ذلك!!

## ثقافة المظلومية وبناء الدولة!)

يقول أحد الباحثين: «إن ثقافة المظلومية هي بطبيعتها ثقافة معارضة، وليس بمقدورها أن تبني دولة، وما لم يتم التراجع عنها وإلغاؤها بكل قوّة، فإن الإنسان الشيعي سيعجز عن تحقيق النُقلة الثقافية والنفسية من حالة المعارضة إلى حالة القيادة»<sup>(١)</sup>.

ونحن هنا لا نريد الخوض مُفصّلاً في الإجابة عن هذه الرؤية القائمة حول ثقافة المظلومية في الوسط الشيعي، لكننا أحببنا التعليق على ذلك موجزاً في النقاط التالية:

١- كانت ولا زالت الدول العظمى والبلدان المتقدّمة والمتحضّرة تفسح المجال واسعاً لثقافة المعارضة في أنظمتها وبرامجها الحكومية، فتجعلها الركن الأساس والمادّة الصّلبة لبناء مفاصل الدولة الرائدة، مستهدفة بذلك الحفاظ على نزاهة سياساتها، وسلامة أوطانها، وبناء حضارتها، وتحقيق العدالة والرقّي والتقدّم لشعوبها.

لكن مما يؤسف له أن ثقافتنا العربية والشرق أوسطية يبتني واقعها الاجتماعي والسياسي والحكومي في كثير من بلداننا على حالة من القطيعة والتضادّ بين مشروع بناء الدولة وبين ثقافة المعارضة، وهذا ما انساق معه الكاتب - للأسف - في تقييمه الخاطئ لثقافة المظلومية، حيث حكم بانسجامها مع ثقافة المعارضة دون ثقافة القيادة وبناء الدولة.

ونحن نقول وبوضوح تامّ: أينما حلّ الظلم والفساد والتخلف والرجعيّة والهمجيّة،

(١) جعفر المظفر، مقال بعنوان: (المظلومية الشيعية.. ظلم للشيعية قبل أن تكون ظلمًا لغيرهم)، شبكة الإنترنت، مركز الدراسات والأبحاث العلمانيّة في العالم العربي، بتاريخ: ٢٨/٤/٢٠١٢م.



وفي أيّ بلد من البلدان، ينبغي أن يكون لثقافة المظلوميّة حضورها الفاعل وصوتها المعارض وصرختها المدويّة؛ ليحافظ ذلك الصوت الحرّ على بناء الدولة ورفقيّ المجتمع وتقدّمه، فيجب أن يبقى صوت المظلومين مرتفعاً في كلّ بلد يبحث عن مجده وحضارته. ولا نلوم الكاتب في رأيه وهو يعيش في ظلّ حكومات لا تبني بلدانها إلاّ على هاجم المظلومين، وتكميم أفواه المعارضين، فلو أردت بناء هكذا دولة فاسدة فلا مجال أبداً لثقافة المظلوميّة والمعارضة!!

٢- حينما نطالع تأريخ الحضارات القديمة والحديثة نجدها قد بُنيت على ثقافة المعارضة ومآسي المظلومية والاضطهاد، ولعلّ أوضح شاهد على ذلك ما كُتب حول أحداث الثورة الفرنسيّة وعصر النهضة، الذي منه انطلقت الحضارة الغربيّة المتراميّة الأطراف، حيث ابنت تلك الثورة على مسالحيّة ثقافة المظلوميّة، حينما نهض المجتمع المظلوم والمضطهد بوجه الظلم الكنايسي، الذي كان يُدار من قِبَل طائفة من رجال الدين الفاسدين، فكانت المظلوميّة هي الشرارة الأولى التي أحرقت أبراج الظالمين وعروشهم، وهي الخطوة الأولى التي ابنت عليها حضارة المظلومين، فلماذا التشجيع على أتباع أهل البيت عليهم السلام، ونحن نشاهد اليوم كيف يبنون صروح حضارتهم الساميّة انطلاقاً من مظلوميّاتهم التي تعرّضوا لها عبر التأريخ!!؟

٣- لو كان المقصود من المظلوميّة مفهومها الارتدادي والسلبّي - الذي يعني حالة من الانطوائية والانكفاء على الذات والهروب من واقع الظلم المرير والمأساوي - حينها يمكننا أن نتصوّر وجهاً معقولاً لما ذكره هذا الباحث، من كون ثقافة المظلوميّة بهذا المعنى غير قادرة على قيادة المجتمع وبناء الدولة. لكن المظلوميّة الحسينيّة والشيعيّة التي نتحدّث عنها - كما يشهد التأريخ والموروث الديني والواقع الاجتماعي والسياسي - ليست بذلك المعنى السلبّي والانطوائي، وإنما لها معناها ومفهومها الإيجابي والمؤثّر الذي تحدّثنا عنه في مطلع هذا المقال، والذي يُمثّل ثورة مسلّحة ضدّ الظالمين، ونهضة

تصحيحية لإصلاح المجتمع وانتشاله من غياهب الظلم والجريمة والفساد، ولا شك بأن ثقافة المظلومية التي تحمل في واقعها هكذا مبادئ وأهداف هي الأقدر دوماً على صناعة القادة الأكفاء وبناء الدولة الفاضلة.

### مَنْ يَتَعَلَّمْ كَيْفَ يَكُونُ مَظْلُومًا لَا يَنْتَصِرُ أَبَدًا!!

أشرنا في مستهل هذا المقال بأن المظلومية في المنطق الديني - القرآني والروائي - هي فعل الظالم وجريته، ولا دور للمظلوم في صنعها، بل لو شارك المظلوم في عملية تصنيع المظلومية وانتاجها كان شريكاً في الظلم وليس مظلوماً، فيجب على كل مؤمن ألا يفكر أو يسعى لبناء شخصية مُستضعفة مظلومة تبحث عن النصر بضعفها ومظلوميّتها؛ لأن الله تعالى لا يريد من العبد المؤمن أن يتعلم كيف يكون ضعيفاً مظلوماً لينتصر، بل يريد منه أن يبحث دوماً عن أسباب النصر ومبادئ القوة والغلبة على الظالمين، ومن يتصفح تراث كربلاء الشموخ يرى وبوضوح أن الإمام الحسين عليه السلام لم يسع أبداً ليكون مظلوماً مضطهداً، ولم يصنع لنفسه أسوار المظلومية لينتصر على أعدائه، وإنما خرج عليه السلام بكلّ قوّة وعزم وحزم وإرادة وثبات وإباء؛ لينتصر على ظالميه حينما واجهوه بالظلم والعدوان، وهكذا ينبغي أن يكون كلّ تائر ومُصلح يقتدي بالحسين عليه السلام؛ ليتعلم من نهضته المباركة كيف يكون قوياً فينتصر، وهذا هو ما نفهمه من المقولة المشهورة: (واقعة كربلاء ثورة المظلوم على الظالم)، وفي هذا الضوء أيضاً؛ ينبغي تصحيح المقولة المشهورة القائلة: (تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر)، واستبدالها بالقول: (تعلمت من الحسين عليه السلام حينما أكون مظلوماً كيف أنتصر)؛ لأن الحسين عليه السلام يُعلّمنا كيف ننتصر على الظلم، وكيف لا نرضى أن نكون مظلومين أبداً، ولا يُعلّمنا كيفية الخضوع للظلم؛ لكي نكون مظلومين ضعفاء، نستجدي الرحمة والنصر من قلوب ومشاعر المتعاطفين والمتضامنين مع قضيتنا ومظلوميّتنا!!

## ثقافة توظيف المظلومية الحسينية في واقعنا الديني والاجتماعي والسياسي

ينبغي أن تبقى مسألة التوظيف لثقافة المظلومية وآلياتها من الملفات المفتوحة، والمتحرّكة في مجمل متغيّرات واقعنا الديني والأخلاقي والاجتماعي والسياسي وأمثال ذلك، فالمظلومية الحسينية من المظلوميّات العالميّة النابضة بالحياة، والمؤثّرة في الوجدان الإنساني بشكل عامّ، ولا معنى لحبس هذه المظلومية الخالدة وتطويقها في دائرة مذهبية أو دينية معيّنة؛ وذلك لأن أهدافها ومبادئها وغاياتها السامية التي قامت من أجلها كانت عامّة وشمولية وواسعة بسعة الإنسان على اختلاف ميوله وتوجّهاته الدينية والبشرية، وعلى سبيل المثال نُشير إلى جانب من تلك التوظيفات، تاركين جملة من التفاصيل إلى المقالات الخاصّة بملفّ هذا العدد:

١- توظيف معالم المظلومية الحسينية في مستواها الديني والأخلاقي: حيث كانت هتافات تلك المظلومية الرساليّة الخالدة تصدح بالإنذار والتحذير من خطر الانقلاب على ثوابت ومكتسبات الرسالة المحمديّة الغراء، وكانت تتحرّك أيضاً من منطلق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وواجب الدفاع عن أركان الدين وأصوله التي بُني عليها، كالولاية والصلاة والزكاة والصيام وغيرها، ووقفت بكلّ حزم وإصرار وشموخ وتحديّ أمام مخاطر التفسّخ والانحلال الديني والخلقي الذي امتاز به النظام الأموي الفاسد؛ ولذا كان الإمام الحسين عليه السلام يقول في توصيف معالم هذا اللون من المظلومية: «إن الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها واستمرّت جدّاً، فلم يبقَ منها إلّا صباغة كصباغة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحقّ لا يُعمل به وأن الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّقاً، فإني لا أرى الموت إلّا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً»<sup>(١)</sup>. ويقول أيضاً عليه السلام في كلمته المشهورة: «وأيّ لم أخرج

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٠٥.

أشراً ولا بطراً، ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب»<sup>(١)</sup>. وكتب عليه السلام إلى رؤساء أهل البصرة في وصف تلك المظلومية: «وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه؛ فإن السنة قد أُميتت وإن البدعة قد أُحييت، وأن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد»<sup>(٢)</sup>. وأيضاً ما جاء في خطبته الشريفة يوم عاشوراء، قوله عليه السلام: «فبعداً وسُحراً لطواغيت هذه الأمة، وبقية الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومُطفيئ السنن، ومؤاخي المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين، وعصاة الإمام»<sup>(٣)</sup>. ومن ذلك أيضاً ما سبق في قول الزائر للإمام الحسين عليه السلام: «أشهد أنك قد أقمّت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وجاهدت في الله حق جهاده، حتى استُبيح حرمك وقتلت مظلوماً»<sup>(٤)</sup>. إلى غير ذلك من النصوص المتضافرة التي تؤكد على توافر الجانب الديني والأخلاقي بصورة متميزة في مبادئ وأهداف ثورة المظلومية الحسينية.

ومن هذا المنطلق؛ تُصبح ثقافة التوظيف الديني والأخلاقي للمظلومية الحسينية في واقعنا معناها: وجوب وقوف المظلوم بوجه الطغاة والظالمين والمفسدين بكل إباء وحرية؛ للدفاع عن الدين بجمع فصوله وأصوله وفروعه، وقيمه وشعائره وقوانينه، وأهدافه وغاياته.

٢- التوظيف في المستوى الاجتماعي للمظلومية: حيث كانت النهضة الحسينية التي خرجت من رحم المظلوميات المتراكمة صرخة مدوية بوجه الطغاة؛ للحفاظ على نسيج وتماسك المجتمع الإنساني والإسلامي على وجه الخصوص، وقد كان الإمام

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٣٠.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٦٦.

(٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٤.

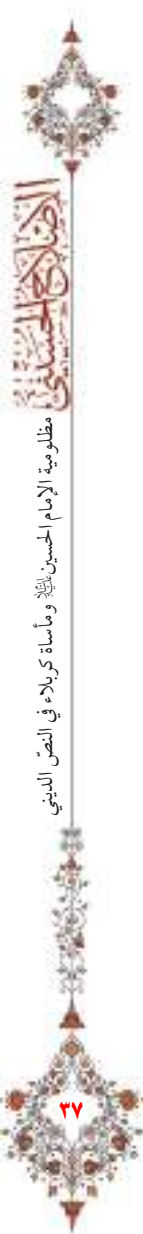
(٤) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٢٢.

الحسين عليه السلام يُطالب الناس بالعودة إلى إنسانيتهم وعروبتهم وأخلاقهم المجتمعية التي نشأوا عليها، وقد خاطب الإمام عليه السلام الظالمين يوم عاشوراء بالقول: «إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون»<sup>(١)</sup>. وخاطبهم أيضاً عليه السلام بالقول: «فانسبوني فأنظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فأنظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟!... ويحكم أطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة؟!»<sup>(٢)</sup>. فإن هذه الخطابات وغيرها تستهدف تحريك الجانب الإنساني والاجتماعي في نفوس الظلمة وأعوانهم، وهذا في الحقيقة يفتح باباً واسعاً ومؤثراً في كيفية توظيف ثقافة المظلومية في المجالات الإنسانية والاجتماعية.

٣- وأما ما يرتبط بتوظيف المظلومية الحسينية في واقعنا السياسي: فأعتقد بأن هذا من أخطر الملفات وأهمّها، وقد أشرنا في مقالات ماضية إلى ضمور الدراسات التخصصية فيما يخص هذا الملف؛ لأسباب ومبررات ذكرنا أهمّها وناقشناها بشيء من التفصيل في أعداد ماضية، ونحن نعتقد بضرورة وحمية توظيف تلك المظلومية الرائدة في مجالات مواجهة الطغاة ومحاربة المفسدين، والتخطيط لإسقاط أنظمتهم الظالمة والفاصلة، واستبدالها بحكومة إلهية عادلة، وهذا اللون من التوظيف له أسلوبه ومنهجه الخاص والمفصل، ولا يسع المجال للوقوف عنده في هذا المقال المختصر، لكننا نوجه نداءً ودعوة لكل العلماء والباحثين بأن يُكثفوا الجهود والطاقات والإمكانات العلمية؛ لتوظيف المظلومية الحسينية فيما يرتبط بواقعنا السياسي، بما يضمن لنا محاربة الظلم والفساد بصورة دائمة ومستمرّة ومؤثرة.

(١) ابن طاوس، علي بن موسى، المهوف: ص ٧١.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٧-٩٨.





ملف العدد

# المظلومين في كربلاء نظرة من حق التاريخ

- ◆ نظرة في المأساة والمظلومية في كربلاء
- ◆ هل خطط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟
- ◆ قراءة نقدية لمبحث المظلومية في كتاب (الشهيد الخالد)
- ◆ انتهاك حقوق المرأة والطفل في واقعة عاشوراء
- ◆ المأساة والمظلومية في أبعادها الإنسانية (الثورة الحسينية أنموذجاً)
- ◆ المظلومية في عزّة وإباء.. وجه آخر للنصر
- ◆ التوظيف العقدي والديني لمأساة كربلاء في تراث المعصومين عليهم السلام
- ◆ المشينة الإلهية لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام
- ◆ دراسة فقهية في الظالمية والمظلومية (كربلاء أنموذجاً)





## نظرة في المأساة والمظلومية في كربلاء

حوار مع سماحة آية الله الشيخ

محمد جواد فاضل اللنكراني

انطلاقاً من رسالتها في ردف الحركة الفكرية، المتمحورة حول النهضة الحسينية، ذات الأبعاد المتعددة، والأطراف المترامية، ورصد كل ما هو مُثمر في أبعاد تلك النهضة، قامت مجلة الإصلاح الحسيني بإجراء حوار علمي، مع سماحة آية الله الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني، أستاذ الحوزة العلمية في مدينة قم المقدّسة، حول عنصر المظلومية والمأساة في واقعة كربلاء.

**الإصلاح الحسيني**: نرحّب بكم سماحة آية الله الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني، ونشكركم جزيل الشكر على إتاحة هذه الفرصة لنا، لإجراء هذا الحوار الذي سيكون - إن شاء الله - مفيداً، حول مسألة الظلم والمظلومية في كربلاء وبعض أبعادها.

**السؤال**: اسمحوالي بدايةً أن أعرب عن شكري وثنائي على المسؤولين المحترمين في مجلة الإصلاح الحسيني، التي أخذت على عاتقها بيان أبعاد النهضة الحسينية، وواقعة كربلاء، وثورة الإمام الحسين عليه السلام، واستطاعت بحمد الله تعالى إصدار بضعة أعداد، والإشارة إلى نقاط مهمّة، وأبعاد مختلفة حول نهضة عاشوراء.

مما لا شك فيه أن هذا الموضوع الذي تُثرونه في سياق هذا الحوار لذو أهمية كبرى، وربما يمكن القول: إنه قلما جرى التطرق إليه في البحوث والدراسات التخصصية، ألا وهو دراسة نهضة الإمام الحسين عليه السلام من زاوية المظلومية التي تعرّض لها الإمام.

**الأدراج الحسيني**: سماحة الشيخ، حبذا لو تعطينا لمحة عن موقف الدين الإسلامي ومدرسة أهل البيت عليهم السلام من الظلم والظالمين.

**الشيخ محمد محمد باقر السكاكيني**: تعرّض إلى موقف الدين الإسلامي ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، فيما يخصّ الظلم أمر في غاية الأهمية؛ إذ لدينا آيات كثيرة في القرآن حول الظلم والظالمين، ولا بدّ من الالتفات لها في هذا الصدد. ثمة آيات قرآنية متعددة دالة على أنّ أغلب أنواع العقوبات والعذاب الدنيوي الذي كتبه الله تعالى على الأمم السالفة، إنّما كان بسبب ارتكابها الجور والظلم، بمعنى أنّ الظلم أضحى منشأ للعذاب الإلهي في الحياة الدنيا.

فمثلاً الآية الشريفة: ﴿فَكَأَنِّنٌ مِّن قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾<sup>(١)</sup>، وكذلك الآية الأخرى: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٍ بِّعَيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وغيرهما من الآيات، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَهْدِيكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله عليه السلام: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيْرِهِمْ جِثْمِيْنَ﴾<sup>(٤)</sup>، وكذا قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، أي: إنّما أرسل عليهم الطوفان بعنوان عذاب إلهي؛ لأنهم اقترفوا الظلم. وغيرها من الآيات وردت جميعها في هذا الإطار؛ ومنه يتضح أنّ الظلم بنظر القرآن الكريم منشأ لنزول العذاب الإلهي في الدنيا، هذا من جانب.

(١) الحج: آية ٤٥.

(٢) الأعراف: آية ١٦٥.

(٣) الأنعام: آية ٤٧.

(٤) هود: آية ٦٧.

(٥) العنكبوت: آية ١٤.

ومن جانب آخر، هناك آيات ذكرت أن الله سبحانه يُعَذِّب الظالمين في الآخرة أيضاً، كقوله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الموتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾<sup>(١)</sup>، حيث أكدت على أن عقاب الظالمين يبدأ من لحظة خروجهم من الدنيا بفعل الظلم الذي ارتكبوه. وقال تعالى في آية أخرى: ﴿قَوْلِيلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنَّ عَذَابٍ يَوْمِ الْيَمِّ﴾<sup>(٢)</sup>، وويل اسم حفرة من حفر النيران، أو هو من الأمكنة الموجودة في جهنم، والمعدة لمن يظلم الآخرين، فيناله عذاب يوم أليم. أيضاً قال ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا مِنْ مُرَادٍ قُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوجوه﴾<sup>(٤)</sup>؛ جميع هذه الآيات تدل على عذاب الظالمين يوم القيامة.

وعليه؛ فحينما يلقي الإنسان نظرة إجمالية على القرآن الكريم، يجد أن الآيات تُشَدِّد على إن الظلم منشأ لنزول العذاب الإلهي في الحياة الدنيا من جهة، وابتلاء الظالم بأشد أنواع العذاب في الآخرة من جهة ثانية. هذا فيما يتصل بالظلم في القرآن. وأما في مجال الروايات، فقد ورد عن الرسول الكريم ﷺ، أنه قال: «اتَّقُوا الظلم؛ فإنه ظلمات يوم القيامة»<sup>(٥)</sup>، مضافاً إلى عدد كبير من الروايات الأخرى التي لا تُريد سردها هنا.

ما تفضَّلتم به يختص بحرمة الظلم في القرآن الكريم والروايات، يا ترى ما هي نظرة العقل تجاه الظلم؟

السُّبْحُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ هَذِهِ السُّرَاتِ وَالَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ: إن دائرة قبح الظلم تشمل العقل أيضاً، فحينما

(١) الأنعام: آية ٩٣.

(٢) الزخرف: آية ٦٥.

(٣) غافر: آية ٥٢.

(٤) الكهف: آية ٢٩.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٣٣٢.

نراجع العقل نجد أنه يحكم بقبح الظلم مطلقاً دون استثناء. ومن هنا؛ فالقرآن والسنة النبوية الشريفة والعقل جميعها تحكم بقبح الظلم وحرمة؛ فإن قبح الظلم أمر فطري، يستقل به كل عاقل سليم، ولذا عدّ من المستقلات العقلية، أي: من الأمور التي لا تحتاج إلى بيان؛ لأنه مورد اتفاق جميع العقلاء، إذ إنّه من البديهيات التي يدركها العقل العملي، كما أن الحكم في هذه القضية غير معلول للشرع، بمعنى أن العقل يدرك ذلك القبح سواء وُجد الشرع أم لم يوجد.

نعم، الشرع المقدّس يؤكد ذلك الحكم ويُرشد إليه، ولولا إدراك العقل لقبح الظلم لاختلّت جميع الأنظمة البشرية.

**الأخلاق الحسنى**: ما هي حدود حرمة الظلم وقبحه، وما هي الموارد التي تشملها هذه الحرمة؟

**الشيخ محمد حمزة فاخراز البكراني**: يمكنكم ملاحظة مدى عظمة الدين الإسلامي؛ إذ يجرّم فيه ظلم الكفار أيضاً، وإنّما تُشير إلى هذه النقطة الهامة، لبيان موقف الإسلام من الظلم، وأنّه لا يُجيز ظلم أحد من الناس حتى الكافرين. وفي هذا الإطار، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: مَنْ أَخَذَ شَيْئاً مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الذِّمَّةِ ظُلْماً، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ». كما ورد في الجامع الحديثية عن الإمام الصادق عليه السلام: «أَنَّ اللَّهَ عز وجل أَوْحَى إِلَى نَبِيٍِّّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، فِي مَمْلَكَةِ جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَّارِينَ، أَنْ آتَتْ هَذَا الْجَبَّارَ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي لَمْ أَسْتَعْمَلْكَ عَلَى سَفْكِ الدَّمَاءِ، وَاتِّخَاذِ الْأَمْوَالِ، وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلْتُكَ لِتَكْفِيَ عَنِّي أَصْوَاتَ الْمَظْلُومِينَ، فَإِنِّي لَمْ أَدْعُ ظُلَامَتَهُمْ وَإِنْ كَانُوا كُفَّاراً»<sup>(١)</sup>، فهذا تأكيد من الإمام الصادق عليه السلام على عدم قبول الإسلام بالظلم للكفار أيضاً.

بل نذهب إلى أكثر من ذلك، فعند مراجعة الروايات نرى أن الظلم غير جائز حتى

(١) المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٣٣.

بالنسبة إلى الحيوانات والأمكنة. فقال أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الخصوص: «اتقوا الله في عباده وبلاده؛ فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم»<sup>(١)</sup>، فالظلم حرام مطلقاً، حتى بالنسبة إلى الكفار والحيوانات، والأمكنة والبقاع.

**الأدب الحسنی:** بعد هذه الإفادة القيّمة عن حرمة الظلم وقبحه، كيف لنا أن نتصوّر حرمة ظلم أهل البيت عليهم السلام، ولا سيّما الإمام الحسين عليه السلام؟ وهل هناك أدلة خاصة على ذلك؟

**الشيخ محمد باقر المجلسي:** كما أنّ لدينا آيات وروايات بشأن قبح الظلم بصورة عامّة، كذلك لدينا روايات حول النهي عن ظلم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله على وجه الخصوص، منها: ما روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «حرّمت الجنة على من ظلم أهل بيتي، وعلى من قاتلهم، وعلى المعين عليهم، وعلى من سبهم؛ أولئك لا خلاق لهم في الآخرة، ولا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم»<sup>(٢)</sup>. ويتضح من خلال ذلك أنّ لدينا روايات نبويّة تُؤكّد على حرمة ظلم أهل البيت عليهم السلام على وجه التحديد، بل إنّ الحرمة فيها شديدة.

وفيما يتعلّق بالإمام الحسين عليه السلام، فقد تعرّض هو وأولاده وأصحابه إلى أبشع أنواع الظلم على مرّ التاريخ، وربما لن يتكرّر مثل هذا الظلم، ولم تشهد له البشرية مثيلاً. فقد وردت رواية حول رأي رسول الله صلى الله عليه وآله في الظلم الذي تعرّض له سيّد الشهداء عليه السلام، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «كان الحسين عليه السلام مع أمّه تحمله، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله، وقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله سالكك، وأهلك الله المتوازين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك. قالت فاطمة الزهراء عليها السلام: يا أبة، أيّ شيء تقول؟

(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ٨٠.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٣٧.

قال: يا بنتاه، ذكرتُ ما يُصيبه بعدي وبعديك من الأذى والظلم»<sup>(١)</sup>. فترون أنّ النبي ﷺ ذكر مظلوميّة الإمام الحسين عليه السلام عند ولادته، وأخبر ابنته أنّ هذا سيكون بعده وبعدها، هذا فيما يتصل بكلام الله ورسوله حول الموضوع.

وثمة روايات أخرى يمكن متابعتها في هذا الباب، منها خطاب الإمام الحسين عليه السلام للأعداء إبان المواجهة: «أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني، والنساء ليس عليهنّ جناح، فامنعوا عُتاتكم وطغاتكم وجهّالكم عن التعرّض لحرمي ما دمت حياً»<sup>(٢)</sup>، فهي تحمل دلالات أبرزها: لماذا تظلمونني وتظلمون أهل بيتي؟

وكذا الرواية التي حدّر فيها آل أبي سفيان قائلاً: «ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم»<sup>(٣)</sup>، وهي تعني أنّكم نبذتم الحرية، وصرتم تطلبون الظلم. وكذلك الرواية الأخرى المأثورة عنه: «النّاس عبيد الدنيا، والدين لَعَقٌ على ألسنتهم، يحوطنونه ما درّت معاشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قلّ الديّانون»<sup>(٤)</sup>، والرواية الأخرى التي خاطب فيها الإمام الحسين عليه السلام أم سلمة بالقول: «يا أمّاه، قد شاء الله ﷻ أن يراني مقتولاً مذبوحاً، ظلماً وعدواناً»<sup>(٥)</sup>، فنرى أنّ الإمام عليه السلام بنفسه استدل بعنوان الظلم، مشدداً على أنّ القوم سيقتلونه ظلماً وعدواناً.

وفي حديثه مع ابن عباس، قال له: «هيّات هيّات يا بن عباس، إنّ القوم لن يتركوني، وإثمهم يطلبونني أين كنت، حتى أبايعهم كرهاً ويقتلونني، والله، إثمهم ليعتدون عليّ كما اعتدت إليهود في يوم السبت، وإني ماضٍ في أمر رسول الله ﷺ حيث أمرني، وإنّا

(١) الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي: ص ١٧١.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق: ج ٤٤، ص ٣٨٣.

(٥) المصدر السابق: ج ٤٤، ص ٣٣١.

لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية مُهِمَّةٌ أُخْرَى، قال الإمام مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ: «إِنَّ الْحَسِينَ صَاحِبَ كَرْبَلَاءَ قُتِلَ مَظْلُومًا مَكْرُوبًا، عَطْشَانًا لَهْفَانًا، فَآلَى اللَّهُ عَلَيْكَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ لَهْفَانٌ، وَلَا مَكْرُوبٌ، وَلَا مُذْنَبٌ، وَلَا مَغْمُومٌ، وَلَا عَطْشَانٌ، وَلَا مَنْ بِهِ عَاهَةٌ، ثُمَّ دَعَا عِنْدَهُ، وَتَقَرَّبَ بِالْحَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى اللَّهِ عَلَيْكَ، إِلَّا نَفْسَ اللَّهِ كَرِبَتَهُ، وَأَعْطَاهُ مَسْأَلَتَهُ، وَغَفَرَ ذَنْبَهُ، وَمَدَّ فِي عَمْرِهِ، وَبَسَطَ فِي رِزْقِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ للريان بن شبيب: «يا بن شبيب، إِنَّ الْمُحَرَّمَ هُوَ الشَّهْرُ الَّذِي كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ فِيهَا مَضَى يَجْرُمُونَ فِيهِ الظُّلْمَ وَالْقِتَالَ؛ لِحُرْمَتِهِ، فَمَا عَرَفْتَ هَذِهِ الْأُمَّةَ حُرْمَةَ شَهْرِهَا، وَلَا حُرْمَةَ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَقَدْ قَتَلُوا فِي هَذَا الشَّهْرِ ذُرِّيَّتَهُ، وَسَبَّوْا نِسَاءَهُ، وَانْتَهَبُوا ثِقْلَهُ، فَلَا غُفْرَانَ لِلَّهِ لَهُمْ ذَلِكَ أَبَدًا»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا حتى يصل الأمر إلى الإمام الحجة المنتظر عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث ورد عن أبي الجارود في ذيل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(٤)</sup>، إِنَّ الْإِمَامَ أَبَا جَعْفَرَ الْبَاقِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «هَذِهِ لَأَلِ مُحَمَّدٍ، الْمَهْدِيِّ وَأَصْحَابِهِ، يَمْلِكُهُمُ اللَّهُ مِشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَيُظْهِرُ الدِّينَ، وَيُمِيتُ اللَّهَ عَلَيْكَ بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ الْبِدْعَ وَالْبَاطِلَ، كَمَا أَمَاتَ السَّفَهَةَ الْحَقَّ، حَتَّى لَا يُرَى أَثَرُ مِنَ الظُّلْمِ»<sup>(٥)</sup>.

بمعنى أَنَّ فلسفة ظهور إمامنا الحجة بن الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأحد الأهداف المُهِمَّةِ لخروجه في آخر الزمان هي رفع الظلم، وقتل الظالمين، فضلاً عن إحياء الدين، وبسطه في أرجاء المعمورة، فعَبَّرَ الْإِمَامُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «حَتَّى لَا يُرَى أَثَرُ مِنَ الظُّلْمِ».

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: ص ٣٨٩.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٤٦.

(٣) المصدر السابق: ص ١٠٢.

(٤) الحج: آية ٤١.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٤، ص ١٦٦.

وهذا نكون قد بينا الظلم في قضية الإمام الحسين عليه السلام من القرآن والروايات، وأثبتنا أنّ هذه القضية واضحة وجليّة جداً؛ ولذا أكد الأئمة الأطهار عليهم السلام، على أنّ هناك ظلماً كبيراً وقع على الإمام الحسين عليه السلام.

**الفتاوى الحسينية**: من وجهة نظركم هل أنّ مظلوميّة الإمام الحسين عليه السلام لها جذور قرآنية؟

**الشيخ محمد باقر الأنصاري**: من وجهة نظري أنّ مظلوميّة الإمام الحسين عليه السلام لا تنحصر بالدليل الروائي، وإنّما لها أساس قرآني أيضاً.

وهذا ما صرّح به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وأكد عليه الأئمة الأطهار عليهم السلام، فيتبين من كلماتهم كم أولوا عناية كبيرة بهذا الأمر.

فلاحظوا على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾<sup>(١)</sup>، كما وردت رواية عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، حول مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا، فقال الحسين: «فلا يُسرف في القتل، إنّ كان منصوراً، قال: سمّى الله المهديّ المنصور كما سمّى أحمد، ومحمّد، ومحمود، وكما سمّى عيسى المسيح عليه السلام»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في رواية أخرى في ذيل هذه الآية، أنّ أبا جعفر الباقر عليه السلام، قال: «هو الحسين بن علي عليه السلام، قُتل مظلوماً، ونحن أولياؤه، والقائم منّا، إذا قام بئثار الحسين عليه السلام، فيقتل حتى يُقال: قد أسرف في القتل»<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا؛ بوسعنا أن نقول: إنّ أوّل مصداق من المصاديق التي يمكن تطبيقها على هذه الآية الشريفة بحسب ما ورد في الروايات، هو الإمام الحسين عليه السلام الذي قُتل مظلوماً.

(١) الإسراء: آية ٣٣.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٣٠. الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي: ص ٢٤٠.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢١٨.



**الإنذار الحسيني**: هل فعلاً أثرت المظلومية كما أرادها الإمام الحسين عليه السلام على

المستوى القريب أو البعيد؟ وما هي الشواهد على ذلك؟

**النعم محمد بن محمد بن النعمان**: نعم، لقد كان لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام أثر

كبير؛ لأنَّ الحادثة التي تنطوي على مظلومية لها تأثير ووقع كبير في زمن حصولها، وفي الأزمنة اللاحقة أيضاً.

وعندما نراجع الآيات والروايات نجد أنَّها تؤكد على أنَّ للظلم تأثيراً واسعاً وسريعاً، ومن الروايات التي أشارت إلى أهمية آثار الظلم، ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «ما يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم»<sup>(١)</sup>، كما ورد في جملة من الروايات أنَّ «الظالم ملوم»<sup>(٢)</sup>، «الظلم وخيم العاقبة»<sup>(٣)</sup>، «شيطان لا تسلم عاقبتها: الظلم، والشر»<sup>(٤)</sup>، «الظلم في الدنيا بوار، وفي الآخرة دمار»<sup>(٥)</sup>، «إيَّاك والظلم؛ فإنه أكبر المعاصي»<sup>(٦)</sup>، «الظلم يطرد النعم»<sup>(٧)</sup>، «...والذنوب التي تُنزل النقم: الظلم»<sup>(٨)</sup>، كلُّ هذا ورد بشأن قبح الظلم.

لقد شدّدت الروايات على أنَّ الله جلَّ وعزَّ يستجيب لدعاء المظلوم بسرعة؛ وذلك يدلُّ على أهمية موضوع الظلم. قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «كان أبي يقول: اتقوا الظلم؛ فإنَّ دعوة المظلوم تصعد إلى السماء»<sup>(٩)</sup>، وفي رواية أخرى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٣٢٦.

(٢) الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٧.

(٣) المصدر السابق: ص ١٧.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٩٧.

(٥) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ٢، ص ١٧٧٠.

(٦) الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٩٧.

(٧) المصدر السابق: ص ١٨.

(٨) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٤٨.

(٩) المصدر السابق: ج ٢، ص ٥٠٩.

«إياكم ودعوة المظلوم؛ فإنّها تُرفع فوق السحاب حتى ينظر الله إليها، فيقول: ارفعوها حتى أستجيب لها»<sup>(١)</sup>.

فيتضح أنّه لو أدّت حادثة ما إلى تعرّض جماعة من الناس إلى الظلم والاضطهاد، فإنّ ذلك سيترك تأثيراً عميقاً في قلوب الناس، خذ على ذلك مثلاً: ما لو طال الظلم في زماننا هذا شخصاً ما - وإن كان كافراً - في أيّ بقعةٍ من بقاع الأرض، فإنّ كلّ من يسمع بذلك الظلم لن يطيق ذلك، فما بالك لو كان المظلوم مسلماً، أو كان إمام المسلمين؟! من الخصائص الذاتية للظلم، أنّه لا يبقى محصوراً في دائرة عمل الظالم فقط، بل إنّ الظالم نفسه يؤاخذ بشدّة. وفي قضية عاشوراء نجد أنّ من طلبوا الدنيا ونشدوا الحكومة لم يحصلوا على شيء من ذلك، بل إنّ قتلة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه كان مصيرهم القتل بأبشع صورة، وهذا أحد الآثار المترتبة على ظلمهم، وإن كان أثراً مؤقتاً مختصاً بذلك الزمان.

وبمرور الوقت نرى آثار النهضة الحسينية ماثلةً أمامنا، فتورة الإمام الخميني رحمته الله في إيران - وتأسيس الجمهورية الإسلاميّة - ما هي إلاّ إحدى بركات ثورة عاشوراء. فلما أراد الشعب الإيراني التأسّي بثورة عاشوراء بنحو من الأنحاء، والعمل بالمأثور من الزيارة: «يا ليتني كنت معكم فأفوز معكم»، وتطبيقه على أرض الواقع، فنزل إلى الساحات والميادين؛ للدفاع عمّا قُتل الإمام الحسين عليه السلام من أجله، ألا وهو الدين الإسلامي، فكانت الثمرة هي هذه الثورة الإسلاميّة.

لاحظوا ما يقوم به حزب الله في لبنان، وما يجري في فلسطين والعراق، فمنّ يكون مستعداً للتضحية بنفسه في سبيل بقاء الدين، إنّما يسير تحت لواء الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ إنّ راية الإمام هي راية المظلوميّة، فكُلّ من يريد أخذ حقّه، يستطيع الانضواء تحت هذه الراية، والاستفادة من هذا العنوان، من أجل استرداد ذلك الحقّ المسلوب.

(١) المصدر السابق.

وعليه؛ فالإمام الحسين عليه السلام كان بصدد نشر الدين الإسلامي، ولولا واقعة عاشوراء، لما بقي للإسلام من أثر، فنحن نعتقد أن بقاء الدين الإسلامي كان رهناً بثورة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا هو معنى قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: «حسين منِّي وأنا من حسين»<sup>(١)</sup>.

**الأهداف الحسينية:** أين نُصنف المظلومية؟ هل نُصنفها في سلسلة أهداف الثورة

الحسينية أم أساليب تحقيق الأهداف؟ وبعبارة أخرى: المظلومية هدف أم منهج؟

**النتيجة:** **عاشوراء فاجتاز السكارى:** من الواضح - في ضوء الكلام المتقدم - أنها ليست

بهدف، وإنما هي منهج، بل أقوى وأبرز منهج موجود. فلا غرو أن مَنْ يُريد إثبات

صواب ما يدعو إليه لا بدَّ من أن يستفيد من أبرز الأساليب والمناهج، والمظلومية

تأتي في هذا السياق. ينبغي أن تلتفتوا إلى أن الظلم الذي تعرَّض له الإمام لم يقتصر

على قتله، ولا على بقاءه هو وأصحابه عطاشى، بل حتى الطفل الرضيع الذي لم يكن

عمره يتجاوز ستة أشهر، ذبحه حرمة بسهم من الوريد إلى الوريد، وقتل أولاد

الإمام، وأهل بيته وأصحابه، في غضون نصف يوم، حتى بقي الحسين عليه السلام وحيداً،

ولم ينته الأمر عند هذا الحدِّ أيضاً، فالأعداء لم يتركوا الإمام حتى بعد مقتل كلِّ مَنْ

كان معه، وكان بوسعهم أن يقولوا: فلنتركه إذ لم يبقَ معه أيُّ ناصر، لكنهم عمدوا

إليه وقتلوه، بل - وبحسب ما بلغنا في الروايات الواردة في هذا المجال - فصلوا رأسه

عن جسده بشكل فظيع (ذُبح كما يُذبح الكبش)، بل لم يرافوا به حتى بعد القتل؛

حيث داسوا على جسده الطاهر - وأجساد أولاده، وأصحابه - بحوافر الخيل، ولم

يكتفوا بهذا القدر من الظلم أيضاً، فنزعوا الأقران من أذن طفله الصغيرة، وتسببوا

بجرحها، وسلبوه ثيابه، وأضرموا النار بالخيريم. أريد أن أقول: لم يبقَ نوع من أنواع

الظلم المختلفة يمكن تصوُّره إلا وارتكبه بنو أمية ويزيد بحقِّ الحسين الشهيد عليه السلام،

فضلاً عن سبي عياله، وأسرهم والطواف بهم في البلدان، وهو من أشدَّ أنحاء الظلم،

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١١٦.

علماً أنّ الإمام عليّاً كان على علم ودراية بهذا الظلم.

وحيث إنّ الحسين وأهل بيته عليّاً كابدوا كلّ أشكال الظلم والجور، فقد أفضى ذلك إلى تخليد هذه الحادثة في التاريخ، كما أنّ ذلك أدى إلى تكشّف أبعاد هذه الواقعة بمرور الزمن، ففي كلّ مدّة زمنية تتجلى أبعاد جديدة من نهضة الإمام الحسين عليّاً، بل أرى أنّه كلّما جاء محرّم في سنة من السنوات، ينكشف للناس بُعد جديد من أبعاد هذه النهضة الخالدة، وتتجلى حقيقة أخرى من حقائق نهضة عاشوراء.

والنتيجة المستفادة من البحث أنّه على فرض أنّ الإسلام لم يتحدّث عن قبح الظلم، فإنّ العقل يحكم بقبحه بلا شك، لكنّ الإسلام شدّد على حرمة الظلم في الدنيا، وكشف النقاب عن آثاره في الآخرة، كما أنّ النبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله، حدّر من ظلم أهل بيته على ما أشرنا إليه سابقاً، وعلى الرغم من ذلك، جاء من يدّعي الإسلام وارتكب - باسم الإسلام - أبشع أنواع الظلم بحقّ عترة المصطفى صلّى الله عليه وآله.

أودّ أن أقول: مع قطع النظر عن موضوع رأي الإمام الحسين عليّاً بعدم شرعية حكومة يزيد، و صواب رأي الإمام عليّاً في هذا الخصوص، والإغضاء عن رفضه مبايعة يزيد، مع أنّ عبد الله بن عمر كان مخالفاً للبيعة في بادئ الأمر كذلك، غير أنّه لم يتعرّض إلى مثل هذا الظلم، وكذا الحال بالنسبة إلى عبد الله بن الزبير كما يبدو، ولكن انصبّ كلّ هذا الظلم على الإمام الحسين عليّاً، ما جعل وجوه بني أمية مسوّدّة في الدنيا والآخرة، فلا ينظر لهم الله يوم القيامة ولا يكلمهم؟ هذا بحث إجمالي حول الموضوع، ونأمل بتوسيعه وزيادة أبعاده إن شاء الله.

**الفتاوى الحسينية**: تُثار هذه الأيام شبهة تقول: إنّهُ ليس من الصحيح أن تُؤكّد على

المظلومية؛ لأنّها تتنافى مع عزّة الإمام الحسين عليّاً وكرامته، كيف نردّ هذه الشبهة؟

**الفتاوى الحسينية**: يتبيّن ممّا ذكرنا أنّ للمظلومية جهة سلبية تتنافى

مع كرامة الإنسان، وذلك فيما لو فعل المظلوم ما يوجب استقواء الظالم، كما لو خنع المظلوم للظلم، وعزم على ترك المقاومة، فهذا من شأنه تقوية الظالم، وهذه هي الجهة السلبية التي أشرنا لها.

وهذا قبيح؛ لأنَّ المظلوم بسكوته سيُسهم في إخفاء هدفه عن الشعوب والأمم، ما يعني أنَّه ينبغي على المظلوم العمل على نقل أهدافه إلى الأجيال القادمة من زاوية المظلومية؛ لأجل تنبيه الناس إلى الواقع والحقيقة. وهنا تكمن الجهة الإيجابية للمظلومية؛ إذ لا تتعارض مع الكرامة الإنسانيَّة وحسب، بل إنَّها من فروع الكرامة الإنسانيَّة، فالكرامة هي أن يتفانى الإنسان، ويضحِّي بنفسه في سبيل الله، وبغية إحياء الدين. هذه المظلومية عين الكرامة، ولا تتنافى معها مطلقاً.

**الأناج الحسيني**: تُثار في الوقت الحاضر شبهة مفادها: إنَّ التأكيد على عامل المظلومية، هو تحدير للحركة الشيعية؛ لذا لم يرتقِ الشيعة على المستوى الاجتماعي، والسياسي، والفكري، إلى التأثير والإبداع. كيف نردِّ هذا الكلام؟

**الشيخ محمد باقر المجلسي**: الأمر على النقيض من ذلك؛ فإنَّ التأكيد على المظلومية يشعل قلوب الشباب، ويُلهب مشاعر الأمة والأجيال المختلفة. وبعبارة أخرى: إثبات المظلومية أحد أسباب إثارة الحماس لدى الناس، وذلك بأنَّ نقول للشريحة الشابة: إنَّ الإمام الحسين عليه السلام، قُتل مظلوماً بأشدَّ أنواع الظلم، أي: ظلِّم حينما كان يُريد الدفاع عن الإسلام.

فالفرد الشيعي عندما يرى أنَّ إمامه قد جرى عليه من الظلم - والويلات والمآسي - ما لم يجرِ على أحدٍ قبله، كلَّ ذلك كان في سبيل وقوفه ضدَّ الظلم، ومقارنته للطواغيت، حينئذٍ سيكون ذلك من أقوى الدوافع، وأشدَّ المرغبات له للقيام بالثورات، وتقديم التضحيات دفْعاً للظلم، أسوة بإمامه وقدوته؛ لذلك نرى أنَّ

الثورات توالى تباعاً بعد مقتل الحسين عليه السلام، كلّها تُنشد وتترنّم باسم الحسين عليه السلام،  
وما وقع عليه من ظلم.

وعلى هذا الأساس؛ فالتركيز على المظلومية لا يوجب تحذير الشيعة، بل هو  
تقوية لعزمهم إن شاء الله.

**الإصلاح الحسيني**: سماحة الشيخ، نشكركم على إتاحة هذه الفرصة لمجلتنا، مجلة  
الإصلاح الحسيني.

**الشيخ محمد باقر الخليلي**: أهلاً ومرحباً بكم، وأتمنى لكم المزيد من التآلق  
والنجاح والموفقية.

# هَذَا حِطُّ الْإِمَامِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِبْرَازِ مَشْهَدِ الْمَظْلُومِيَّةِ وَالْمَاسِيَّةِ فِي كَرْبَلَاءِ (١)

الشيخ نعمة الله الصالحي النجف آبادي

المترجم: هيئة التحرير

يتصوّر بعض الكتاب أنّ هدف الإمام الحسين عليه السلام من نهضته هو فضح بني أمية وتعريتهم، والكشف عن حقيقتهم؛ وذلك من خلال إيجاد وخلق مشهدٍ مظلوميّته، فقد مهّد بموجب ذلك مقدماتٍ إنيهار الحكم الأموي وسقوطه، حتى يكتسب بنو هاشم (أي: بنو العباس) - نتيجةً لتلك المظلومية - شعبيةً وإقبالاً جماهيرياً واسعاً يمكنهم مستقبلاً من الأخذ بزمام الحكم.

تؤكد هذه الفئة من الكتاب على أنّ الحسين بن علي عليهما السلام قد ذهب إلى مذبحه عالماً مختاراً، وسعى إلى إيقاع مقتله بشكل أكثر ترويعاً وإثارةً للشفقة والعطف؛ كي تؤثر مصيبتته في القلوب تأثيراً بالغاً، وتحرك على ضوئها مشاعر الناس وأحاسيسهم بالصدّ من بني أمية ووقوفاً مع بني هاشم.

(١) هذا المقال هو عبارة عن بحثٍ مجتزأ من كتاب (شهيد جاويد/ الشهيد الخالد) لمؤلفه الشيخ نعمة الله

يُعدُّ الكاتب الألماني (مارين)<sup>(١)</sup> من الذين أعلنوا رؤيتهم بهذا النحو من التفسير - فيما يتعلّق بنهضة الإمام الحسين عليه السلام وهدفه - حيث يقول: «كان الحسين لسنوات متواليّة يُعدُّ العُدّة لمقتله، حاملاً في رؤيته غايةً وهدفاً عالي المنال»<sup>(٢)</sup>.

ويقول أيضاً: «بما أنّ الحسين بن علي لم يكن في رؤيته هدفاً منشوداً غير قتله - والذي يُعدُّ مقدمة لذلك الخيال العالي وتلك المحرّكية المقدّسة (روليسون)<sup>(٣)</sup> - رأى أنّ أكبر وسيلة لتحقيق ما يصبوا إليه هي المظلومية وعدم الناصر، فاختار هذا الطريق كي تكون مصيبته مؤثّرة في قلوب الناس»<sup>(٤)</sup>.

ويقول أيضاً: «لم يتهاون الحسين دقيقة واحدة في إفشاء ظلم بني أميّة وجورهم وإبراز عداوتهم لبني هاشم وأولاد محمّد»<sup>(٥)</sup>.

وفيما يتعلّق بمصيبة الطفل الرضيع، يقول: «لم يصرف الحسين نظره عن هدفه المتعالي»<sup>(٦)</sup> رغم كل تلك المصائب الفجيعة، والأفكار المتراكمة، والعطش وكثرة الجراحات، ومع علمه أنّ بني أميّة لن يرحموا طفله الرضيع، إلّا أنّه حمله بكفّيه - صرف تعظيم مصيبته - متظاهراً بطلب الماء له؛ فسَمِعَ الجوابَ بالسهم»<sup>(٧)</sup>.

وفيما يرتبط بانقراض بني أميّة، يُعلّق قائلاً: «وفي أقلّ من قرن سُحِبَت السلطة من بني أميّة قاطبة... وهذه كلّها نتائج السياسة الحسينية»<sup>(٨)</sup>.

(١) قال بعض الباحثين: إنّ الصحيح في هذا الاسم (مارتين) بالتاء، وأمّا النطق بالباء (مارين) فخطأً مشهور.

(٢) أنظر: السياسة الحسينية: ص ٣٣.

(٣) روليسون: يراد منها في هذا الموضع تحريك مشاعر الناس وعواطفهم بالصد من بني أميّة.

(٤) أنظر: السياسة الحسينية: ص ٢٥.

(٥) المصدر السابق: ص ٢٦.

(٦) مراده من ذلك: تحريك مشاعر الناس وأحاسيسهم.

(٧) أنظر: السياسة الحسينية: ص ٢٩.

(٨) المصدر السابق: ص ٣٦.



وحول تولّي بني العباس زمام الحكم، يقول: «ولم يمضِ أقلّ من قرن حتى استقرّت المملكة الإسلامية الواسعة في بني هاشم»<sup>(١)</sup>.

وفيا يتعلّق بإحياء الإسلام بواسطة مقتل الإمام، يقول: «قد أحيى الحسين بمقتله دين جدّه وقوانين الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

ويمكننا تلخيص أقوال هذا المستشرق الألماني بعدة جمل:

- ١- إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يهيئ لمقتله قبل استشهادِه بسنوات متوالية.
- ٢- سعى الإمام - قدر الإمكان - إلى إيقاع مصيبته بشكل أكثر ترويعاً.
- ٣- المظلومية - التي سعى الإمام دوماً إلى إيجادها - هي الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الهدف.

- ٤- هدف الإمام هو تأجيج مشاعر الناس وتحريكها ضد بني أمية؛ حتى ينتفضوا ويُسقطوا الحكم الأموي؛ ومن ثمّ يمكّن بني هاشم (أي: بني العباس) من الوصول إلى الحكم؛ وبهذا يحيى بمقتله عليه السلام الإسلام وقوانينه.
- ونحن - إذا تأملنا بدقّة - لا يمكننا القبول بما ورد في كلام هذا الكاتب الألماني، وذلك من خلال بيان نقاط الضعف في الجمل الأربعة السابقة من كلامه:

### مناقشة الجملة الأولى

فيما يرتبط بالجملة الأولى لا بدّ أن نقول: لا يُعلم من أين جاء هذا الرجل الألماني بفرض أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يهيئ لمقتله لسنوات متوالية؟! فأيّ مؤرّخ - سواء أكان شيعياً أم سنياً - كتب لنا أنّ الإمام عليه السلام كان لسنوات عديدة يهيئ مقدمات مقتله؟!!

(١) المصدر السابق: ص ٣٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٢.

إذا استطاع (ماريين) - أو أي شخص آخر يفكر مثل تفكيره - أن يأتي بدليل تاريخي يثبت لنا أن الإمام الحسين عليه السلام كان قبل نهوضه بثورته البطولية ولو بساعة قد مهّد وأعدّ العدة لمقتله.. فنحن مستعدّون من دون نقاشٍ قبول بقيّة كلامه، حتى وإن كان مجرداً عن الدليل. ولكنّ الصحيح أنّ ما ذكره (ماريين) لم يتحدّث به أيُّ مؤرّخ. الشيء المؤكّد هو: أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يُعدّ أو يُهيئ مقدمات مقتله، حتى وقع الاعتداء عليه من قِبَل السلطة الحاكمة، فتحرّك إلى الكوفة من أجل إقامة حكمٍ قويّ يهدف إلى إنفاذ الإسلام، وذلك حينما رأى أنّ العوامل الطبيعية لتحقق النصر ممكنة ومتاحة. وعندما تغيّر الوضع الكوفي آنذاك ولم يكن بالإمكان إقامة الحكم المنشود، سعى الإمام حينها بكل ما يستطيع إلى الحيلولة دون وقوع الحرب. وبعد أن فرضت عليه تلك الحرب اللا إنسانية والمعادية للإسلام من قِبَل عمّال الحكومة الأمويّة، كان لزاماً عليه بحكم الضرورة والقانون والوجدان أن يجاهدهم جهاداً دفاعياً، حتى قاوم ببسالة إلى الرمق الأخير رافضاً بذلك الظلم والعدوان.

إذن، لم يكن الإمام الحسين عليه السلام - خلافاً لمقولة ماريين - قد بذل جهداً في تهيئة أجواء ومقدمات مقتله عليه السلام، سواء أكان ذلك قبل وقوع الاعتداء عليه من قِبَل حكومة يزيد أم بعده.

وإذا كان المراد من ذلك أنّ الإمام كان يتنبأ سابقاً بمقتله، ويتوقّع حدوثه، وكان متهيئاً للشهادة. فالجواب: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يتنبأ أيضاً باستشهاده، وكان مستعداً للشهادة، إلّا أنّ هذا لا يعني إعداد العدة للشهادة وتهيئة المقدمات لها.

### مناقشة الجملة الثانية

فيما يتعلّق بالجملة الثانية لا بدّ أن نقول: إنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يسعَ أبداً إلى جعل مصيبتة أكثر ترويعاً، وإنّما سعى بكل ما يملك من قوّة إلى الدفاع والمقاومة،

وجاهد حتى آخر رمق في حياته من أجل حفظ عياله وأهل بيته. وما طلبه الماء لابنه - إذا صحَّ النقل - إلا لأجل حفظ حياة ذلك الطفل البريء، وليس لأجل أن يُقتل حتى تكون مصيبته أكثر وَقَعاً وتأثيراً في القلوب.

وعليه؛ فقد اجتهد الإمام الحسين عليه السلام في جميع مراحل النهضة في طريق الدفاع عن الدين والنفس والعيال وكل ما كان متعلقاً به.

نعم، إنَّ أجهزة حكومة يزيد المستبدَّة، وأعوانه المرتزقة، هم الذين أظهروا إلى أبعد الحدود تلك القساوة والوحشية والأفعال اللا إنسانية، فلم يسلم منهم حتى ذلك الطفل الرضيع، فذبحوه بسهم من الوريد إلى الوريد؛ وهذا لا يعني أنَّ الإمام عليه السلام كان يسعى جاهداً إلى جعل أعدائه أكثر همجية ووحشية؛ حتى تكون مصائبه أكثر ترويعاً وتأثيراً، كما يتخيَّل هذا المستشرق الألماني.

### مناقشة الجملة الثالثة

أمَّا فيما يرتبط بالجملة الثالثة لا بدَّ أن نقول: إنَّ الحسين بن علي عليه السلام لم يفتعل تلك المظلومية إطلاقاً، وإنَّما العكس هو الصحيح؛ إذ دافع وقاوم إلى آخر نفس في حياته؛ من أجل أن لا يرضخ للظلم والجور. فليس منطوق الحسين بن علي عليه السلام القول: هذه حنجرتي وهذا خنجركم. وإنَّما منطوقه هو الجهاد في سبيل الحفاظ على الإسلام وإحيائه، بعد أن أيقن أنَّ قبول الظلم والذلَّ وتأييد الخلافة المفروضة زوراً يعود بالضرر على الإسلام، ويساعد على ضياع الحقوق الاجتماعية.

وعليه؛ فلم يذهب الإمام الحسين عليه السلام إلى استقبال الظلم، ولم يستخدم المظلومية كوسيلة كبرى يصل من خلالها إلى غايته، وإنَّما تقدَّم إلى المعركة لدفع الظلم والوقوف بوجه الدكتاتورية والاستبداد. وأجهزة الدولة الظالمة هي التي اعتدت ظلماً على ابن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأوجدت مظلوميَّته.

## مناقشة الجملة الرابعة

وبالنسبة إلى الجملة الرابعة لا بدّ من القول: يبدو أنّ المستشرق الألماني خلط بين الهدف وبين الأثر القهري. وعلى سبيل المثال: إذا بنى شخصٌ لنفسه داراً؛ فهدفه أن يسكن في تلك الدار، ولكن هناك أثرٌ لهذا البناء، وهو إمكان الاستفادة من ظلِّ حائطه، ومع ذلك لا يصحّ القول: إنّ الهدف من بناء الدار هو الاستفادة من ظلِّها. فهدف الإمام الحسين عليه السلام من نهضته هو إنقاذ الإسلام والمسلمين.

نعم، يوجد لهذه النهضة - أيضاً - أثرٌ قهريّ يتمثّل بجعل الحكم الأموي المستهجن أكثر استهجاناً وازدراءً بين الناس، ومن جهة أخرى جعل بني هاشم - وبالأخص أهل بيت النبوة - أكثر مودّة واحتراماً بينهم.

نعم، في ضمن ذلك أيضاً تمكّن بنو العباس من استغلال شهادة الإمام لصالحهم؛ من أجل الوصول إلى السلطة، ولم يكن الإمام يهدف أبداً إلى استجلاب الحبّ والود لبني هاشم حتى يتمكن بنو العباس من الظفر بالحكم.

وأما قوله: «إنّ في قتل الحسين إحياءً للإسلام». فجوابه قول الإمام السجّاد عليه السلام: «قد أحدث مقتلُ أبي ثلمة في الإسلام عزيمةً»<sup>(١)</sup>. ولا قيمة لكلام ماريين في قبال حديث الإمام السجّاد عليه السلام.

نعم، لما كانت نهضة الإمام الكبرى لأجل إنقاذ الإسلام، وقد استشهد على طريقه كذلك، فكل مسلم صاحب ضمير يتألم ويبكي على تلك المصيبة المروّعة، ويحدث في

(١) هيئة التحرير: ونصُّ عبارته عليه السلام كما ورد في كتاب اللهوف: «إنّ الله - وله الحمد - ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام وعترته، وسُبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان، من فوق عالي السنان... أيُّ قلبٍ لا ينصدع لقتله؟! أم أيُّ فؤادٍ لا يحنّ إليه؟! أيُّ سمعٍ يسمع هذه الثلمة التي تُلمت في الإسلام ولا يُصم؟!». ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف: ص ١١٧.

نفسه انفعالاً يجرّكه ويدفعه نحو أتباع طريق الإمام في إنقاذ الإسلام وإحيائه. وهذا أعظم أثر أنتجته شهادة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة. ولكن كل هذا لم يكن مراداً لدى (ماريين).

وخلاصة البحث في كلام (ماريين): إن كل ما طرحه بهذا الخصوص خطأ مرفوض؛ وكان من الأجدر بهذا الباحث المستشرق - وبتعبير أصح: ذلك اللا مستشرق - أن لا يبدي رأياً فيما لا تخصّص له به؛ كي لا يوقع نفسه في مشكلة ولا يكلف الآخرين بمناقشته.

وبشكل عام، فإنّ هناك نقاط ضعف كثيرة برزت في كتابة (ماريين)؛ ممّا يدلّ على عدم معرفته كاملاً بالتاريخ الإسلامي؛ فعلى سبيل المثال كتب في الصفحة ١٨: «تحقّق مقتل عثمان نتيجة الإثارات والدعايات التي قام بها بنو هاشم». وهذا خلاف الحقيقة والواقع.

### رأي محتمل

كتب (ماريين): «حضرت في تركيا برفقة مترجمي الخاص ماتمّ للحسين بن علي وسمعتُ الخطباء يقولون: كذا وكذا عن نهضة الإمام الحسين»<sup>(١)</sup>.

فهناك احتمال مطروح أنّ بعض الخطباء المحترفين والسطحيين في تركيا قد بحثوا فلسفة النهضة الحسينية على أساس التصوّر القائل: إنّ الإمام الحسين قد نهض بداعي الاستشهاد.. وكل ما سمعه ماريين دوّنه وكتبه، وعلى سبيل الاحتمال: لما لم تتوفّر لديه معلومات بخصوص نهضة سيد الشهداء عليه السلام، عدا تلك المسموعات، توقع أنّ كلّ ما سمعه في مجالس العزاء في تركيا صحيحٌ مئة بالمئة. وعليه؛ فقد تلقّى كلّ ما سمعه بقبول حسن على أنّه حقائق قطعية في تاريخ الإمام الحسين عليه السلام. وبعد رجوعه إلى أوروبا

(١) أنظر: السياسة الحسينية: ص ٤٥.

كتب لهم ما سمعه كمحصلة لسفره إلى الشرق، كما كان شائعاً عندهم - ولا زال - كتابةً  
مذكرات السفر ونشرها.

في ذلك الوقت - وبعد أن تُرجمت كتابات (ماريين) في النهضة الحسينية إلى اللغات  
الشرقية - تلقى الشريون بقبول حسنٍ كلَّ ما قاله (ماريين) بوصفها صادرات الغرب  
إليهم، وقاموا بنقلها كوثيقة تاريخية محكمة لساناً عن لسان وكتاباً عن كتاب، وأخذوا  
يتمسكون بها وجعلوها دليلاً يستدلون به على أقوالهم وكتاباتهم.. ويا أسفاه!!

### ثمة نقطة

إذا تصوّر الناس هكذا بأنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يطلب بخروجه القتل،  
وقد تحققت إرادته على يد مرتزقة السلطة الأموية.. فلن تُثار حينها مشاعر الناس  
وأحاسيسهم بالضد من الحكومة؛ باعتبار أنّ الأمر الذي سعى إليه الإمام - حسب  
الفرض - قد تمّ تحقّقه على أيدي الحكومة الأموية كما يريد.

نعم، يمكن لنا أن نتصوّر تلك المشاعر المتفاعلة بالضدّ من بني أمية فيما لو علم  
الناس أنّ الحكومة الجائرة قد عملت على خلاف ما يرتضيه الإمام ويريده، وعمدت  
إلى قتل سبط الرسول صلى الله عليه وآله وأبنائه وأنصاره ظلماً وجوراً.

### وثمة نقطة أخرى أيضاً

يقول الإمام الحسين عليه السلام: «فلكم في أسوة...»<sup>(١)</sup>.

إذا أردنا أن نحكم - كما حكم ماريين - بأنّ الإمام أراد أن يُلقى بنفسه في دائرة القتل  
وعلى أسوء حال ممكن، مع سبعة عشر نفرًا - تقريباً - من خيرة رجالات البيت النبوي،  
وأكثر من خمسين نفرًا من خيرة رجالات الإسلام وأبناء القرآن، جاعلاً طفله الرضيع

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٠٤.

هدفاً لرمى السهام، وممكناً أراذل القوم من أسر عيال الرسالة ونقلهم من مكان إلى آخر.. فهل يصح جعل هذا الفعل نموذجاً يقتدي به المسلمون ويسيرون على ضوئه؟!

## تذكير

يقول شيخ الطائفة الطوسي رحمته الله - حول مسألة جواز أو عدم جواز أن يكون الإمام عالماً بمقتله فخرج إلى القتال -: «ولي في هذه المسألة نظر»<sup>(١)</sup>.  
وذهب أستاذه العالم الكبير السيد المرتضى رحمته الله علم الهدى إلى عدم جوازه؛ لأن دفع الضرر عن النفس واجبٌ عقلاً وشرعاً<sup>(٢)</sup>.

وعليه؛ إذا كان شيخ الطائفة رحمته الله متردداً في الحكم بجواز كون الإمام عالماً بمقتله حال خروجه أم لا، وكذلك ما ذهب إليه السيد المرتضى رحمته الله في الحكم بحرمة؛ فكيف يمكن بلا تحرّز نسبة ذلك إلى الإمام عليه السلام بأنه خرج عالماً بمقتله؟! وكيف يصحّ اتباع فعل تردّد في أصل جوازه بعض العلماء وصرّح بحرمة بعض من دون تردّد؟! وعليه، كيف يمكن لنا ترجيح رأي (ماربين) الألماني على رأي علماء الشيعة الكبار؟!

## هل كان مقتل الإمام الحسين عليه السلام في مصلحة الإسلام؟

قد يُقال أحياناً: إن في قتل الإمام الحسين عليه السلام إحياءً للإسلام.  
[نقول]: هنا لا بدّ من الفصل بين قضية مقتل الإمام الحسين عليه السلام - والتي تُعدّ من جرائم حكومة يزيد - وبين مسألة كفاح الإمام ونضاله حتى المرحلة الأخيرة من شهادته.

وإذا قال أحدٌ: إنّ الجريمة التي ارتكبتها حكومة يزيد بقتلها الإمام عليه السلام كانت بصالح الإسلام.. فإنّ هذا القول لا يمكن قبوله بأيّ وجه من الوجوه لما يلي:

(١) تلخيص الشافي: ج ٤، ص ١٩٠.

(٢) أنظر: المصدر السابق.

١- إذا كان المراد من ذلك: أن قتل ابن رسول الله ﷺ كان سبباً للعمل بأحكام الإسلام على نطاق واسع من قبل مسلمي الحجاز والعراق والشام وشمال أفريقيا. [أقول]: هذا الكلام ليس بصحيح؛ إذ كيف يمكن التصديق بأن مقتل الإمام كان باعثاً ومحركاً نحو العمل بأحكام الإسلام بشكل أكثر؛ أي: لكي يصلّوا أكثر، ويصوموا أكثر، ويجاهدوا أكثر، ويلتزموا بقوانين الإسلام الجنائية أكثر؟!

٢- وإذا كان المراد: أن قتل الإمام أدى إلى قيام فتوحات أخرى، فقد فُتحت مثلاً - في زمن الوليد بن عبد الملك - بلاد الأندلس في الغرب، وبلاد سمرقند وبخارا في الشرق. [أقول]: فهذا الرأي ليس بصحيح أيضاً؛ فما وجه العلاقة بين مقتل الإمام عليه السلام وبين فتح الأندلس وسمرقند؟! فهل كان وجود الإمام مانعاً عن تقدّم المسلمين وانتصارهم حتى فُتِح لهم بمقتله عليه السلام طريق النصر شرقاً وغرباً؟!

٣- وإذا كان المراد: أن مقتل الإمام الحسين عليه السلام أدى إلى إضعاف الحكم الأموي، فلم يستطيعوا بعد مقتله أن يضحّوا بالإسلام مقابل أهوائهم الجاهليّة. [أقول]: هذا أيضاً لا يمكن قبوله؛ فمن جهة يصحّ القول: بأن مقتل الإمام عليه السلام قد أضعف حكومة بني أمية، إلا أنّها قد استحكمت من جهة أخرى؛ فقد ضُعفت من جهة وقوعها محلّ اشمزازٍ وكرامية أكثر في أذهان عامة الناس. واستحكمت من جهة تمكّنها من إزاحة منافسٍ قويٍّ كالإمام الحسين عليه السلام من ساحة المواجهة، وقمع حركة أهل العراق وإخماد تطلّعاتهم في إقامة الحكم المنشود، حتى ساد في صفوفهم الخوف والرعب الشديدين.

ولا شكّ في أنّ جانب القوّة بعد مقتل الإمام عليه السلام كان أكثر بروزاً من جانب الضعف، باعتبار أنّ السلطة - بعد شهادة الإمام وقمع حركة أهل العراق - كانت تمثّل قدرة بارزة ومرعبة. أمّا جانب الضعف فيها، فقد تمثّل في تنفّر الجماهير التحريرية من حكومة بني أمية، تنفراً مخفياً ومبّيتاً لا يجرأ أحدٌ على إظهاره.



وعليه؛ فلم يكن هناك مانعٌ أو مزاحمٌ - بعد وقعة كربلاء - يقف في طريق الحكومة الأموية لثنيها عن تنفيذ برامجها العدائية للإسلام، بل استمرت السلطة في تنفيذ برامجها الشيطانية بطريقة أكثر ترهيباً وتخويفاً، كما أظهرت ذلك فعلاً في وقعة (الحرّة)، وفي تعديها أيضاً على حرمة بيت الله الحرام حين هجومها على مكة.

زيادة على ذلك، فإنّ بني أمية أنفسهم استطاعوا - في زمن عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك - أن يمتلكوا واحدة من أعظم الحكومات على وجه الأرض وأكثرها قوّة، حتى وصلت الفتوحات آنذاك إلى الأندلس في أوروبا<sup>(١)</sup>، وإلى سمرقند وبخارا وجميع بلاد ما وراء النهر وتخارستان في آسيا<sup>(٢)</sup>، ثمّ استمرت هذه الدولة الجائرة بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام ما يقارب السبعين سنة.

٤- وإذا كان المقصود: أنّ مقتل الإمام عليه السلام ساعد في رصّ الصف الشيعي وجعله أكثر تنظيماً من ذي قبل.

فلا بدّ من القول: إنّ الواقع الشيعي نراه قد قوي - من جهة - واستحكم بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، ومن جهة أخرى ضُعب وتقهقر. فجانب القوّة يكمن في تحرك مشاعر الناس وعواطفهم لصالح الشيعة، وجانب الضعف يتمثل بفقدان البيت الشيعي زعيماً كبيراً كالحسين بن علي عليه السلام ومقتل ثلّة من أبرز رجالات الشيعة وشخصياتها. زيادة على ذلك، فإنّ حادثة التوايين ومقتل عدّة آلافٍ من خواص الشيعة ورجالاتها قد أدّى إلى إضعاف الشيعة أكثر ممّا مضى، ثمّ جاءت ثورة المختار ومقتله والإبادة الجماعية لستة آلاف من أتباعه<sup>(٣)</sup>، فتقهقرت الجماعة الشيعية تدريجياً وعجزت عن فعل أيّ شيء، حتى وصل الأمر إلى انتفاضة زيد بن علي والتي أدّت إلى تجزئة الشيعة إلى زيدية وغير زيدية، بالإضافة إلى ما أعطته من خسائر جسيمة.

(١) ابن الأثير، محمد، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥٥٦.

(٢) أبو حنيفة الدينوري، أحمد، الأخبار الطوال: ص ٢٨٢.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٦٩.

كل تلك العوامل زادت في إضعاف الشيعة، ومن دون شك، فإن جانب الضعف عند الشيعة - بعد وقعة كربلاء - أكثر ثقلاً من جانب القوّة عندهم؛ باعتبار أن جانب الضعف ناتجٌ عن مقتل الإمام عليه السلام واليأس من تشكيل الحكومة الجديدة. ذلك الضعف المخيم المثير للخيبة والألم. وأمّا المشاعر الإيجابية المؤيِّدة للشيعة والداعية إلى تقويتهم كانت إلى حدٍّ كبير مخفية وسريّة، ولم يستطع أحدٌ من الناس إظهارها إلاّ القليل منهم.

٥- وإذا كان المراد: أنّ مقتل الإمام الحسين عليه السلام كان سبباً لفضح آل أبي سفيان والكشف عن حقيقتهم؛ وبذلك تمّ إحياء الإسلام.

فهذا المطلب ليس بصحيحٍ أيضاً؛ لأنّ فضائح معاوية وابنه يزيد كانت على مستوى من الظهور لا يُحتاج معه إلى كشف الستار، بل لم يوجد هناك من الأساس ستارٌ مسدولٌ على كوارث وفضائح عنصري الفساد هذين حتى يُطوى جانباً. فكان معاوية بشكل ظاهرٍ وصريحٍ ينتهك أحكام الإسلام بلا حدود. وقد ذكرنا<sup>(١)</sup> - كنموذجٍ - في بحث ماهية نهضة الإمام عليه السلام عشرين مورداً من جرائم معاوية بحق الإسلام والدين، وأوضحنا أنّ ابن أبي سفيان قد ارتكب تلك الجرائم بشكل واضح ومكشوف للعيان.

[وتساءل]: هل طغى معاوية بالسرّ والخفاء على علي عليه السلام؟! وهل وقعت حرب صفين - التي هُدرت فيها بسببه دماء أكثر من سبعين ألف نفرٍ - على نحوٍ سرّي؟! وهل كانت أوامر معاوية القاضية بقتل شيعة أمير المؤمنين عليه السلام والإغارة عليهم في المدينة والأنبار واليمن على نحوٍ سرّي؟! وهل إقامته لصلاة الجمعة في يوم الأربعاء كانت على نحوٍ سرّي؟! وهل كان قتله لحجر بن عدي وعمرو بن الحمق وأنصارهما بشكل خفي؟! وهل كان لعن أمير المؤمنين عليه السلام الذي أصدر فيه معاوية تعميماً على أنحاء الدولة الإسلامية وقام بتنفيذه أمراً خفياً؟!]

فقد مزق معاوية حجاب الحياء والدين؛ إذ يصفه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «ظاهر

(١) في كتاب شهيد جاويد (الشهيد الخالد). هيئة التحرير.

غِيَّة، مهتوك ستره»<sup>(١)</sup>، فخرج مظهره الشيطاني من وراء الستار، «فإنما هو الشيطان»<sup>(٢)</sup>.  
على حدِّ وصف أمير المؤمنين عليه السلام.

فهل يمكن بعد هذا الكلام الصريح والواضح لأمر المؤمنين عليهم السلام حول فضائح معاوية أن يتخيَّل أحدٌ أن تلك الفضائح والانتهاكات كانت من وراء حجاب<sup>(٣)</sup>؟! وحيث إنَّ فضائح معاوية كانت ظاهرةً إلى هذا الحد، فهل يمكن لأحدٍ أن يتصوَّر أنَّ فضائح ابنه يزيد كانت محتبئة وراء الأستار؟!!

٦- وإذا كان المراد: أنَّ مقتل الإمام عليه السلام وأسر أهل بيته كان سبباً في تأجيج مشاعر أهل الشام وتمردهم على يزيد؛ وبالتالي تمَّ إحياء الإسلام بذلك.

فهذا أيضاً لا يمكن قبوله، فقد طغى الوضع المادّي على أهل الشام وتمسكهم بالدنيا على امتداد أربعين سنة من حكومة معاوية، إلى درجة لو ضُربوا على رؤوسهم بمطارق من حديد لما استيقظوا من نومهم العميق، ولما ثاروا وانتفضوا على يزيد.

فأهل الشام - بعد حادثة كربلاء - هم أنفسهم قاموا بالتجاوز على أعراض أهل المدينة في وقعة الحرّة بإشارةٍ من يزيد، وهم الذين قاموا - بأمرٍ منه - بالهجوم على حرم الله (مكّة المكرّمة)، وأراقوا الدماء وهتكوا حرمة بيت الله الحرام. فهل يُتوقَّع من مثل هؤلاء الناس أن يتمردوا على يزيد<sup>(٤)</sup>؟!!

(١) نهج البلاغة: رسالة ٣٩. هذا كتاب له عليه السلام إلى عمر بن العاص بدايته: «فإنك جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ ظاهرٍ غيّه مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفّه الخليم بخلطته...».

(٢) نهج البلاغة: رسالة ٤٤.

(٣) نعم، إنَّ الجرائم التي ارتكبتها حكومة يزيد - وقتلهم الإمام عليه السلام - جعلت من آل أبي سفيان أكثر تعريّة من قبل، بعد أن كانوا مفضوحين أساساً، إلّا أنّ تلك الفضائح التي حلّت بآل أبي سفيان نتيجة تلك الجرائم لا يمكن أن تكون هدفاً لنهضة الإمام عليه السلام.

(٤) لم يختصَّ أهل الشام لوحدهم بعدم التمرد والخروج على يزيد، بل إنَّ أهل الكوفة أيضاً لم يثوروا على يزيد بن معاوية. يقول ابن طاوس رضي الله عنه في خصوص أهل الكوفة: «ما عرفناهم أتهم غضبوا في أيام يزيد لذلك الفعل الشنيع، ولا خرجوا عليه، ولا عزلوه عن ولايته». كشف المحجّة: ص ٤٧.

## نقطة هامة

زيادة على كل ما ذكر، وكما مرّ في القسم الثاني<sup>(١)</sup>، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام عندما واجه الحرّ بن يزيد الرياحي قرّر حينها الرجوع إلى الحجاز، وأصرّ على هذا الأمر إصراراً كبيراً، إلى حدّ أقترح الرجوع وإيقاف النزاع خمس مرّات على الأقل منذ تلك اللحظة التي واجه فيها الحرّ وحتى بداية الحرب، كما حذّر جيش العدو في يوم عاشوراء من قتله<sup>(٢)</sup>، وسعى جاهداً للحيلولة دون وقوع الحرب وإراقة الدماء.

فهل يعني قرار الإمام بالعودة إلى الحجاز، واقتراحه إيقاف النزاع بضعة مرّات، وتحذيره جيش عمر بن سعد من الإقدام على إراقة دمه.. أنّه لا يريد أن يحيى الإسلام بمقتله؟!؟ فهل كان الإمام غير راضٍ وراغبٍ في إحياء الإسلام؟!؟

## خلاصة الكلام

وخلاصة الكلام هي: أنّنا لا نتصوّر أيّ معنى صحيح يمكن قبوله لهذه العبارة: (إنّ بقتل الإمام الحسين عليه السلام تمّ إحياء الإسلام)؛ أي: بتلك الجريمة التي ارتكبتها يزيد. سواء أكان إحياء الإسلام بمعنى:

- ١- العمل بأحكامه.
- ٢- أم الفتوحات الإسلامية.
- ٣- أم ضعف حكومة بني أمية.
- ٤- أم انتظام الشيعة وائتلافهم.
- ٥- أم افتضاح آل أبي سفيان وتعريتهم.
- ٦- أم قيام أهل الشام بثورة على يزيد.

(١) في كتاب شهيد جاويد (الشهيد الخالد).

(٢) أنظر: المفيد، محمد، الإرشاد: ص ٢١٦.

نعم، إن الحقيقة تتمثل في مقاومة الإمام الحسين عليه السلام وكفاحه البطولي في طريق الإسلام، ومن أجل إحياء تعاليم القرآن، حتى نال بذلك الشهادة. فهذا هو المنهج العملي الذي خطّه الإمام كمصباحٍ يشعّ نورُه في طريق الإنسانية؛ فعلى الجميع أن يستفيدوا قدر الإمكان من هذا المنهج الإنساني المتعالي من أجل تحقيق أهداف الإسلام والعمل على طبقتها.

### تشبيه خاطئ

ربّما يقال: قد يتطلّب الوضع الصحي المتدهور لمريض ما - في بعض الأحيان - إلى استخدام السكين لإجراء عملية جراحية. كذلك في الوضع الاجتماعي، فقد يصل الفساد إلى حدٍّ لم يبقَ معه أيّ طريق للإصلاح عدا طريق الحرب وإراقة الدماء. فلمّا رأى الإمام الحسين عليه السلام أنّ فساد المجتمع وصل إلى حدٍّ لم ينفع معه إلا إراقة الدماء، حينها أقدم على فعل مثل هذا العمل الكبير.

هنا لا بدّ من القول: هل يُستأصل - في حال إجراء العملية الجراحية - العضو السالم أم العضو الفاسد؟!

الجواب واضح: العضو الفاسد. فإذا قطع الطبيب الجراح عضواً سالمًا مكان العضو الفاسد، أو كان سبباً في قطعه؛ وقَعَ محلاً للوم والعتاب، وتحمل جميع تبعات تلك الخطيئة المتعمّدة.

فهل يصحّ القول: إنّ الإمام الحسين عليه السلام لما رأى فساد المجتمع وانحرافه؛ أقدم على جرّ ثلّة من خيرة أفراد المجتمع وأكثرهم استقامةً وعلى رأسهم الإمام نفسه إلى عنق الموت والقتل؛ بداعي إجراءات عملية جراحية لهذا المجتمع؟! فيا تُرى، هل يمكن إصلاح المجتمع المنحرف ببقاء الجماعة الفاسدة ومقتل الجماعة المصلحة؟!

فالخطأ في هذا القول يتمثل في كون القائل به يتصوّر أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يعمل منذ بداية حركته لإيجاد حادثة كربلاء؛ ولأجل ذلك قام بتلك الثورة. في حين أنّ

الإمام عليه السلام لم ينهض لخلق مثل هكذا حادثة فضيعة ومروعة، بل كل ما فعله الإمام هو الوقوف بوجه النظام الدكتاتوري، والنهوض من أجل إنقاذ الإسلام والمسلمين عن طريق إقامة الحكم العادل. وفي قبال ذلك: ما فعله مرتزقة الحكومة الأموية من ضرب القوى الوطنية والإسلامية، وقتل ابن رسول الله عليه السلام وأنصاره الأوفياء.

وعليه؛ لا بدّ من الفصل بين ما قامت به مرتزقة حكومة يزيد ضد الإسلام، وبين ما قام به الإمام عليه السلام، وأن لا نضع حادثة كربلاء الدامية في رصيد سيد الشهداء عليه السلام؛ كي لا نضيف عن طريق ذلك ظلماً آخر إلى سبط النبي صلى الله عليه وآله.

### تصوّر خاطئ

يتصوّر البعض أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان عازماً منذ بداية الأمر على التضحية بنفسه، وأنّ يؤسّر أهل بيته ويُساقون من بلدٍ إلى بلد. وبعبارة أخرى: كان الإمام يهدف من أوّل الأمر إلى وضع عياله في دائرة الأسر، وسعى جاهداً إلى تحقيق ذلك بداعي تعرية الحكومة الأموية آنذاك وإظهار حقيقتها!

[أقول]: هل يمكن أن يُقال: إنّ دخول زينب الكبرى بثيابٍ رثة على مجلس عبيد الله بن زياد، وجلسها في ناحيةٍ محبّبةٍ نفسها بين النساء كي لا تُعرف، وعبيد الله بن زياد مع كل ما يحمله من غطرسة ووحشية ينادي لثلاث مرات: من هذه المرأة؟ موجّهاً إلى بنت أمير المؤمنين عليها السلام أنواع التهم والافتراءات<sup>(١)</sup> يذوب من الهمّ عند سماعها قلب كل إنسان غيور.. فهل كان هذا هدف الإمام الحسين عليه السلام ومراده وعمل ناشطاً من أجل تحقيقه؟! وهل يمكن القول: إنّ الأمر بقتل الإمام السجاد عليه السلام من قِبَل ابن زياد بعد خطبته المتعجرفة بحجّة تجرؤ الإمام بالردّ عليه، فتعلّقت به عمّته زينب عليها السلام واعتنقته وقالت: «والله، لا أفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه»<sup>(٢)</sup>. فتكوّن من ذلك مشهدٌ ترتعد عند سماعه

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٢٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٢٦.

فرائص كل إنسان، فكيف برؤيته؟! أكان ذلك كله ما يصبو إليه الإمام عليه السلام ساعياً وراء  
إيجاده وتحققه؟!!

وهل يمكن القول: إن التنقل الإجماعي لأطفال بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الميِّمون، مع  
تلك المسافات البعيدة والصحراوية، وتحت أشعة الشمس الحارقة، وتحت مراقبة  
القوات المسلَّحة المترصِّدة، من دون إعطائهم الحرِّية والاختيار في السير والاستراحة  
والنوم وتناول الطعام، ممَّا يتقرَّح له كبد كل إنسانٍ عطوف.. فهل كلُّ هذا كان مراداً  
للإمام عليه السلام؟!!

وهل يمكن القول: إن وقوع بنات الإمام الحسين عليه السلام وأخواته في معرض الرؤية  
والمشاهدة من قبل العصابات المجرمة، ممَّا يهتَرُّ له قلبُ كل إنسان غيور.. كان مطلوباً  
للإمام عليه السلام؟! فإذا كان ذلك مراداً للإمام عليه السلام؛ فلماذا اشتكت السيدة زينب عليها السلام بحرقة  
قلبٍ من ذلك الأمر قائلةً: «يتصفَّح وجوههنَّ القريب والبعيد والدينء والشريف»<sup>(١)</sup>؟!  
هل يمكن القول: إن إشارة ذلك الرجل الشامي إلى فاطمة بنت الحسين عليها السلام، طالباً  
من يزيد أن يتبرَّع له بها لاتخاذها جارية، ممَّا دفع بالسيدة زينب عليها السلام - في حالة مأساوية -  
أن تُدافع عن ابنة أخيها، متحمِّلةً ذلك الكمِّ الهائل من التوهين والتحقير<sup>(٢)</sup> ما لا يُطبق  
سماعه أيُّ إنسان مسلم.. أكان ذلك كله ممَّا قصده الإمام عليه السلام؟!!

فهل يُتصوَّر من إمامٍ مجروحٍ دافع عن أهل بيته قائلاً لأعدائه: «ويلكم! إن لم يكن  
لكم دينٌ وكنتم لا تخافون يوم المعاد؛ فكونوا في أمر دنياكم أحراراً ذوي أحساب،  
امنعوا رحلي وأهلي من طغامكم وجهالكم»<sup>(٣)</sup>.. أيتصوَّر أن يكون هكذا إمامٌ قد رضي  
أن يكون مصير النساء والبنات بيد هؤلاء الزمرة الخبيثة تُساق في الأزقة والأسواق  
والمشاهد العامة؟!!

(١) ابن طائوس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص ١٦٣.

(٢) أنظر: المفيد، محمد، الإرشاد: ص ٢٢٨.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٤.

كم هو تصوّر طفولي لمن يرى أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يخطّط لعملٍ ما يُجبر من خلاله مرتزقة النظام إلى سوق أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله من مكان إلى آخر؛ كل ذلك بداعي

تعرية بني أمية وفضحهم؟!!

كم هو منطوقٌ عجيب لمن يقول: إنّ الإمام عليه السلام كان راضياً بكل ما وقع على أهل بيته من أفعال قاسية وغير إنسانية ومخالفة للأخلاق والإسلام!

إنّ ما وقع من أسرٍ لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله - مع تلك الأوضاع المروّعة والمأساوية -

يُعدّ من الجرائم الفريدة من نوعها والتي سوّدت وجه التاريخ الإسلامي، بل تاريخ

البشرية جمعاء. فلا المولى عليه السلام كان راضياً بمثل هكذا جريمة مروّعة، ولا رسول

الله صلى الله عليه وآله، ولا الإمام الحسين عليه السلام، ولا المسلمون، ولا يمكن أن يجيى الإسلام بهذه

الوسيلة، وإنّما هي ثلثة في الإسلام لا يسدّها شيء، كما حدث ذلك بالفعل.



# قراءة نقدية لمبحث المظلومية في كتاب (الشهيد الخالد)

الشيخ رافد التميمي<sup>(١)</sup>

## تمهيد

من الأمور المهمة التي وقع فيها اختلاف بين العلماء والمحققين هو تحديد الهدف، أو الأهداف التي خرج من أجلها الإمام الحسين عليه السلام، وهو بحثٌ دقيقٌ وحساسٌ، يستوجب على مَنْ يريد الدخول فيه أن ينظر إلى هذه المسألة من جوانب عديدة، وأن يجمع بين الأدلة والشواهد التاريخية والفكرية والعقدية، من خلال منهج علمي، وعلى وفق مبانٍ ورؤى واضحة.

وقد عدت المظلومية أحد أهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام، وقد وقع اختلاف في إثبات هذا الهدف تبعاً للاختلاف في الرؤى حول هذه المسألة، ومن بين تلك الآراء ما طرحه الشيخ صالح نجف آبادي، في كتابه: الشهيد الخالد (شاهد جاويد) في مسألة المظلومية، وهو يُعتبر من الآراء الخاصة والشاذة، التي لا تمثل الرأي المشهور للطائفة في هذه المسألة المهمة من النهضة الحسينية<sup>(٢)</sup>.

(١) مدير مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، فرع قم المقدسة.

(٢) تمّ فرز رأيه من كتابه في المقال السابق، في هذا العدد من مجلة الإصلاح الحسيني، تحت عنوان: هل

خطط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟

ونحن نرى أن الكاتب لم يكن مُوفِّقاً في إثبات رؤيته لمسألة المظلومية؛ وذلك إمّا لعدم الدليل الواضح على مُدّعاه، ممّا يجعل دعواه بدون دليلٍ أو شاهد، وإمّا لأنّ رؤيته لم تكن متكاملة حول ملابسات المسألة آنذاك، وإمّا لوجود الدليل المخالف على بعض فقرات دعواه. جميع ذلك أدّى بالكاتب - لأن يذهب إلى بعض الآراء الشاذّة في هذه المسألة نوعاً ما، حتى في غير مسألة المظلومية، بحيث امتدّ تبنيّه للآراء الخاصّة في مجمل أبعاد النهضة الحسينية المباركة.

### تنويه

لا يفوتني أن أنوّه إلى أنّه ليس هدفنا من هذا المقال اختيار رأي بعينه، أو تحديد الصحيح من تلك الآراء، وإثما هدفنا هو الردّ على كيفية العرض والاستدلال التي اعتمدها الكاتب في هذا الموضوع.

### بيان أصل المسألة

يتمحور أصل المسألة حول الأمر التالي: وهو هل أن المظلومية من أهداف كربلاء التي سعى الإمام الحسين عليه السلام لتحقيقها، أو أنّها أمر ثانوي تحقّق بسبب بشاعة الأعداء وظلمهم؟

فالرأي الأول يذهب إلى أنّ من أهداف الثورة الحسينية، بل من أهمّها هو تحقيق المظلومية، بمعنى أن الإمام عليه السلام سعى لأن يكون مظلوماً وبأشدّ الصور، وهياً أسباب ذلك، وهذا ما يُعبّر عنه عادةً بنظرية الشهادة.

والرأي الآخر يذهب إلى أن الإمام عليه السلام سعى لأن ينتصر، ويحقّق حكومة عادلة، إلّا أن ذلك لم يتحقّق؛ فكانت المظلومية، وهذا ما يُعبّر عنه بنظرية الحكومة.

وقد بيّن الكاتب أنّه لا يمكن قبول أن الإمام عليه السلام أراد أن يُقتل بأبشع صورة،

وأنه هيباً أسباب ذلك القتل من أجل تحقيق المظلومية، ومع بطلان هذا الأمر يثبت أن الإمام عليه السلام كان قصده من نهضته الوصول إلى الحكومة.

## نقاش ورد

ربما يتصور القارئ من بيان الكاتب أن في المسألة رأيين: إما الرأي القائل بالشهادة والمظلومية، وإما الرأي القائل بالحكومة، مع أن الأمر ليس كذلك؛ فإن في هذه المسألة الحساسية عدّة آراء ونظريات<sup>(١)</sup>:

منها: نظرية الشهادة، كما عن ابن طاوس<sup>(٢)</sup>، ومحسن الأمين<sup>(٣)</sup>، والشيخ لطف الله الصافي<sup>(٤)</sup>، والسيد محمد سعيد الحكيم<sup>(٥)</sup>، وغيرهم.

ومنها: نظرية الحكومة، كما قد يظهر عن الشيخ المفيد<sup>(٦)</sup>، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي<sup>(٧)</sup>، وغيرهم.

ومنها: إن الإمام عليه السلام خرج لأجل حفظ نفسه، فهو لم يخرج لا إلى إقامة حكومة، ولا إلى الشهادة، قال الاشتهادي: «خروج الإمام الحسين من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق لأجل حفظ نفسه، وليس لأجل الحرب والثورة وتشكيل حكومة»<sup>(٨)</sup>.

ومنها: تعدّد الأهداف وتنوّعها حسب الظروف المتغيرة وحسب المراحل، وهذه

(١) أنظر: مهريزي، مهدي، مقال تحت عنوان: (تحليلي در باره أهداف قيام إمام حسين)، حماسة حسيني، مجموعة مقالات.

(٢) أنظر: ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٨.

(٣) أنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٥٨١.

(٤) أنظر: الصافي الكلپايگاني، لطف الله، شهيد آگاه (الشهيد العالم): ص ٨٠.

(٥) أنظر: الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص ٣٣.

(٦) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، المسائل العكبرية: ص ٦٩.

(٧) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، تلخيص الشافي: ج ٤، ص ١٨٢.

(٨) الاشتهادي، هفت رسالة (سبع رسائل): ص ١٩٣.

الرؤية أيضاً على أقسام بحسب التفصيلات التي ذهب إليها كل واحد من المحققين، كما عن الشيخ الشهيد المطهري<sup>(١)</sup>، وكما عن السيد مرتضى العسكري<sup>(٢)</sup>، وكما عن السيد الأستاذ منير الخباز<sup>(٣)</sup>، وكما عن الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني<sup>(٤)</sup>، وغيرهم. إذاً؛ فالأمر ليس كما يصوره الكاتب من أنه في هذه المسألة الحساسة يوجد رأيان، ومع بطلان أحدهما يتعيّن الثاني، فيصل إلى مراده بأسهل الطرق، وإنّما هناك آراء متعدّدة، ومن يريد أن يُبدي رأياً فعليّه متابعة الآراء والأدلة جميعاً، والآراء المتقدّمة، وإن كان بعض من قال بها ممن تأخر عن زمن الكاتب، إلّا أنّ من كان في زمنه ومن كان متقدّماً عليه فيه الكفاية لمرادنا.

### السعي لتهيئة ظروف الشهادة

مما أثاره الكاتب وشنّع به على قائله أنّه كيف يمكن تصوّر أن يقال: إنّ الإمام سعى لتهيئة الظروف المناسبة لقتله، فهذا أمرٌ لم يُقلّ به أحد من الشيعة، ولا يوجد عليه أيُّ شاهد أو دليل، ناسباً ذلك إلى مستشرق ألماني، حيث يقول: «لا يُعلم من أين جاء هذا الرجل الألماني بفرض أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يهيم لمقتله لسنوات متوالية؟! فأَيُّ مؤرّخ - سواء أكان شيعياً أم سنياً - كتب لنا أنّ الإمام عليه السلام كان لسنوات عديدة يهيم بمقدمات مقتله؟! إذا استطاع (ماربين) - أو أيُّ شخص آخر يفكر مثل تفكيره - أن يأتي بدليل تاريخي يُثبت لنا أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قبل نهوضه بثورته البطولية ولو بساعة

(١) أنظر: المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ الشهيد مطهري: ج ١٧، ص ٣٧١.

(٢) أنظر: العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج ٣، ص ٣٠٨.

(٣) أنظر: الخباز، منير، مقال تحت عنوان: (مشروع دراسة الحركة الحسينية)، مجلّة الإصلاح الحسيني، السنة الثانية، العدد السادس: ص ٤٩.

(٤) أنظر: اللنكراني، محمد جواد فاضل، مقال تحت عنوان: (النهضة الحسينية بين نظرية الشهادة وإقامة الحكومة)، مجلّة الإصلاح الحسيني، السنة الثانية، العدد الثامن: ص ٣٩.

قد مهّد وأعدّ العدّة لمقتله.. فنحن مستعدّون من دون نقاشٍ قبول بقيّة كلامه، حتى وإن كان مجرداً عن الدليل»<sup>(١)</sup>.

## نقاش وردّ

قبل الدخول في نقاش ما تقدّم ينبغي أن نبيّن أمراً، وهو: ما المقصود من أنّ الإمام عليه السلام سعى وراء تهيتة أسباب قتله؟  
فهنا معنيان:

**المعنى الأول:** إنّ الإمام الحسين عليه السلام قدّم نفسه كالقربان الذي يكون بيد ذبّاحه، ومن دون حولٍ ولا قوة، ولا مقاومة؛ فيكون بذلك قد سرّع مصرعه، وأراح عدوه، وهيئاً الظروف وأعدّها لذلك، ثمّ بعد القتل ربّما تتحقّق فائدة من القتل المقدّس، ولا فائدة مرجوة أصلاً - بناءً على رأي الكاتب - وهذا المعنى واضح البطلان، بل هو من سخيف القول؛ لأنّ هذا موتٌ بذلّة وهوان، وضعف واستسلام، وهذه حالة تخالف أوضح النصوص الحسينية (هيئات منّا الذلّة)، (والله، لأعطيكم بيدي إعطاء الذليل)، وهكذا مقتل لا يمكنه أن يحرك ضمير الأُمّة، ومشاعر المجتمع، وأحاسيس الأحرار.

فإن كان قصد الكاتب من أنّ الإمام عليه السلام هيئاً ظروف قتله هذا المعنى، فهو ممّا لم يقلّ به أحد على الإطلاق، بل لم يقله حتى أعداء الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن علمائنا وعظمائنا، وهو رأي خلاف أوضح أهداف النهضة المقدّسة، ومن المستبعد أن يكون الكاتب قاصداً لهذا المعنى.

**المعنى الثاني:** أن يكون المقصود هو أنّ الإمام عليه السلام بما أنّه كان عالماً بمقتله، وأنّ هذا أمر سوف يؤدّي إلى حياة الأُمّة وإيقاظ ضمائر المسلمين، فلاجل ذلك كان عليه السلام مسرعاً لتحقيق

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟):

مشروعه وهدفه الإلهي بأحسن صورة، ذلك المشروع الذي يرسم للأجيال أفضل المواقف البطولية والممانعة للظلم والطغيان والانحراف، فقد خطَّ الإمام عليه السلام بمواقفه وكلماته وأنصاره أروع نماذج المقاومة الحرّة والحقّة، وقد علّم بذلك أحرار العالم كيف يقولون: (كلا). بوجه كلّ ظالم متهتّك جبار. فكلّ من يراجع النهضة المقدّسة يتعلّم أنّه لا بدّ من المقاومة ولو في الرمق الأخير، ولا بدّ من المحافظة على العزّة ولو في أشدّ الظروف، فهذه هي المعاني التي سعى إليها الإمام الحسين عليه السلام، وأسرع لتحقيقها، وهيأ الظروف المناسبة لإبرازها بأفضل صورة، مع الحفاظ على جميع الشرائط العرفية والشرعية.

وهذا المعنى هو مقصود من ذهب إلى نظرية الشهادة<sup>(١)</sup>، وأنّ الإمام عليه السلام قد سعى إلى مقتله وهيأ الظروف لذلك.

وبناءً على هذا المعنى الثاني؛ فيمكن مناقشة الكاتب:

أولاً: إنّ بعض علماء الشيعة ذهب إلى نظرية الشهادة، وأنّ الإمام عليه السلام ذهب إلى مقتله وهيأ الظروف لذلك، قال السيد الحكيم: «كانت نتيجة اتّفاقه عليه السلام مع الحرّ أن وصل إلى مكانٍ بعيد عن الكوفة، قريب من نهر الفرات، حيث الماء والزرع والقرى، وحيث يسهل تجمّع الجيوش لقتاله، ويصعب أو يتعذّر على من يريد نصره الوصول إليه»<sup>(٢)</sup>. إلى غير ذلك من كلمات الأعلام بهذا الصدد.

ثانياً: هناك شواهد تاريخية عديدة على نظرية الشهادة، وأنّ الإمام سعى لذلك، وقد ذكر بعضها السيد الحكيم في كتابه فاجعة الطف، تحت عنوان: (الشواهد على أنّه عليه السلام لم يتحرّر مظانّ السلامة)<sup>(٣)</sup>، وكذا ذكر الشيخ الصافي بعض الشواهد في مواضع متعدّدة من كتابه<sup>(٤)</sup>.

(١) أنظر: الصافي الغلبايجاني، لطف الله، شهيد آگاه (الشهيد العالم): ص ١٧٠.

(٢) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص ٣٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٩.

(٤) أنظر: الصافي الغلبايجاني، لطف الله، شهيد آگاه (الشهيد العالم): في مواضع متعدّدة، أنظر:

وبذلك يتبين أنّ دعوى الكاتب المتقدمة ليست في محلّها؛ فهي خلاف التحقيق، ولا نريد أن نقول: إنّ نظرية الشهادة وكون الإمام سعى لذلك، نظرية صحيحة أو خاطئة. ولكن نقول: ليس من الصحيح أن يُقال: إنّها نظرية لا قائل بها، ولا شاهد عليها.

## القتل بأفجع صورة

ناقش الكاتب دعوى أنّ الإمام عليه السلام سعى لأن يُقتل بأفجع صورة، هو وأهل بيته، قال: «إنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يسعَ أبداً إلى جعل مصيبته أكثر ترويعاً، وإنّما سعى بكل ما يملك من قوّة إلى الدفاع والمقاومة، وجاهد حتى آخر رمق في حياته من أجل حفظ عياله وأهل بيته»<sup>(١)</sup>.

## نقاش وردّ

يمكن النقاش فيما ذكر من خلال بيان تصوير لمسألة الفاجعة يثبت أن الإمام عليه السلام سعى لتحقيق أشدّ أنواع المظلومية، ومن دون أن يلزم أيّ إشكال أو نقض أو استبعاد، وذلك بأن نقول:

يمكن أن يكون الإمام عليه السلام قد رأى في اليوم العاشر أو قبله بيوم<sup>(٢)</sup> أنّه مقتول لا محالة، حتى وفق المعطيات الظاهرية الخارجية التي لا ربط لها بعلم الإمام عليه السلام الغيبي، وفي مثل هذه الحالة وهذه الظروف من المناسب جداً أن يُظهر الإمام عليه السلام بشاعة الأعداء، وتدنيهم الخُلقي والثقافي والإنساني، على كلّ المستويات، ويبيّن مستوى الهمجية التي

(١) أنظر هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟): ص ٥٩.

(٢) أقول: وهذا يجتمع مع جميع النظريات في أهداف النهضة الحسينية، سواء التي تقول بالشهادة أو الحكومة أو غير ذلك؛ حيث أشارت تلك النظريات إلى أنّ في اليوم العاشر وفي اللحظات الأخيرة لم يبقَ للإمام عليه السلام سبيل إلاّ السلّة أو الذلّة، فقالها الإمام عليه السلام مدوياً: «هيهات منّا الذلّة».

كان عليها هؤلاء، فبدل أن يموت الطفل الرضيع عطشاً في مهده، يموت وهو شامخُ أمام الأعداء، تُخلّده الأجيال إلى قيام الساعة، وبدل أن يموت الإمام عليه السلام ضامئاً عطشاناً بسكوت، يموت وهو طالب للماء، مبيئاً بذلك عمق الخسّة التي كان عليها هؤلاء، فالكاتب لم يميّز بين نوعين من المظلومية:

الأول: أصل المظلومية.

والثاني: كيفية وحدود المظلومية.

فلو تنزّلنا عن الأول - وقد قبله الكثير - فلا يمكن أن نتنزّل عن الثاني؛ لأنّه هو الذي أبرز عامل المظلومية بشكل واضح في تلك النهضة المباركة، وهو الذي خلّد المواقف الشجاعة والبطولية، فهو يعتبر مكمّلاً لصورة كربلاء الناصعة والمشرقة عبر الزمان.

وبعبارة أخرى: إنّ ما تقدّم من اعتراض الكاتب، تارة يُجاب عنه مبنائياً، وأخرى بنائياً، فالأول بأن نقول: إنّ الشواهد والأدلة قد قامت عند البعض على أنّ الإمام عليه السلام قد سعى لتحقيق المظلومية من أول الأمر؛ لأنّ الهدف يقتضي ذلك.

وأما الثاني، فإنّه حتى من يرى أنّ الإمام عليه السلام سعى للحكومة، قال: بأنّه عليه السلام قد أدرك في اللحظات الأخيرة - من خلال الشواهد الظاهرية والمعطيات الخارجية - أنّ تحقيق الحكومة أمر غير ممكن، ولا سبيل إلاّ الشهادة، حينئذٍ نقول: القتل والشهادة على أنواع، وأكثرها تأثيراً أشدها فاجعةً، كما تقدّم.

بل حتى طلب العودة من قبل الإمام عليه السلام - بناءً على ثبوته - كان يصبّ في هذا الأمر ويؤكّده؛ فإنّ الشواهد كانت تُشير إلى أنّ يزيد وجلاوزته لا يقبلون إلاّ بأحد أمرين: إمّا البيعة والذلّة، أو القتل والشهادة، ومع ذلك فإنّ الإمام عليه السلام عرض عليهم أن يدعوه يذهب، فالإمام عليه السلام بموقفه هذا أثبت للتاريخ وللأجيال أنّ هؤلاء قومٌ طغاة متجبرون، لا يحترمون الديانات ولا الحريات، ولا الفطرة السليمة.



فإن قلت: إن البشاعة التي عند الأعداء لا تحتاج إلى مَنْ يُظهرها ويُبرزها؛ فإن مَنْ يقتل وليَّ الله وابن بنت نبيِّه، ويقتل شخصيَّةً مثل شخصيَّة الإمام الحسين عليه السلام، لم يبقَ شيء من بشاعته وسوئه خافياً حتى يحتاج إلى الإظهار.

قلت:

أولاً: لو لم يُظهر الإمام عليه السلام عبد الله الرضيع لما حصلت تلك الواقعة الأليمة، ولو لم يطلب الإمام عليه السلام الماء لما تحقَّق ذلك المظهر الرهيب.

ثانياً: ليس المدَّعى أنَّ الإمام عليه السلام أظهر كلَّ ما كان خافياً في سرائر هؤلاء القوم، بل جلَّها كانت ظاهرة، وإنَّما الإمام عليه السلام أبرز جوانب منها، والتي لولا إبرازها لما تبَيَّنَت.

ثالثاً: ربَّما تجد مَنْ لا يفهم معنى العالم والإمام، والشخصيَّة الإسلامية العظيمة، ولا يفهم معنى النبوة، بل ولا معنى الدين، إلاَّ أنَّه يفهم معنى المظلومية وعمقها من خلال تصرفات الظالمين البشعة مع الأطفال والنساء، ومع مَنْ لا قوة ظاهرية مادية عنده.

رابعاً: إنَّ قابلية فعل الشيء أمرٌ، وفعل ذلك الشيء أمرٌ آخر، فمجرد القابلية إمَّا أن لا تُدرك، أو تُدرك ولكن لا يُدرك عمقها وأبعادها.

### خطَّ الإمام عليه السلام الدفاعية

فإن قلت: كيف تصنعون بموقف الإمام عليه السلام الدفاعي؛ حيث رتَّب الصفوف، وحفر الخندق، وأشعل النار، وما إلى ذلك من الخطوات التي تدلُّ على أنَّ الإمام عليه السلام لم يُرد أن يكون مظلوماً؟

قلت:

أولاً: إنَّ الدفاع عن النفس هو الذي يعطي قيمةً للمظلومية، وهو الذي يظهر بشاعة الأعداء؛ لأنَّ مَنْ يذهب إلى عدوِّه ليقته العدو لا قيمة لمقتله، فضلاً عن أن يكون قيمة وثقل في التاريخ، كما تقدَّم بيان ذلك.

ثانياً: إنّ الجمع بين الموقفين يمكن أن يكون من خلال التفريق بين أصل المظلومية وبين كقيفيتها، كما تقدّم في الجواب البنائي.

ثالثاً: إنّ ما سعى إليه الإمام عليه السلام هو أن يكون مظلوماً، لا أن يكون مسلوب الإرادة، مغلوب الرأي، ضعيف العزم والهمة؛ فإنّ من يكون كذلك لا يُسمّى مظلوماً، بل هو مسلوب الإرادة، وإذا سُمّي مظلوماً فليس هو المظلوم الذي يشحن الهمم، ويقوّي العزائم، بل يكون محلاً للشفقة والرحمة والعطف.

رابعاً: بناءً على أن الله تعالى البدء في كلّ شيء، وفي كلّ لحظة فإنّ الإمام عليه السلام كان يسعى للشهادة وللمظلومية، ومع ذلك كان يعمل عمل المقاوم لاحتمال البدء، سواء كان الإمام عليه السلام يعمل على وفق علمه الغيبي، أو كان يعمل على وفق المعطيات الخارجية الظاهرية.

### تحديد منشأ الخطأ

أفاد الكاتب أنّ منشأ الخطأ الذي دعا البعض إلى القول بنظرية الشهادة، وأنّ الإمام عليه السلام سعى لتهيئة ظروف ذلك، هو ما قاله المستشرق الألماني: «حضرت في تركيا برفقة مترجمي الخاص ماتم للحسين بن علي، وسمعت الخطباء يقولون كذا وكذا عن نهضة الإمام الحسين»<sup>(١)</sup>.

ثمّ علّق على ذلك بقوله: «فهناك احتمال مطروح أنّ بعض الخطباء المحترفين والسطحيين في تركيا قد بحثوا فلسفة النهضة الحسينية على أساس التصوّر القائل: إنّ الإمام الحسين قد نهض بداعي الاستشهاد...»<sup>(٢)</sup>.

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّ الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟): ص ٦١.

(٢) أنظر هذا العدد: ص ٦١.

أقول: إنَّ ما حدّده الكاتب من منشأ الخطأ أمر لا يمكن قبوله؛ وذلك لأنَّ من علمائنا مَنْ ذهب إلى هذا الرأي قبل ماريين بفترات طويلة، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، وعلى هذا الرأي الكثير من العلماء والمحققين المعاصرين، فكيف يُصوّر الكاتب أنَّ ماريين أخذ من بعض الوعّاظ في تركيا شيئاً، ثمَّ أخذ عنه غيره ذلك الشيء وانتشر فيما بعد؟! فهذا تفسير وتصوير بعيد كلَّ البعد عن الحقيقة والواقع.

### القدوة والأسوة

ذكر الكاتب أنَّ الرأي المذكور لا ينسجم مع كون الإمام عليه السلام قدوة، فمن يذهب إلى مصرعه ومصرع رجالاته وأهل بيته لا يمكن أن يكون قدوة للآخرين، قال: «إذا أردنا أن نحكم - كما حكم ماريين - بأنَّ الإمام أراد أن يُلقى بنفسه في دائرة القتل وعلى أسوء حال ممكن، مع سبعة عشر نفرًا - تقريباً - من خيرة رجالات البيت النبوي... فهل يصحَّ جعل هذا الفعل نموذجاً يقتدي به المسلمون ويسيرون على ضوئه؟!»<sup>(١)</sup>.

أقول: هذا كلام يبيِّن البطلان؛ فالإمام الحسين عليه السلام أسوة في الوقوف بوجه الظلمة، ونصرة المظلوم، وفضح الظالم، قدوة في جميع المبادئ والقيم الشاخصة التي حقّقتها كربلاء وأبطال كربلاء، برجالاتها ونسائها، وشيوخها وأطفالها، فالإمام الحسين عليه السلام أسوة وإن استلزم ذلك الموقف قتله وتعرّض عيالاته للخطر والاضطهاد؛ وذلك لأنَّ أصحاب هذا الرأي لا يدّعون أنَّ الإمام عليه السلام أراد القتل باختياره بطراً، وإنما أُجبر على ذلك؛ إذ لا سبيل لإحياء الأمة إلاَّ بهذا الأمر، فالإمام عليه السلام اضطرَّ لذلك؛ كي يحيي دين جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، ويحقّق مقولة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «حسين مَنّي وأنا من حسين»<sup>(٢)</sup>.

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):

وأين هذا من كلام الكاتب: بأن هذا الرأي لا ينسجم مع كون الإمام عليه السلام أسوة وقدوة  
للآخرين!؟

## رأي الطوسي والمرتضى

استشهد الكاتب بكلام الشيخ الطوسي والسيد المرتضى على رأيه وبطلان من  
خالفهما، قال: «ي قول شيخ الطائفة الطوسي عليه السلام - حول مسألة جواز أو عدم جواز أن  
يكون الإمام عالماً بمقتله فخرج إلى القتال -: (ولي في هذه المسألة نظرٌ) وذهب أستاذه  
العالم الكبير السيد المرتضى عليه السلام علم الهدى إلى عدم جوازه؛ لأنّ دفع الضرر عن النفس  
واجبٌ عقلاً وشرعاً. وعليه؛ إذا كان شيخ الطائفة عليه السلام متردداً في الحكم بجواز كون  
الإمام عالماً بمقتله حال خروجه أم لا، وكذلك ما ذهب إليه السيد المرتضى عليه السلام في الحكم  
بحرمته؛ فكيف يمكن بلا تحرّز نسبة ذلك إلى الإمام عليه السلام بأنّه خرج عالماً بمقتله؟! وكيف  
يصحّ اتباع فعل تردّد في أصل جوازه بعض العلماء وصرّح بحرمته بعض من دون  
ترديد؟! وعليه؛ كيف يمكن لنا ترجيح رأي (ماريين) الألماني على رأي علماء الشيعة  
الكبار؟!»<sup>(١)</sup>.

يرد عليه:

أولاً: إنّ الاستشهاد بمثل كلام الطوسي والمرتضى، لا يعني خطأ من خالفهما في  
الرأي، فإنّ رأي هذين العلمين يُعتبر أحد الآراء في المسألة - كما تقدّمت الإشارة إلى  
مجموعة من الآراء في بداية هذا المقال - ورأيهما ورأي من خالفهما يخضع للأدلة.  
ثانياً: قد اتضح ممّا تقدّم أنّه لا يصحّ أن يُجعل الرأي القائل بالشهادة على أنّه رأي  
لمستشرق ألماني، والرأي القائل بالحكومة هو رأي كبار علماء الإمامية.

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):

ثالثاً: هناك نقاش في أصل نسبة هذا الرأي إلى الطوسي والمرضى، أعني هذا التفسير وهذا الاستنتاج، فقد ذكر الشيخ الصافي الغلبايجاني، وكذا السيد مهدي مرتضوي: أنّ جواب العَلمين كان لأحد أبناء العامة، وقد أخذ في الجواب مراعاة حال السائل، ومقدار فهمه وعقائده، ثمّ ذكر مجموعة من الشواهد على هذا المعنى، بعضها مرتبط بكيفية السؤال، وبعضها مرتبط بفقرات الجواب، وبعضها مرتبط بالوضع العام الذي كان يعيشه العَلمان - خصوصاً السيد المرتضى - وبعضها يرتبط بأمر تاريخية عامّة<sup>(١)</sup>. وعليه؛ فلا يحقّ للكاتب الاستشهاد بكلام العَلمين؛ لأنّه فسّر كلامها بما لا يمكن أن يقصدها.

وقد علّق الكاتب على الجواب الأخير في الملحق الذي اضافه لكتابه شهيد جاويد (الشهيد الخالد) في الطبعة التالية من الكتاب - في معرض رده على كتاب: شهيد آگاه (الشهيد العالم) - حيث قال ما مضمونه: إنّ تأويل جواب المرتضى والطوسي بما ذكر لا شاهد ولا دليل عليه، فهو مجرد دعوى لا يمكن قبولها<sup>(٢)</sup>.

أقول:

أولاً: لو سلّمنا بهذا الردّ، فإنّه لا ينفي ما تقدّم في الردّ الأول والثاني الذي ذكرناهما على مطلب الكاتب.

ثانياً: قد ذكرنا في الردّ الثالث أنّ هناك مجموعة من القرائن على هذا المدّعى، وأنّ المرتضى والطوسي كانا في مقام الردّ على سؤال من بعض العامة.

نعم، هذه الشواهد غير المذكورة في الصفحات التي نقلها الكاتب عن كتاب شهيد

(١) أنظر: الصافي الغلبايجاني، لطف الله، شهيد آگاه (الشهيد العالم): ص ٨٧، ص ١٧٢. جواب او از كتاب او، يا پاسخ شبهات شهيد جاويد (جوابه من كتابه، أو جواب شبهات الشهيد الخالد): ص ٨٧ - ٩٧.

(٢) أنظر: شهيد جاويد (الشهيد الخالد): ص ٤٧٨.

آگاه (الشهيد العالم)، وهي الصفحات (٨٧، ١٧٢، ٢٣٠)، وإنما شواهد مبثوثة في صفحات أخرى، بالإضافة إلى ما نقلناه عن كتاب (جواب او از كتاب او، يا پاسخ شبهات شهيد جاويد (جوابه من كتابه، أو جواب شبهات الشهيد الخالد) الذي قد جمعها في مكانٍ واحد، في أكثر من عشر صفحات.

### الثمرة والمصلحة من قتل الإمام عليه السلام

أراد الكاتب أن يصوّر أنّ قتل الإمام عليه السلام ومظلوميته والفاجعة التي جرت عليه لم يكن فيها ثمرة، أو كانت ولكن كان الضرر أكبر وأعظم، فاستعرض مجموعة من الثمرات المحتملة، ثمّ ردّها جميعاً؛ فثبت من خلال ذلك أنّه لا يمكن أن يكون هدف كربلاء هو الشهادة والمظلومية، ونحن سنناقش في ردوده المذكورة على كلّ ثمرة.

### الثمرة الأولى: عمل المسلمين بأحكام الدين

أن تكون الثمرة من النهضة الحسينية هي عمل المسلمين بأحكام الإسلام، فردّ على هذا المحتمل بأنّه لا يمكن تصوّر أنّ قتل الإمام عليه السلام يؤدي إلى ذلك، قال: «إذا كان المراد من ذلك: أنّ قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله كان سبباً للعمل بأحكام الإسلام على نطاق واسع من قبل مسلمي الحجاز والعراق والشام وشمال أفريقيا.

[أقول]: هذا الكلام ليس بصحيح؛ إذ كيف يمكن التصديق بأنّ مقتل الإمام كان باعثاً ومحركاً نحو العمل بأحكام الإسلام بشكل أكثر...»<sup>(١)</sup>.

ويرد عليه: إنّ ما نفاه الكاتب ممكن جداً؛ لأنّ من يتابع الهدف الذي كان يسعى إليه بنو أمية، والذي أسس له معاوية يرى ذلك ممكناً، بل هو المتعيّن، حيث كان معاوية وبنو أمية يخطّطون لمحو الإسلام على مرحلتين:

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):

الأولى: تفرغته من واقعه وروحه وحيويته.

الثانية: محو مظاهره وعلائمه وهويته.

فالإمام عليه السلام ومن خلال نهضته وشهادته وقف بوجه المرحتين معاً، فقد حافظ على روح الإسلام وعلى مظاهره في البيت الشيعي، وحافظ على مظاهر الإسلام عند بقية المسلمين، ووقف سداً منيعاً بوجه من أراد أن يمحو الإسلام، وقد فصلنا الكلام في هذا المعنى في مقالٍ مستقلٍ منشور في هذه المجلة المباركة<sup>(١)</sup>.

### الثمرة الثانية: الفتوحات الإسلامية

أن تكون الثمرة هي الفتوحات الإسلامية لبني أمية التي وقعت بعد حادثة عاشوراء، فأجاب عن ذلك: إنه لا ربط لمقتل الإمام الحسين عليه السلام بهذه الفتوحات، قال: «وإذا كان المراد: أن قتل الإمام أدى إلى قيام فتوحات أخرى، فقد فُتحت مثلاً - في زمن الوليد بن عبد الملك - بلاد الأندلس في الغرب، وبلاد سمرقند وبخارا في الشرق.

[أقول]: فهذا الرأي ليس بصحيح أيضاً؛ فما وجه العلاقة بين مقتل الإمام عليه السلام وبين فتح الأندلس وسمرقند؟!...»<sup>(٢)</sup>.

ونقول في مقام الجواب: لم يدع أصحاب نظرية الشهادة هذا المعنى وهذه الثمرة، بل ولم يدعه أحد حسب علمي وتتبعي، وما هذا الاحتمال إلا من ذهن الكاتب، وهو واضح البطلان، ولا يحتاج رده إلى بيان.

### الثمرة الثالثة: إضعاف بني أمية

إن قتل الإمام عليه السلام ومظلوميته أضعف حكومة بني أمية، فردّ الكاتب على هذه الثمرة:

(١) أنظر: مقال تحت عنوان: (النهضة الحسينية وحفظ المبادئ والمظاهر الدينية)، مجلة الإصلاح الحسيني، السنة الأولى، العدد الرابع: ص ٩٧.

(٢) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):

إنَّ قتل الإمام عليه السلام كما أضعفها من جهة، فإنَّه قد قوّاها من جهةٍ أخرى؛ حيث إنَّ الحكومة الأموية أزاحت عن طريقها عدوها اللدود والقوي، وبذلك قمعت حركة أهل العراق، وأخافت بقية الحركات المعارضة لها، وهذا الجانب أقوى من جانب الإضعاف الذي لحق بني أمية؛ ولأجل ذلك واصلت حكومة بني أمية قمعها، كما في واقعة الحرة وحرقت الكعبة، كما أنَّها توسّعت من حيث الجغرافيا ومسك الأرض، وأنَّها لم تسقط إلا بعد سبعين سنة من واقعة عاشوراء، قال: «وإذا كان المراد: أنَّ مقتل الإمام الحسين عليه السلام أدّى إلى إضعاف الحكم الأموي، فلم يستطيعوا بعد مقتله أن يضخّوا بالإسلام مقابل أهوائهم الجاهليّة.

[أقول]: هذا أيضاً لا يمكن قبوله؛ فمن جهة يصحّ القول: بأنَّ مقتله عليه السلام قد أضعف

حكومة بني أمية، إلا أنَّها قد استحكمت من جهةٍ أخرى...»<sup>(١)</sup>.

يرد عليه:

أولاً: إنَّ الكاتب قد اعترف أنَّ هناك جنبه أضرت بني أمية، وهي حسب تعبيره:

«فقد صَعَفَت من جهة وقوعها محلّ اشمزازٍ وكرهية أكثر في أذهان عامة الناس»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: «أمّا جانب الضعف فيها، فقد تمثّل في تنفّر الجماهير التحرّرية من

حكومة بني أمية، تنفراً مخفياً ومببئاً لا يجرأ أحدٌ على إظهاره»<sup>(٣)</sup>.

فهذا الأمر الذي اعترف به الكاتب نفسه، أعظم نتيجة يمكن أن تحقّقها حركة معيّنة ضدّ طاغي، وضدّ حكومة باغية، فإنّ تحويل الرأي العام أمر في غاية الأهميّة والخطورة والصعوبة؛ لأنّه البداية الحتمية لزوال كلّ حكومة، وأقول كلّ إمبراطورية، فلو ملك شخص الأرض بما فيها وكان مبعوضاً لا يمكنه الاستمرار، ولا الراحة، ولا

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟):

ص ٦٤.

(٢) أنظر: هذا العدد: ص ٦٤.

(٣) أنظر: هذا العدد: ص ٦٤ - ٦٥.



العيش الهنيء إلا من خلال القتل والترهيب؛ لذلك نجد أن جميع الطغاة يعملون على تلميع صورهم أمام المجتمع والرأي العام، فحتى لو سلّمنا بالإيجابيات التي حصلت عليها حكومة يزيد من قتل الإمام عليه السلام، إلا أنّها جميعاً لا تضاهي هذه الخسارة العظيمة التي خسرتها، والتي لم تتخلّص من عارها إلى يومنا هذا، بل وإلى قيام الساعة.

ثانياً: مَنْ قال: إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد قُتل، وإنّ الحكومة الأموية تخلّصت منه عليه السلام، وإنّه عليه السلام انتهى أمره؟ فإنّ الإمام عليه السلام منهج وسيرة، مبادئ وقيم، حرية وشموخ وكبرياء، وكلّ حسنات الدهر، وهذه أمور حيّة حيوية تعيش مع المجتمع في كلّ زمانٍ ومكان، فالإمام عليه السلام صار فكرة وعقيدة يعيش في القلوب، ويحيى في الضمائر، يزلزل أركان الظلام في كلّ حين، ليس فقط عرش يزيد، بل كلّ طاغٍ متجبرٍ عنيد، فالإمام عليه السلام قد انتصر وقد استمر انتصاره إلى يومنا هذا وسيبقى، فلم تتخلّص منه حكومة بني أمية ولا لحظة واحدة، فدعوى الكاتب لا يمكن قبولها بوجه؛ فإنّ خسارة بني أمية ابتدأت من كربلاء، فصارت اللعنات عليها إلى الأبد.

ثالثاً: إنّ حركة أهل العراق وإنّ قمعت، إلا أنّها لم تنته، بل اشتدّت وزادت، وتعدّدت الثورات، مثل: ثورة التوابين، والمختار، وزيد الشهيد، وغيرها من الحركات الحقّة، فضلاً عن غيرها، وهي كثيرة ذُكرت مفصّلة في كتب التاريخ والسير.

رابعاً: مَنْ قال: إنّ حكومة بني أمية واصلت قمعها؟ فإنّها كانت حكومة يزيد تلفظ أنفاسها الأخيرة، وما واقعة الحرّة إلا ثمرة من ثمرات كربلاء في وجه تلك الحكومة الباطلة، لا أريد القول: إنّ تلك الواقعة حقّة في جميع تفاصيلها، وإنّما أريد أن أقول: إنّ الإمام الحسين عليه السلام كسر طوق الخوف الذي كان يحيط بالأمّة، فتحرّكت وثار، وقامت وكسرت الأغلال، وضجّت بوجه ذلك الطاغية، لا كما يصوّر الكاتب من أنّ يزيد أحكم سيطرته على الأمّة وأخافها بعد واقعة عاشوراء، فهذا قولٌ ناقص مجتزأ من التاريخ.

خامساً: ما فائدة كلّ الفتوحات فيما لو لم تكن الحكومة محبوبة، فهي بدون ذلك لا

قيمة ولا عيش هنيئاً لها، فقد حققت عاشوراء نفرة المجتمع من تلك الحكومة، وما ذلك إلا لعمق الفاجعة والمظلومية في كربلاء بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

سادساً: ما قيمة السبعين سنة في قبال (١٤٠٠ سنة)، بل في قبال التاريخ وأعماقه وامتداده، بل وإلى الأبد، فالسبعون لا تساوي شيئاً، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى ربّما تجد موقفاً واحداً يساوي عمراً كاملاً، وعمرٌ كاملٌ تجده في مزبلة التاريخ، وموقفٌ واحدٌ تخلّده الأجيال، ويكون مناراً تستضيء به الأمم، وتجد في قبال ذلك عشرات، بل مئات السنين لا قيمة لها.

لا أدري كيف يقرأ هذا الكاتب الأمور؟! وكيف يجللها؟! وكيف يستنتج منها، لعلّه لو دقق أكثر لكان قد غير رأيه.

### الثمرة الرابعة: قوّة الشيعة

أن تكون الثمرة هي أنّ الشيعة قد استفادوا وتشكّلت جماعتهم بعد قتل الحسين عليه السلام، فأجاب: إنّ الشيعة وإن استفادوا من جهة، إلا أنّهم ضعفوا من جهةٍ أخرى، قال: «وإذا كان المقصود: أنّ مقتل الإمام عليه السلام ساعد في رصّ الصف الشيعي وجعله أكثر تنظيمًا من ذي قبل. فلا بدّ من القول: إنّ الواقع الشيعي نراه قد قوي - من جهةٍ - واستحكم بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، ومن جهةٍ أخرى ضُعب وتقهقر. فجانب القوّة يكمن في تحرك مشاعر الناس وعواطفهم لصالح الشيعة، وجانب الضعف يتمثل بفقدان البيت الشيعي زعيماً كبيراً كالحسين بن علي عليه السلام ومقتل ثلّة من أبرز رجالات الشيعة وشخصياتها. زيادة على ذلك، فإنّ حادثة التوابين ومقتل عدّة آلافٍ من خواص الشيعة ورجالاتها قد أدّى إلى إضعاف الشيعة أكثر ممّا مضى، ثمّ جاءت ثورة المختار...»<sup>(١)</sup>.

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟):

يرد عليه: ما تقدّم في الجواب عن الثمرة السابقة؛ فإنّ كسب الرأي العام من أهم الأمور التي تسعى كلّ حركة لتحقيقه، حتى يمكن التحرك وسط المجتمع، والوصول للغايات المطلوبة، فإنّ التغيير لا يمكن أن يتحقّق إلاّ من خلال كسب الرأي العام أو تغييره، والأول هو عادة المصلحين وقيادات طريق الخير، فإنّهم دائماً يسعون إلى كسب الرأي العام، من خلال الإرشادات والمواعظ الحسنة، وبيان الأدلّة الخطابية والبرهانية لعموم الناس<sup>(١)</sup>.

وأما الفاجعة بمقتل الإمام عليّ، فهي وإن كانت عظيمة وجسيمة، وقد تأثّر لها الكون بأرضه وسمائه، ومنّ وما فيهنّ، إلاّ أنّ النتيجة المترتبة أيضاً عظيمة، وهي حفظ الدين الخاتم، وهو الهدف والغاية من الخلقة؛ ولذلك تُعدّ هذه الفاجعة ضمن سلسلة فجائع الأنبياء والأوصياء التي كانت من أجل عبادة الله، إلاّ أنّها أعظمها وأفجعها.

وأما قوله: إنّ بقية الثورات أضعفت الشيعة، وقتلت رجالها، فهذا منه غريب؛ وذلك: أولاً: مَنْ قال: إنّ كلّ قتلٍ يضعف الوضع العام الشيعي؟ فكم من قتلةٍ أحييت مجتمعات، وكم من حياة دمّرت حضارات، فكم من دماءٍ سقت أُمماً، وكم من أنفاسٍ ذابت بسكوت، ولم يكن لها في التأريخ إلاّ العدم أو الخنوع.

ثانياً: لو كان كلّ قتلٍ مضعفاً لمشروع مَنْ قُتل، لكان الرسول صلّى الله عليه وآله قد أضعف الإسلام بحروبه ودفاعاته، وكذا أمير المؤمنين عليّ، عندما قدّموا خيرة الرجال في تلك الحروب. ولكن لا غرابة من الكاتب أن يدّعي مثل هذا الأمر في ثورة التوابين والمختار وزيد الشهيد، بعد أن أفرغ مضمون الثورة الحسينية وجعلها خسارة، وخسارتها أكبر وأكثر من فائدتها.

ثمّ لو كان الانقسام علامة البطلان لبطل الإسلام، وهذه النقطة كما ترى لا تحتاج إلى ردٍّ وتوقف.

(١) أنظر الكلام مفصلاً عن هذا الموضوع: مقال تحت عنوان: (النهضة الحسينية وحفظ المبادئ والمظاهر الدينية)، مجلة الإصلاح الحسيني، السنة الأولى، العدد الرابع، ص ١١٣.

## الثمرة الخامسة: فضيحة بني أمية

أن تكون الثمرة من قتل الإمام عليه السلام ومظلوميته فضيحة آل أبي سفيان، فأجاب عن ذلك: بأنهم مفضوحون من الأساس، قال: «وإذا كان المراد: أن مقتل الإمام الحسين عليه السلام كان سبباً لفضح آل أبي سفيان والكشف عن حقيقتهم؛ وبذلك تمّ إحياء الإسلام. فهذا المطلوب ليس بصحيح أيضاً؛ لأنّ فضائح معاوية وابنه يزيد كانت على مستوى من الظهور لا يحتاج معه إلى كشف الستار...»<sup>(١)</sup>. ثم ذكر بعض الشواهد على ذلك. يرد عليه:

أولاً: صحيحٌ أنّ سياسة بني أمية التكفيرية الظالمة الجاهلية كانت مفضوحة بعض الشيء، إلا أنّ شهادة الإمام عليه السلام ومظلوميته فضحتهم بشكل أكبر، بحيث لو أمكنهم التستر على بعض جرائمهم لما أمكنهم التستر على هذه الجريمة الشنيعة، فزيادة فضيحتهم، وبيان زيفهم أمرٌ أساسي ومهمٌّ جداً.

ثانياً: إنّ مجموعة من الانتهاكات التي كان يمارسها معاوية ويزيد، والتي ذكر لها الكاتب بعض الشواهد، كانت تُمارس تحت غطاء الدين، وتحت غطاء مبدأ الجبر وإنّ بني أمية اختارهم الله، وفرضهم على الأمة، بل ونجد إلى هذا اليوم من يُبرّر لمعاوية ويزيد، فضلاً عمّن مضى، ولولا دم الحسين عليه السلام لأُخفيت وحُذفت تلك المعاصي الشنيعة ليزيد وأبيه معاوية، ولبني أمية بشكلٍ عام، فدم الإمام الحسين عليه السلام كما فضحهم فقد أثبت فضائحهم الأخرى؛ لذلك يُعتبر دم الإمام عليه السلام أبرز وأهمّ حلقات فضائح بني أمية.

ثالثاً: لم يدع أحدٌ أنّ فضيحة بني أمية هو الهدف الوحيد للثورة الحسينية، وإنّما هو أحد أهدافها، وكونه كذلك من المسلّمات والواضحات، ولا أتصور أنّ الكاتب

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):

يدّعي أنّ قتل الإمام عليه السلام لم يساهم في فضح بني أمية ولو بنسبة قليلة، وهذا المعنى ذكره الكاتب في الهامش معلقاً عليه: «إلا أنّ تلك الفضائح التي حلّت بآل أبي سفيان نتيجة تلك الجرائم لا يمكن أن تكون هدفاً لنهضة الإمام عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

أقول: من أين جاء عدم الإمكان؟! وكيف ثبت؟! ولماذا جزم به الكاتب؟! ولأيّ سبب لا يمكن أن نعتبرها مقصودة من الأول؟!

### الثمرة السادسة: إثارة مشاعر أهل الشام

أن تكون الثمرة هي إثارة مشاعر أهل الشام، فأجاب بأن أهل الشام لم تتحرّك مشاعرهم قط، قال: «وإذا كان المراد: أنّ مقتل الإمام عليه السلام وأسر أهل بيته كان سبباً في تأجيج مشاعر أهل الشام وتمردهم على يزيد؛ وبالتالي تمّ إحياء الإسلام بذلك. فهذا أيضاً لا يمكن قبوله، فقد طغى الوضع المادّي على أهل الشام وتمسّكهم بالدنيا على امتداد أربعين سنة من حكومة معاوية..»<sup>(٢)</sup>.

ويرد عليه:

أولاً: لا نجزم بأن أهل الشام جميعهم يعلمون الحقّ وينكرونه، ويصرون على البقاء مع يزيد مع علمهم بفسقه، بل ربّما يوجد العديد من المغرّرين بهم، والذين يحتاجون إلى من ينبّههم ويوقظهم، أو لا أقلّ إلى من يُقيم الحجّة عليهم، فالمجتمع على طبقات متفاوتة في الفهم والإدراك وما إلى ذلك.

فإن قلت: قد كان قبل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، والإمام الحسن عليه السلام، ولم تكن هناك فائدة تُذكر من أهل الشام.

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):

هامش ص ٦٧.

(٢) أنظر: هذا العدد: ص ٦٧.

قلت: لا نسلم بعدم الفائدة أولاً. وثانياً: هذا دليل لزوم تعدد المنذرين، ولأجل ذلك تعدد الأنبياء والأوصياء؛ ولذلك كانت محاولات الإمام الحسن عليه السلام، وقد ادعى بعض المحققين أن صلح الإمام الحسن عليه السلام كان من أجل هداية أهل الشام وإيصال المعلومة الصحيحة إليهم فيما يرتبط بأهل البيت عليهم السلام ومجمل حركة الإمام علي عليه السلام <sup>(١)</sup>.

ثانياً: ليس من الصحيح أن نطلب أن يكون الأثر والتغير آنياً، بل الأهم من ذلك أن يكون التغير تدريجياً ينعكس على الأجيال القادمة، وهذا النوع من التغير أهم من ذلك بمراتب؛ لأنه ممتد على طول الزمن.

ثالثاً: من قال: إن كل أهل الشام هجموا على المدينة وعلى مكة؟! فالمجتمع الشامي مجتمع كبير، وجيش يزيد لا يعني كل الشام، كما أن جيوش بعض الطغاة في الدول الإسلامية لا يمثل جميع أبناء الشعب.

رابعاً: من قال: إن الثورة ضد الظلم والطغيان تكون في ليلة وضحاها؟! فإن الكثير من الثورات تبتدى بقضية ما، ثم تأتي ثمارها بعد حين، بل بعد عشرات السنين أو أكثر، متأثرة بتلك الواقعة التي أشعلت الفتيل، وكسرت أطواق الخوف.

### نقاش في نقطة هامة

ذكر الكاتب تحت عنوان نقطة هامة: أن الإمام عليه السلام أراد الرجوع، وهذا لا يجتمع مع الأهداف المذكورة، قال: «فإن الإمام الحسين عليه السلام عندما واجه الحر بن يزيد الرياحي قرّر حينها الرجوع إلى الحجاز، وأصرّ على هذا الأمر إصراراً كبيراً، إلى حدّ اقترح الرجوع وإيقاف النزاع خمس مرّات على الأقل...» <sup>(٢)</sup>.

(١) وهذا ما يتضح جلياً عن مراجعة كتاب (صلح الإمام الحسن عليه السلام)، للسيد سامي البدري.

(٢) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):

يرد عليه: إن هذا لا ينافي الأهداف المذكورة بوجه، نعم، قد يؤثر في تحديد الوقت الذي قُصدت فيه تلك الأهداف لأن تكون أهدافاً - طبعاً حسب المعطيات الظاهرية - وهذا لا يؤثر على بحثنا في المقام؛ لأننا لسنا بصدد بيان تحديد الهدف من أول الحركة الحسينية ومن حين الخروج من المدينة.

### عوداً على بدء

قال الكاتب: «نعم، إن الحقيقة تتمثل في مقاومة الإمام الحسين عليه السلام وكفاحه البطولي في طريق الإسلام، ومن أجل إحياء تعاليم القرآن، حتى نال بذلك الشهادة»<sup>(١)</sup>. أقول: وهذا عين ما يقوله الجميع.

### نقاش (التشبيه الخاطئ)

قال الكاتب تحت عنوان تشبيه خاطئ: «ربما يقال: قد يتطلب الوضع الصحي المتدهور لمريض ما - في بعض الأحيان - إلى استخدام السكين لإجراء عملية جراحية. كذلك في الوضع الاجتماعي، فقد يصل الفساد إلى حدٍّ لم يبق معه أيّ طريق للإصلاح عدا طريق الحرب وإراقة الدماء. فلما رأى الإمام الحسين عليه السلام أن فساد المجتمع وصل إلى حدٍّ لم ينفع معه إلا إراقة الدماء، حينها أقدم على فعل مثل هذا العمل الكبير. هنا لا بدّ من القول: هل يُستأصل - في حال إجراء العملية الجراحية - العضو السالم أم العضو الفاسد؟!»<sup>(٢)</sup>.

أقول: مع أنه ليس من دأب المحصلين النقاش في المثال، إلا أن الكاتب اشتبه في فهم المثال؛ وذلك لأن المقصود من التشبيه أن هناك حالات فساد في المجتمع، لا يمكن

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):

أن تُرفع إلا بتضحيات ومعانات وألم، فإذا صارت تلك التضحيات ارتفع ذلك الفساد، واجتث من المجتمع، كما في الجسم عندما يتعرض إلى مرض يحتاج في استئصاله إلى أن يفتح الجلد، ويشق اللحم، ويجرح العصب، ثم يستأصل العنصر الفاسد والغده المرضية، فهناك مراحل اختيارية من الألم يتحملها المريض حتى يُستأصل العنصر الفاسد، وأين هذا المعنى مما صورّه الكاتب؟!!

### تعبير خطير

قال الكاتب: «في حين أن الإمام عليه السلام لم ينهض لخلق مثل هكذا حادثة فظيعة ومروعة»<sup>(١)</sup>.

أقول: لا أريد أن أُعلّق على هذا الكلام، فهو لا يستحقّ التعليق، ولكن أدعو القارئ إلى قراءة هذا النصّ في ضمن سياقه من كلام الكاتب؛ حتى يحكم بنفسه، ولا يُقال: تمّ اقتطاع الكلام وعزله عن محيطه؛ فتغيّر معناه، وتشوّه المراد منه.

### الفصل بين فعل يزيد وفعل الإمام الحسين عليه السلام

أكّد الكاتب أنّه لا بدّ من الفصل بين فعل حكومة يزيد وبين ما قام به الإمام الحسين عليه السلام، وألاّ توضع حادثة كربلاء الدموية في حساب الإمام الحسين عليه السلام.  
أقول: هذا مسلّم، ولم يدّع أحد أنّ المسبّب لحادثة كربلاء هو الإمام الحسين عليه السلام، وأنّ حكومة يزيد بريئة من ذلك، فهذا أمرٌ لم يدّع أحد من العامّة - إلاّ بعض النواصب - فضلاً عن الخاصّة.

وأما أنّ الكاتب فهم ذلك من بعض العبارات فهذا أمرٌ يخصّه، وكان عليه أن يدقّق أكثر في فهم الكلمات.

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلوميّة والمأساة في كربلاء؟):



## غرابية تصوّر

قال الكاتب تحت عنوان تصور خاطئ: «يتصوّر البعض أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان عازماً منذ بداية الأمر على التضحية بنفسه، وأنّ يؤسّر أهل بيته ويُساقون من بلدٍ إلى بلد. وبعبارة أخرى: كان الإمام يهدف من أوّل الأمر إلى وضع عياله في دائرة الأسر، وسعى جاهداً إلى تحقيق ذلك بداعي تعرية الحكومة الأموية آنذاك وإظهار حقيقتها.

[أقول]: هل يمكن أن يُقال: إنّ دخول زينب الكبرى بثيابٍ رثةٍ على مجلس عبيد الله بن زياد...»<sup>(١)</sup>.

أقول: إنّ الكاتب قد خلط بين أمرين:

الأول: رضى الإمام عليه السلام بما حدث في واقعة الطف وما بعدها، وأنّه أمر أفرحه وأفرح رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

الثاني: إنّ ما وقع في كربلاء أمرٌ لا بدّ منه؛ لإحياء أمة لا ترجع لوعيتها إلاّ بذلك، فالإمام عليه السلام رضى بذلك مضطراً لتحمل كلّ هذه المصائب؛ لأجل الظروف العصبية التي أحاطت بالأمّة آنذاك، فلو ادّعى شخصٌ أنّ الإمام عليه السلام كان راضياً قلباً بما حدث لأجل ما حدث لا لأجل النتائج المترتبة عليه، لوردت جميع نقوضات الكاتب، ولكنني أستغرب أشدّ الاستغراب من هذا الفهم السطحي لبعض الكلمات، أنا لا ادّعي أنّ الإمام عليه السلام كان قاصداً لما حدث من أوّل الأمر، ومن أوّل التحرك، فهذا بحثٌ آخر يرتبط بعلم الإمام عليه السلام الغيبي والظاهري، والشواهد والظواهر الأخرى، ولكن أقول: لا بدّ أن لا نُحمّل أحداً ما لا يمكن أن يقصده، فكان على الكاتب أن يميّز بين هذين الأمرين، ولو ميّز لما أشكل.

(١) أنظر: هذا العدد، مقال (هل خطّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟):

## طلبٌ أخير

قد نقلنا مجموعة من كلمات الكاتب ورددنا عليها، وكان النقل لجزء من كلماته معتمدين بذلك على قراءة المقال السابق، الذي فصل فيه الكاتب آراءه وأدلّته؛ لذلك أطلب من القارئ الكريم أن يقرأ كلّ ما نقلناه عن الكاتب في ضمن كلامه وسياقه؛ حتى يمكنه أن يؤيد الكاتب، أو يقتنع بما رددنا به عليه، أو يكون له رأي آخر، وهذه دعوة لإنصاف الجميع.

# انتهاك حقوق المرأة والطفل في واقعة عاشوراء

الشيخ محمد جليل الكروي القيسي<sup>(١)</sup>

## مقدمة

لعلَّ المستشرق لتاريخ البشرية وما جرى عليها منذ نشأتها إلى يوم الناس هذا لا يجد عناءً كبيراً في الوقوف على الكثير الكثير من الصفحات السوداء المشوبة برائحة الدم، في هذا التاريخ الضارب في القدم والمليء بالمواقف القاسية التي تنم عن قساوة قلوب الكثير من بني الإنسان، الذي إنَّما أوجده خالقه ﷻ على الأرض لغرض إعمارها، وإنشاء حكومة الله تعالى عليها، وبسط الأمن والعدل في ربوعها.

لكن خلف ذلك الوجه القاسي للبشرية الذي عَجَّ بالصراعات والمنازعات، يخبأ الوجه الآخر الذي يمثِّل العاطفة والرِّقة والبراءة والصفاء، والذي يشكِّل كلُّ من المرأة والطفل دعامتيه الأساسيتين.

إذ الملاحظ في طبيعة المرأة «إرهاف العاطفة وسرعة الانفعال، وشدة الحنان، وقد خُلِّقت هذه الصفات في المرأة لتستطيع بها أن تؤدِّي وظيفتها الأولى وهي: الأمومة

(١) عضو هيئة التحرير في مجلة الإصلاح الحسيني.

والحضانة»<sup>(١)</sup>. فالمرأة مثار الرقة والعاطفة، وهي جزء علّة في حفظ النوع الإنساني؛ لذا كان التفاعل الإيجابي مع المرأة ورعايتها موافقاً تماماً للفطرة الإنسانية، وما عداه خروج عنها، ودخول في حدود البهيمية.

أمّا الطفولة؛ فهي الركن المشرق الآخر لوجه البشرية المخفي؛ إذ بنعومتها وبراءتها تمثّل بساطة الإنسان الفطرية التي فُطِرَ عليها؛ لذلك عدّ ظلم الطفل والقسوة عليه من أبشع صور انتهاك حقوق الإنسان، إذ الطفل كائن غاية في الضعف، فالإساءة إليه إساءة لكل القيم الإنسانية؛ ولذا كان وأد البنات أمراً مستهجنًا قبيحاً لجأت إليه بعض القبائل في الجاهلية تخليصاً - بظنّهم الخاطيء - من احتمال السبي والعار.

والغرض من هذه المقدمة - والبحث ككل - تسجيل حالات انتهاك حقوق المرأة والطفل في واقعة عاشوراء، وذلك في خصوص عيال الحسين عليه السلام وعيال أهل بيته وأصحابه، ومحاولة إلقاء الضوء على ما حدث في تلك الملحمة التي غيرت وجه التاريخ، وإثبات أن كل ما صنعه المعسكر المعادي للإمام الحسين عليه السلام كان أمراً خارجاً عن حدود الفطرة الإنسانية، ومصنفاً ضمن أفعال السباع الضواري ووحوش القفار، بل لعله أبشع من ذلك بمراتب كثيرة كما لا يخفى.

وعليه نعقد بحثنا هذا في محورين:

### المحور الأوّل: مكانة المرأة والطفل وحقوقهما

قبل عرض الانتهاكات البشعة لحقوق المرأة والطفل التي حصلت في يوم عاشوراء لا بدّ من الوقوف - أولاً - على مكانتهما لدى ذلك المجتمع التي حصلت فيه تلك الانتهاكات، بغضّ النظر عن الشريعة الإسلامية وأحكامها وقوانينها، ثمّ النظر - ثانياً - إلى تلك الانتهاكات بالنظر إلى قوانين الشرع الإسلامي؛ باعتبار أن المنتهك يدّعي الانتفاء إلى

(١) الشلبي، أحمد، مقارنة الأديان: ص ٢٢٢.

الإسلام. ثم التطرّق - ثالثاً - إلى تلك الانتهاكات من وجهة نظر القوانين الوضعية ومنظمات حقوق الإنسان؛ نستخلص من جميع تلك الصور بشاعة ما جرى على النساء والأطفال في ذلك اليوم المهول.

## المبحث الأول: مكانة المرأة والطفل عند عرب الجاهلية

### 1. مكانة المرأة عند عرب الجاهلية

لقد اقتسم هذا الموضوع فريقان لا ثالث لهما، ففريق نظر للمرأة على أنّها موضوع غزل الشعراء ومفتّح المعلّقات، وإنّ العربي شديد الاهتمام بها؛ إذ يقف على أطلالها ويفيض شاعريته بذكراها، وهذه هي الصورة الشاعرية الحاملة. يقول في ذلك أحد الباحثين المعاصرين: «يحاول الكثير من الكتّاب أن يرسموا صورة سوداوية لحالة المرأة العربية قبل الإسلام، فهم يشيرون إلى صور لمعاملة المرأة عند العرب قبل الإسلام، ومنها: أنّ العرب في تلك المدّة لم يكونوا يورثون المرأة؛ لأنّهم لم يروا للمرأة حقاً في الميراث، بل جعلوها تُورث مع ما يُورث؛ أي: إنّ الولد يمكن أن يرث عن أبيه نساءه، بل ويمكنه أن يتزوَّجهن، ويقولون: إنّ العربي لا ينظر إلى زوجته إلّا على أنّها خادمة في بيت زوجها تُنجب له الأولاد... إنّنا لا ننكر [والكلام للباحث] صحّة بعض ما ورد منها آنفاً، لكن هؤلاء الكتّاب يأخذون ما جرى من حالات فردية في وسط شبه جزيرة العرب ويستشهدون بها ويعممونها على كلّ الجنس العربي، وهذا غير صحيح إطلاقاً، فضلاً عن أنّ هؤلاء الكتّاب أنفسهم يشيرون إلى العربي بالكثير من الصفات الحميدة التي كان يتمتّع بها قبل الإسلام، ولعلّ في مقدمتها غيرة الرجل العربي على نسائه، وتوفير الحماية اللازمة للمرأة، بل إنّ كان يثار إذا ما امتهنت كرامة امرأته. أمّا الأمثلة التي ساقها هؤلاء الكتّاب دليلاً على انحطاط كرامة المرأة فهي حالات فردية تركّزت وسط شبه جزيرة العرب عند أسرٍ فقيرة. في بعض القبائل... كانت المرأة العربية قبل الإسلام

تحتل بمكانة اجتماعية مرموقة، إذ كان الشعراء يفتتحون قصائدهم بوصف محاسن المرأة... وكان للمرأة العربية في تلك الحقبة حريّة اختيار الزوج...»<sup>(١)</sup>.

أما الفريق الآخر المعارض لتلك النظرة، فلديهم من النصوص القرآنية والتاريخية ما يكفيهم لإثبات مدّعاهم بكلّ وضوح، فقد وردت نصوص قرآنية تُشير إلى عادة وأد البنات، وحالات ردّ الفعل السلبي عند أغلب الناس آنذاك حينما تُولد له أنثى، كما وردت نصوص مأثورة عن كيفية التعامل المتدني مع المرأة وأنها كالمَتاع تتنقل من المورث إلى الوارث.

ويمكن القول: بأنّ المرأة وإن عوملت على مدى التاريخ عند أغلب الأمم معاملة العبد أو المتاع؛ لكونها بطبيعتها وتكوينها تمثّل الكائن الأضعف المقاد، لكن في المقابل كانت أمم أخرى أخفّ وطأة في ذلك، ففي الوقت الذي نظرت فيه إلى المرأة على كونها الكائن الأدنى والأضعف، وسلبتها الكثير من حقوقها، لكنّها بالوقت ذاته عُدّت - عند هذا البعض - من أهمّ الحرمات، ومن أعظم المصونات. فخذ عرب الجاهلية مثلاً لذلك، فمع أنّ بعض القبائل منهم كانت تتدّ البنات، وبعضهم إذا بُشّر بالأنثى ﴿ظَلَّ وَجْهَهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، مع كلّ هذا فإنّ المرأة عندهم كائن له خصوصياته وأحكامه؛ لأنّها تمثّل العرض والشرف، فهضم حقوقها لا يعني أبداً جعلها عرضة للابتذال والمهانة إبان ذلك العهد المظلم؛ لذا صانوها بالأسرار، حتى عُدّ (الخمار، والقناع، والبرقع، واللتام)<sup>(٣)</sup> من الألبسة المشهورة عند عرب الجاهلية، بل وصارت هذه موضوعاً لشعر الشعراء آنذاك، فقال قائل منهم يصف زوجته:

(١) قيس حاتم هاني، رؤية إسلامية في الأوضاع الاقتصادية للمرأة العربية قبل الإسلام: ص ١-٢. وهذا هو رأي الباحث محمد فروخ في كتابه (تاريخ الأدب العربي) أيضاً.

(٢) النحل: آية ٥٨.

(٣) احتمال بعض المحققين أنّ أصل الحجاب أخذه العرب من أهل الديانات الحنيفية آنذاك، ووافق هوى أنفسهم وغيرتهم العربية فألزموا المرأة به، فالحجاب أمرٌ متفق عليه عند أهل الديانات. أنظر: العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم: ج ١٤، ص ١٥٥.

ولقد أعجبنتني لا سقوطاً قناعها إذا ما مشت ولا بذات تلفت<sup>(١)</sup>

وافتخر النابغة الجعدي بأنه وقومه إذا ما غلبوا أعداءهم في وقعة ما، صانوا وحافظوا على حجاب النساء، فقال:

ملكنا فلم نكشف قناعاً حرّة  
ولو أننا شئنا سوى ذاك أصبحت  
ولم نستلب إلا الحديد المسّرا  
كرائمهم فينا تُباع وتُشترى<sup>(٢)</sup>

فالمرأة - عند العرب - لا تؤاخذ بقول ولا تُضرب ولا تُثار ولا تُهيج ولا يُرعد عليها قالت ما قالت. وعدّ هذا من كرائم صفات العربي قبل الإسلام، بل عدّ ضربها عاراً يبقى في الأصلاب، وتتناقله الأجيال، كما عبّر عن ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث يقول في وصيته لعسكره قبل لقاء العدو بمعركة صفين: «ولا تُهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم... وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر<sup>(٣)</sup> أو الهراوة<sup>(٤)</sup> فيعير بها وعقبه من بعده»<sup>(٥)</sup>.

فقول الإمام عليه السلام يكشف عن أن العرب في الجاهلية كانت ترى من العار ضرب المرأة؛ إذ إنه ليس من الشجاعة في شيء، إن لم يكن علامة على عكسها؛ لذا فقد ذهب قول حاتم الطائي مثلاً حين لطمته امرأة فقال: (لو غير ذات سوار لطمتي)<sup>(٦)</sup>، إذ أبت له شهامته وغيرته أن يلطم امرأة لطمته حينما جاءته ببعير ليفصده لها فذبجه خطأً فلطمت وجهه، فأعرض عنها قائلاً تلك الكلمات التي تنمّ عن نُبله ورفعته.

(١) للشاعر الشنفرى المتوفى سنة ٥١٠ ميلادي.

(٢) السبكي، عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى: ج ١، ص ٢٤٨.

(٣) الفهر: حجر أملس يكسر به الجوز مثلاً.

(٤) الهراوة: العصا، أو شبهه الدبوس من الخشب.

(٥) محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ج ٣، ص ١٥.

(٦) أنظر: الميداني، أحمد، مجمع الأمثال: ج ٢، ص ١٥٣. ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق:

فإذا كان هذا حال ضرب المرأة ولطمها، فما القول في إشهار السلاح بوجهها أو ترويعها، وقتلها؟! بل إن بعض العرب خاف من حقوق العار به في نساءٍ أسْرهن في أحد الحروب فأطلقهنَّ حذراً من ذلك، كما نقل لنا اليعقوبي في تاريخه حين وقعت حرب بين قبيلة طي وبني أسد قبل الإسلام، فأسرت بنو أسد (زيد الخيل) - وكان كبير طي - مع نسائه وأطفاله، فخاطب زيد الخيل كبار بني أسد وهم (قيس بن نوفل وقيس بن أهبان وقيس بن جابر) قائلاً:

ألا أبلغ الأقياس قيس بن نوفل      وقيس بن أهبان وقيس بن جابر  
بنو أسدٍ رُدُّوا علينا نساءنا      وأبناءنا واستمتعوا بالأباعر  
وبالمال إنَّ المال أهون هالكٍ      إذا طرقت إحدى الليالي الغواير  
ولا تجعلوها سنّة يقتدي بها      بنو أسدٍ وأعفوا بأيدي قوادِر<sup>(١)</sup>.

فسارعت بنو أسدٍ إلى إطلاقه وإطلاق نسائه وأطفاله معه خوف العار والشنار.

## ٢. مكانة الطفل عند عرب الجاهلية

لا بدّ قبل عرض هذا الموضوع من التعرّف إلى ما تعنيه كلمة (الطفل) في لغة العرب؛ لأنّها جزءٌ من تكوين المفهوم لديهم، فقد جاء على لسان أحد أهل اللغة بأنَّ «الصبي يُدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمّه إلى أن يحتلم»<sup>(٢)</sup>. وقال صاحب (التحقيق في كلمات القرآن الكريم): «إنَّ الأصل الواحد في هذه المادة: هو نعومة في حداثة، سواء كانت في إنسان أو حيوان أو نبات أو شيء يُفرض فيه تولّد وحادثة، ومن أتمّ مصاديقه الوليد الصغير من الإنسان ما دام بدنه ليناً ناعماً»<sup>(٣)</sup>.

(١) اليعقوبي، أحمد، تاريخ اليعقوبي: ج ١، ص ٢٣٠.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١١، ص ٤٠٢.

(٣) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ٧، ص ٩٣.



فالطفولة مثار الشفقة والرحمة، وقد بلغ من اعتزاز العرب بأطفالهم أنهم «إذا ما تصالحوا بعد حربٍ وتحالفوا بعد حرب تبادلوا تربية أطفالهم؛ ليكون رمزاً للودِّ ورهائنَ ضدَّ كلِّ مَنْ تُسَوَّل له نفسه التنكيل بالصلح والحلف، وهو دليل يشير بوضوح إلى عمق ما يكتونه من الاعتزاز بهم؛ بحيث إنهم لم يتحالفوا على مالٍ ولا غيره من متاع الحياة؛ لأنهم قد يغدرون به، إلا الطفولة فهي الوثاق الأمتن الذي يربطهم إلى حلفهم ويُبعدهم عن الغدر»<sup>(١)</sup>.

ونحن إننا نتحدَّث عن ذلك باعتبار أنَّ المجتمع الذي حدث فيه انتهاك للطفل في واقعة عاشوراء كان مجتمعاً عربياً، تمسك بأصول وقواعد عريقة قبل الإسلام، اعتبرها أسساً وضوابط من العار الخروج عليها، كالكرم والشجاعة والغيرة، ومنها عدم إيذاء الطفل أو الاقتصاص منه أو قتله أو ترويعه؛ لأنَّ ذلك لا يُعدُّ شجاعةً ولا فخراً، بل هو وصمة عارٍ تلحق فاعليه إلى الأبد، فعرب الجاهلية قبل الإسلام كانوا ينظرون إلى الطفل على أنه «رجل الغد وشيخ المستقبل، وهو سلاحهم في الاستمرار والبقاء»<sup>(٢)</sup>، و«لم تختلف نظرة الجاهليين إلى الطفل عن غيرهم من الأمم، بل كانت امتداداً لها، فأحاطوا أطفالهم بحالةٍ من القداسة... وأوجدوا الكثير من الطقوس لحمايتهم»<sup>(٣)</sup>.

فهم مع بداوة الكثير منهم، وقساوة بيئتهم، وجشوبة عيشهم، إلا أنَّ لهم مع الطفل والطفولة نوع تراحم وتوادٍّ، فهذا شاعرهم يصف بنياته فيقول:

لولا بنياتٍ كزغب القطا	حططن من بعضٍ إلى بعضٍ
لكان لي مضطرب واسع	في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا	أكبادنا تمشي على الأرض

(١) البياتي، عادل، الطفولة ومشاهدها المتغيرة في التراث والأدب، مجلة آفاق عربية: العدد ٤، السنة ١٩٧٩ م.

(٢) شحادة، ربي، صورة الطفل في الشعر الجاهلي (رسالة ماجستير): ص ٢٠.

(٣) المصدر السابق.

لو هبّت الريح على بعضهم لا امتنعت عيني من الغمض<sup>(١)</sup>

فالليل نحو الطفولة والطفل أمرٌ فطريّ بعدة لحظات، منها: لحاظ الحاجة والضعف، فالنفس الإنسانية بطبعها - لو خُلّيت ونفسها دون تأثير العوامل الطارئة المخالفة للفترة - ميّالة إلى الحنو والتفاعل مع الضعيف حتى يقوى. ومنها: أنّ الإنسان السوي يتذكّر في الطفل طفولته وبرائه، وهذا دافع إنسانيّ يدفع المرء للتفاعل الإيجابي مع الطفل، ومنها رؤية الطفل على أنّه إنسان المستقبل - رجل كان أم امرأة - فيدفع بالإنسان نحو رعاية الطفل والطفولة؛ فحفظ النوع من الدوافع الفطرية الغريزية التي تدفع بالإنسان للقيام بالكثير من الأعمال.

وعليه؛ يُعدُّ انتهاك حقوق الطفل أمراً مخالفاً للفترة البشرية، ولا يتماشى مع الأعراف والقيم الإنسانية.

### المبحث الثاني: نظرة إجمالية إلى حقوق المرأة والطفل أثناء الحرب في نظر الإسلام

إنّ واقعة عاشوراء لما كانت قد حدثت في سنة إحدى وستين للهجرة المباركة؛ أي: في الصدر الأوّل للإسلام، وكان الطرف المعادي للإمام الحسين عليه السلام يدّعي انضواءه تحت خيمة الإسلام، بل حاول تطير أفعاله بإطار ديني لخداع الناس آنذاك بأنّ حربه مشروعة، فلا بدّ - لمعرفة عظم بشاعة الانتهاكات التي قام بها ذلك المعسكر المناوئ للإمام الحسين عليه السلام - من مقايسة تلك الأفعال الشنيعة بما ضمنه الإسلام للمرأة والطفل من حقوق في زمن الحرب، ومعرفة مدى عمق الانتهاكات والتجاوزات التي وقعت على النساء والأطفال في ذلك الحدث العظيم. فما هي حقوق المرأة التي يجب أن تُكفّل بأيّ حال من الأحوال في نظر الإسلام، والتي لا يمكن تحطّيتها لأيّ مسلم مهما كانت المبررات؟ وما هي حقوق الطفل التي ينبغي أن تكون خطاً أحمر لا يجوز تجاوزه؟

(١) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار: ج ٣، ص ١٠٩.

## ١. حقوق المرأة أثناء الحرب في نظر الإسلام

لما كان كيان المرأة مبنياً على الضعف والرقّة والعاطفة - وذلك ليس نقصاً فيها أبداً، بل ذلك كمال لها ليمكّنها من أداء وظيفتها العظيمة في تربية وحضانة الأجيال على أتمّ وجه، حتى إنّ نبينا الأكرم ﷺ كان في أخريات عمره الشريف يشير إلى ضعف المرأة قائلاً: «أوصيكم بالضعيفين: النساء، وما ملكت أيمنكم»<sup>(١)</sup> - فلذلك كفل المشرّع الإسلامي للمرأة إبان الحروب حقوقاً يُعدّ تجاوزها تجاوزاً على التشريع، ومعصيةً للمشرّع ﷺ ويمكن إجمالها بما يلي:

(أ) حقّها في الحياة: فلا يجوز قتل المرأة، أو المساس بحقّها في الحياة؛ فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنّه نهى عن قتل نساء الكفّار في دار الحرب<sup>(٢)</sup>، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث حفص بن غياث قال: «وسألتُه عنِ النِّساءِ كيفَ سَقَطَتِ الجِزْيَةُ عَنْهُنَّ ورُفِعَتْ عَنْهُنَّ؟ فَقَالَ: لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَهَى عَنِ قِتَالِ النِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ فِي دَارِ الحَرْبِ إِلَّا أَنْ يُقَاتِلُوا فَإِنْ قَاتَلَتْ أَيْضاً فَأَمْسِكْ عَنْهَا مَا أَمَكَتْكَ وَمَنْ تَخَفَ خَلَاءً...»<sup>(٣)</sup>. فهكذا أمر المشرّع الإسلامي بالتعامل مع نساء الكفّار؛ فقد حثّ على التحاشي والإمساك عن قتل الكافرة ما أمكن. وكان النبي ﷺ يبعث البعث إلى الكفّار ويوصيهم بأن «لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة...»<sup>(٤)</sup>.

قال العلامة الحليّ رحمه الله: «لا يجوز قتل صبيان الكفّار ونسائهم إذا لم يقاتلوا؛ لأنّ

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٧، ص ٥٢.

(٢) دار الحرب: هي بلاد الكفّار المحاربين، يقابلها دار الإسلام. أنظر: فتح الله، أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ص ١٨٦.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٢٨.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٥٨.

النبي ﷺ نهي عن قتل النساء والصبيان...»<sup>(١)</sup>.

ويجمع كل ما تقدم قول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴿٢﴾. وقال العلامة الطباطبائي في تفسير ذلك: «سياق الآيات الشريفة يدل على أنها نازلة دفعة واحدة، وقد سبق الكلام لبيان غرض واحد وهو تشريع القتال لأول مرة مع مشركي مكة... على أنه تعالى قيد القتال بالقتال في قوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ﴾، وليس معناه الاشتراط؛ أي: قاتلوهم إن قاتلوكم وهو ظاهر، ولا قيماً احترازياً، والمعنى: قاتلوا الرجال دون النساء والولدان الذين لا يقاتلونكم كما ذكره بعضهم؛ إذ لا معنى لقتال من لا يقدر على القتال حتى ينهي عن مقاتلته. ويقال: لا تقاتله، بل إنَّما الصحيح النهي عن قتله دون قتاله»<sup>(٣)</sup>. وقال السيّد الخوئي في ذلك: «قد استثنى من الكفار الشيخ الفاني والمرأة والصبيان؛ فإنه لا يجوز قتلهم»<sup>(٤)</sup>.

كل ما تقدم كان في شأن المرأة الكافرة، أمّا المرأة المسلمة فقد أجمع علماءنا<sup>(٥)</sup> على عدم جواز سبي حتى ذراري البغاة<sup>(٦)</sup> أو تملك نسائهم.

ب) حقها في عدم مسها بأيّ أذى: وهذا الأمر أيضاً ممّا اقتضته الفطرة الإنسانية السليمة؛ لأنّ المرأة - كما تقدّم - مثار الضعف والاحتياج، والفطرة السليمة تتفاعل مع كل ضعيف لرفع ضعفه، ويعضد هذا الحكم الذي تقتضيه الفطرة الإنسانية الصافية تأكيدات جمّة من الشارع المقدّس ومن الناطقين باسمه ﷺ الكاشفين عن أحكامه، فهذا

(١) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء: ج ٩، ص ٦٤.

(٢) البقرة: آية ١٩٠.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج ٢، ص ٦٠.

(٤) الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين: ج ١، ص ٣٧١.

(٥) المحقّق الحلي، جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام: ج ١، ص ٢٥٧.

(٦) البغاة: هم المسلحون الذين خرجوا على إمام زمانهم الشرعي وبغوا عليه وقاتلوه ظلماً وعدواناً.

أمير المؤمنين علي عليه السلام يوصي جنده في حرب صفين قائلاً: «... وإذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترأ، ولا تدخلوا داراً، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيّجوا»<sup>(١)</sup> امرأة بأذى<sup>(٢)</sup> وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم، فإنهنّ ناقصات القوى والأنفس والعقول، وقد كنّا نُؤمّر بالكفّ عنهنّ وهنّ مشركات...»<sup>(٣)</sup>.

والنهي عن تهيج النساء بأذى يمكن أن يستبطن عدّة أمور:

أولاً: شتم المرأة أو سبّها أو أهانتها؛ إذ كلّ هذه الأمور تُعدّ تهيجاً بالأذى لها، وهو مخالف لوصيّة أمير المؤمنين عليه السلام المزبورة، قال أحد شراح نهج البلاغة: «نهى عليه السلام عسكره أن يُثيروا غضب النساء البغاة وشرورها ويجرّكوهنّ ويؤذوهنّ مطلقاً، حتى إنهنّ إن شتمن أعراضهم وسببن أمراءهم وجب عليهم الإمساك عن ردّ السبّ إليهنّ والكفّ عنهنّ، وعدم الاعتناء بشتمهنّ وسبهنّ»<sup>(٤)</sup>. فعلى هذا؛ فإنّ السبّ والشتم يُعدّان مصداقين واضحين من مصاديق الأذى.

ثانياً: تخويف المرأة وترويعها؛ فإنّ التخويف والترويع يُعدّان من المصاديق الجليّة للأذى، كيف ورسول الله صلى الله عليه وآله قد أهدر دم (هبار بن الأسود) وذلك قبل فتح مكة؛ لأنّه أخاف زينب ربيبة رسول الله صلى الله عليه وآله حين خروجها من مكة مهاجرة إلى المدينة، فأشار لها بالرمح وروّعها به وهي في هودجها، وكانت حاملاً فألقت ما في بطنها وأسقطت جنينها؟!<sup>(٥)</sup>.

(١) قال ابن منظور: «هاج الشيء يهيج هيجاً وهياجاً وهيجاناً... ثار لمشقة أو ضرر... والهيحاء:

الحرب... لأنّها موطن غضب». لسان العرب: ج ٢، ص ٣٩٤-٣٩٥.

(٢) قال (محمد عبده) أحد شراح نهج البلاغة في خصوص هذه الفقرة: «هذا حكم الشريعة الإسلامية، لا ما يتوهمه جاهلوهما من إباحتها التعرّض لأعراض الأعداء نعوذ بالله».

(٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج ١٥ ص ٩٥.

(٤) الهاشمي، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ١٨، ص ١١٦.

(٥) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٩، ص ٣٥١. البلاذري، أحمد، أنساب الأشراف:

ج ١، ص ٣٩٧.

فأبي أذى أشد من الترويع والتخويف؟! فقد يؤدي بالحامل إلى وضع حملها، فهذا أمير المؤمنين علي عليه السلام قد حكم على عمر بن الخطاب بثبوت ذية السقط عليه حينما روع حاملاً أثناء حكمه في المدينة فأسقطت ومات سقطها<sup>(١)</sup>.

وقد ورد من طرق الفريقين روايات تنهى عن تخويف المؤمن والمسلم وترويعهما بشكل عام، روى الشيخ الصدوق بسنده إلى الإمام الرضا عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً»<sup>(٢)</sup>. وفي رسالة الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله النجاشي قال: «يا عبد الله، إياك أن تُخيف مؤمناً، فإنّ أبي محمد بن علي حدّثني عن أبيه عن جدّه عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه يقول: مَنْ نظر إلى مؤمنٍ نظرة ليخيفه بها، أخافه الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه...»<sup>(٣)</sup>. وفي مسند أحمد مروياً عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ الملائكة تلعن أحدكم إذا أشار لأخيه بحديدة، وإن كان أخاه لأبيه وأمه»<sup>(٤)</sup>. فكيف إذا كانت المروّعات بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

ثالثاً: إمرار النساء على قتلاهنّ؛ فإنّه من المصاديق الواضحة للأذى، فقد ورد في الأثر نهي نبي الرحمة صلى الله عليه وآله عن ذلك مع نساء الكفّار المحاربين في أثناء الحرب، فما بالك بالنساء المسلمات المؤمنات؟! فقد روى ابن إسحاق في سيرته قال: «لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله - حصن ابن أبي الحقيق -<sup>(٥)</sup> أتى بصفية ابنة حبي، ومعها ابنة عمّ لها، جاء بهما بلال، فمرّ بهما على قتلى من اليهود، فلما رأتهم التي مع صفية صكّت وجهها وصاحت،

(١) أنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٩، ص ٢٦٧. والبيهقي، أحمد بن الحسين،

السنن الكبرى: ج ٦، ص ١٢٣. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني: ج ١٢، ص ١٤٩.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٧٥.

(٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ٢٠٩.

(٤) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل: ج ٢، ص ٢٥٦.

(٥) وهو أحد حصون خيبر ويدعى (القموص).

وحث التراب على رأسها... وقال [رسول الله ﷺ]: يا بلال، نُزِعَتْ منك الرحمة حين تَمُرُّ بامرأتين على قتلاهما؟!»<sup>(١)</sup>.

رابعاً: سلب الأموال، ويُعدّ ذلك من أوضح مصاديق الأذى، لا للمرأة فحسب، بل لكل إنسان؛ لأنّ المال أحد الحرمات التي يزود عنها الإنسان، وهذا ما تقتضيه الفطرة الإنسانية، فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - وهو المرأة الصافية التي تعكس الإسلام المحمدي الأصيل - يُبدي غاية أسفه وغمّه وحزنه لغارة سنّها جماعة من جيش معاوية على بعض أطراف دولته عليه السلام، إذ دخل أولئك الجند على المرأة المسلمة، والمرأة الذمّية المعاهدة فسلبوهنّ حليهنّ، فلم يستطعن الامتناع منهم، بل أضاف عليه السلام أنّ ذلك الغمّ والحزن لو أدّى إلى موت المحزون والمغموم جرّاء تلك المصائب فإنّ ذلك ليس محلاً للوم عنده عليه السلام، فقال في خطبته بهذا الصدد: «هذا أخو غامد<sup>(٢)</sup> قد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة<sup>(٣)</sup> فينتزع حجلها وقُلبها<sup>(٤)</sup> وقلائدها ورعاثها<sup>(٥)</sup>، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام<sup>(٦)</sup>، ثمّ انصرفوا وافرین، ما نال رجلاً منهم كَلِم<sup>(٧)</sup>، ولا أريق له دم. فلو أنّ امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً، فيا عجباً - والله - يميت القلب، ويجلب الهَمّ من

(١) ابن إسحاق المطلبي، محمد، سيرة ابن إسحاق (السير والمغازي): ص ٢٤٦.

(٢) وهو سفيان بن عوف الغامدي من أصحاب معاوية وقوّاده.

(٣) أي: المرأة الذمّية (النصرانية التي تعيش في ظلّ وحماية دولة الإسلام).

(٤) القُلب: السوار.

(٥) الرعاث: القرط.

(٦) الاسترجاع: إما قولها: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، أو هو: ترديد الصوت بالبكاء والعيول.

الاسترحام: طلب الرحمة.

(٧) الكَلِم: الجرح.

اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرّقكم عن حقكم...»<sup>(١)</sup>.

فسلب المال ظلماً من أشنع الأفعال، ويزداد قبحاً وشناعةً بالنسبة للمرأة؛ لأنّ المرأة - كما تقدّم - ممّا يجب أن تُصان ولا تُمسّ بأيّ نوعٍ من أنواع الأذى على العموم، فكيف والحال أنّ النساء - في محلّ بحثنا - هنّ من أشرف النساء؟! فهنّ عقائل النبوّة وبنات الوحي والرسالة.

## ٢- حقوق الطفل أثناء الحرب من وجهة نظر الإسلام

لعلّ الكثير من الحقوق الآنفه الذكر في المرأة يمكن أن يُقال بها للطفل أيضاً، وقد تقدّم نهي المشرّع الإسلامي عن قتل أولاد الكفّار حال كونهم كذلك، وحال كونهم في دار الحرب، وكذا ذراري البغاة، بل لا يجوز أسرهم و«قد حُكي إجماع أصحابنا الإمامية - بل إجماع المسلمين - على عدم جواز سبي النساء والذراري، وعدم اغتنام ما لم يحوها العسكر من أموالهم»<sup>(٢)</sup>، «والذي يراه الفقهاء من الوظيفة الفعلية هو عدم جواز التعرّض للنساء والذراري من البغاة وعدم سبيهم»<sup>(٣)</sup>. هذا كلّ في أطفال البغاة الخارجين على المعصوم، فكيف يجب التعامل مع أبناء الوحي والرسالة إذا ما سُبوا ظلماً وعدواناً؟! و

وقد روى الشيخ الصدوق رحمته الله في أماليه: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دفع مالاً من مال المسلمين - كغرامةٍ - لبني المصطلق لفرع وخوف نساءهم وصبيانهم؛ لما فعله بهم خالد بن الوليد حينما بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله لجباية أموال الصدقة منهم - وكان في صدر خالد حقداً عليهم أيام الجاهلية - فغدر بهم وقتل منهم رجالاً على حين غرّة وأرهب النساء

(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ٦٨.

(٢) المنتظري، حسين علي، نظام الحكم في الإسلام: ص ٥٧٨.

(٣) الأنصاري، محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة: ج ٢، ص ١٦٦.



والأطفال، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن بعث علياً ليصلح ما أفسده خالد، فسارع أبو الحسن ﷺ لتنفيذ أمر النبي ﷺ، فلما رجع إليه قال ﷺ: «يا علي، أخبرني بما صنعت». فقال ﷺ: يا رسول الله، عمدتُ فأعطيتُ لكل دمٍ ديةً، ولكل جنين غرة<sup>(١)</sup>، ولكل مالٍ مالاً، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لميلغة<sup>(٢)</sup> كلابهم، وحبلة<sup>(٣)</sup> رعاتهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفزع صبيانهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لما يعلمون ولما لا يعلمون، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله. فقال ﷺ: يا علي، أعطيتهم ليرضوا عني، رضي الله عنك يا علي، إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي<sup>(٤)</sup>.

حقاً إن مثل هذه المحطّات الوضّاء تُعدّ دُرراً زِينت وجه التاريخ الإنساني الذي سوّده أيادي الظلمة، بل في واقعة مشابهة قال ﷺ لمن أُصيب من المسلمين بظلم خالد: «خذوا.. فاكسوا عيالكم وخدمكم ليفرحوا بقدر ما حزنوا...»<sup>(٥)</sup>؛ لذا قال أحد كبار المؤرّخين: «وهذا تأصيل لمعنى جديد لا بدّ من مراعاته في مجالات التعامل مع الناس، ولم يكن هذا المعنى معروفاً، ولا مألوفاً قبل هذه الحادثة... كما أنّنا لم نجد أحداً قد راعى هذا المعنى في معالجته لآثار العدوان على الآخرين»<sup>(٦)</sup>.

وعلى أية حال، فإنّ ترويع الطفل وإخافته أمرٌ لا تقبله الفطرة الإنسانية السليمة، ولا تقرّه الشرائع السماوية ولا الأرضية، فهو من أوضح مصاديق الظلم، وقد روي عن

(١) الغرة: معناها هنا العبد أو الأمة؛ أي: مقابل كل جنين سقط يُعطى عبداً أو أمة ملكاً للمتضرر.

(٢) الميلغة: الإناء الذي يشرب به الكلب.

(٣) الحبلة: الجنين الساقط من مواشيهم ودوابهم.

(٤) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢٣٧، وروي براءة النبي ﷺ من فعل خالد بن الوليد في صحيح

البخاري: ج ٨، ص ١١٨.

(٥) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣٩١.

(٦) العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الإمام علي ﷺ: ج ٦، ص ٢٣.

النبي الأكرم ﷺ: «لا ترؤعوا المسلم؛ فإن روعة المسلم ظلمٌ عظيم»<sup>(١)</sup>. كما لا ينبغي في الحروب أن يفرّق بين الأم وولدها إذا وقعا في الأسر حتى لو كانا كافرين، بل حرّمه بعضهم - وهو الشيخ الطوسي في كتابه الخلاف -<sup>(٢)</sup>. وقال آخرون بکراهة ذلك<sup>(٣)</sup>، حتى روى العامة عن النبي ﷺ قوله: «مَن فرّق بين والدته وولدها فرّق الله بينه وبين أحبّته يوم القيامة»<sup>(٤)</sup>.

### المبحث الثالث: حقوق المرأة والطفل إبان الحروب من وجهة نظر المنظمات الدولية

قبل الخوض في غمار هذا المبحث لا بدّ من الإشارة إلى أمرٍ في غاية الأهمية، وهو أنه قد يُقال: ما الغرض من ذكر النصوص التي اتّفقت عليها المنظّمات الدولية في الوقت الحاضر، والحال أنّ الحدث الذي نريد إسقاط تلك الاتفاقيات عليه كان قد جرى قبل ما يقرب من (١٣٠٠ سنة) مضت وانقضت؟! وهو سؤال جدير بالاهتمام والإجابة. فيقال في ذلك: إنّ الكثير من تلك الاتفاقيات التي تمّ التعاقد عليها وإصدارها من قبل تلك المنظمات الدولية الفاعلة، إنّما هي قوانين وأحكام عقلانية تتلاءم مع الفطرة الإنسانية التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان. وهذا لا يعني أبداً كفاية الفطرة في ذلك، بل إنّ أغلب الأحكام الجزئية لا يمكن للفطرة أن تتناولها من دون مرشدٍ هادٍ وهم الأنبياء وأوصياؤهم، فالفطرة يمكنها أن تحكم بأحكام كلية عامة. قال أحد العلماء - في خصوص كون الإسلام دين الفطرة وعلاقة الفطرة بالدين - ما نصّه: «عندما نقول: إنّ

(١) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج٦، ص٢٥٣.

(٢) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، كتاب الخلاف: ج٥، ص٥٣١.

(٣) أنظر: العلامة الحلي، يوسف بن المطهر، تذكرة الفقهاء: ج٩، ص١٧٢. الجواهري، محمد حسن، جواهر الكلام: ج٢٤، ص٢٢١.

(٤) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل: ج٥، ص٤١٣.

الإسلام دين الفطرة، فهذا لا يعني أنّ كلّ حكم جزئي منه يوافقها، بل يعني أنّ الأصول الكلية في مجالي العقائد والشريعة تنسجم مع الفطرة وتومي إليها بشكل واضح؛ ولذلك كانت تعاليم الأنبياء - وفي مقدّماتهم الشريعة الإسلامية - تُثير مكنون الفطرة، لذا فهم [أي: الأنبياء] قبل أن يكونوا معلّمين كانوا مذكّرين بما أودع الله سبحانه في فطرة الإنسان من ميول نحو العبودية لله سبحانه، والانشداد إلى ما وراء الطبيعة، والجنوح إلى العدل ومكارم الأخلاق، والنفور عن الظلم ومساوئ العادات. فكأنّ الفطرة أول مدرسة يتعلّم فيها الإنسان أصول المعارف ومكارم الأخلاق وآدابها من دون معلّم، وهذا لطفٌ وامتنان منه سبحانه لعباده، ويُعدّ الحجر الأساس لسائر الهدايات الإلهية الواصلة إليهم عن طريق أنبيائه ورسله، وإلى ذلك يشير قوله سبحانه ﴿ فَأَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ... ﴾<sup>(١)</sup>؛ فإنّ المراد من الدين في الآية مجموع العقيدة والشريعة، كما فسّره به مشاهير المفسّرين، وكلمة (فطرة الله) التي نُصبت على الاختصاص تفسر للدين، فالدين - بتمام معنى الكلمة - يوافق فطرة الإنسان، بالمعنى الذي عرفت؛ أي: إنّ أصوله وكتّياته تنسجم مع الفطرة، وليست الآية وحيدة في بابها، بل لها نظائر في الذكر الحكيم تؤكد مضمونها، وتثبت بوضوح كون معرفة المحاسن والمساوئ - والفجور والتقوى، والميل إلى الفضائل، والانزجار عن الرذائل - أمراً فطرياً إلى حدّ يقول سبحانه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾<sup>(٢)</sup>. وفي آية أخرى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ \* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ \* وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾<sup>(٣)</sup>. فالإنسان الطبيعي الذي لم يتأثر بالمناهج البشرية يُدرك المحاسن والمساوئ، والفجور والتقوى، والخير والشر، كرامةً من الله إليه.

(١) الروم: آية ٣٠.

(٢) الشمس: آية ٧-٨.

(٣) البلد: آية ٨-١٠.

ومن روائع الكلم ما روي عن الإمام علي عليه السلام حول تحديد دعوة الأنبياء، وإن دورهم في مجال التربية تذكيرهم بمقتضيات الفطرة، يقول عليه السلام: فبعث الله فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول...<sup>(١)</sup>.

وعلى ذلك؛ فالشريعة - وفق الفطرة - مصباحٌ يُنير الدرب لكلِّ ساعٍ في طلب الحق، وكلِّ فكرةٍ أو ميلٍ توحى إليهما الفطرة هو آية كونه حقاً، وكلِّ فكرةٍ أو جنوحٍ يناقض الفطرة وترفضها فهو آية كونه باطلاً؛ ولأجل ذلك نَحَلِّينا عن الرهبانية والتعزُّب ووَأد البنات؛ لأنَّها تخالف مقتضى الفطرة<sup>(٢)</sup>.

إذن؛ فالفطرة جوهره أودعها الله عز وجل في ضمير الإنسان، تستطيع أن تميِّز - بشكل عام - الظلم من العدل، والحق من الباطل، هذا إذا لم تتلوَّث وتُمتَسَخ بفعل الذنوب والجرائم والموبقات؛ ولذلك ترى أنَّ الأحكام العقلائية هي أمور تنسجم مع الفطرة السليمة غير الملوَّثة بشوائب الجهل أو العصبية أو العُقَد الأخرى، وجاء الدين ليؤكِّد أحكام الفطرة تلك؛ ويوسِّعها ويعمِّقها ويذكر المنسي منها، ويشير إلى مواطن الخلل فيها عند انحرافها؛ لذا فجميع أحكام الدين منسجمة مع الفطرة السليمة، والفطرة السليمة منسجمة مع الدين كذلك. فالدين مُكَمِّل ومُعَمِّق للفطرة، والفطرة تُشير وتؤدِّي إلى الدين.

وعليه؛ ففي معرض الإجابة عن التساؤل المتقدِّم يُقال: إنَّ أحكام هذه المنظَّمات إن كانت أحكاماً عقلائية نابعة من الفطرة السليمة غير الملوَّثة؛ فتلك الأحكام غير خاضعة للزمان والمكان، فالفطرة تشخِّص الظلم سواء عند بدء الخليقة، أم حالاً أم بعد مرور

(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ٢٣.

(٢) السبحاني، جعفر، في ظلال التوحيد: ص ٢٣١-٢٣٣.

آلاف السنين، فلو أنّ تلك المنظّمات كانت حاضرة أيام وقوع فاجعة كربلاء، ورأت ما جرى على عيال الإمام الحسين عليه السلام وإخوته وأولاده وأصحابه، لصرخت بملء فيها مستنكرة ذلك الظلم والجور.

إذن؛ لنرى ما هي الحقوق التي كفلتها تلك المنظّمات أثناء الحرب للمرأة والطفل والتي تمّ انتهاكها في واقعة كربلاء، ومن خلال ذلك سوف يمكننا مخاطبة ضمير الإنسان بما هو إنسان - بغضّ النظر عن لونه وجنسه ومعتقده - بأنّ ما حدث في تلك البقعة مأساة بكلّ المقاييس، الأرضية منها أم السماوية، ثمّ لتكون درساً للإنسانية جمعاء في مكافحة الظلم ومناوئته، ونصرة المظلوم ومؤازرته، كما أنّ الأمر لا يخلو من دقّ ناقوس الفطرة والتذكير بأحكامها وأوليّاتها التي أودعها الله فيها. ويمكننا النظر إلى حقوق النساء والأطفال أثناء اندلاع الحروب من وجهتين رئيسيتين:

### الوجهة الأولى: حقوقهم باعتبارهم أناساً مدنيين

وهذه الحقوق لا تختلف عن حقوق الإنسان - المدني المسلم غير المقاتل - التي كفلتها المنظّمات الدولية أثناء اندلاع الحروب. فالمرأة والطفل في الحرب يُعدّان من المدنيين<sup>(١)</sup>. وقد جاء في مبادئ قانون (لاهاي) - الذي يُعدّ من مبادئ القانون الدولي الإنساني - عدّة بنود، منها: «مبدأ التفرقة بين المدنيين والأهداف العسكرية: ينصّ المبدأ أنّ المدنيين [بما فيهم النساء والأطفال] لا يمكن أن يكونوا عرضة للهجوم الذي ينبغي أن يقتصر على الأهداف العسكرية؛ أي: القوات العسكرية بما في ذلك المقاتلين والمنشآت التي تساهم في تحقيق هدف عسكري؛ وبالتالي لا يمكن مهاجمة الأموال المدنية...»<sup>(٢)</sup>.

(١) المدنيون: غير المقاتلة من نساء وأطفال وفلاحين وغيرهم. أنظر: الزحيلي، وهبة، العلاقات الدولية في الإسلام: ص ٦٦.

(٢) القاضي جمال شهلول، القانون الدولي الإنساني: ص ٥، موقع: [www.ao.academy.org](http://www.ao.academy.org).

وجاء أيضاً في المبادئ الأساسية لقانون (جنيف):

«... أ) حصانة الذات البشرية: ليست الحرب مبرراً للاعتداء على حياة مَنْ لا يشاركون في القتال، أو الذين لم يعودوا قادرين على ذلك.

ب) منع التعذيب بشتى أنواعه، ويتعيّن على الطرف الذي يحتجز رعايا العدو أن يطلب منهم البيانات المتعلقة بهويّتهم فقط، دون إجبارهم على ذلك.

ج) احترام الشخصية القانونية: فضحايا الحرب الأحياء مَنْ يقعون في قبضة العدو يحتفظون بشخصيّتهم القانونية، وما يترتب عليها من أعمال قانونية مشروعة.

د) احترام الشرف والحقوق العائلية والمعتقد والتقاليد...

هـ) الملكية الفردية محميّة ومضمونة.

و) عدم التمييز: فالمساعدة والعلاج ومختلف الخدمات، والمعاملة بصورة عامّة تُقدّم للجميع دون فرق، إلا ما تفرضه الأوضاع الصحيّة والسن.

ز) توفير الأمان والطمأنينة، وحظر الأعمال الانتقامية، والعقوبات الجماعية، واحتجاز الرهائن، وإذا ارتكب شخص - يحميّه القانون الإنساني - جريمة فإنّه يعاقب وفقاً للنصوص المعمول بها مع مراعاة الضمانات القاضية على مستوى الإجراءات قبل التحقيق وبعده وعند المحاكمة وبمناسبة تنفيذ الحكم.

ح) حظر استغلال المدنيين واستخدامهم لحماية أهداف عسكرية.

ط) منع النهب والهجوم العشوائي والأعمال الانتقامية.

ي) منع أعمال الغش والغدر<sup>(١)</sup>.

وجاء أيضاً في اتفاقية (جنيف) بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب، والتي تمّ المصادقة عليها من قبل جميع الدول الأعضاء في (١٢ آب ١٩٤٩م) وفي المادة

(١) المصدر السابق: ص ٦-٧.

(٣) ما يلي: «الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرة في الأعمال العدائية بمن فيهم أفراد القوات المسلحة الذين ألقوا عنهم أسلحتهم، والأشخاص العاجزون عن القتال بسبب المرض أو الجرح أو الاحتجاز أو لأي سبب آخر، يُعاملون في جميع الأحوال معاملة إنسانية، دون أي تمييز ضارّ يقوم على العنصر أو اللون، أو الدين أو المعتقد، أو الجنس أو المولد أو الثروة، أو أي معيار مماثل آخر.

ولهذا الغرض تحظر الأفعال التالية فيما يتعلّق بالأشخاص المذكورين أعلاه، وتبقى محظورة في جميع الأوقات والأماكن:

(أ) الاعتداء على الحياة والسلامة البدنية، وبخاصة القتل بجميع أشكاله، والتشويه، والمعاملة القاسية والتعذيب.

(ب) أخذ الرهائن.

(ج) الاعتداء على الكرامة الشخصية، وعلى الأخص المعاملة المهينة والحاطة بالكرامة.  
(د) إصدار الأحكام وتنفيذ العقوبات دون إجراء محاكمة سابقة أمام محكمة مشكّلة تشكيباً قانونياً، وتكفّل جميع الضمانات القضائية اللازمة في نظر الشعوب المتمدّنة.

(هـ) يُجمَع الجرحى والمرضى ويُعتنى بهم»<sup>(١)</sup>.

وقد أضاف الملحق (البروتوكول) الثاني الإضافي - الذي أُلحِقَ عام (١٩٧٧م) لاتفاقيات جنيف المعقودة في (١٢/٨/١٩٤٩م)، المتعلّق بحماية ضحايا المنازعات المسلّحة غير الدولية - عدّة بنود أُخرى في هذا الصدد منها: «المادة ٤: الضمانات الأساسية:

١- يكون لجميع الأشخاص الذين لا يشتركون بصورة مباشرة، أو الذين يكفون عن الاشتراك في الأعمال العدائية - سواء قيّدت حرّيتهم أم لم تقيّد - الحق في أن تُحترم أشخاصهم وشرّفهم ومعتقداتهم، وممارساتهم لشعائرهم الدينية، ويجب أن يعاملوا في

(١) حقوق الإنسان، مجموعة صكوك دولية، المجلد الأوّل، الأمم المتّحدة، نيويورك، السّنة ١٩٩٣.

جميع الأحوال معاملة إنسانية، دون أيّ تمييز مجحف، ويُحظر الأمر بعدم إبقاء أحد على قيد الحياة.

٢- تُعدّ الأعمال التالية الموجهة ضد الأشخاص المشار إليهم في الفقرة الأولى محظوراً حالاً واستقبلاً وفي كلّ زمان ومكان، وذلك دون الإخلال بطابع الشمول الذي تتسم به الأحكام السابقة:

(أ) الاعتداء على حياة الأشخاص وصحتهم وسلامتهم البدنية أو العقلية، ولا سيما القتل والمعاملة القاسية كالتعذيب أو التشويه، أو أية صورة من صور العقوبات البدنية.

(ب) الجزاءات الجنائية.

(ج) أخذ الرهائن.

(د) أعمال الإرهاب.

(هـ) انتهاك الكرامة الشخصية، وبوجه خاص المعاملة المهينة والمُحطّة من قدر الإنسان و... وكلّ ما من شأنه خدش الحياء.

(و) الرقّ وتجارة الرقّ بجميع صورها.

(ز) السلب والنهب.

(ح) التهديد بارتكاب أيّ من الأفعال المذكورة...»<sup>(١)</sup>.

فيتّضح من كلّ ما سبق أنّ المدنيين - ومنهم المرأة والطفل - مكفولون من قبل المنظمات الدولية، ولا يمكن التعامل معهم معاملة الرجل المقاتل.

### الوجهة الثانية: حقوق المرأة والطفل بعنوانهما الخاصّ

قد صدرت عدّة وثائق وقوانين دولية تشرّع حقوق المرأة والطفل بما هم كذلك

(١) موقع مركز المعلومات في منظمة الصليب الأحمر.



بنصوص صريحة، إن دلت على شيء فإنما تدلّ على تعاطف الفطرة الإنسانية معها؛ لأنّها مثار العطف والشفقة، منها القرار الصادر عن الجمعية العامّة للأمم المتحدة بشأن حماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ والنزاعات المسلّحة بتاريخ (١٤ / ١٢ / ١٩٧٤ م)، والذي أصدرته تلك الجمعية نتيجة استشعارها لعظيم القلق من معاناة المرأة والطفل من السكّان المدنيين الواقعين كضحايا للحروب؛ وتضمّن عدّة فقرات مهمّة، منها:

الفقرة الأولى: «يحظر الاعتداء على المدنيّين وقصفهم بالقنابل؛ الأمر الذي يلحق الآماً لأخصّصي بهم، وخاصّة بالنساء والأطفال الذين هم أقلّ أفراد المجتمع مناعة. وتُدان هذه الأعمال»<sup>(١)</sup>.

الفقرة الرابعة: «يتعيّن على جميع الدول المشتركة في منازعات مسلّحة، أو في عمليات عسكرية، في أقاليم أجنبية أو في أقاليم لا تزال تحت السيطرة الاستعمارية، أن تبذل كلّ ما في وسعها لتجنّب النساء والأطفال ويلات الحرب. ويتعيّن اتخاذ جميع الخطوات اللّازمة لضمان حظر اتخاذ تدابير كالاضطهاد والتعذيب والتأديب والمعاملة المهينة والعنف، وخاصّة ما كان منها موجّهاً ضدّ ذلك الجزء من السكّان المدنيين المؤلّف من النساء والأطفال»<sup>(٢)</sup>.

الفقرة الخامسة: «تُعتبر أعمالاً إجرامية جميع أشكال القمع والمعاملة القاسية واللا إنسانية للنساء والأطفال، بما في ذلك الحبس والتعذيب والإعدام رمياً بالرصاص، والاعتقال بالجملة، والعقاب الجماعي، وتدمير المساكن، والطرّد قسراً التي يرتكبها المتحاربون...»<sup>(٣)</sup>.

الفقرة السادسة: «لا يجوز حرمان النساء والأطفال - من بين السكّان المدنيين... - من

(١) حقوق الإنسان، مجموع صكوك دولية، المجلد الأول، الأمم المتحدة، نيويورك ١٩٩٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

المأوى أو الغذاء أو المعونة الطبيّة أو غير ذلك من الحقوق الثابتة وفقاً للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنيّة والسياسية، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وإعلان حقوق الطفل، وغير ذلك من صكوك القانون الدولي»<sup>(١)</sup>.

وورد في خصوص الطفل توصيات مهمّة من تلك المنظّمات؛ باعتباره أشدّ بني الإنسان ضعفاً واحتياجاً، فقد ورد في (إعلان حقوق الطفل الصادر من الجمعية العامّة للأمم المتحدة لعام ١٩٥٩ م): «إنّ للطفل على الإنسانيّة أن تمنحه خير ما لديها... لتمكينه من التمتع بطفولةٍ سعيدةٍ ينعم فيها لخيرهِ وخير المجتمع»<sup>(٢)</sup>.

كما جاء في اتفاقية حقوق الطفل الصادرة من الجمعية نفسها:  
«المادة ٣٧: أ) لا يُعرّض أيّ طفلٍ للتعذيب أو غيره من ضروب المعاملة القاسية واللاإنسانية أو المهينة.

ب) لا يُجرّم الطفل من حرّيته بصورة غير قانونية أو تعسّفية...»<sup>(٣)</sup>.  
وبعد هذه الجولة السريعة في العهود والمواثيق الدولية بشأن رعاية حقوق المرأة والطفل بصورة عامّة، أو أثناء الحرب خاصة، يمكن للبصير أن يستشفّ من تلك القوانين - التي منبعها إمّا نصوص دينية متقدّمة عليها زماناً، أو فطرة إنسانية أودعها الله تعالى في ضمائر بني البشر - أنّها ممّا يقتضيه الطبع البشري، فالعمل ضدّها يعدّ خروجاً عن الفطرة الإنسانية، وإن تلبّس الخارج عنها ثوب البشر.

(١) المصدر السابق

(٢) الإعلان العالمي لحقوق الطفل، قرار رقم ١٣٨٦ الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة. مع العلم أنّ هذا الإعلان لم يكن ذا إطار قانوني مُلزم للدول الأعضاء.

(٣) اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة للعام ١٩٨٩. علماً أنّها الإطار القانوني المُلزم للدول الأعضاء.

## المحور الثاني: ما جرى من انتهاك لحقوق المرأة والطفل في واقعة عاشوراء

قبل الولوج في بيان ما جرى من انتهاك لحقوق المرأة والطفل في معركة كربلاء، لا بدّ من نظرةٍ إجمالية سريعة إلى العلة التي من أجلها اصطحب الإمام الحسين عليه السلام عياله إلى كربلاء؛ لما لهذا الموضوع من صلة وثيقة بالبحث، فيقال في ذلك:

إنّ هناك عدّة تصوّرات ونظريات طُرِحَتْ لتحليل فعل الإمام الحسين عليه السلام في ذلك، وإن كان لا بدّ من التركيز على أمرٍ في غاية الأهمية ألا وهو: إنّ العقول مهما بلغت من العلم وغارت فيه، فإنّها لا يمكنها الإحاطة التامّة بجميع الملاكات لفعل المعصوم، وخصوصاً إذا كان الفعل ضخماً وعظيماً، غير مجرى التاريخ، وخطّ منهجاً قوياً للإصلاح والمصلحين على مدى الحقب. بل إنّها تُفسّر مثل هكذا أفعال إلهية على قدر فهم الباحث وعقله، وما أوتي من أدوات معرفية.

وعليه؛ فإنّ كلّ التصوّرات المحتملة التي قيلت في علة اصطحاب الإمام الحسين عليه السلام لأهله وعياله إلى كربلاء، إنّها هي تحليلات تكشف عن جانبٍ محدود من الملاك الواقعي لذلك الحدث الجرم، وآتى لنا أن ندرك تمام الملاك لفعلٍ مأمورٍ به من قبل الله تعالى، بصريح قول الإمام الحسين عليه السلام «شاء الله أن يراهنّ سبايا»<sup>(١)</sup>.

فتفسير ذلك الفعل بالواقع يرجع إلى تفسير علة تلك المشيئة الإلهية. ومهما يكن من أمرٍ فإنّ أهمّ ما قيل في تفسير علة اصطحاب الإمام الحسين عليه السلام لعياله وعيال أبيه وأطفاله إلى ساحة المعركة هو:

إنّ الإمام الحسين عليه السلام إنّما أخرجهم «لنظر سياسي وفكر عميق، وهو تكميل الغرض وبلوغ الغاية في قلب الدولة على يزيد، والمبادرة إلى القضاء عليها قبل أن تقضي على

(١) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٤٠.

الإسلام وتعود الناس إلى جاهليّتها الأولى...»<sup>(١)</sup>.

وقيل: إنّ «الحسين لو أبقى النساء في المدينة لوضعت السلطة الأموية عليها الحجر، لا بل اعتقلتها علناً، وزجّتها في ظلمات السجون، ولا بدّ له [أي: للحسين عليه السلام] من أحد أمرين خطيرين كل منهما يشلّ أعضاء نهضته المقدّسة: إمّا الاستسلام لأعدائه وإعطاء صفقته لهم طائعاً، ليستنقذ العائلة المصونة.. وهذا خلاف الإصلاح الذي ينشده، وفرض على نفسه القيام به مهما كلفه الأمر من الأخطار، أو يمضي في سبيل إحياء دعوته ويترك المخدّرات اللواتي ضرب عليهنّ الوحي سترّاً من العظمة والإجلال، وهذا ما لا تُطبق احتماله نفس الحسين الغيور...»<sup>(٢)</sup>.

وهناك أقوال أخرى لا يهّم التعرّض لها، ولكن مهما قيل في ذلك، فإنّنا إذا سلّمنا بكون إخراج العائلة كان أمراً قد أمر به الإمام الحسين عليه السلام، فلا كلام، ولا حاجة بنا - كمتديّنين - أن نفسّر الأمر الإلهي؛ إذ إنّ تمام علل الأحكام غير مكشوفة لكل أحد، وملاكات الأوامر والنواهي ليست شرعة لكل وارد، بل لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم.

وعلى كل حال، فقد لعب وجود عيال الإمام الحسين عليه السلام دوراً جباراً في وصول صوت عاشوراء إلى الأجيال، ولعلّ وجودهم ونقلهم للكثير من الحقائق في ذلك اليوم العصيب، وعدم إرادة الإمام الحسين عليه السلام أن يكون أعداؤه وقاتلوه هم من يصوغ تاريخ نهضته، هو أحد الملاكات لإحضار العائلة الكريمة في ذلك اليوم الرهيب، وكذا الحفاظ على حياة الإمام السجاد عليه السلام، وفضح يزيد وأتباعه، و... فمن الممكن أن تجتمع كل الملاكات المتصوّرة وتشكّل علة أو جزء علة لهذا الفعل المعصومي العظيم.

(١) نسب هذا القول الشيخ باقر شريف القرشي للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء. أنظر: حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٢٩٨.

(٢) نسب هذا القول الشيخ باقر شريف القرشي للعلامة عبد الواحد المظفر. أنظر: حياة الإمام الحسين: ج ٢، ص ٣٠٠.

أمّا في خصوص البحث عن المحور الثاني، فلا شكّ ولا ريب في أنّ ما جرى في يوم عاشوراء من أحداث جسام يصعب استقصاؤه والإحاطة بجزئياته، فالحدث حدث مهول تراجعت فيه كلّ القيم الإنسانية - من قبيل المعسكر المعادي للإمام الحسين - حتى عدّت المقايسة بين أولئك الظلمة، والوحوش الضواري ظلماً لتلك الوحوش؛ إذ إنّها إن أرادت الافتراس اكتفت بفريسة واحدة لسدّ جوعتها، أمّا أولئك فقد أعمتهم الدنيا، والخوف، والجبن، والدناءة والحقد، حتى أضاعوا سبب القتل، فتراهم لم يحيروا جواباً حينما سأهم الإمام الحسين عليه السلام عن سبب مقاتلتهم له بعد ما ذكّرهم بجده وجدّته وبأُمّه وأبيه عليه السلام، وذكرهم بفضائل أبيه، ثم قال مخاطباً لهم: «فِيمَ تَسْتَحِلُّونَ دَمِي وَأَبِي عليه السلام الذائد عن الحوض، يذود عنه رجالاً كما يُذاد البعير الصادر عن الماء، ولواء الحمد في يد أبي يوم القيامة؟!». قالوا: «قد علمنا ذلك كلّهُ، ونحن غير تاركين حتى تذوق الموت عطشاً»<sup>(١)</sup>، فأين الوحوش الضواري من أولئك؟!

وسنحاول فيما يلي استعراض أبرز الانتهاكات البشعة التي جرت على النساء والأطفال في يوم عاشوراء، والتي ناقضت كلّ القيم والأعراف الإنسانية والقوانين الإلهية، مراعين التسلسل التاريخي للأحداث:

### ١. قطع الماء عن عيال الإمام الحسين عليه السلام ومعسكره

لما نزل الإمام الحسين عليه السلام أرض كربلاء بمعيّة عسكره وعياله وعيال أصحابه<sup>(٢)</sup>، وبعد مداولات وكُتِبَ بين عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد، ورد كتاب عبيد الله بن

(١) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٥٣.

(٢) كان ذلك يوم الخميس الموافق لليوم الثاني من محرّم الحرام سنة إحدى وستين. أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٨٤.

زيد فيه: «حُل بين الحسين وأصحابه وبين الماء، فلا يذوقوا منه قطرة...»<sup>(١)</sup>. وأضاف الشيخ المفيد<sup>(٢)</sup> قائلاً: «فبعث عمر بن سعد في الوقت عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة، وحالوا بين الحسين وأصحابه، وبين الماء أن يستقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام، ونادى عبد الله بن الحصين الأزدي... بأعلى صوته: يا حسين، ألا تنظر إلى الماء كأنه كبِد السماء، والله، لا تذوقون منه قطرة واحدة حتى تموتوا عطشاً...»<sup>(٢)</sup>.

فالملاحظ أنّ الحصار ومنع الماء استمر ثلاثة أيام، وعبيد الله بن زياد وجنده يعلمون أنّ في معسكر الإمام الحسين<sup>(عليه السلام)</sup> نساءً وأطفالاً، ومع ذلك فقد أمعنوا بهذه الجريمة المخزية عرفاً وقانوناً (إلهياً وواقعياً)، فكانت حرب إبادة جماعية بالمقاييس الحديثة.

فأين هذا الفعل من فعل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب<sup>(عليه السلام)</sup> في صفين حينما استولى معاوية وجنده على الفرات وحاولوا منع جيش الإمام علي<sup>(عليه السلام)</sup> منه، فقاتلهم<sup>(عليه السلام)</sup> وكشفهم وأزاهم عن الماء، فلما أرادوا أن يستقوا، حاول بعض أفراد جيش الإمام علي<sup>(عليه السلام)</sup> أن يمنعهم الماء، فنهاهم أمير المؤمنين<sup>(عليه السلام)</sup> عن ذلك، وسمح لجيش الشام بالتزود من الماء<sup>(٣)</sup>، بل هذا هو عين فعل الإمام الحسين<sup>(عليه السلام)</sup> حينما عطش جيش الحر بن يزيد - وكانوا ألف فارس - في وسط الصحراء، وكان الإمام الحسين<sup>(عليه السلام)</sup> يعلم سبب مجيئهم، وأتهم أنها بُعثوا لحصاره والتشديد عليه، لكن لم يمنعهم الماء، وسقاهم وخيلهم أجمعين<sup>(٤)</sup>، علماً أنّ كلتا الحادتين لم يكن فيهما نساء أو أطفال، بل كانوا جنوداً مقاتلين، أما فيما نحن فيه فالكّل قد علم أنّ العطش قد بلغ بمعسكر الإمام الحسين<sup>(عليه السلام)</sup> - بما فيهم النساء والأطفال

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٨٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٧.

(٣) أنظر: المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ص ١٦٣.

(٤) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٧٨.

- إلى حالٍ قد أشرفوا فيها على الهلاك، فهذا الحسين عليه السلام في ساعاته الأخيرة يأمر أخاه أبا الفضل العباس عليه السلام أن يطلب قليلاً من الماء للأطفال، حينما سمعهم ينادون: العطش العطش<sup>(١)</sup>. بل وصفهم أحد أصحاب الحسين عليه السلام في محاورته مع أحد الأعداء بأنهم يموتون عطشاً<sup>(٢)</sup>. فأين ذهبت فطرة أولئك الأشرار وفطرة قادتهم؟! بأيّ قانون كانوا يعملون؟! وبأيّ شرعة تُحرّم أمّ مريض من الماء ثلاثة أيام هي ورضيعها، فيجفّ صدرها من اللبن، ويروّع رضيعها من العطش، فيُخرجه أبوه ليطلب له الماء، فيجاب بدل الماء بسهمٍ ينحر ذلك الرضيع من الوريد إلى الوريد؟!<sup>(٣)</sup>.

## ٢. الإرهاب والتخويف

وهذا المعنى يشتمل في طبيّته على عدّة مفردات كلّها تُدلل على سياسة ممنهجة أُتبعت من قبل بني أمية بحق الإمام الحسين عليه السلام ومَن معه، بما فيهم الأطفال والنساء، ومن تلك المفردات:

(أ) التضييق والحصار العسكري: فلم يكد الإمام الحسين عليه السلام أن يصل إلى الغاضرية حتى وصل كتاب من عبيد الله بن زياد، يأمر فيه الحر بن يزيد الرياحي أن يُضيق على الحسين عليه السلام وأصحابه<sup>(٤)</sup>، وكانوا يمنعونه تارة ويسايرونه أخرى، ولا شكّ في أنّ حصار الجند المدجّجة بالسلاح، مع تعدادهم الكبير وقعقة أسلحتهم لمعسكرٍ فيه نساء

(١) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق: ج ٤٤، ص ٣٨٨.

(٣) نقل القندوزي: أنّ الحسين عليه السلام قال لأعدائه: «يا قوم، لقد قتلتم أصحابي وبني عمّي وإخوتي وولدي، وقد بقي هذا الطفل، وهو ابن ستة أشهر، يشتكي من الظمّ فاسقوه شربة من الماء. فبينما هو يخاطبهم، إذ أتاه سهم فوق في نحر الطفل فقتله». القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة: ج ٣، ص ٧٨. وأنظر أيضاً: محمد تقي خان، ناسخ التواريخ: ج ٢، ص ٣٦٤.

(٤) ابن طائوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٤٧.

وأطفال هو من أشدّ مصاديق التخويف والإرعاب، ثم استمرّ منهج الإرعاب ذلك ولم ينته حتى مع استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وكانت الصورة تزداد بشاعة منذ الثاني من محرّم؛ لأنّ أعداد الجند وقعقة السلاح وطبول الحرب وأصوات الخيل كلّها أمور مرعبة بحقّ النساء والأطفال، وقد اعترف أحد قادة الجند التائيين - وهو الحرّ بن يزيد بن أبي سفيان - بذلك الإرهاب والإرعاب؛ إذ يقول في ساعة توبته أمام الإمام الحسين عليه السلام: «اللهمّ! إليك أنبت فتب عليّ؛ فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك»<sup>(١)</sup>.

(ب) محاولات الاعتداء على خيم النساء: فقد وصلت الخسّة والدناءة بعمر بن سعد قائد جيش ابن زياد إلى حدّ أمر فيه بتخريق خيم الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه على ما نقله لنا البلاذري؛ إذ قال: «وأمر عمر بتخريق أبنيتهم ويوتهم فأخذوا يخرقونها برماحهم وسيوفهم، وحمل شمر في الميسرة حتى طعن فسطاط الحسين برمح ونادى: عليّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله. فصحن النساء وولولن وخرجن من الفسطاط، فقال الحسين عليه السلام: ويحك! أتدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي!! وقال شبت بن ربعي [لشمر]: يا سبحان الله! ما رأيت موقفاً أسوأ من موقفك، ولا قولاً أقبح من قولك. فاستحيا شمر منه»<sup>(٢)</sup>. فكانت حرب ذلك اليوم حرباً بلا حدود عند عسكر عمر بن سعد وابن زياد، وكأثمّ تعاقدوا على إسقاط كلّ القيم، إنسانية كانت أم إلهية أم قومية أم غيرها، وللمتصوّر أن يتصوّر كم من الرعب الذي داخل قلوب النساء والأطفال جرّاء تلك الأعمال اللاإنسانية؟!

(ج) قطع الرؤوس ورفعها أمام أعين النساء والأطفال: إذ لم يكتفِ عمر بن سعد وجيشه بقتل المقاتلة من جيش أبي عبد الله عليه السلام، بل: «وأمر ابن سعد برؤوس الباقيين من

(١) المصدر السابق: ص ٦٢.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٩٤.



أصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته فُقطعت، وكانت اثنان وسبعون رأساً، وسرّح بها مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج، فأقبلوا حتى قدموا بها على ابن زياد...»<sup>(١)</sup>.

وللمتأمل أن يسرح بخياله ليرى عظم الجريمة وبشاعتها؛ عندما يُرفع رأس إنسان أمام ذويه وأطفاله ونسائه قرابة الشهرين من الزمان يرونه ماثلاً أمامهم كل صباح ومساءً!! وما عسى الواصف أن يقول في مثل هذه المأساة.

### ٣. الضرب

فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «سألتُ أبي علي بن الحسين عن حمل يزيد له، فقال: حملني على بعير يطلع<sup>(٢)</sup> بغير وطاء، ورأس الحسين عليه السلام على عَلم، ونسوتنا خلفي على بغال أكف<sup>(٣)</sup>، والفارطة<sup>(٤)</sup> خلفنا وحولنا بالرماح إذا دمعت من أحدنا عين فُرع رأسه بالمرح...»<sup>(٥)</sup>؛ وهذا يعني أن أيّ بكٍ يبكي سواء أكان طفلاً أم امرأة فإنه يُضرب بالمرح على رأسه لمجرد بكائه، فأبي طغيان هذا؟! والبكاء أمرٌ لا إرادي.

### ٤. القتل

لم يسلم النساء والأطفال في يوم عاشوراء من القتل؛ إذ إن الأعداء فعلوا ما هو أشنع وأقبح من القتل، فقد مثلوا بالجثث وسحقوها بالخنيل وقطعوا الرؤوس... ولذا لم يُعدّ قتل النساء والأطفال أبشع أعمالهم، وفعلاً فقد قاموا بقتل زوجة (عبد الله بن عمير

(١) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ١٩٦.

(٢) كذا في المصدر، ولعل الصحيح (يطلع).

(٣) أكف: جمع إكاف: شبه الرجال أو البرذعة من غير سرح.

(٤) الفارطة: الجلاوة.

(٥) ابن طاوس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ص ٩، و ص ٨٩.

الكلبي) وهي أم وهب النمرية؛ قُتِلَتْ لِأُمِّهَا وَقَفَتْ عَلَى جَسَدِ زَوْجِهَا وَقَالَتْ: «أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي رَزَقَكَ الْجَنَّةَ أَنْ يَصْحَبَنِي مَعَكَ». فَقَتَلَهَا رِسْتَمُ وَكَانَ عَبْدًا لَشَمْرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ<sup>(١)</sup>.  
أَمَّا مِنَ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، خَمْسَةٌ مَعَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ:

\* عبد الله الرضيع عَلَيْهِ السَّلَامُ، ابْنُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ عَمْرُهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ.

\* عبد الله بن الحسن السبط عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَإِنَّهُ خَرَجَ وَعَمَّهُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَاعَاتِهِ الْأَخِيرَةِ، خَرَجَ يَشْتَدُّ وَهُوَ يَقُولُ: «لَا وَاللَّهِ، لَا أَفَارِقُ عَمِّي». فَرَمَاهُ حَرْمَلَةُ بْنُ كَاهِلٍ بِسَهْمٍ وَذَبَحَهُ وَهُوَ فِي حَجَرِ عَمِّهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٢)</sup>.

\* القاسم بن الحسن السبط عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ أَيْضًا غَلَامٌ لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ بَعْدُ، قَاتَلَ مَعَ عَمِّهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى اسْتَشْهَدَ.

\* محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب، وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ قُتِلَ بَعْدَ مَصْرَعِ عَمِّهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

\* عمرو بن جنادة الأنصاري، وَكَانَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةِ سَنَةٍ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ بِحَقِّهِ الْإِمَامُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هَذَا شَابٌّ قُتِلَ أَبُوهُ وَلَعَلَّ أُمَّهُ تَكْرَهُ خُرُوجَهُ»<sup>(٣)</sup>. فَقَالَ: أُمِّي أَمَرْتَنِي يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ<sup>(٤)</sup>... ثُمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ، وَحُزَّ رَأْسُهُ وَرُمِيَ بِهِ إِلَى عَسْكَرِ الْحُسَيْنِ.

وَإِثْنَانِ بَعْدَ الْوَأَقَعَةِ، وَهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَمُحَمَّدٌ وَلَدَيَّ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ، قُتِلَا بَعْدَ أَنْ سَجَنَاهُمَا ابْنُ زِيَادٍ سَنَةَ كَامِلَةِ بِلَا ذَنْبٍ ارْتَكَبَاهُ.

(١) أنظر: السماوي، محمد، إِبْصَارُ الْعَيْنِ فِي أَنْصَارِ الْحُسَيْنِ: ص ٢٢٧.

(٢) ابن طائوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٧٢.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢٧.

(٤) المصدر السابق.

## ٥- السلب والنهب

إن أعداء الإمام الحسين عليه السلام لم يتركوا موبقة إلا وفعلوها، فكانوا متعطّشين لفعل كل ما هو مشين، فقد نقل لنا الشيخ الصدوق في أماليه بسنده، عن عبد الله بن الحسن المثنى، عن أمّه فاطمة بنت الحسين عليها السلام قالت: «دخلت الغاغة<sup>(١)</sup> علينا الفسطاط وأنا جارية صغيرة، وفي رجلي خلخالان من ذهب، فجعل رجل يفضّ الخلخالين من رجلي وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك يا عدو الله؟! فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله؟! فقلت: لا تسلبني. قال: أخاف أن يجيء غيري فيأخذه. قالت: وانتهبوا ما في الأبنية حتى كانوا ينزعون الملاحف عن ظهورنا»<sup>(٢)</sup>.

وروي عن حميد بن مسلم، قال: «رأيت امرأة من بكر بن وائل، كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، فلما رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام في فسطاطهن وهم يسلبونهن، أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط وقالت: يا آل بكر بن وائل، أتسلب بنات رسول الله؟! لا حكم إلا لله، يا لثارات رسول الله. فأخذها زوجها وردّها إلى رحله». وفي رواية: «إنهم أشعلوا النار في الفسطاط، فخرجن منه النساء باكيات مسلبات»<sup>(٣)</sup>.

يحقّ للغيور هنا أن يبكي بدل الدموع دماً، وخصوصاً إذا وقف على جملة (اقتحموا على نساء الحسين فسطاطهن). فهذا التعبير - بالميزان الدقيق - ليس بالهين، فما معنى دخول رجال غرباء على نساء هنّ رمز الفضيلة والعفاف والشرف؟! دخولهم عليهن عنوة وسلبهم إياهن! ثم إحراق خيمتهن فيما بعد!

(١) الغاغة: الكثير المختلط من الناس.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢٢٩.

(٣) الأمين، محسن، لواجع الأشجان: ص ١٩٤.

## ٦- السجن

لم يكتفِ أولئك الأوغاد بكلِّ ذلك، وأنى للذئب أن يكتفي من الولوغ بالدماء؟! فما أن وصل ركب سبايا أهل البيت عليهم السلام ومَن معهم إلى الكوفة أمر ابن مرجانة جنده بأن يغلّوا الإمام زين العابدين عليه السلام ويقيدوه ويودعونه السجن مع السبايا من النساء والأطفال<sup>(١)</sup>.

## ٧- المعاملة الهمجيّة البعيدة كل البعد عن قيم الإسلام

ومفردات هذه المعاملة التي تنمّ عن عدم النبل ممّا لا يُحصى، فمنها: إدخال السبايا - وهنّ بنات الرسالة - مكشّفات الوجوه إلى دمشق<sup>(٢)</sup>، ثمّ إيقافهم في مكانٍ يُشرف عليه عامة الناس ليتصفّح وجوه النسوة الزكيات كلّ شارذ ووارد<sup>(٣)</sup>، بل إنّ إخراجهنّ من الكوفة تمّ بصورة لا تليق بشأن المرأة المسلمة، فضلاً عن بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقد وصفها أرباب التاريخ والعلماء بقولهم: «ومعهم الأجناد يحيطون بهم، وقد خرج الناس للنظر إليهم، فلما أُقبلَ بهم على الجمال بغير وطاء، جعل نساء الكوفة يبكين»<sup>(٤)</sup>.

فإهانة المؤمن وإذلاله وأذيتته كلّها من الموبقات الكبيرة والأفعال القبيحة عرفاً وعقلاً، فكيف إذا فُعِلت تلك الكبائر مع أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله، ونسائه اللواتي هنّ من أظهر نساء أهل الأرض!؟

كلّ ما مرّ كان صوراً مقتضبة على عجالة من مأساةٍ عارمة سوّدت وجه الإنسانية، ووصمت التاريخ بعارها، وإلاّ فيمكن لمن أراد الاستزادة وسبر أغوار التاريخ أن

(١) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢٢٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٩١.

يستخرج ما هو أبشع من ذلك.

فهل انتهت تلك الانتهاكات؟! أم ما زال أُمويُّ العصر وأتباع ابن مرجانة في يومنا هذا يقومون بنفس الدور الذي قام به أسلافهم من قبل؟! ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ \* حِكْمَةٌ بَلِيغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾<sup>(١)</sup>.



# المأساة والمظلومية في إعجازها الإنساني

## الثورة الحسينية أروعها

السيد محمد باقر الهاشمي<sup>(١)</sup>

### المقدمة

تُعتبر الثورة الحسينية إشعاع نورٍ للعالم؛ بما قدّمته من تفرانٍ وإيثارٍ يعجز قلم البيان عن وصفه، فما وقع آنذاك من عظمة تسامت فخلّدت بفضل ما أعطت، إلا أنّ السمو والرفعة لم تكن لتُبسّط أمام الملمحة الحسينية دون عناء، بل أُعطيت لأجلها دماءٌ زاكية، وهان كلّ غالٍ في سبيل الله تعالى.

لقد كانت المأساة تفيء بظلالها على الركب الحسيني، منذ خروجه من مكّة وانتهاءً بعودة السبايا، مأساة تتحرّك على الأرض، وتنطق بما يعجز عنه اللسان، وتشرح دناءة الإنسان حين يتجرّد من حقيقته، وفي المقابل نرى أنّ هذه المأساة لامست الفطرة الإنسانية في أسمى معانيها؛ لتغدو تلك الدماء دماء البشرية، تتحد معها وتتجاوز اختلافاتها، وتُعبّد الطريق لنهضة الإنسان، بما قدّمته من قيمٍ متعالية.

---

(١) باحث إسلامي.

## تحول المأساة من أفق محدود إلى قضية عالمية

إنَّ المأساة والمظلومية الحقّة دائماً ما لا تقف عند حدود مكانها ولا زمانها، بل لها القدرة الكامنة لتصل إلى أبعد مدى يمكن أن تصل إليه، وهو أمرٌ حريٌّ بالتدبّر؛ فمن المؤكّد أنّ للمأساة انطلاقتين: انطلاقة في زمانها التي تتعرّض من خلاله للصعوبات، والنفي الدائم، والمظلومية، وتنتهي دائماً بخسران كثير من أفراد الثّورة، إلّا أنّ الانطلاقة الثّانية هي الكفيلة بإحياء الأولى وإعادتها إلى الواجهة، حين تتحوّل إلى قضية إنسانية، فتصيرُ قضيةً عامّةً تتبناها البشريّة بمختلف قومياتها وأطباعها وديانيتها، فتحوّل من إطارها المحدود إلى قضية عالمية.

ودون السّبر العميق للتّاريخ، والبحث في أغواره عن مثل هذا التحوّل من الأفق الضيّق إلى العالمية، فإنّ الواقع القريب الذي نعيشه شهد مثل هذا الأمر؛ فقد تعاطف العالم مع مأساة الزعيم الهنديّ غاندي، وما لاقاه من ألمٍ وعذاب، حتى صار العالم مترقّباً لأيّ أمرٍ يصدرُ منه؛ ليكون قضية عامّة تتبناها الإنسانيّة، ناهيك عن شعبه.

وقد شكّلت قضية مانديلا رأياً عاماً، فكانت مأساته أشبه بالمأساة للإنسانيّة جمعاء، وأشخاص آخرون، بل هناك مأساة شعوبٍ صارت حديث الإنسانيّة كلّها، كالشعب الفيتنامي وغيره، ناهيك عن الشعوب الإسلاميّة.

وليس التّركيز على مثل هؤلاء الأشخاص للتّرويج لهم، بل لبيان أمرٍ مهم، وهو أنّ الإنسانيّة المستيقظة تُلغي الفوارق الدنيّة والطبقيّة والقوميّة؛ للتواصل عبر لغة إنسانيّة، فليس غاندي ولا مانديلا ولا غيرهما بمسلمين أبداً، إلّا أنّ مراجعةً بسيطةً لتلك الحُقبه تجد أنّ الإنسان المسلم تأثر بها، ونادى بالخلاص لأفرادها، وتحمل أعباء الدّفاع عنها.

إنّ عالمية المأساة ليست إلّا دغدغةً لمشاعر الإنسان، حين لا يكون هناك جامعٌ



مع الإنسان الآخر إلا الإنسانية وحدها، وهنا لا بدّ من ملاحظة: إذ لا يعني ذلك نبد كل مشترك بين الإنسان والإنسان الآخر، والتواصل معه عبر الإنسانية وحدها، فللدين موقعية في نفس الأفراد، تجعل الانجذاب للآخر المشترك معه في ذلك الدين أقوى حراكاً وفاعلية، فالأخوة في الدين هي أسمى أخوة يمكن أن تحرك الإنسان تجاه أخيه الإنسان، والدين أقدر على تحريك الإنسان تجاه الآخر؛ لأنه يجد نفسه مسؤولاً عن مناصرة الحق، غير أن الرابطة الإنساني لا يمكن أن يحده دين، وهو ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام: «فإتهم [الناس] صنغان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق»<sup>(١)</sup>.

لقد أثبتت المأساة قدرتها على تحريك الإنسان ليتجاوب معها تجاوباً فاعلاً، فتتحول المأساة من أفقها الضيق إلى قضية عالمية، هذا الأمر ينطبق على كربلاء وأحداثها، والمظلومية التي وقعت على أهلها، حيث بدت صحراء كربلاء لغة خضراء، تتناقلها الأفلام والألسن بمختلف قومياتها وطوائفها ودياناتها، لتغدو مأساة إنسانية عالمية، بعد أن كانت حكراً على تلك البقعة الرمضاء النائية، وهو ما نتحدث عنه وعن أسبابه لاحقاً.

### كربلاء وصور المأساة (غياب الإنسانية)

لا بدّ قبل العرض لصور المأساة والمظلومية في كربلاء أن نتطرّق للحديث عن الإنسانية بادئ الأمر، فليست مأساة الحسين عليه السلام إلا جزءاً من غياب الإنسانية آنذاك. لم تُعرّف كلمة (إنسانية) تعريفاً محدداً خلال تاريخ المعرفة البشرية، فقد أخذت معانٍ متعددة في كلّ زمان، فهناك من يعرفها باعتبارها حركة سياسية أو اجتماعية أو فلسفية.

(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ج ٣، ص ٨٤.

وآخر يعتبرها نزعاً لتخليد الإنسان وتقديسه؛ لما له من قيمٍ يمتاز بها عن باقي الموجودات.

وهناك مَنْ يسم بها نوعاً من المعارف، وهي التي تُعرف في زماننا بـ(العلوم الإنسانية).  
إلا أن الجميع متفقٌ على أمرٍ، وهو وجود أبعاد وقيم داخل البنية الذهنية للإنسان، تجعل منه مخلوقاً متفرداً عن باقي المخلوقات، هذه القيم والمبادئ هي محصلة الذهن البشري وتفاعله مع واقعه؛ لينتج سلوكاً يُعبّر عن هذا الفكر.

فكثيرٌ ما يصف البشر أمراً معيَّناً بأنه إنساني، حتى دون أن يفكر في سرّ هذه الكلمة، ولمْ انسبقت إلى اللسان دون غيرها؟ وليس ذلك إلا لأنّ الإنسانية تُولد مع الفرد، وتنمو بنموّه، فتتصاعد مع تصاعد المعرفة والتسامي، وتنحدر بانحدارهما.

وهنا لا بدّ من الالتفات إلى أنّ الإنسانية جزءٌ لا يتجزأ من فطرة الإنسان، ولا تعني الفطرة إلاّ الحيثية التي خُلِقَ الإنسان عليها، دون التدخّل ببراءة وصفاء هذه الفطرة بدايةً، ولكن قد يطرأ عليها طارئٌ أو تربيةٌ محدّدة لتنزع عنها نقاءها، وهو ما سيأتي الحديث عنه.

إلا أنّ هناك تساؤلاً لا بدّ من الإجابة عنه: ما أسباب غياب الإنسانية؟  
هناك عوامل عديدة تؤدّي لبروز أو ضمور الإنسانية طرداً أو عكساً في الفرد أو المجتمع، نذكر منها:

أولاً: تُساهم التربية والبيئة الاجتماعية للإنسان في بروز الإنسانية أو ضمورها، يُضاف إلى ذلك البُعد الديني الذي يخلق عند الإنسان طرداً حافزاً للتعامل بإنسانية أكبر؛ لما يُوجده من محفّزات وارتباط بالله تعالى، فالمجتمع الذي يعيش أفرادُه حالة من الانفصال والمخاصمة لا يمكن أن ترجو منه إنسانية كبيرة، والبيئة التي يسيطر عليها البُعد الدنيوي والسعي وراء الملذّات الفردية - أيّاً كان السبيل لها - لا يسع أفرادها

التعامل بإنسانية.

ثانياً: الخوف؛ فإن استشعار الخوف عند الإنسان يُفقدته كثيراً من إرادته وقوته التي أودعها الله فيه، فيعيش مواكباً لخوفه، مجاناً لأي عمل يمكن أن يُوقعه فيما يخاف ويحذر، حتى وإن نازعته نفسه للتحرك نحو عملٍ ما، إلا أن خوفه يسبق عزمه فهو يتناسب عكساً مع الحالة الإنسانية.

ثالثاً: اللامبالاة، وهو شعور يُفقد الإنسان الإحساس بالغير، ولا يعنيه الآخر بشيء، سواء أكان في فرحه أم حزنه، وهذا الإنسان يعيش حالة الأناية تجاه المجتمع وأفراده؛ ولذا فإنه لا يمكن أن تحرك إنسانيته أيّ المواقف، حتى وإن عاش التأنيب في بعض الفترات، إلا أن هذه الصيحة الدّاخلية تحبو فتحبو معها إنسانيته.

ولو عدنا إلى كربلاء الحسين عليه السلام لوجدنا المجتمع المفكك الذي لا يعرف فيه الفرد المسلم عن مصائب أخيه المسلم في البقاع الأخرى شيئاً، ومن ثمّ فإنّ أفراده بين خائفٍ من بطش السلطة يفضّل الحياة مع الذلّ والهوان، وآخر لا يُبالي فيكرّر مقولة: (ما لنا والدخول بين السلاطين). فينظر إلى الجميع بعينٍ واحدة، المظلوم والظالم، الثائر والسلطان الجائر، وليس هذا في حقيقته إلا جزءاً من غياب الإنسانية وضمورها، إن الجيش الذي نادى الحسين عليه السلام أفراده طالبهم أن يكونوا أحراراً فقط، ولم يطلب منهم أن يكونوا غير ذلك؛ لأنّ الحاجة إلى الحرية لا تكون مع غياب الإنسانية، حين لا يستشعر الإنسان وجوده وقيمه ومبادئه خوفاً أو طمعاً؛ ولذا شهدت كربلاء صوراً للمأساة والمظلومية والاعتداء على نفرٍ قليل، رُوّع بهم أشد الترويع، وسبقوا إلى الموت بمرارة وألم، لتكون جبهة الأعداء في كربلاء عنواناً بارزاً لغياب الإنسانية.

ومن هذه المأساة نذكر صورتين:

الصورة الأولى: فنأدى: يا قوم، قتلتم أنصاري وأولادي، وما بقي غير هذا الطفل،

إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل، لقد جفّ اللبن في صدر أمّه. فرماه حرملته بسهم فوقع في نحره، فذبحه من الوريد إلى الوريد، فوضع الحسين كفيه تحت نحر الطفل، فلما امتلأت دماً رمى به إلى السماء، وقال: هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله، اللهم لا يكوننّ طفلي هذا أهون عليك من فصيل ناقة صالح<sup>(١)</sup>.

هذه الصورة لها ثلاثة مضامين:

١- إنّ الطفل يصارع الموت بالعطش.

٢- يُزاد على عطشه سهم يشارك الظمأ في قتل هذا الطفل.

٣- كلّ هذه المأساة والطفل بين يدي الحسين عليه السلام يتحسّس عطشه، والسهم في نحره، وشهقة الغياب، صورة كافية لفضح السلطات الحاكمة آنذاك، وبيان لغياب إنسانيتها. كثيراً ما تقع الحروب والويلات والظلم على مختلف الأماكن والأفراد، إلّا أنّ أكثر ما يهزّ الضمير الإنساني هو مقتل الأطفال؛ إذ لا يمكن أن يُدانوا بشيء؛ ولذا سريعاً ما توصف مثل هذه الجرائم - التي تقع على الأطفال والصغار - بالجرائم ضدّ الإنسانية، ففي كربلاء كان للطفولة نصيب ممّا نال أهليهم من المأساة والظلم وبأبشع صور المعاناة، التي بقيت شاخصه كوصمة عار في جبين التاريخ حين تُدكّر تلك الملحمة الخالدة.

الصورة لعبد الله الرضيع طفلاً بعدُ في المهد، يستسقي أبوه القوم له، فتأبى تلك النفوس الخالية من الرحمة أن تتجرّد عن أحقادها وتتناسى اختلافاتها، لتصوغ صورة إنسانية كان بالإمكان أن تبيّض وجوههم في صفحات التاريخ، إلّا أنّ شيئاً من ذلك لم يحدث، إلى أن نال الطفل الموت.

الصورة الثانية: وتسبق القوم على نهب بيوت آل الرسول، وقرّة عين الزهراء البتول، حتّى جعلوا ينتزعون ملحفة المرأة عن ظهرها، وخرجن بنات رسول الله صلّى الله عليه وآله

(١) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥، ص ٤٦.

وحريمه يتساعدن على البكاء، ويندبن لفراق الحماة والأحباء<sup>(١)</sup>.

هذه الصورة في كربلاء بقيت لمئات السنين تؤرِّق أهل البيت عليهم السلام، فما من إمامٍ إلا وقد أحسَّ بمرارة إيذاء النساء وسلهبنَّ، ومن ثمَّ سبيهنَّ.

وهنا سؤال يُطرح أمام هذه الصورة: هل كان هناك من حاجة لنهب الخيام؟

لقد كان المخيم في صحراء مكشوفة، ولم يُنشأ ليكون دار مقام، خيامٌ تضم بين جنباتها أسرة رسول الله صلى الله عليه وآله، تحضن الواحدة منهنَّ أختها وتصبرها ليس إلا، وكان ذلك معلوماً وليس بالأمر الخفي، إلا أن الدناءة تصل بالبشر ليتخلى عن كلِّ قيمه ومبادئه، فيتحوّل إلى مخلوقٍ متوحشٍ، يتجاوز حدود دينه وأخلاقه وإنسانيته.

لم يكن من حاجة لنهب المخيم؛ إذ لا يضمُّ رجالاً متخفين ولا هارين، فقد عُرِفَ عن أهل بيت الحسين عليه السلام وصحبه الشجاعة العظيمة، وليس في المخيم ذاك الكنز العظيم لينهال الجيش عليه كما لو أنّ غنائم حرب تنتظرهم، لم يكن نهب المخيم وحرقه إلا غياب الإنسانية في أعماق ذلك الجيش، وكان بالإمكان أن تُسجّل في صفحات التاريخ منقبة تُنبئنا بأنّ الجيش لم يقترب من المخيم، ولم يروّع النساء، إلا أنّ الإنسانية المفقودة أضاعت أيّ فرصة، لتبدو تلك الحقبة من التاريخ أحسنَ ممّا هي عليه.

لقد عرفت كربلاء كثيراً من الصّور المأساوية، بل هي المأساة في أبرز تجلياتها، فقتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله واحتزّ رأسه، وصرع أصحابه وأهل بيته، ولكن لا يسع البحث أن يُحيط بهذه المأساة بصورة كاملة، ولا تسعها مجلدات ضخمة أيضاً.

## كربلاء من غياب الإنسانية إلى التواصل الإنساني

شهدت كربلاء غياب الإنسانية في تلك اللحظة التي لم تستجب الأمة لنداء

(١) أنظر: ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٧٧.

الحسين عليه السلام؛ كما يخلّصها من هوانها والذلّ الذي تُكابده، فعاشت بين خائفةٍ وغير مبالية، حينها واجه المولى أعتى ظلم آنذاك، وانتهت كربلاء بغروب الشمس لتُعلن فجيعَةً عَظْمَى.

إلا أنّ اللحظة التي غيّبت الحسين عليه السلام بفعل وحشيتها، خلقت نهضةً إنسانيةً أخرى، فقد أورق دم الحسين عليه السلام لتنتصر مبادئه الدينية والإنسانية، وتستشعر الأمة فداحةً تحاذلها، وعدم وعيها لأهداف الثورة الحسينية.

كانت المبادئ الدينية التي نادى بها الحسين عليه السلام تحمل في طياتها الإنسانية بأسمى معانيها؛ ذلك لأنّها التشريع الإلهي بحدّ ذاته، فليست الزكاة إلّا نوعاً من الإنسانية للتواصل مع الآخر المعدّم، وليس الأمر بالمعروف إلّا لصالح المجتمع، فتسمو قيمه على منفعته وشهوته، وغير ذلك من الأهداف البارزة في الخطاب الحسيني.

لقد تتالت الثورات المنادية بالثأر للمولى أبي عبد الله عليه السلام، بعد أن بلغت القلوب الحناجر، فتورة التوابين، وثورة المختار، وثورة زيد الشهيد.

«انهزم<sup>(١)</sup> الحسين في كربلاء، وأصيب هو وذووه من بعده، ولكنّه ترك الدعوة التي قام بها مُلُك العباسيين والفاطميين، وتعلّل بها أناس من الأيوبيين والعثمانيين، واستظلّ بها الملوك والأمراء بين العرب والفرس والهنود، ومثّل للناس في حلّةٍ من النور تخشع لها الأبصار، وباء بالفخر الذي لا فخر مثله في تواريخ بني الإنسان، غير مستثنى منهم عربي ولا أعجمي، ولا قديم ولا حديث»<sup>(٢)</sup>.

(١) الانهزام الذي يقصده العقّاد الانهزام العسكري لا غير، فإنّه أوضح في موضع آخر من الكتاب أنّ الحسين عليه السلام انتصر؛ لأنّه استطاع أن يبقى خالداً على الدوام، واستطاعت مبادئه أن تجد لها أرضيةً خصبةً للتحرّك الثوري، وحتى غير المتزمين بخطّه استطاعوا أن يشكّلوا باسمه حكومات كبيرة، كالعباسيين وغيرهم.

(٢) العقّاد، عباس محمود، الحسين عليه السلام أبو الشهداء: ص ١٩٤.

واستمرّت الثورات - إلى عصرنا الحاضر - مستمّدة من الحسين عليه السلام ونهضته القوّة في مواجهة الاستكبار الجديد.

إلا أنّ السؤال الذي يُطرح هو: ما الدافع الذي يجعل كثيراً من البشريّة تتعاطف مع الملحمة الحسينيّة؟

يبحث علماء الدّين والمجتمع في مسألةٍ مهمّة، وهي الفطرة الإنسانيّة، فإنّ هذه الفطرة المودعة في الإنسان تُخلَق بنحوٍ سليم صافٍ، وعلى إثرها يمكنه أن يتجاوب مع أيّ مسألة تناغم هذه الفطرة، فالإنسان جُبل على حُبّ الخير، وهو ما عبّر عنه القرآن: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَىٰ خَيْرٍ﴾<sup>(١)</sup>.

هذه الفطرة التي يمكنها أن تميّز الصحيح من الخطأ، وأن تتفاعل مع ما يقارنها دون عناءٍ بالغ، فإنّها تتجاوب مع المظلوم، وترفض الظلم، وترى في الكذب قُبْحاً، وغير ذلك من الإدراكات البديهية، التي تنسب إلى النفس بموجب الفطرة السليمة، وهي ذاتها التي تدفع الإنسان للبحث عن الخالق، وتصديق رسل الله تبارك وتعالى.

إلا أنّ هذه الفطرة يمكن أن تُغَطَّى بحُجبٍ تُزيل صفاءها، فلا يمكن المراهنة على فطرة الإنسان حينئذٍ، بيد أنّ القدرة التي جعلها الله في هذه الفطرة على تجديد نفسها، والعودة بالإنسان إلى صفائه - وإن كان في درجات أقل - يمكن حينئذٍ أن تتجاوب بنحوٍ إيجابي مع قضايا الإنسانية والتشريعات والمرسلين.

إنّ التّعاطف مع القضية الحسينيّة لا يحتاج إلاّ لبعض الصفاء في الفطرة؛ لتدرك عظمة ذاك المشهد المأساوي في عرصات كربلاء، حيث الحشود البشرية التي تتكالب على خيام أسرةٍ ضعيفةٍ قُتِل أهلؤها، أو التكاثر على عدد قليل من الرجال ليقتلوهم بمنظرٍ يفرح الجفون.

(١) الروم: آية ٣٠.

بل إنَّ مأساةً أقلَّ شأنًا من كربلاء يمكن أن تُثير هذه الفطرة لتستنكر الفعل الشنيع، وتقف في صف المظلوم وتُطالب بنصرته، وتحمل أعباء الدفاع عنه، ولا تحتاج الفطرة السليمة أو التي تؤوب إلى رُشدها لمثل هذه المصائب لتميل، بل إنَّ ظلمًا يقع على فردٍ معيَّن يمكن أن يحرك فطرة الإنسان وإنسانيَّته.

من هنا؛ كان الحسَّ الإنساني والفطرة السليمة للبشرية لها الدور الكبير في الاندفاع نحو القضية الحسينية، حتى أصبحت قضيةً إنسانيةً، بغضَّ النظر عن الأديان والقوميات، وليس الكلام مصادرة؛ فإنَّ الواقع يشهد بمثل هذا الانجذاب، فقد شهد كثيرون احتفاء الصابئة بيوم عاشوراء، وإلغاء أعياد النصارى احتراماً ليوم عاشوراء، ناهيك عن الجهد المعرفي والأدبي في عاشوراء، وهو ما سنبيِّنه لاحقاً.

الفطرة الإنسانية السليمة وحدها تشدُّ لذلك المنظر الشاخص في أعماق التاريخ الحيِّ على الدوام، كما تنجذب الفطرة لأيِّ مظلوم، ولأيِّ كلمة حقٍّ، فكيف لو كانت مظلومية ندر أن يشهد التاريخ مثلها؟!

إنَّ غياب الإنسانية في كربلاء استحال فيما بعدُ انتقاماً للمظلومين؛ لأنَّ الإنسانية لا بدَّ أن تستيقظ مهما خبا نجمها، لتقف وقفة حقٍّ، كما هو الحال مع الملحمة الحسينية. وقد أكّدت «التجارب في المجتمعات البشرية المختلفة أيضاً أنَّ جميع الناس ميَّالون إلى النداء الإلهي، والصوت الثوري التحرري، المدافع عن الحقِّ والعدالة، والمنتصر للمظلومين، والثائر ضدَّ الظلم والضلالة، والموافق للفطرة السليمة... فال مسار العامِّ للبشرية إذن - على الرغم من التسلُّط الصوري للمستبدين الفاسدين - هو في الحقيقة حركة في خطِّ النهضة الحسينية؛ إذ هو مسار في خطِّ العقل والمبدأ الإلهي، والدفاع عن العدالة والحقيقة»<sup>(١)</sup>.

(١) الفرحي، علي الحسيني، النهضة الحسينية دراسة وتحليل: ص ٥٧٩.



كُلُّ ذَلِكَ يُؤَكِّدُ أَنَّ ظَاهِرَةَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَمْ تَكُنْ ظَاهِرَةً إِسْلَامِيَّةً فَقَطْ، وَإِنَّمَا كَانَتْ نَمُودَجًا إِنْسَانِيًّا تَعَاظَفَتْ مَعَهُ كُلُّ الْقُلُوبِ الْخَيْرَةِ، الطَّامِحَةِ إِلَى الْحُرِيَّةِ وَالْإِنْعِتَاقِ، وَإِلَى الْارْتِقَاءِ بِكَرَامَةِ الْإِنْسَانِ وَأَدَمِيَّتِهِ، مَا يُؤَكِّدُ كُلَّ ذَلِكَ التَّعَاظُفَ الْكَبِيرَ الَّذِي حَظَّتْ بِهِ وَاقِعَةُ الطُّفْلِ، وَرَدُودُ الْأَفْعَالِ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، الَّتِي شَهِدَهَا الْمَجْتَمَعُ عَلَى أَكْثَرِ مَنْ صَعِيدَ؛ وَلِذَلِكَ رَكَّزَ أَهْلَ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فِي تَجْدِيرِ الْمَأْسَاةِ وَتَعْمِيقِهَا؛ لِأَنَّهَا أَقْدَرُ عَلَى جَذْبِ الْأُمَّةِ<sup>(١)</sup>.

### شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) عامل لصناعة الثورات

لقد عاشت القضية الحسينية على مدى قرونٍ مديدةٍ مصدرَ إشعاعٍ للعديد من ثورات وحركات العالم الإسلامي وغيرها، فقد كانت المبادئ التي تحملها كربلاء ذات دلالات يمكن الارتكاز عليها، والأخذ منها لعدة أسبابٍ وقوانين رسمتها الثورة آنذاك؛ فقد أكدت على أنَّ الدَّمَّ أقوى من السِّيفِ، وأنَّ الإرادة الصادقة للأفراد يمكن أن تُحرِّكَ مجتمعاً يعيش الانهزام، وليس المهم أن يعيش جيلُ الثورة نَشْوَةَ الانتصار الآني، بل النَّصْرُ هو ما يحقِّقه الحِراكُ من نتائجٍ مرجوةٍ في زمنٍ لاحقٍ، ولا يمكن أن تكون الثورة دونَ تضحياتٍ جسيمةٍ يُقدِّمها أفراداً أو مجتمعٌ؛ بغيةٍ تصحيح مسار مجتمعٍ آخر لاحقٍ، وغير ذلك من المبادئ الأخلاقية والدينية لكربلاء الحسين (عليه السلام).

إلا أنَّ السُّؤالَ الذي يمكن أن يُثارَ في هذا الصِّدد: هل شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) ومأساته الخالدة لو حدها كافية لصنع ثورات، أم أنَّ كربلاء بمختلف عواملها وحيثياتها، والآلام والمآسي التي وقعت فيها، شكَّلت مجموعة متكاملة؛ لتكون منطلقاً للعديد من الثورات؟

(١) أنظر: في هذا الصدد: البخاتي، د. حاتم، مجلَّة الإصلاح الحسيني: العدد ٣، ص ٥٠، سنة ٢٠١٣م، مقالاً بعنوان: (النهضة الحسينية بين انتكاسة الأمة وإيقاظها).

بطبيعة الحال، فإنَّ نجاح أيِّ ثورة قائم بالقائد والعناصر الثورية الأخرى التي تكون معه، فلا نجاح لثورة دون قيادة، ولا قوَّة للقيادة دون عناصرها الثورية الباقية، وهو أمرٌ بيّن وواضح، بمختلف أنواع الثورات والقيادات، وضمن هذا المخطَّط الطبيعي، فإنَّ شخصية القائد لوحده لا تكفي لأن تكون السبيل في نجاح ثورة، ومن ثمَّ ليس لها قوة تأثير بمفردها على عناصرٍ أخرى تسعى لإقامة ثورة.

إلا أنَّ farkاً كبيراً بين الشخصيات الرسالية التي تسعى للربط بين الجنبه الإلهية والدينيوية في حراكها، وبين أخرى تنظر للعدالة الاجتماعية في الدنيا لا غير، هنا يكون البون واسعاً بين القيادتين؛ باعتبار الأولى تجد شرعيتها من السماء، والأخرى لا تبحث إلا عن عدالة أرضية، هذا التمايز يعكس تمايزاً في البنية النفسية والاجتماعية والمعرفية لكلِّ من الشخصين، ولا جرَم أنَّ القائد الرسالي قائد يمتلك الصفات التي تحوِّله بذاته أن يصنع farkاً كبيراً في التاريخ والمجتمع والرسالة، وتكون الأنظار متَّجهة نحوه؛ باعتباره كياناً منفرداً يُشكِّل أمة في ذاته وحركه، ويكون لفرحه أثرٌ على المجتمع، وكذلك لمأساته، فإنَّ له القدرة على إيجاد وصنع حراكٍ ثوري مستمرٍّ، بفعل القوة الرسالية والكيان النفسي الذي يحمله بين جنبات صدره، وهو لا شكَّ خطَّ الأنبياء والرساليين، وقد صرَّح القرآن بأمثال هؤلاء الأشخاص الذين يشكِّلون بأنفسهم ثقلاً يعدل أمة، فقال: ﴿إِنَّ إِيْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾<sup>(١)</sup>.

وهنا يمكن إعادة السؤال مرَّة أخرى: هل تكفي شخصية المولى أبي عبد الله عليه السلام ومأساته فقط لتحريك الشعوب والثورات، أو تحتاج لضميمة كربلاء وأحداثها؛ ليشكِّلا معاً عنصر إحياءٍ ثوري على مدى العصور والأجيال؟

ترتكز الإجابة عن هذا التساؤل من خلال النظر إلى شخصية المولى أبي عبد الله عليه السلام،

(١) النحل: آية ١٢٠.

وما تمثله من أبعاد رسالية، مع الإيمان بأن ما حمله من تحرك ضد النظام القائم، والفساد المتمثل بالخطأ الأموي آنذاك كان تحركاً رسالياً، يمتدّ عبر سلسلة طويلة، تربطه بخطى الأنبياء، ومدى الالتزام بشريعة السماء، «لقد نثار الحسين عليه السلام من أجل أن يرفع الراية التي حملها رواد التوحيد، منذ انطلاقة التاريخ البشري، وتوارثها أنبياء الحقّ العظام، منذ آدم عليه السلام حتى وصلت بيد نبي الإسلام آخر الأنبياء، ومن ثمّ بيد الإمام علي والحسن، نثار ليرفع هذا اللواء عالياً خفاقاً في تاريخ الإنسان»<sup>(١)</sup>.

لقد عاش الحسين عليه السلام مكرساً حياته في سبيل هذا الهدف الإلهي، وهو حفظ الخطّ النبوي، وكان له من الثقل ما يساعد في القيام بعدة تحركات للكشف عن البنية الفاسدة داخل المجتمع ومحاربتها، وكان لثورته الأثر الواضح في الحفاظ على المجتمع، وخلق القدرة داخله على النهوض أمام عوائق الخطّ الشيطاني، إلا أنّ ما يجب ملاحظته أنّه لو لا شخصية الحسين عليه السلام لما تحقّق النجاح الذي تحقّق معه عليه السلام، فالذات الرسالية التي يحملها خلقت من وجوده ثورةً يُخشى منها، وفي كلّ كلمة يتفوّه بها عنصر إحياء ومعارضة للمنهج الآخر.

لقد كانت شخصية الحسين عليه السلام - بغضّ النظر عن بقية العوامل - شخصية تستطيع أن تُحقّق أهدافها المنشودة؛ كلّ ذلك لأنّها الشخصية الرسالية التي تتحمّل أعباء التكليف الإلهي بقوة، كما تحمّلها من قبل ذلك أنبياء سبقوه، كإبراهيم عليه السلام، ويحيى عليه السلام، ومحمد ﷺ، وغيرهم من الأنبياء.

إنّ الشخصية الرسالية هي من تصنع الحدث، وهي من تجعله خالداً، ومن خلالها يرتفع ما يلحق بها، ولولاها لما كان للحدث ولا لأشخاصه بروزٌ يُذكر.

وبناءً على ذلك، فشخصية الحسين عليه السلام لها القدرة - دون بقية العوامل - في أن تكون موضع القدوة، ولها القدرة على صنع ثورات كبيرة في العالم، لقد كان الحسين عليه السلام -

(١) شريعتي، علي، الحسين عليه السلام وارث آدم، ترجمة: د. إبراهيم دسوقي شتا: ص ٢٨٨.

بها يملكه من ثباتٍ وتحديٍّ - موضع إعجابٍ كثيرٍ من الثورات في العالم؛ لأنَّ شخصه يستطيع التغلغل داخل النفوس البشرية النائرة.

الحسين عليه السلام هو مَنْ صنع كربلاء، ومن خلاله صار لها ذكر، ولو قُدِّر أن تكون هناك ثورةٌ في كربلاء من غير الحسين عليه السلام لما كان لها هذا الشأن الذي هي عليه اليوم، وكل ذلك بفضل الروح السامية للمولى أبي عبد الله عليه السلام.

بطبيعة الحال، لا يمكن أن ننكر أنَّ أحداث كربلاء مجتمعةً تساهم أكبر الإسهام أيضاً في صنع ثورات تحثني حذوها، فالظلم والمعاناة والوحشية الواضحة تحرك الفطرة الإنسانية لاتخاذ موقف من كل ذلك، والاستزادة من تلك الواقعة؛ لمعرفة سبل انتصار المظلوم على الظالم، إلا أن كل ذلك إنما اعتمد على وجود شخصية عظيمة، تمتلك من الإيمان والإمداد السهوي ما لا تملكه شخصية أخرى، هذه الذات المتفانية في سبيل المشروع الربّاني، إنّه المولى أبو عبد الله عليه السلام.

### المأساة والمظلومية في كربلاء والأدب العالمي

لم تقف المأساة والمظلومية عند حدود الحراك الثوري، بل رافق هذا الحراك حراكٌ معرفيٌّ أدبيٌّ، فقد وجد الكثير من أدباء العالم بمختلف قومياتهم وأديانهم في الحسين عليه السلام محوراً مهماً في البيئة المعرفية والأدبية، يمكن من خلالها إسراع صوت المظلوم، والمناداة بالقيم الرصينة للنهضة الحسينية.

فقد عرف الشعر والأدب منذ القرن الهجري الأول<sup>(١)</sup> محوراً هاماً وهو كربلاء وصولاً إلى الحاضر، ويمكن القول: بأنّه ما من موضوعٍ في الأدب أخذ حيزاً واهتماماً كبيراً كما هي القضية الحسينية ومأساة كربلاء.

(١) يمكن في هذا الصدد مراجعة موسوعة أدب الطف (شعراء الحسين من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر)، جواد شبر.

خلال هذا الأمد كان الشعر قد استوفى جُلَّ ما وقع على آل البيت عليهم السلام من أسي، ولم يقتصر الشعر على الفصيح منه، بل كانت كل ملة تصدح بلهجتها شعراً في الحسين عليه السلام.  
 أمّا عالم التحليل في طيات كربلاء، فإنّه ليس بأقلّ من الشعر، فقد عرفت المكتبة الإسلامية والعالمية أسفاراً عديدة تتناول جوانب كربلاء، بدءاً من الخروج ونهاية المأساة الخالدة، هذا العرض المعرفي اشتركت البشرية بمختلف أديانها في صنعه وإظهار عظمة الحسين عليه السلام من جانب، ومأساته من جانبٍ آخر، فتحرّك النصارى، والبوذ، والصابئة، ناهيك عن بقية مذاهب المسلمين، لأجل القضية الحسينية؛ لأنها قضية إنسانية أولاً وأخيراً.

ولم تقف عالمية المأساة عند الشعر والمعرفة، بل سلكت مسالك أخرى في الأدب، فراحت تصوغ أكفّ الأدباء مسرحيات<sup>(١)</sup>، تحكي وتصور واقعة كربلاء.  
 بطبيعة الحال، لا يمكن للبحث أن يستوعب الجهد الأدبي والمعرفي المنتج في سبيل مأساة كربلاء، إلا أننا نختار بعض المقاطع الشعرية، وأخرى مقولات في الحسين عليه السلام وثورته الخالدة.

أمّا في الشعر، فقد قال أحمد شوقي العديد من الأبيات في الحسين عليه السلام، إلا أنّ أجملها ما يُعبر بها عن ظلم الأمويين وبطشهم، وتخاذل المجتمع مع نصرته الحسين عليه السلام، فقال:

وأنت إذا ما ذكرت الحسين	تصامت لا جاهلاً موضعه
أحبّ الحسين ولكنني	لساني عليه وقلبي معه
حبست لساني عن مدحه	حذار أُميّة أن تقطعه <sup>(٢)</sup>

(١) يمكن في هذا الصدد مراجعة مسرحية: الحسين مسرحية تراجمية في ثلاثة فصول، وليد فاضل، دار الغدير، ١٩٩٨ م. ورواية عادة كربلاء، لجورجي زيدان.

(٢) جواد شبر، أدب الطف: ج ٩، ص ١٤٠.

وللشاعر (بولس سلامة) قصائد عديدة في الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، ومنها:

دُمُّكَ السَّمْحُ يَا حَسِينَ ضِيَاءٌ      فِي الدِّيَاجِيرِ يَلْهَمُ الشُّعْرَاءَ  
أَيُّ فَضْلٍ لَشَاعِرٍ مِنْكَ يَعْتَا      مُمُّ اللَّالِي يَصُوغُ مِنْهَا رِثَاءً  
شَاعِرٌ مَقْعَدٌ جَرِيحٌ مَهِيضٌ      كُلُّ أَيَّامِهِ غَدَتْ كَرْبَلَاءً<sup>(١)</sup>

وفي هذا الصدد نذكر أبياتاً لـ (عبد الرزاق عبد الواحد) في تعظيم الحسين عليه السلام،

وتخليد مظلوميته:

لَقَدْ قَلَّتْ لِلنَّفْسِ هَذَا طَرِيقُكَ      لَاقِي بِهِ الْمَوْتَ كِي تَسْلَمِي  
وَحُضَّتْ وَقَدْ ضُفِرَ الْمَوْتُ ضَفْرًا      فَمَا فِيهِ لِلرُّوحِ مِنْ مَخْرَمِ  
وَمَا دَارَ حَوْلَكَ بَلْ أَنْتَ دُرَّتْ      عَلَى الْمَوْتِ فِي زَرْدٍ مُحْكَمِ  
مِنَ الرَّفْضِ وَالْكَبْرِيَاءِ الْعَظِيمَةِ      حَتَّى بَصَّرْتَ وَحَتَّى عَمِي  
فَمَسَّكَ مِنْ دُونَ قَصْدِ فِاتٍ      وَأَبْقَاكَ نَجْمًا مِنَ الْأَنْجَمِ<sup>(٢)</sup>!

أمّا فيما يخصّ الدائرة العالمية فيما قيل في الإمام الحسين عليه السلام فنذكر منهم:

١- المستشرق إدوارد براون: وهل ثمة قلب لا يغشاه الحزن والألم، حين يسمع حديثاً عن كربلاء؟! وحتى غير المسلمين لا يسعهم إنكار طهارة الروح، التي وقعت هذه المعركة في ظلّها.

٢- المؤرّخ غيبون: مأساة الحسين تتغلغل في كلّ شيء، حتى تصل إلى الأساس، وهي القصص القليلة التي لا أستطيع أن أقرأها دون أن يتتابني البكاء.

٣- المؤرّخ دوكابري: إنّ الحسين ضحّى بنفسه لصيانة شرف الإسلام، ولم يرضخ لتسلّط ونزوات يزيد، فتعالوا نتّخذة قدوةً لتتخلّص من الاستعمار، ونفضّل الموت

(١) مؤسّسة الحكمة (لندن)، علي والحسين عليهما السلام في الشعر المسيحي: ص ٢٤٣.

(٢) <http://www.yahosein.com/vb/showthread.php>

الكريم على الحياة الذليلة<sup>(١)</sup>.

لقد كانت مأساة الحسين عليه السلام سلاحاً تهاوت من خلاله عروش كثيرة، وكان مناراً  
للثوار والأدباء وأهل العلم؛ من هنا استطاعت المأساة أن تكون لغةً إنسانية تكشف عن  
مظلومية عظمى، استجابت لها الإنسانية جمعاء.

---

(١) السعيد، حسن، فاجعة الطّف (شهادات من الصّففة الأخرى): ص ١٠٤-١٠٥.





# المظلوميتي في عزة وإباء وجأخر للنصر

الشيخ إسكندر الجعفري<sup>(١)</sup>

## توطئة

كيف يمكن للمظلومية المقرونة بالعزة والإباء أن تنتصر؟ وكيف يمكن للمأساة الممزوجة بالصبر والثبات أن تكون لوناً من ألوان الغلبة والتفوق؟ وهل يمكن أن يحدث ذلك ضمن القوانين الطبيعية، أو أنه لا يكون إلا من خلال المعجزة الخارقة لنواميس الكون؟

فإذا كان أمراً ممكناً في الحسابات الطبيعية - بحيث يمكن أن يتحقق لكلّ مظلوم ينشد الانتصار على ظالمه - دَفَعْنَا ذلك لدراسة المقدمات والظروف المتكفلة لتحقيقه؛ لأننا نحتاج إلى هذا الانتصار في كلِّ زمانٍ طالما هناك ظالمٌ ومظلومٌ، وأما إذا لم يكن ممكناً، وكان تحققه ضرباً من المعجزة، علمنا أن ما صنعه الإمام الحسين عليه السلام في ملحمة التاريخية لا يمكن أن يكون إلا له، على حدِّ تعبير الشاعر:

فيا أيها الوتر في الخالدين      فذاً إلى الآن لم يُشْفَعِ

(١) باحث وكاتب إسلامي.

لأن ذلك من تدبير الله تعالى لأوليائه المخلصين، حيث يهبهم الخلود مدى العصور والدهور؛ لسر لا نعرف منه إلا ما روي عن جدّه رسول الله ﷺ عندما قال: «إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً»<sup>(١)</sup>.

إن الانتصار الذي حققه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ليس انتصاراً عسكرياً، فالغلبة كانت للجهاز الحاكم، حيث استشهد الإمام وأهل بيته وأصحابه، كما هو واضح، ولكن الجميع يتفق على انتصار الحسين عليه السلام، من المسلمين وغير المسلمين، حتى سُمّي هذا اليوم بأسماء متعددة، من قبيل: (يوم انتصار الدم على السيف) و(يوم انتصار المظلوم على الظالم) و(يوم انتصار مشروع الأمة على مشروع السلطنة) إلى غيرها من التسميات والتعابير التي تؤكد هذه الحقيقة.

ومن هنا يحقُّ لنا أن نتساءل:

إذا كان الجهاز الحاكم قد انتصر عسكرياً، وأزاح معارضة من الوجود، فكيف كان الإمام الحسين عليه السلام هو المنتصر؟

وإذا كانت الغلبة العسكرية لا تكفي لوحدها في تحقيق الانتصار فهذا يعني وجود أسباب أخرى للنصر، فما هي هذه الأسباب؟

وهل حقاً أن المظلومية المقترنة بالعزّة والإيذاء من تلك الأسباب؟. وهل مظلومية الإمام الحسين عليه السلام هي السبب المهم والبارز في حسم الملحمة لصالحه، على حدّ تعبير القائد الهندي: تعلّمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر<sup>(٢)</sup>؟

هذه الأسئلة وغيرها سنحاول - إن شاء الله - الإجابة عنها في هذا البحث، وتسليط الأضواء بشكل كبير على عامل مهم من عوامل النصر في المعارك المصيرية، وهو عامل المظلومية المقترنة بالعزّة والإيذاء.

وعليه: سيقع البحث ضمن ثلاثة محاور رئيسية:

(١) المحدث النوري، حسين، المستدرک: ج ١٠، ص ٢٣٣.

(٢) الإمام الحسين عليه السلام في الفكر الغربي، مقال منشور على شبكة الإنترنت.

الأول: مفهوم النصر والانتصار في اللغة والمنظور القرآني والإنساني.  
الثاني: المظلومية والانتصار.

الثالث: مظاهر العزة والإباء في مظلومية الحسين عليه السلام.

## المحور الأول: مفهوم النصر والانتصار في اللغة والمنظور القرآني والإنساني

إنّ مفهوم الانتصار، هو مفهوم واسع جداً، ويحتوي على شمولية كبيرة، ولأجل هذه الشمولية والسعة اختلفت أطراف النزاع!، فقال كل طرف: إني أنا المنتصر!؛ وذلك لشمولية هذه اللفظة.

ولمّا كان لها هذا الوسع، أردنا أن نبحث في مفهومها ومعناها لغةً واصطلاحاً قرآنيّاً وإنسانياً. فنقول:

### أولاً: النصر والانتصار في اللغة

إنّ الغرض من استعراض أقوال اللغويين هو الوقوف على موارد استعمال هذه اللفظة في كلام العرب؛ للاستعانة بذلك على تفسير الآيات القرآنية المتضمنة لها، فقد ذكر اللغويون عدّة معانٍ للفظّة النصر، وهي كالآتي:

١- الإعانة: فقد جاء في كتاب العين: «النصر: عونُ المظلومِ. وفي الحديث: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، وتفسيره: أن يمنعه من الظلم إن وجده ظالماً، وإن كان مظلوماً أعانه على ظالمه. والأنصار جماعة الناصر، وأنصار النبي صلى الله عليه وآله أعوانه»<sup>(١)</sup>.

وجاء في الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري في الفرق بين النصر والمعونة، أنّ: «النصر: يختص بالمعونة على الأعداء، والمعونة: عامة في كل شيء، فكل نصر معونة ولا ينعكس»<sup>(٢)</sup>.

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٧، ص١٠٨.

(٢) العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية: ص٥٤٠ (حرف النون).

إذن النصر: الإعانة على الأعداء، فيقال: أعِنَ الفقير على فقره، ولا يقال: انصره على فقره؛ لأنَّ الفقر ليس عدوًّا.

٢- العطاء: قال الجوهري في الصحاح: «والنصر: العطاء»<sup>(١)</sup>، وفي معجم مقاييس اللغة: «والنصر: العطاء»<sup>(٢)</sup>، وفي أساس البلاغة: «... ووقف السائل على قوم فقال: انصر وني نصر كم الله، يريد أعطوني أعطاكم الله»<sup>(٣)</sup>.

ويظهر من الزمخشري، أن استعمال النصر في العطاء مجاز، حيث قال: «ومن المجاز أرض منصور، و...» ثم ذكر من جملة ذلك الكلام السابق.

٣- الإتيان والإيتاء: قال ابن فارس في مقاييس اللغة: «نصر، النون والصاد والراء، أصل صحيح يدل على إتيان خير وإيتائه. ونصر الله المسلمين آتاهم الظفر على عدوهم... وأما الإتيان فالعرب تقول: نصرت بلد كذا إذا آتيته»<sup>(٤)</sup>.

٤- الانتصار من الظالم (الانتصاف والانتقام والامتناع): قال ابن منظور في لسان العرب: «وانتصر الرجل إذا امتنع من ظالمه، قال الأزهري: يكون الانتصار من الظالم الانتصاف والانتقام، وانتصر منه: انتقم»<sup>(٥)</sup>.

## ثانياً: مادة (نصر) في القرآن الكريم

لقد استعملت هذه اللفظة مع مشتقاتها في الكثير من الآيات الكريمة في معانٍ متعددة، والذي يهمننا من ذلك هو الآيات التي تتعلق ببحثنا، من قبيل:

١- ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾<sup>(٦)</sup>.

- (١) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ٢، ص ٨٢٩.
- (٢) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٤٣٥.
- (٣) الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة: ص ٩٦١.
- (٤) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٤٣٥.
- (٥) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: مادة (نصر).
- (٦) غافر: آية ٥١.

٢- ﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۗ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

٣- ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢).

٤- ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۖ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۖ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٣).

٥- ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٤)، إلى غيرها من

الآيات.

إنّ هذه الآيات - ما عدا الأولى - وإن كانت مطلقة من حيث محلّ النصر، وأنه في الدنيا، أو في الآخرة، أو في كليهما، ولكن الآية الأولى؛ قد صرّحت بذلك وأنه يكون في الدنيا والآخرة حيث قالت: ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ ليتّضح أن المقصود في بقية الآيات الأخرى هو ذلك.

وإذا رجعنا إلى المفردات التي وردت في هذه الآيات وجدناها تقول: (لننصر، نصر، لأغلبنّ، المنصورون، الغالبون). إذن توجد لفظتان: هما النصر، والغلبة.

والتأمل في هذه الآيات ومفرداتها يوصلنا إلى هذه النتائج:

١- إنّ هذه الآيات وعدّ الهيّ بالنصر والغلبة لأنبيائه وأوليائه والمؤمنين، و﴿ إِنَّ اللَّهَ

لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (٥).

٢- إنّها تصرّح بشمول هذا الوعد للمؤمنين، ولا تختص بالأنبياء، أو الأوصياء،

كما إنّها شاملة لجميع الأنبياء والمؤمنين، وليست خاصّة ببعضهم، كما هو واضح من تعابيرها.

(١) الروم: آية ٤٧.

(٢) المجادلة: آية ٢١.

(٣) الصافات: آية ١٧١ - ١٧٣.

(٤) المائدة: آية ٥٦.

(٥) آل عمران: آية ٩.

٣- إنَّها لم تقيّد النصر والغلبة بنوع خاص منه، فلم تقل: إننا لننصر رسلنا والمؤمنين في معاركهم وحروبهم الميدانية، أو إنَّ حزبنا غالبٌ دائماً في الصرعات المسلّحة، كلا، إنَّها لم تقل ذلك، بل أطلقت النصر والغلبة، وقد تقدم في البحث اللغوي أن النصر يستعمل في المعونة على الظالم، وهو مطلق أيضاً من حيث نوع المعونة، فهو شامل لجميع أشكالها. وحينئذ: فالنصر والغلبة له معنى وسيع يشمل كل ألوان وأشكال الإعانة والتأييد والدعم والإمداد، وإليك بعض تلك الألوان والأشكال:

أ) النصر والغلبة بالحجّة والبرهان، فإنَّ الله تعالى ينصر أوليائه دائماً بتلقينهم الحجّة البالغة، فهم يغلبون خصومهم بالأدلة والبراهين: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾<sup>(١)</sup>، فمن ذلك ما حصل للخليل إبراهيم عليه السلام عندما ألقم النمرود حجراً في فمه، فأعجزه عن الجواب، حيث قال تعالى - وهو يحكي قصّة المحاججة التي وقعت بينهما -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وهنا يعني أن من صور النصر والغلبة؛ النصر بالحجّة، والغلبة بالبرهان.

ب) قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْدَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبَّصُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، والمراد من (إحدى الحسنيين): إما الظفر والغنيمة، وإما الشهادة والجنة<sup>(٤)</sup>، إذن، فالشهادة ليست هزيمة، بل هي حسنى تضاهي الغلبة والظفر، ومقتضى ذلك أن المؤمن لا يُهزم أبداً

(١) الأنعام: آية ١٤٩.

(٢) البقرة: آية ٢٥٨.

(٣) التوبة: آية ٥٢.

(٤) الطبرسي، أبو علي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ٥، ص ٧٢.

ولا يخسر، فهو في نصر دائم، سواء تغلب على خصمه عسكرياً، أو لا، فإن نصره وانتصاره في دخول الجنة والفوز برضى الله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ الْعُرُورِ﴾<sup>(١)</sup>، فما تعرّض له الأنبياء والمؤمنون - على امتداد التاريخ - من الظلم والاضطهاد والقتل، ما هو إلا شكل من أشكال النصر، وهو كذلك بحسابات الله تعالى، لا بحسابات البشر، فإنّ البشر لا يرون الشهادة إلاّ فناء، ولكنها عند الله حياة متجددة.

(ج) من ألوان النصر أيضاً إهلاك الظالمين والمناوئين لحركة الأنبياء والمصلحين، يانزال العذاب عليهم ويأبدهم، كما حصل مع بعض الأنبياء، فهذا نوح عليه السلام دعا ربه ليهلك قومه بعد أن يتس من هدايتهم، وبعد أن أذاقوه شتى أنواع الظلم والأذى، وقد استجاب الله دعاءه، وانتصر له بإهلاكهم، قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ \* فدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ \* ففَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ \* وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدٍ قَدِيرٍ \* وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرَ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا \* وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ \* فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرٍ﴾<sup>(٢)</sup>، ففي هذه الآيات دعا نوح عليه السلام ربه لينتصر له من أعدائه، وقد استجاب الله دعاءه فأهلكهم، إذن، من أنواع النصر إهلاك الظالمين.

(د) ومن معاني النصر أيضاً انتصار الغاية وتحقيق الهدف، فإنّ الصراعات التي يخوضها الأنبياء وأتباعهم مع أعدائهم هي من أجل تحقيق إرادة الله في الأرض، فإذا تحققت تلك الإرادة ولو بعد حين فقد انتصر أولئك الأنبياء، حتى لو قُتلوا أو سُردوا، فإنّ الأمور بخواتيمها، فمن ذلك ما جاء في قصة أصحاب الكهف، حيث تعرّض المسيحيون في تلك الحقبة الزمنية إلى ظلم شديد، واضطهاد مرير، وقتل مُريع، وبسبب ذلك التجأ الفتية إلى

(١) آل عمران: آية ١٨٥.

(٢) القمر: آية ٩-١٦.

الكهف هروباً من بطش الجهاز الحاكم، فضرب الله على آذانهم سنين عدداً، ثم أيقظهم بعد ذلك ليُريهم ثمرات كفاحهم ونتيجة مجهودهم، وليكونوا آيةً للعالمين.

إذن، من معاني النصر انتصار الغاية والهدف وانتشار العقيدة التي يدعوا لها ذلك النبي أو ذلك المؤمن.

هذه بعض معاني النصر، وهي - كما ترى - لا تنحصر بالغلبة العسكرية والانتصار المسلح، ولعلّ المتتبع يجد غيرها من المعاني.

نعم، يمكن أن نفَسِّر (النصر) الوارد في الآيات بالنصر العسكري والغلبة المادية في ساحة المعركة، ولا يتنافى ذلك مع الآيات التي تحكي تعرّض الكثير من الأنبياء والمؤمنين للقتل والظلم والاضطهاد، وذلك بأن نقول: يمكننا أن ننظر إلى الصراع القائم بين الحق والباطل منذ عصر آدم إلى يومنا هذا كمعركة واحدة مستمرة، فتارةً تميل إلى هذا الجانب وأخرى إلى ذلك الجانب، ولكنها في نهاية المطاف ستُحسم لصالح المؤمنين للوعد الإلهي القاضي بذلك، إذ الآيات المذكورة لم تحدّد سقفاً زمنياً لهذا النصر، نعم صرّحت بأنّ الأرض ستكون لعباد الله الصالحين: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وأنّ الدين الحق سيحكم الأرض على رغم الكفار والمشركين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إذن، الآيات الكريمة تتحدث عن وعدٍ إلهي يتحقق في نهاية الصراع بين الحق والباطل.

## لِمَ تعود فائدة النصر؟

لنا أن نتساءل: لِمَ تعود فائدة النصر؟ ومن هو المنتفع بذلك؟

(١) القصص: آية ٥.

(٢) التوبة: آية ٣٣.



بكل تأكيد ليس المتنفع هو الله ﷻ؛ لأنه لا تضره المعصية، ولا تنفعه الطاعة، فإنه الغني المطلق: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾<sup>(١)</sup>، ومعه لا بد أن تعود إلى الناس، إلى أتباع الأنبياء والمرسلين، وبناءً على هذا يمكن أن نجيب عن السؤال بهذا الشكل: المنتصر هو ذلك الذي تعود الفائدة على أتباعه، وحيث إننا وجدنا أن أتباع الأنبياء والمصلحين هم المنتفعون، لسلامة الدين الواصل إليهم، عَلِمْنَا أَنَّ أَوْلِيَاءَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُصَلِّحِينَ هُمُ الَّذِينَ أَنْتَصَرُوا عَلَى أَعْدَائِهِمْ، حَتَّىٰ لَوْ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا أَوْ تَعَرَّضُوا لِلظُّلْمِ وَالْإِهَانَةِ، فَهَذَا الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ تَعَرَّضَ لِأَبْشَعِ مَجْزَرَةِ شَهْدَتِهَا الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ أَنْتَصَرَ رَغْمَ ذَلِكَ؛ لِانْتِفَاعِ النَّاسِ بِجِهَادِهِ وَتَضَحِيَّتِهِ، فَهَذَا هُوَ قَبْرُهُ أَضْحَىٰ قَبْلَةَ لِأَحْرَارِ الْعَالَمِ يَقْصِدُونَهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ لِيَسْتَلْهِمُوا مِنْهُ دُرُوسًا فِي الْإِبَاءِ، وَلِيَتَعَلَّمُوا مِنْهُ أَسَالِيبَ الثَّبَاتِ عَلَى الْمَبْدَأِ وَعَدَمِ الْمَسَاوِمَةِ مَهْمَا كَانَتِ الْمَغْرِبَاتِ.

وهذه الحقيقة بلغت حداً من الوضوح بحيث لفتت أنظار غير المسلمين، ليقفوا عندها ويسجلوا انطباعاتهم، فهذا المستشرق الألماني (كارل بروكلمان) يقول: «الحق إن مئنة الشهداء التي ماتها الحسين، قد عجّلت في التطوّر الديني لحزب علي، وجعلت من ضريح الحسين في كربلاء أقدس محجة»<sup>(٢)</sup>، ويقول المستشرق الإنكليزي (د.ج. هوكار): «دلّت صنوف الزوّار التي ترحل إلى مشهد الحسين في كربلاء والعواطف التي ما زال تؤججها في العاشر من محرم في العالم الإسلامي بأسره... كلّ هذه المظاهر استمرت لتدلّ على أنّ الموت ينفع القديسين أكثر من حياتهم مجتمعة»<sup>(٣)</sup>.

ولعلّ إلى هذا المعنى يشير الإمام زين العابدين عليه السلام عندما سُئل: مَنْ الْمُتَنْصِرُ؟

(١) فاطر: آية ١٥.

(٢) الإمام الحسين في الفكر الغربي، بحث منشور في الإنترنت.

(٣) المصدر السابق.

فأجاب عليه: «إذا أذن المؤذن تعرف من المنتصر»<sup>(١)</sup>، فإن نهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت تهدف إلى حماية الإسلام من التزييف والتحريف، فإذا تحقّق ذلك فقد انتصر الحسين عليه السلام، إذ لا هدف له وراء ذلك.

إذن، يمكن أن يكون النصر الذي تحدثت عنه الآيات الكريمة هو هذا المعنى.

### ثالثاً: النصر في مفهومه الإنساني

بعد أن اتضح لنا معنى النصر في الكتاب العزيز، وأنه أعم من الغلبة المادية والنصر العسكري الآني، بقي أن نعرف معناه في مفهومه الإنساني، وهل هو بمعنى الغلبة المادية العسكرية فقط، أو يشمل ما هو أوسع من ذلك؟ وبتعبير آخر: هل يستعمل الناس لفظة النصر والانتصار في الانتصار العسكري فقط أو يستعملونه في معنى آخر من الانتصار؟ فهذا ما نريد أن نتعرّف عليه الآن، فنقول:

عند مراجعة الدراسات السياسية والفكرية والثقافية لا نجد لمفهوم (النصر، والهزيمة) معنىً واضحاً، بل نجد لهما عدّة معانٍ مختلفة، ويبدو أنّ منشأ الاختلاف في تشخيص المعنى هو اختلاف الناس أنفسهم في تفسير النصر والهزيمة، وتباين أنظارهم في ذلك، ويمكن تلخيص الآراء بما يلي:

١- بعض يفهم النصر فهماً عسكرياً مجرداً، فالذي يتغلب ميدانياً على خصمه منتصر، والمغلوب منهزم، مع قطع النظر عن الجوانب الأخرى، كمقدار الخسائر المادية والمعنوية التي تعرّض لها المنتصر، أو النتائج التي حصل عليها فيما بعد المعركة، وما إلى ذلك من الجوانب والحشيات التي ترافق الحروب والصراعات، فليس المهم ذلك، وإنّما المهم تحقّق الغلبة العسكرية.

٢- وبعض آخر ينظر إلى نتائج المعركة، من حيث حجم الخسائر، والدمار الذي حلّ

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٦٧٧.

بهذا الطرف أو ذاك، فكلّما كان الطرف أكثر خسائر من الآخر فهو المهزوم، والعكس هو المنتصر، فالمدار عند هؤلاء على مقدار الخسائر، وليس المدار على التغلب العسكري.

٣- وبعض ثالث يأخذ الجوانب السياسية للمعركة بعين الاعتبار، فليس المنتصر هو مَنْ يتغلب عسكرياً أو يخرج بنخسائر أقل من الآخر، وإتّما المنتصر هو مَنْ يحقق مكاسب سياسية على أرض الواقع؛ لأنّ الحرب سياسة في واقعها، فالمهم هو أن ننظر إلى ما حققه هذا الطرف من مكاسب سياسية، وما حققه ذلك الطرف، وما نوعها وتأثيرها على المدى القريب والبعيد<sup>(١)</sup>.

هذه مجمل الآراء في مفهومي النصر والهزيمة، هي متباينة فيما بينها ولا تكاد تتفق على شيء، ولكن يمكن من خلال الالتفات إلى بعض الشواهد أن ندعم أحد هذه الآراء، وهو الرأي الثالث، وفي هذا المجال نذكر شاهدين:

**الشاهد الأوّل:** بعد انتهاء الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، أطلق السياسيون والمختصون والعالم بأسره عبارة (النصر) على الولايات المتحدة، وقالوا انتصرت في هذه الحرب، مع أنها لم تكن حرباً عسكرية بين الطرفين، وإنما هي حرب مشروع، وقد انتصر المشروع الأمريكي على المشروع السوفيتي، وهذا يدل على أنّ الملحوظ في النصر المكاسب السياسية والاستراتيجية التي تضمن للطرف المنتصر الانتشار والتوسع والبقاء والديمومة.

**الشاهد الثاني:** وَصَفَ كثير من القادة السياسيين الإمام الحسين عليه السلام بالمنتصر، رغم خسارته العسكرية في المعركة، كما صنع ذلك الزعيم الهندي البوذي (غاندي)، حيث أطلق عبارته الشهيرة: «تعلمت من الحسين أن أكون مظلوماً لأنتصر» فلم يكن الانتصار ذا مفهوم وسيع لما ساغ له إطلاقه عليه، وهكذا نجد المؤرخ الإنكليزي (توماس كارليل) يُطلق هذه اللفظة أيضاً على الإمام الحسين عليه السلام، حيث يقول: «أسمى

(١) أنظر: هذه الآراء في مجلة (إيلاف) الإلكترونية، العدد: ٤٥٢٩، الثلاثاء ١٥ تشرين الأول ٢٠١٣م.

درس نتعلمه من مأساة كربلاء هو أن الحسين وأنصاره كان لهم إيمان راسخ بالله، وقد أثبتوا بعملهم ذلك أن التفوق العددي لا أهمية له حين المواجهة بين الحق والباطل والذي أثار دهشتي هو انتصار الحسين رغم قلة الفئة التي كانت معه»<sup>(١)</sup>.

إذن، لفظة النصر تُطلق على الطرف الذي يحقق أهدافه سواء تحقق له ذلك عسكرياً أو سياسياً.

الخلاصة: اتضح لنا من خلال ما تقدم كله أن مفهوم النصر والانتصار لا يقتصر على معنى الغلبة العسكرية، بل يشمل ما هو أوسع من ذلك، ويمكن أن نخصره بكلمة هي (غلبة المشروع) فمن غلب مشروعه فهو منتصر.

### المحور الثاني: المظلومية والانتصار

قد لا تكون المظلومية دائماً سبباً للانتصار؛ لأنَّ المظلوم أحياناً يساهم في صناعة الظلم، فيكون شريكه في الظلم والطغيان، وذلك عندما لا يحرك ساكناً، ولا يبدي ردة فعل تجاه ما يراه من مظاهر الظلم والاضطهاد والاعتداء والتجاوز على الحقوق الشخصية أو النوعية، فالذي يسلم عنقه للجلاد يساهم في قتل نفسه، ويسهل على الجلاد المهمة، بينما الذي يُمانع ويُدافع يصعب على الجلاد المهمة، ويجعله يفكر بجذ في كيفية قتله.

ومن هنا؛ نجد القرآن الكريم عندما يتحدث عن هذا الصنف من المظلومين يصفه بالظالم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتم لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ \* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتم مُجْرِمِينَ \* وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ الْيَلِّ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ

(١) الإمام الحسين في الفكر الغربي، بحث منشور على الإنترنت.

وَجَعَلَ لَهُ أُنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَخْلَاقَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

فهذه الآيات تتحدث عن المستضعفين والمستكبرين وتصفهم بالظالمين، مع أن المستضعفين مغلوب على أمرهم، وقد وقعوا تحت تأثير المستكبرين، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يعيشون حالة الضعف والاستسلام أمام المستكبرين.

والآيات تشير إلى ظاهرة خطيرة يمكن أن تعيشها الأمة، وهي عندما يتحوّل السكوت والضعف والاستسلام إلى ثقافة فيما بعد، بحيث يكون الخروج عن ذلك مخالفةً صارخة للمألوف والمعروف، ويكون نشازاً؛ ومن هنا نجد أن الحكومة الأموية سعت بشكل كبير إلى تأطير هذه الحالة، حالة السكوت والاستسلام التي كانت تعيشها الأمة، بأطر إسلامية من قبيل حرمة الخروج على الحاكم الجائر، وقد نجحت إلى حدّ كبير، لولا النهضة الحسينية التي قلبت كلّ الموازين، ولهذا نجد في الأحاديث الحثّ الأكيد على مخالفة الظالمين وتسجيل موقف الإدانة والشجب، وضرورة الخروج عن صفة الاستسلام والضعف، فمن ذلك ما ورد عن النبي الأكرم ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر»<sup>(٢)</sup>، والسلطان الجائر يشمل السلطان المسلم، والسلطان غير المسلم، ولنا أن نتساءل، كيف يكون ذلك من أفضل الجهاد؟ والجواب: إن ترك السلطان الجائر يعيث في الأرض فساداً دون رادع - لا سيما إذا كان مسلماً - يشكّل خطراً كبيراً على مستقبل الإسلام، لأنه يحكم باسم الإسلام، يقتل، يضطهد، ينتهك، يشترع، ويفعل كلّ شيء باسم الإسلام، والناس على دين ملوكهم، فيتحوّل ذلك - تدريجياً - إلى جزء من الثقافة الإسلامية. وورد عن الإمام الحسين عليه السلام قوله: «أما بعد فقد علمتم أنّ رسول الله ﷺ قد قال في حياته: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد

(١) سبأ: آية ٣١-٣٣.

(٢) الأحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللآلي: ج ١، ص ٤٣٢.

الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغيّر بقولٍ ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يدخله مُدخله»<sup>(١)</sup>، وفي هذا الحديث يشير الإمام عليه السلام إلى الحقيقة التي نتحدث عنها، وهي أن المظلوم الساكت يشارك الظالم في ظلمه وجوره؛ لأنه لم يغيّر عليه بقولٍ ولا فعل، ومن ثمّ يتحوّل هذا المظلوم إلى ظالم، على حدّ تعبير الآية المتقدمة. ويمكننا - بعد هذا - أن نقول بشكل صريح: إنّ السكوت عن جور السلطان والاستسلام له من أعظم الفتن التي تعصف بالمجتمع الإسلامي؛ لأنه لا يُري الناس إلا ما يريد هو أن يروه، ولا يسمح لهم بالاعتقاد إلا وفق ما يعتقد هو، قال الله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾<sup>(٢)</sup>. ومن هنا جاء قوله تعالى - وهو يتحدث عن الغاية من الجهاد، أو إحدى غاياته -: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>، فليست الغاية قتل المفسدين بالضرورة، وإنّما المهم قتالهم، وعلى حدّ تعبير أحد الباحثين: «إنّ الهدف الأصلي للجهاد الإسلامي ليس الانتصار على الأعداء كأشخاص، بل انتصار الغايات والأهداف حتى مع بقاء أشخاص الأعداء، ويتحقق ذلك بتوجيه أفكار عموم الناس ضد هؤلاء المفسدين»<sup>(٤)</sup>.

إذن، الغاية قتل الفتنة والحيلولة دون ضلال الناس وانحرافهم، وليس المهم قتل رموز الفتنة وقادتها؛ إذ بعد القضاء على الفتنة لا يبقى لأصحابها أيّ دور في إذكائها. ومن خلال ما تقدّم كله اتضح؛ أنّ المظلومية المهزومة لا يمكن أن تنتصر؛ لأنها تعيش روح الاستسلام والضعف والذل، وهذه المظلومية ليست محلّ كلامنا وبحشنا، لأنها لو وُضعت في إحدى كفتي الصراع بين الحق والباطل لكانت في كفة الباطل ضد

(١) المجلسي، محمد باقر، البحار: ج ٤٤، ص ٣٨٢.

(٢) غافر: آية ٢٩.

(٣) البقرة: آية ١٩٣.

(٤) الحسيني الفرحي، السيد علي، النهضة الحسينية (دراسة وتحليل): ص ٢٥٢.

الحق، وفي الحديث: «الساكت عن الحق شيطان أخرس»<sup>(١)</sup>.

وكلامنا في المظلومية الثورية التي لا تعرف الاستسلام، الداعية إلى الانتصاف من الظالم، التي لا تتجرّع الذلّ أبداً، لأنها تعيش روح الإباء والعزّة والكرامة، تلك هي مظلومية الإمام الحسين عليه السلام التي لطالما تغنّى بها أبطال العالم الأحرار وهم يعيشون الصراع ضد الباطل، ويخوضون الحروب ضد الأعداء، والحقيقة أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أسس لانتصارٍ من نوعٍ فريد لم يكن ليخطر ببال؛ إذ لم يكن ليُتصوّر أن ينتصر المقتول على القاتل، أو ينهزم الحاكم الظالم الطاغوي على يد تائر لا يملك من سلاح سوى هذه الكلمة: «والله! لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد»<sup>(٢)</sup>، ولكي تتضح هذه القضية لا بدّ من تسليط الأضواء عليها أكثر.

### المجتمع الإسلامي في عصر النهضة

هناك حالتان بارزتان كان يعيشهما المجتمع الإسلامي في عصر النهضة الحسينية: الحالة الأولى: الشعور بالمظلومية والاضطهاد والذل ومصادرة الحريات الشخصية والتنوعية، وهذه الحالة كانت سائدة في المجتمع وعند الكثير من الشخصيات الإسلامية كبقايا الصحابة، حيث يشعرون بالاضطهاد الديني؛ لأنهم يعلمون مدى خطورة انحراف الحاكم ومدى تأثير ذلك وانعكاسه على الواقع الإسلامي.

الحالة الثانية: حالة الضعف والانزمام، وهي حالة سائدة وعمامة أيضاً، ولها مبرراتها، ولعلّ من أبرزها أمرين:

١- قسوة الحكومة على معارضيهما، وشدة بطشها بهم.

٢- الغطاء الديني المزيّف الذي كانت تتستر به الحكومة، لتبرر جرائمها، من خلال

(١) الحديث لا مصدر له يتصل بالمعصوم ويظهر أنه من كلام الصوفية أو العرفاء، أنظر: النووي، الأذكار النووية: ص ٣٣٥.

(٢) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٨.

وضع الأحاديث التي تخدم مصلحتها، كوضع أحاديث تحرم الخروج على الحاكم الإسلامي ولو كان جائراً، وبذلك تستطيع قمع المعارضين باسم الإسلام؛ إذ الخروج على الحاكم حرام، فيلزم على الحكومة منعه ومعاقبته لمنع الناس من ارتكاب الحرام. والموقف مع وجود هاتين الحالتين كان يتطلب تحرك شخصية إسلامية تتمتع بخصائص ومميزات ومؤهلات تمكنها من مواجهة هاتين الحالتين، وتغييرهما من الحالة السلبية إلى الحالة الإيجابية، ولم تكن هناك شخصية تمتلك هذه المؤهلات غير الإمام الحسين عليه السلام، إذ هو يتمتع بعدة مميزات منها:

(أ) نسبه المبارك، فهو ابن فاطمة بنت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، مع ما يعلمه المسلمون من سيرة النبي صلى الله عليه وآله من اهتمامه به وبأخيه الحسن عليه السلام وتربيته لهما، وحبّه الكبير لهما.

(ب) حبّ المسلمين له، وتقديرهم واحترامهم له.

(ج) صحبته للرسول ومعرفته بشرعية جده.

(د) نزول الآيات في فضله، وأحاديث النبي في حقه، جعلته يحتل مكانة خاصة عند

عامة المسلمين. إلى غيرها من المميزات والخصائص التي كان يتمتع بها.

وقد أشار الإمام عليه السلام إلى هذه الحقيقة - وهي امتلاكه للمؤهلات الخاصة للتغيير المطلوب - حيث قال في بعض كلماته: «ومثلي لا يباع مثله»<sup>(١)</sup>، وقال في مناسبة أخرى:

«وأنا أحق من غير»<sup>(٢)</sup>، وقال أيضاً: «وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول

الله صلى الله عليه وآله»<sup>(٣)</sup>، ففي هذه الكلمات يتحدث الإمام عليه السلام عن مقامه السامي ومنزلته الرفيعة

في المجتمع الإسلامي، وهذا يجعله أمام مسؤولية كبيرة، إذ هو الراعي الأول لشريعة

جده، فيلزمه الدفاع عنها وحمايتها، وهذا الشعور الذي كان يعيشه الإمام عليه السلام «الشعور

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٣٥.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٠٤، وفي الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٤٨ (وأنا أحق من غيري).

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩.



بمسؤوليته تجاه شريعة جده» كان يشعر به المسلمون عامة، فهم جميعاً ينظرون إلى الإمام الحسين عليه السلام كشخصٍ يمثل بمواقفه الشريعة الإسلامية، وهذه الحقيقة كان يدركها الجهازُ الحاكم، فقد أوصى معاوية ولده يزيد بضرورة أخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام، وقام يزيد بدوره بالتشديد على واليه في المدينة لأخذ البيعة له من الإمام الحسين عليه السلام، كل ذلك لعلمهم بمكانة الإمام في قلوب المسلمين.

وهذه المؤهلات وهذه الموقعية تحتم على الإمام عليه السلام أن يتعامل مع الموقف من خلال قضيتين:

**الأولى:** سلب الغطاء الديني المزيف الذي كان الجهاز الحاكم يتستر به لتنفيذ مشاريعه.  
**الثانية:** تغيير المظلومية السلبيه التي كان يعيشها المجتمع إلى مظلومية إيجابية، وتحويلها من حالتها الانهزامية إلى الحالة الثورية.

وقد اعتمد عليه السلام في التعامل مع القضية الأولى على أمرين:

١- إعلام الأمة بالأحاديث النبوية الصحيحة الحاتئة على معارضة السلطان الجائر، والداعية إلى مخالفته، فمن ذلك خطبته الشهيرة التي قال فيها: «أما بعد، فقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغيّر بقول ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله، وقد علمتم أن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتولّوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وإني أحقُّ بهذا الأمر لقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله»<sup>(١)</sup>. ولم يكتفِ عليه السلام بنقل الحديث، بل طبّقه على السلطنة القائمة، وكان الإمام يهدف من التذكير بهذا الحديث وأمثاله إلى نقطتين:

\* توفير الغطاء الشرعي للخروج على الحاكم الجائر، وأن ذلك واجبٌ شرعيٌّ.

\* تكذيب ما يبثّه الجهاز الحاكم من أحداث موضوعة تحرّم الخروج عليه.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٨٢.

٢- خروجه عليه السلام بنفسه على السلطة الجائرة، ومعارضته لها بشكل علني، وهو أقوى برهان، وأدل دليل على مشروعية الخروج على الحاكم الجائر، إذا لم يكن أمراً واجباً. وبما أن الإمام عليه السلام كان يتمتع بمميزات ومؤهلات تقدم الحديث عنها، صار خروجه أمراً مشروعاً عند عامة الناس بما لا يدع مجالاً للشك، فاستطاع بذلك أن يسلب من الحاكم غطاءه الديني المزيّف الذي كان يتستر به لمنع الناس من الخروج عليه. والقضاء على هذه الحالة لا يكفي بكل تأكيد لتحقيق الغاية؛ إذ الاعتقاد بمشروعية الخروج أو وجوبه لا يكفي لدفع الفساد والانحراف ما لم يتبعه خروج عمليّ، والخروج العمليّ يحتاج إلى تحرير الأنفس من الشعور بالضعف والاستسلام والخضوع.

ولهذا، فقد اعتمد الإمام الحسين عليه السلام في التغلّب على الحالة الثانية على المثيرات العاطفية، والمنبهات الوجدانية، وهذا الأمر يحتاج إلى حشد عاطفيّ كبير، وملحمة مأساوية عظيمة، تشدّ الناس إليها بقوة، وتهزّهم من أعماقهم، وتحرك ضمائرهم نحوها. وهذا ما صنعه الإمام الحسين عليه السلام بالفعل في نهضته المباركة، حيث صنع ملحمة مأساوية دامية لم يشهد التاريخ لها مثيلاً، راح ضحيتها ریحانة المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيته وأصحابه، في أبشع صورة، وأسوأ منظر، مع تعرّض الأسرة النبوية الكريمة للأسر والتنكيل والاحتقار.

وبهذا نستطيع أن نجيب عن الكثير من الأسئلة التي طرّحت وما تزال تُتناقل، من قبيل، لماذا اصطحب الإمام عليه السلام معه العائلة الكريمة، وتعريضهم للأسر والسبا؟ ولماذا لم يحشد الإمام جيشاً كبيراً لمواجهة الحاكم، حيث كان بإمكانه الاتصال بالعديد من شيعته المنتشرين في شرق البلاد وغربها؟ ولماذا لم يغيّر مقصده بعد أن علّم بمقتل مسلم بن عقيل عليه السلام وتغيّر الأوضاع في الكوفة؟ إلى غيرها من الأسئلة التي تدور حول هذه الملابسات، والجواب عن جميع هذه الأسئلة وما كان من قبيلها قد اتضح من خلال هذه النقطة، فالإمام الحسين عليه السلام لم يكن يسعى للانتصار العسكري الآني، فلعلّ ذلك يضرّه ولا ينفعه، لأنّ الهدف هو تفهيم الرأي العام حقيقة الأمر، ليميّز بين الحق والباطل، بين

الحق الذي يدعو له الإمام الحسين عليه السلام والباطل الذي يدعو له الجهاز الحاكم، وإذا أردنا استيضاح الأمر أكثر، نطرح هذا السؤال:

لو انتصر الإمام الحسين عليه السلام عسكرياً وقتل أعداءه واستلم مقاليد الخلافة، فما هو موقف المجتمع الإسلامي من هذا التغيير والانتصار؟ هل سيكون المجتمع بأكمله مقتنعاً تماماً بأحقية الحسين عليه السلام من يزيد؟ وهل هو مقتنع تماماً بشرعية الانتصار والانقلاب الذي حدث؟ وهل هو مقتنع تماماً بظلم بني أمية وتحريفهم للدين وزيفهم؟ وهل سيسلم الإمام عليه السلام من الحركات المناهضة لحكومته؟

الجواب: كلا، لأن انكشاف الحقيقة بشكلها الكامل لم يتحقق بعد، ومعه ستبقى فئة من الناس لا تعتقد بشرعية الحكم القائم، وسيبقى الحاكم المهزوم أو المقتول يجد من يتعاطف معه طالما هناك ضبابية في الرؤية، وعدم وضوح في الحقيقة.

بينما بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في تلك المجزرة الرهيبة التي اعترف بقسوتها وبشاعتها كل البشر من مسلمين وغيرهم، لم يبق مجال للشك والريب في بطلان الجهاز الحاكم وعدم مشروعيته، واقتنع المجتمع بأسره بحقانية خروج الحسين عليه السلام وحقانية أهدافه، والدليل على ذلك الثورات التي حدثت بعد نهضة الحسين عليه السلام بفترة قصيرة جداً، حيث ثار أهل المدينة على الجهاز الحاكم، وهم يمثلون - وقتئذ - الثلثة الباقية من الصحابة من البدرين وغيرهم، وثار ابن الزبير بمن معه من أهل مكة، والملاحظ أن هاتين الثورتين لا تمثلان الخط الشيعي، وهذا يؤكد نجاح النهضة الحسينية، وقد روى الطبري في تأريخه أن مصعب بن الزبير لما خذله أهل الكوفة وحُصر من قبل جيش الشام التفت إلى رجلٍ من أصحابه يدعى عروة وقال له: أخبرني عن الحسين بن علي، كيف صنع بإبائه النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب؟ فأخبره.

فأنشد يقول:

تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

وإنَّ الأولى بالطفِّ من آل هاشمٍ

يقول الراوي: فعلمت أنه لا يريمُ حتى يُقتل<sup>(١)</sup>.

حيث تأثر بها مَنْ لا ينتمي لخط أهل البيت، بل تأثر بها حتى غير المسلمين، قال المفكر المسيحي (إنطوان بارا) في كتابه القيم (الحسين في الفكر المسيحي) في هذا الصدد: «وليس أدلّ على ما لسحر شهادة الحسين عليه السلام من قوّة جذب للشعور الإنساني في حادثة رسول قيصر إلى يزيد حينما أخذ هذا ينكت ثغر الحسين الطاهر بالقضيب على مرأى منه، فما كان منه إلا أن قال له مستعظماً فعلته: إنَّ عندنا في بعض الجزائر حافر حمار عيسى، ونحن نحج إليه في كلّ عام من الأقطار، ونهدي إليه النذور ونعظمه كما تعظمون كتبكم، فأشهد أنكم على باطل»<sup>(٢)</sup>.

### العلاقة بين المظلومية والعاطفة

يبقى أن نعرف سرَّ التعاطف مع المظلوم الذي يطالب بحقه ولا يُعطى، بل يُمنع ويُدفع ويُقتل.

ولعلَّ السرَّ في ذلك يعود إلى الفطرة؛ فإنها تقتضي الميل النفسي إليه، والتعاطف مع قضيته، فإننا نشعر بالوجدان وفي أعماقنا بالتعاطف معه، ولكنَّ التعاطف يكون أشدَّ فيما لو كان المظلوم لا يطالب بحقه الشخصي، وإنَّما يطالب بحقوق الأمة، ويدافع عن مقدساتها، بل يدافع عن أثمن شيء لديها وهو كرامتها وعزتها.

إنَّ هذه هي النقطة المهمة، أي، عندما تشعر الأمة أنَّ القتل إنَّما قُتل لدفاعه عن كرامتها المسلوّبة، وحقها الضائع، عندما تشعر أنَّ هذا القتل قد عُرضت عليه الدنيا بأسرها مقابل سكوته عن كرامة الأمة، لكنَّه رفض المساومة، ورفض الامتيازات، ورفض حياة الذل: «إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً»<sup>(٣)</sup>، إنَّ

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٦.

(٢) بارا، أنطوان، الحسين في الفكر المسيحي: ص ٨٥.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، المناقب: ج ٣، ص ٢٢٤.

هذه المظلومية من شأنها أن تزيد من مشاعر الحقد والكراهية تجاه الظالم، كما أن اعتزاز المظلوم بموقفه وإبائه عن التنازل من شأنه أن يبعث بمشاعر الحب والاحترام لشخصه في قلوب الناس ومن ثم التأسي به والافتداء بموقفه، وقد جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبُغض من أساء إليها.

والخلاصة: إن المظلومية يمكنها أن تنتصر في صراعها مع الظالم، شريطة الاتصاف بالمظلومية الإيجابية التي ترفض أشكال الذل والظلم والاضطهاد، كما حدث ذلك في النهضة الحسينية، وأمّا المظلومية السلبية فلا يمكنها أن تنتصر؛ لأنها لا تعيش صراعاً مع الظالم، بل تعيش معه حالة الذل والاستسلام، والانقياد لإرادته.

### المحور الثالث: مظاهر العزة والإباء في مظلومية الحسين عليه السلام

اتسمت نهضة الإمام الحسين عليه السلام بكل معاني العزة والإباء، وفي جميع جوانبها ومراحلها، سواء على مستوى الخطاب أو على مستوى الموقف. وإذا أردنا الوقوف على بعض تلك المعاني للعزة والإباء وجوانبها، نذكر:

#### مظاهر العزة والإباء في الخطاب الحسيني

كثيرة هي الخطب والبيانات التي كان يُلقِيها الإمام الحسين عليه السلام على مسامع المسلمين، وكلها كان يتسم بطابع العزة والإباء، واستنهاض همم المسلمين للدفاع عن كرامتهم المسلوبة، وحقوقهم المغصوبة، وحرّياتهم التي صادرها الجهاز الحاكم، وفيما يلي بعض النماذج:

#### النموذج الأول

قال الإمام الحسين عليه السلام في خطبة له: «ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين:

بين السِّلَّة والذَّلَّة، وهيئات منَّا الذَّلَّة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلة الناصر<sup>(١)</sup>.

إيضاح لبعض المفردات:

الدعيّ: هو المنسوب إلى غير أبيه<sup>(٢)</sup>، والمقصود منه عبيد الله بن زياد.

السِّلَّة: استلال السيوف عند القتال<sup>(٣)</sup>، والمراد منه القتل.

أنوف: جمع أنف. قال: رجل حمي الأنف، إذا كان أنفاً يأنف أن يُضام. وأنف الطعام وغيره أنفاً: كرهه<sup>(٤)</sup>.

أبيّة: من أبى يأبى، أي: امتنع، وأبى الشيء يأباه إباءً وإباءةً: كرهه<sup>(٥)</sup>.

### دلالات الخطاب

١- إنَّ الإمام عليه السلام في هذا النص يشير إلى الخيارات المتاحة له، وهي أمران: الموت أو الذل، والمراد من الذل، التنازل عن المبادئ والقيم التي جاء بها الدين الحنيف، والخيار الثاني لا يمكن أن يختاره الإمام عليه السلام؛ لأنه يعني التنازل عن كلِّ الإنجازات التي حققها الإسلام في صراعه ضد الكفر، وهذا ما عبّر عنه الإمام بقوله: «وهيئات منَّا الذَّلَّة»، أي أنَّ الخيار الثاني لا يمكن أن يصدر مني، وأنا الراعي الأساسي للشريعة، والمسؤول عن حفظها ورعايتها، «يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون»، فالله سبحانه يأبى لي هذا الاستسلام ويأباه لي رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون، وهو يشير في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ

(١) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٥٩.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: مادة (دعا).

(٣) المصدر السابق: مادة (سلل).

(٤) المصدر السابق: مادة (أنف).

(٥) المصدر السابق: مادة (أبى).

**الْعِزَّةُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ** ﴿١﴾، وجاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه عقب على هذه الآية، قائلاً: «إِنَّ اللَّهَ فَوَّضَ لِلْمُؤْمِنِ أَمْرَهُ كُلَّهُ، وَلَمْ يَفْوِضْ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِيلًا» (٢).

٢- إنَّ هذا النص يفيد أنَّ الصراع الذي يخوضه الإمام عليه السلام مع الجهاز الحاكم، ليس صراعاً شخصياً، وتصفية حسابات بين البيت العلوي والبيت الأموي، كلا، ليس الأمر كذلك، وإنما هو صراع بين الحق والباطل، والشاهد على ذلك قوله: «يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون»؛ إذ لو كان الصراع شخصياً، ولا يمثل موقف الإسلام، لم يكن معنى لأن يأبى الله ذلك ورسوله، فإنه سبحانه إنما يأبى الباطل ويرفضه، وهكذا رسوله، ومعه يكون موقف الإمام عليه السلام هو موقف الإسلام وعزته وأي تنازل أو استسلام يعني ذلة الإسلام وتنازله، وهو ما لا يمكن أن يحدث.

٣- ثم يشير الإمام عليه السلام في آخر كلامه إلى أنَّ الصراع عندما يكون بين الحق والباطل فهو لا يحتاج إلى تكافؤ عسكري، عدة وعدد؛ لأنَّ الصراع من هذا النوع لا يهدف إلى الحسم العسكري، وإنما يهدف إلى تسجيل موقف، وكشف حقيقة، وأحياناً يتطلب موقف من هذا النوع إلى زيادة في التضحية، كما حدث ذلك مع الإمام عليه السلام حيث تطلب الموقف أن يضحي بكلِّ شيء؛ لأنَّ انكشاف الباطل كان يتوقف على زيادة في المأساة والمظلومية، فلهذا زحف الإمام بأسرته وعائلته الكريمة وهي أعز ما يملك:

تركت الخلق طراً في هواكا      وأيتمت العيال لكي أراكا  
فلو قطعني بالحبِّ إرباً      لما مال الفؤاد إلى سواكا

## النموذج الثاني

تمثل الإمام الحسين عليه السلام في أثناء المعركة بهذه الأبيات:

(١) المنافقون: آية ٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ٧٢.

وإن نُهزم فغير مُهزِّمينا  
منايانا ودولة آخرينا

فإن نهزم فهزّامون قدماً  
وما أن شابنا جبن ولكن

### دلالات الأبيات

١- النصر والهزيمة في المعارك على نحوين، نصر وهزيمة في المعارك العسكرية، ونصر وهزيمة في المعارك الحضارية، وأحياناً يجتمعان في معركة واحدة، كما حدث في واقعة كربلاء، فالجيش الأموي كان يطلب نصراً عسكرياً، من خلال تصفية الإمام والثلة القليلة التي معه جسدياً، بينما الإمام كان ينظر إلى المعركة من جهة ثانية، فهي تمثل له صراعاً حضارياً بين مشروعين، بين مشروع الإسلام الأصيل المتمثل بالحسين عليه السلام وبين مشروع الإسلام المزيف المتمثل بالجهاز القائم، والنصر والهزيمة بلحاظ النحو الأول من الصراع يتحقق بالغلبة العسكرية، بينما ذلك لا يتحقق في النحو الثاني من الصراع، إلا بتنازل أحد الطرفين عن مشروعه، ومبادئه، وأهدافه، وإلا سيقتضى الصراع قائماً حتى مع القضاء على أصحاب المشروع؛ لأنَّ المشروع يبقى ببقاء مبادئه، وهذا ما حصل في واقعة الطف، فإنَّ الإمام عليه السلام وأصحابه لم يتنازلوا عن الأهداف والمبادئ التي خرجوا لأجلها حتى النفس الأخير، وهذا ما يشير له الإمام في عجز البيت الأول، إذ الهزيمة التي يمكن أن يتعرّض لها الحسين عليه السلام في هذه المعركة هي هزيمة عسكرية فقط، وأما الهزيمة الحضارية، هزيمة المبادئ والقيم والأهداف فلا يمكن أن تتحقق للجهاز الحاكم؛ لأنَّ الإمام لا يمكن أن يتنازل عن مبادئه بأيّ شكل من الأشكال<sup>(١)</sup>.

٢- من خلال التمثيل في البيت الثاني يحاول الإمام عليه السلام تعليل الانتصار العسكري المتوقَّع للجهاز الحاكم، بأنَّ ذلك ليس لجبن أصابنا أو ضعفٍ في التخطيط والحسابات، أو لشجاعةٍ في جيش العدو. كلا، ليس الأمر كذلك، بل ذلك لسُنَّةِ إلهية، وقانونٍ

(١) استفدت هذا المضمون من بحث لسماحة الشيخ الأصفي (حفظه الله) تحت عنوان (الشعائر والشعائر الحسينية)، نُشر في (مختارات من المحاضرات الحسينية): ج ٢، ص ٣٣٦، وما بعدها.



سماوي لا يمكن الحياد عنه، وهو سنة (تداول الأيام) قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ \* إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرحٌ مِثْلُهُ. وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾، وهذه السنة تدخل ضمن أشكال الابتلاء والامتحان الذي يتعرض له عباد الله الصالحين، فمقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته يقع في ضمن هذه السنة، وقد أشارت عقيلة الطالبين عليها السلام إلى ذلك في جوابها للطاغية عبيد الله بن زياد عندما قال لها متشفياً: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟ قالت عليها السلام: «ما رأيت إلا جميلاً. هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاجُّ وتُخاصم» (٢).

إذن، يشير الإمام عليه السلام في البيت الثاني إلى تعليل الهزيمة العسكرية التي سيتعرض لها بأنها سنة إلهية ومشيتة ربانية، ولكن ذلك ليس مهماً بعد أن كان الهدف هو انتصار المبادئ والقيم، وقد تحقق ذلك.

### النموذج الثالث

قال الإمام الحسين عليه السلام في جوابه لمن عرض عليه النزول على حكم يزيد: «لا والله! لا أعطيك بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرُّ فرار العبيد» (٣).

### دلالة الخطاب

في هذا الخطاب يشير الإمام إلى قضية في غاية الأهمية؛ وهي قضية المعارضة السلبية الالهزيمة التي يرفض صاحبها الإذعان للجهاز الحاكم، ولكنه في نفس الوقت يفرُّ

(١) آل عمران: آية ١٣٩-١٤٠.

(٢) المقدم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٤٠٤.

(٣) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٨.

من المواجهة، ويعيش مختبئاً في جبلٍ أو كهفٍ بعيداً عن ساحة الصراع، وبعيداً عن أنظار السلطة، حاله في ذلك حال العبد الأبق الذي يفرّ من مولاه، وقد عرّض ذلك على الإمام الحسين عليه السلام لما عزم على الخروج على السلطة، عندما كان في المدينة، ولكن أصحاب هذا المقترح غفلوا عن شيء مهم وهو ما يتحدث عنه الإمام في هذا الخطاب، وهو أنّ هذا الخيار لا يختلف عن خيار الاستسلام، والتنازل عن المبادئ؛ ولذا فقد عطف عليه السلام الفرار على الاستسلام، لأنّهما من واحد؛ لأنّ الفرار ليس موقفاً، بل هو عدم موقف، وهروب من تحمّل المسؤولية.

### النموذج الرابع

قال الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً أصحابه: «ألا ترون الحق لا يُعمل به، والباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً»<sup>(١)</sup>.

والبرم، بالتحريك: مصدر برم بالأمر، بالكسر، برماً إذا سئمه، فهو برم ضجر، وقد أبرمه فلان إيراماً، أي: أملّه وأضجره.<sup>(٢)</sup>

ومقتضى التقابل بين السعادة والبرم، أن يكون المراد من البرم الشقاء والسامة والضجر.

### دلالة الخطاب

يشير الإمام عليه السلام في هذا الخطاب إلى مفهوم الحياة عند المؤمن، وأنها تختلف عن مفهومها عند غيره، فالحياة عند غير المؤمن عبارة عن شهوات ولذائذ ورغبات وأهواء، دون أي هدف أو غاية، وإنّما الغاية أن يعيش في هذه الحياة فترة بقائه متنعماً يحصل على كلّ ما يطلبه من شهوة ولذة، بينما الحياة عند المؤمن عبارة عن (إحقاق حق وإبطال

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٢٤.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: مادة (برم).

باطل) لأن المؤمن يؤمن بأنه خليفة الله في الأرض، فهو مسؤول عن تنفيذ إرادته فيها، وهي متمثلة بإقامة العدل، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(١)</sup>، فالهدف من إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية، تحقيق العدل بين الناس، وقال ﷺ: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي هذه الآية يتحدث القرآن الكريم عن وظيفة خليفة الله في الأرض، وهي أمران؛ الأول: العمل بالحق، والثاني: اجتناب الهوى، ومعنى ذلك أن إرادة الله تعالى تتمثل بذلك.

وبناءً على هذا، لو كانت الحياة لا تسمح للمؤمن بأداء هذه الوظيفة التي خلق لأجلها، فلاشك في أنها ستكون سامةً وشقاءً، ومعه يرجح موت الشهداء على حياة الأشقياء؛ لأن الالتحاق بقوافل الشهداء - والحال هذه - يمثل راحةً من هذه الشقاوة والتعاسة، فيكون الانتقال من هذا الشقاء إلى العالم الآخر هو السعادة بعينها، وقد أشار سيد الشهداء إلى هذا المعنى في مضمون آخر، حيث أنشأ قائلاً:

سأمضي وما بالموت عارٌّ على الفتى      إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً  
وواسى الرجال الصالحين بنفسه      وفارق مشوراً وخالف مجرماً  
فإن عشتُ لم أندم وإن متُّ لم      ألم كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً<sup>(٣)</sup>

### مظاهر العزة والإباء في مواقف الحسين عليه السلام

كما إن الخطاب الحسيني قد اتسم بطابع العزة والإباء، وقد تقدمت منه بعض النماذج، كذلك المواقف الحسينية قد اتسمت بطابع العزة والإباء أيضاً، وفيما يلي نعرض نموذجاً واحداً:

(١) الحديد: آية ٢٥.

(٢) ص: آية ٢٦.

(٣) المقدم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢١٦.

من ذلك موقفه من الثوب الذي طلبه ﷺ ليرتديه تحت ثيابه لئلا يُجَرَّد منها، حيث طلب ثوباً لا يرغب فيه أحد، فأتوه بتبّانٍ، لكنه رفضه، وعلل ذلك بأنه من لباس الذلة<sup>(١)</sup>. والتبّان، بالضم والتشديد: سراويل صغيرة مقدار شبر، يستر العورة المغلطة فقط، يكون للملاحين<sup>(٢)</sup>.

## ثياب العزّة

أترأه أمراً طبيعياً أن يفكر الإنسان وهو في لحظاته الأخيرة بعد أن فقد أصحابه وأهل بيته، في ثيابه التي ينبغي أن يموت فيها؟! كلا، ليس أمراً طبيعياً، بل ذلك شيء يفوق قدرات الإنسان العادي الذهنية والنفسية، بل لا يمكن أن يكون ذلك إلا للحسين ﷺ (بطل العزّة والكرامة)؛ لأنّ مشيئة الساء قد اختارته ليكون سفيرها في تعليم الناس، معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فقد جسّد الحسين ﷺ العزّة الإلهية في كربلاء أيّما تجسيد، فكان عزيزاً في تفكيره، وعزيزاً في طموحه، وعزيزاً في أهدافه، وعزيزاً في خطابه، وعزيزاً في كل شيء، وأراد أن يكون عزيزاً في ملابسه أيضاً؛ حتى لا يجد فيه أعداؤه نقطة ضعف أو ذلة، ولتبقى ثيابه المضرّجة بالدماء الطاهرة الزكية وشاحاً يرتديه كلّ المظلومين في العالم وهم يخوضون صراعاً مع الظالمين، لتحقيق العدالة والحرية التي سينعم في ظلها العالم بالخير والبركة.

(١) المصدر السابق: ص ٣٣٠.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: مادة (تبّان).

(٣) المنافقون: آية ٨.

# التوظيف العَقْدِيّ وَالِدِيبِيّ لِمَا سَيَأْتِي كَرَبْلَاءَ فِي تَرَاتِبِ الْمَعْصُومِينَ

الشيخ صباح عباس الساعدي<sup>(١)</sup>

## تمهيد

حينما يستشرف القارئ والمتبع على كتب السير والتأريخ في العصور المتقدمة - بل والكتب الدينية كذلك وفي رأس قائمتها القرآن الكريم - يامعان يخرج بإحصائية دقيقة ولائحة كبيرة من الحوادث المروعة والوقائع المؤلمة التي وقعت بين بني البشر على مختلف ألوانهم وأصنافهم، وقد يتسم بعضها بأن تكون الجناية فيها عظيمة وبشعة، يتفنن مرتكبوها بالطرق الإجرامية التي يُمارسونها مع أبناء نوعهم من البشر، مضافاً إليها أن الضحية والشخص المجني عليه قد تجرأوا عليه ظلماً وعدواناً، ومن دون أن يكون له أيُّ ذنب اقترفه، وبخلافها في موارد أخرى؛ إذ لم تكن الحادثة وعملية إزهاق الأرواح فيها إلاّ جزءاً عادلاً للشخص المقتول، ونتيجة فعل ارتكبه.

وأول حادثة تُطالِعنا هي حادثة مقتل هايل - نجل النبي آدم عليه السلام - على يد أخيه قابيل، في قصة يسردها لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ

(١) مدير تحرير مجلة الإصلاح الحسيني.

اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ \* لِيَأْبَسَطَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ  
اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ \* إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْشُرَ بِيَأْتِي وَإِيَّاكَ فَتَكُونَ مِنِ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ  
الظَّالِمِينَ \* فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١﴾، وهكذا وقعت  
أول جريمة نتيجة الحقد الذي حمله قاييل تجاه أخيه. وقد توالى الوقائع التاريخية المؤلمة  
في عالم الدنيا بعد هذه الحادثة.

ولا شك في أن كل واقعة وحادثة من هذا القبيل يبقى أثرها عالماً في الأذهان،  
وخصوصاً لدى أولياء المقتول وذويه؛ مما يجذبهم إلى بثها والترويج لها، والحفاظ عليها  
في ذاكرة التاريخ وعبر الأجيال اللاحقة.

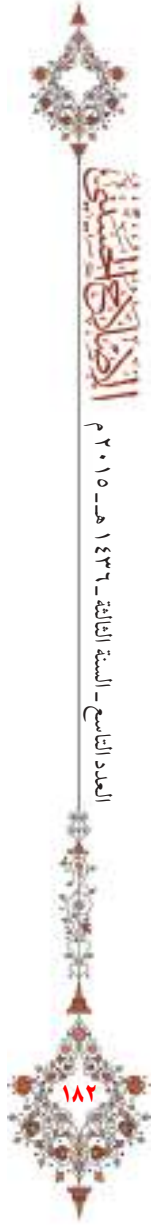
إلا أن النقطة المهمة في هذه المسألة هو توظيفها من قبل بعض أولياء المقتول، والاستفادة  
منها لأجل الحصول على بعض المآرب والأهداف التي يبتغيها هؤلاء الأشخاص.

وهذا التوظيف - الذي نريد أن نسلط الضوء عليه في بحثنا - قد يكون في بعض  
الأحيان ذريعةً للمغرضين وأصحاب الأهواء للوصول إلى غايات شيطانية، من خلال  
إبداء التظلم لشخص من الناس، وإن لم يكن مظلوماً، بل كان القتل جزاء العادل، فقد  
تذرع بنو أمية بمقتل عثمان بن عفان الذي قتله المسلمون المنتفضون عليه في قصر الخلافة  
جرّاء أعماله الباطلة؛ فنال جزاء العادل على أيدي ثلّة من المسلمين يتقدمهم مجموعة من  
صحابة رسول الله ﷺ، إلا أن معاوية - المتخاذل عن نصرته (٢) - وأذناؤه من الحزب الأموي  
وظّفوا هذه الحادثة توظيفاً باطلاً؛ بغية الحصول على السلطة وتغيير مسار الخلافة الحقّة  
التي عادت إلى أهلها - بعد ضياع تجاوز العقدين - وتحويلها إلى مُلكٍ عَروض.

بل إن هناك صنفاً آخر من المنتهزين النفعيين وظّف بعض الوقائع - التي تسلم

(١) المائة: آية ٢٧-٣٠.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ج ٣، ص ١٦. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١٦، ص ١٤٥. وأنظر:  
العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم: ج ١٨، ص ٣٢٣.



المسلمون على أن أصحابها الذين راحوا ضحيتها قد ظلّموا أيّما ظلّم - توظيفاً ظاهره التعاطف والانكسار مع صاحب المصائب، إلّا أن واقع الحال يُبيّن لنا خلاف ذلك، بل كان الغرض من ورائها الحصول على مصالحهم الدنيوية، من باب كلمة حقّ أريد بها باطل، وهذا ما تمثّل في العباسيين الذين خرجوا لتغيير السّلطة الأموية وسحب البساط من تحتهم؛ متذرّعين بالثأر للمظلوم الشهيد في أرض كربلاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام - الذي اعترف بمظلوميته كافة شرائح المجتمع إلّا من شدّد منهم - رافعين شعار (الرضا لآل محمد)<sup>(١)</sup>، غير أنّ الزمان كشف حقيقتهم للمسلمين وأظهر الغايات المبطنّة والنوايا الخبيثة التي كان يحملها هؤلاء القوم.

وفي قبال ذلك كلّه يوجد خط مغاير لكلا النموذجين المتقدمين، سمّته البارزة وعلامته الشاخصة هي سلوك الطُّرق الواضحة والحقيقية من جهة، وتوظيفها والاستفادة منها لأجل إرجاع الحق لأهله والانتصار للمظلوم الذي هُظِم حقه وأُخذ منه، أو سُفِكَ دمه ظلماً وعدواناً من جهة أخرى. وكان روّاد هذا الخط والمنهج الحقّ هم أهل البيت عليهم السلام؛ إذ إنه عُرف عنهم توظيفهم للحوادث الحقّة وابتعادهم عن التشبث بالباطل، واستخدامهم لهذه الوقائع الحقّة لغرض هداية الناس.

ومن أبرز وأوضح أمثلة هذا الكلام هو الاستفادة من المأساة والمظلومية التي وقعت في كربلاء، وتوظيفهم عليهم السلام لها توظيفاً يصبُّ في الصالح الديني والتركيز عليه تركيزاً عقدياً ودينيّاً.

## الوجهة الفقهية لإبداء التظلم

يُعتبر إبداء التظلم والترويج لبيان المظلومية من المفاهيم التي تعارف عليها الناس

(١) أنظر: الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٣٦٧. واليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب،

تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٣٤٩.

فيما بينهم؛ فلا تجد من يستنكر على مظلوم فيما لو أراد بيان مظلوميته أمام الآخرين، بل قد أجاز الشرع المقدس للفرد المسلم إبداء تظلمه وذكر الوقائع التي جرت عليه، وإن استلزم من ذلك ذكر ما يُعتبر انتقاصاً من الظالم، بل عدَّ هذا النمط من الكلام من الموارد المستثناة من الغيبة، فلا يَأثم المظلوم بذلك<sup>(١)</sup>.

## توظيف المظلومية منهج قرآني

يُعدُّ توظيف المظلومية وإبداؤها للأجيال المتأخرة من المناهج التي اعتمدها القرآن الكريم في آيات كثيرة؛ من أجل الحصول على نتائج مهمة في سبيل هداية الإنسان، لعل من أهمها بيان أن المنتصر للمظلوم هو الله ﷻ، ومن النماذج البارزة لهذه الآيات الكريمة هي:

١- ما ورد في سورة القمر، عند قوله ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ \* فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾<sup>(٢)</sup>، حكاية عن النبي نوح؛ إذ إنه ﷺ بعد أن قاسى من قومه العذاب النفسي، وبعد أن قرّروا أن يرجوه فيما لو بقي على معتقده ولم يتراجع عن ذلك<sup>(٣)</sup>، دعا الله ﷻ أن ينتصر له وينصره؛ وقد انتصر له الله تعالى من هؤلاء القوم، وانتقم منهم شرَّ انتقام، كما بيّنت ذلك الآيات التي ذكرت في هذا السياق.

(١) أنظر: الخوئي، أبو القاسم، مصباح الفقاهة: ج ١، ص ٥٣٣. وقد صدر كلامه بقوله: «أقول: ذكر الشيعة والسنة من مستثنيات حرمة الغيبة تظلم المظلوم، وإظهار ما أصابه من الظالم، وإن كان مستتراً في ظلمه إياه، كما إذا ضربه أو شتمه أو أخذ ماله أو هجم على داره في مكان لا يراها أحد، أو لا يراها من يتظلم إليه؛ فإنه يجوز للمظلوم أن يتظلم بها إلى الناس».

(٢) القمر: آية ٩-١٠.

(٣) جاء في بعض التفاسير أن معنى قوله ﷻ: ﴿وَازْدُجِرَ﴾ هو أنهم أرادوا زجره بشتى الأساليب القاسية والمروعة؛ فقد ذكر القمي ﷺ في تفسيره في معنى قوله: ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ «أي: آذوه وأرادوا رجمه». القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ٢، ص ٣٤١. وأنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع: ج ٣، ص ٤٦٤.



٢- قوله ﷺ في سورة هود، ناعياً ناقة النبي صالح عليه السلام والمأساة التي مرّ بها هذا النبي، من تمرد قومه وتجريء على معجزته التي جاء بها، فيقول: ﴿وَيَقَوْمٍ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب \* فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب \* فلما جاء أمرنا نجينا صليحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز \* وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جثيم﴾ (١). وقد ضم الله تعالى في سورة الشمس - إلى جانب مظلومية عقير الناقة التي جاء بها النبي معجزة ودليلاً على صدق نبوته - مظلومية أخرى، وهي مظلومية تكذيب النبي والمس بكرامته متهمينه بالكذب والافتراء، كما في قوله تعالى: ﴿فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبيهم فسوانها﴾ (٢). والملفت للنظر في هذه الحادثة أن الله ﷻ انتقم منهم شر انتقام؛ إذ أصبحوا في ديارهم جاثمين.

٣- قوله ﷺ في تصوير المأساة التي مرّ بها النبي هارون عليه السلام، عندما خلفه أخوه النبي موسى عليه السلام مع قومه وذهب إلى ميقات ربه، وحصل خرق الدستور الإلهي من قبل السامري وقومه؛ فقال لأخيه - حين عاتبه على ما جرى -: ﴿قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تسمت بـ الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ (٣)، مستعرضاً في ذلك المأساة والمظلومية التي وقعت عليه جرأ الاعتداء الذي مارسته هذه الفئة الضالة عن الحق؛ إذ إنهم مضافاً إلى مصادرة جهوده - بصفته نبي تحمّل المشاق والمصاعب من أجل خلاص بني إسرائيل - وحرف الناس عن المسار الحق استغلوا انفراده عن أخيه واستضعفوه في تلك الفرصة التي انتهزها عدو الله السامري وشارفوا على التمكن من قتله.

(١) هود: آية ٦٤-٦٧.

(٢) الشمس: آية ١٤.

(٣) الأعراف: آية ١٥٠.

٤- بعض الآيات في سورة التكوير يصوّر البارئ ﷻ من خلالها المظلومية التي وقعت على النفس البريئة - على جميع الاحتمالات في المعنى المراد منها - التي وأدها أعداء الإنسانية، ومن دون أيّ ذنب أو جناية ارتكبتها، فاستعرض هذه المظلومية أيّما استعراض، ووظّفها على أتمّ وجه من أجل أن يحرك الرأي العام ضد هذا التيار العدواني في الدنيا قبل الآخرة، بقوله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سَمِلَتْ \* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾<sup>(١)</sup>، إلى غير ذلك من الآيات التي تمّ من خلالها توظيف المظلومية والمأساة التي مرّت على بعض الأولياء والصالحين.

### الجنبنة العقدية والدينية في توظيف مظلومية ومأساة كربلاء

لا يحقّ لنا أن نعتقد بأن أحداً من الأئمة كان يتظاهر أمام الناس بالحزن والتعاطف مع واقعة كربلاء بمظهر وتعاطف لا واقع له، وليس لأحد منّا أن ينكر ما لحادثة الطف الدامية من وقع وأثر في نفوس المعصومين عليهم السلام؛ فما ينعكس على تصرّفاتهم وأقوالهم حين تذكّرهم لما جرى - بل ما سيجري - على السبط الشهيد الإمام الحسين عليه السلام ما هو إلّا فعل متوقع ونتيجة طبيعية تصدر من ذوي المجني عليه، بل إن النفس التي يحملها المعصوم عليه السلام تجعل منه أشد الناس تأثراً لتذكر أيّ حادثة مؤلمة راح ضحيتها الأبرياء من الناس، فضلاً عن كون المجني عليه في هذه الحادثة هو ريحانة النبي صلى الله عليه وآله وخامس أصحاب الكساء والبقية الباقية منهم.

إلّا أنهم عليهم السلام بصفتهنّ منصّبون من قبل الله ﷻ لهداية البشر فلا يُعاب عليهم فيما لو اعتمدوا طريقة الاستفادة من هذه المظلومية والمأساة المؤلمة، وتوظيفها للأغراض العقدية والدينية، بما أنها منهج اعتمده القرآن لبيان بعض المسائل المهمة التي تصبّ في صالح البشر وهدايتهم.

(١) التكوير: آية ٩٨.

وليس الغرض من بحثنا هذا أن ندون جميع المسائل العقديّة والدينيّة التي وظّف لها أهل البيت عليهم السلام مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، وإنما نكتفي بذكر بعض العيّنات من ذلك، تاركين الطريق سالكاً أمام الباحثين بعد رسم خارطة الطريق في المقام، وإعطاء الخطوط العريضة للموضوع، ومن جملة هذه الأمور هي:

### الأول: التركيز على أن أعداء الإمام الحسين عليه السلام هم أعداء الله

تدخل تحت لائحة هذا العنوان مجموعة من نصوص التراث الديني التي وردت في خصوص مأساة واقعة الطف، التي كسر أهل البيت عليهم السلام من خلالها الطوق الخرافي الذي بناه علماء السوء - من أتباع السلّطة الحاكمة - الذين رفعوا لافتةً عنوانها: (عدم السماح للناس بالحكم على أيّ أحد من المسلمين بالكفر بمجرد أن يظهر الإسلام وإن جاء بما يوجب الكفر والإلحاد)؛ كلّ ذلك من أجل منح الحصانة لأرلامهم العتاة المردة الذين كانوا يرتكبون الموبقات والآثام، فتبلور من ذلك عقيدة الإرجاء، إلا أن النصوص الصادرة عنهم عليهم السلام في هذا الخصوص - بداية من الفترة النبويّة ونهاية بخطابات الإمام الحجة المنتظر عليه السلام - أبطلت هذه الفكرة من خلال الحكم على هذه الفئة الضالّة التي ارتكبت مجزرة كربلاء بهذه الكيفية البشعة، بل كلّ من اصطف معهم ورضي بفعالهم الشنيعة، ومن جملة النصوص البارزة لهذا العنوان هي:

١- ما رواه ابن قولويه في كامل الزيارات، قال عليه السلام: حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حماد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمان الأصم، عن مسمع بن عبد الملك، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كان الحسين عليه السلام مع أمّه تحمله، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: لعن الله قاتليك، ولعن الله ساليك، وأهلك الله المتوازين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك. فقالت فاطمة: يا أبة، أيّ شيء تقول؟ قال: يا بنتاه، ذكرت ما يُصيبه بعدي وبعذك

من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عُصبة كأنهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل، وكأني أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم. فقالت: يا أبة، وأين هذا الموضع الذي تصف؟ قال: موضع يُقال له: كربلاء، وهي ذات كرب وبلاء علينا وعلى الأمة، يخرج عليهم شرار أمتي، ولو أن أحدهم شفع له من في السماوات والأرضين ما شُفِّعوا فيهم، وهم المخلدون في النار. قالت: يا أبة، فيُقتل؟ قال: نعم يا بنتاه، وما قُتل قتلته أحد كان قبله، وتبكيه السماوات والأرضون والملائكة والوحش والحيتان في البحار والجبال، لو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس»<sup>(١)</sup>.

٢- ورد في نص آخر عن الإمام زين العابدين عليه السلام، ترويه له أسماء بنت عميس حول ولادة الإمام الحسين عليه السلام فتقول: «هلمّي ابني يا أسماء؟ فدفعته إليه في خرقة بيضاء، ففعل به كما فعل بالحسن عليه السلام، قالت: وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال: إنه سيكون لك حديث، اللهمّ العن قاتله، لا تُعلمي فاطمة بذلك... فلما كان يوم سابعه جاءني النبي صلى الله عليه وآله فقال: هلمي ابني. فأتيته به، ففعل به كما فعل بالحسن... ثم وضعه في حجره، ثم قال: يا أبا عبد الله، عزيز عليّ. ثم بكى، فقلت: بأبي أنت وأمي فعلت في هذا اليوم وفي اليوم الأوّل فما هو؟ قال: أبكي على ابني هذا تقتله فئة باغية كافرة من بني أمية لا أنا لهم الله شفاعتي يوم القيامة، يقتله رجل يثلم الدين ويكفر بالله العظيم، ثم قال: اللهمّ [و] إني أسألك فيها ما سألك إبراهيم عليه السلام في ذريته، اللهمّ أحبها وأحبّ من يحبها، والعن من يُبغضها ملء السماوات والأرض»<sup>(٢)</sup>.

٣- ومن أوضح النصوص التي أطّرت لهذه الفكرة هي مجموعة من الزيارات التي تُقرأ عند زيارة الإمام الحسين عليه السلام وهي كثيرة جداً، منها:  
(أ) ما ورد في مناسبات مختلفة وفي نصوص كثيرة، كزيارة عرفة وعاشوراء وزيارة

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٤٥.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٣٦٨.

وارث أيضاً: «لَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً قَتَلَتْكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً ظَلَمَتْكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

(ب) «لُعِنَتْ أُمَّةٌ قَتَلَتْكُمْ وَأُمَّةٌ خَالَفَتْكُمْ وَأُمَّةٌ جَحَدَتْ وَلايَتَكُمْ وَأُمَّةٌ ظَاهَرَتْ عَلَيْكُمْ وَأُمَّةٌ شَهِدَتْ وَلَمْ تُسْتَشْهَدْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ النَّارَ مَاوَاهُمْ وَبِئْسَ وَرْدُ الْوَارِدِينَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ»<sup>(٢)</sup>.

(ج) وقد ورد في زيارة أخرى: «أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجَاهَدْتَ الْمُلْحِدِينَ، وَعَبَدْتَ اللَّهَ حَتَّى آتَاكَ الْيَقِينُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»<sup>(٣)</sup>.

(د) وقد روى ابن قولويه رحمته الله زيارة أخرى فقال: حدثني أبي ومحمد بن عبد الله، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن عبد الله بن محمد بن خالد الطيالسي، عن الحسن بن علي، عن أبيه، عن فضيل بن عثمان الصايغ، عن معاوية بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «ما أقول إذا أتيت قبر الحسين عليه السلام؟» قال: قل: السلام عليك يا أبا عبد الله، صلى الله عليك يا أبا عبد الله، رحمك الله يا أبا عبد الله، لعن الله من قتلك، ولعن الله من شرك في دمك، ولعن الله من بلغه ذلك فرضي به، أنا إلى الله من ذلك بريء»<sup>(٤)</sup>.

(هـ) وقال عليه السلام أيضاً: حدثني الحسن بن عبد الله بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن جده محمد بن عيسى بن عبد الله، عن إبراهيم بن أبي البلاد، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: «ما تقول في زيارة قبر الحسين عليه السلام، فقال لي: ما تقولون أنتم فيه؟ فقلت: بعضنا يقول: حجة. وبعضنا يقول: عمرة. قال: فأبي شيء تقول إذا أتيت، فقلت: أقول: السلام

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجب: ص ٧٢١.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٧٧.

(٣) ابن المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٣٦.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٧٤.

عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن رسول الله، أشهد أنك قد أقيمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة. وأشهد أن الذين سفكوا دمك واستحلوا حرمتك ملعونون معذبون على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»<sup>(١)</sup>.

٤- ورد عن الإمام الحسن العسكري صلوات مفصلة في حق النبي وأهل بيته عليهم السلام، وحين وصل الكلام إلى الإمام الحسين عليه السلام قال: «...اللهم صل على الحسين بن علي المظلوم الشهيد، قتيل الكفرة، وطريح الفجرة، السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن رسول الله، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين، أشهد موقناً أنك أمين الله وابن أمينه، قُتلت مظلوماً، ومضيت شهيداً، وأشهد أن الله تعالى الطالب بئارك ومنجز ما وعدك من النصر، والتأييد في هلاك عدوك، وإظهار دعوتك، وأشهد أنك وفيت بعهد الله، وجاهدت في سبيل الله، وعبدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين. لعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة خذلتك، ولعن الله أمة ألّبت عليك»<sup>(٢)</sup>.

إلى غير ذلك من النصوص التي تضمّنت عبارات تدلّ على المعنى الذي ذكرناه في هذه النقطة، إلا أننا تركناها رعاية للاختصار.

وفي هذه الروايات - والمضامين التي يُزار بها الإمام الحسين عليه السلام - دلالات واضحة على تربية أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام على حسم بعض المسائل المهمة التي باتت محل جدل بين سائر فرق المسلمين؛ إذ بعد ظهور التيارات المنحرفة والمشوشة لأفكار المسلمين في كثير من المسائل والتي من جملتها الإرجاء وعدم الحكم على أحد بالكفر أو استحقاق العذاب ما دام يشهد الشهادتين؛ فجاء حكمهم عليهم السلام في روايات كثيرة - بصريح القول - على جمع كبير من الذين يدعون الإسلام بأنهم مخلدون في النار وأنهم

(١) المصدر السابق: ص ٣٧٨.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٣٩٩.

مستحقون للعذاب الإلهي. من خلال قوله ﷺ: «لعن الله قاتليك، ولعن الله ساليك، وأهلك الله المتوازين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك»، وكذلك قوله: «يخرج عليهم شرار أمتي، ولو أن أحدهم شفع له من في السموات والأرضين ما شُفّعوا فيهم وهم المخلدون في النار»، وأوضح منها نصوص الزيارات المتقدمة. في حين أن بعض أدعياء الإسلام يتردد في الحكم عليهم بذلك.

### الثاني: التثقيف لزيارة قبور المعصومين عليهم السلام

ما نريد ذكره في هذه النقطة ليس تكراراً لما يُبحث في موضوع زيارة قبور الأنبياء والأئمة عليهم السلام، من التطرّق إلى ثواب الزيارة وآدابها وأوقاتها، وغير ذلك من الجوانب التي اعتاد الباحثون على الكلام عنها، وإنما يتميّز عنها بجهة أخرى أردنا تسليط الضوء عليها، وهي أن زيارة قبور الأئمة والأولياء عليهم السلام لم تكن متعارفة - بما لها من قداسة واحترام - في أوساط المسلمين عموماً، وإنما كانت منحصرة في الوسط الشيعي فقط؛ ولم يكن يلحظها المسلمون كممارسة من قبَل الشيعة لساداتهم وأئمتهم الذين دُفِنوا في ذلك الزمان؛ لعدم وجود قبر منفصل في بقعة معينة يقصدها أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام أمام الملأ من المسلمين، فلم يكن قبر أمير المؤمنين عليه السلام معلوماً لجميع المسلمين في ذلك الزمان، بل أخفي قبره في بادية الكوفة ضمن رقعة جغرافية شاسعة لا يعلم مكانه إلا فئة خاصة جداً، ولم يسمح الأئمة لمن علم مكان القبر من أصحابهم بالتدليل عليه؛ لقضايا أمنية تعود لصالح الشيعة، وخوفاً على جثمان أمير المؤمنين عليه السلام من أن يُنبش القبر من قبَل أعدائه الذين لا يراعون حرمةً لشيء من أجل مآربهم. ولهذا السبب لم تكن زيارته متعارفة بين المسلمين في ذلك الزمان، هذا بالنسبة إلى قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

وأما قبر سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، فلم يزل غير معلوم المكان لأي أحد من المسلمين على الإطلاق - إلا أهل البيت عليهم السلام - فمع كونها ابنة رسول الله ﷺ، ورغم أنها

دُفنت في أرض المدينة، إلا أنك لا تجد أحداً من المسلمين يعلم مكان قبرها عليه السلام، وعلى هذا الأساس؛ فمن الطبيعي جداً أن يغفل المسلمون أمر زيارتها والتردد على قبرها.

غاية الأمر هو أن مكان قبر الإمام الحسن المجتبي - السبط الأول للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله - كان معلوماً لدى جميع أهل المدينة، إلا أن زيارة قبره من قبل أتباعه - فيما لو كانوا يزورونه بمرأى ومسمع من المسلمين - لم تكن ملفتة للنظر؛ لكثرة القبور في ذلك المكان وهو بقيق الغرقد، وكان من ضمنها قبر حمزة سيد الشهداء في زمانه؛ فلا يلتفت المسلمون إلى أن زيارته عليه السلام من قبل أتباعه وشيعته للقدسية التي يمتاز بها على سائر الناس؛ أو لكونه إماماً مفترض الطاعة.

نعم، كان المعلّم البارز لدى جميع المسلمين بصفته قبراً يُزار من قبل بعضهم هو قبر خير الخلق رسول الله صلى الله عليه وآله المدفون في المدينة المنورة، وكان أول من زاره من الناس وتردد عليه كثيراً هم أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء وسبطاه الحسن والحسين عليهما السلام، إلا أن بعضاً من المسلمين يرى أن هذه الممارسة كانت بدافع العاطفة الأسرية بينه صلى الله عليه وآله وبينهم عليهما السلام، وأما سائر المسلمين فإنها كانت زياراتهم له صلى الله عليه وآله ضمن زيارة المسجد النبوي الذي يقصده الناس من سائر المدن والبلدان النائية، ولم يكن الغرض الوحيد زيارة القبر بما له من قداسة كما هو عليه في هذه الأزمنة.

والمحصلة النهائية في هذه النقطة هي: أن زيارة قبور الأئمة عليهم السلام في تلك الفترة لم تكن ثقافة معروفة بين المسلمين وسمة واضحة من سمات أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ومن هنا؛ وظّف أئمة أهل البيت مظلومية الإمام الحسين عليه السلام ومأساته الأليمة للثقيف لزيارة قبره الشريف وقبور سائر المعصومين عليهم السلام؛ إذ سجّل لنا تراثهم الروائي كما هائلاً من الروايات التي تتكلم عن زيارة الإمام الحسين المظلوم الشهيد عليه السلام، وأن زيارته فريضة واجبة على كل من يُقرّ له بالإمامة، بالإضافة إلى تعليمهم طرق التخاطب التي يُزار بها الإمام من قبل شيعته وموإليه، فقد روى الحميري عن الإمام الصادق عليه السلام أنه



قال: «... زوروه ولا تجفوه؛ فإنه سيد شباب الشهداء، وسيد شباب أهل الجنة، وشبيه يحيى بن زكريا، وعليهما بكت السماء والأرض»<sup>(١)</sup>، وفي رواية أخرى عن عبد الله بن حمّاد البصري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «...قلت: جعلت فداك، وما هذا الذي وصفت ولم تُسمه؟ قال: زيارة جدي الحسين بن علي عليه السلام، فإنه غريب بأرض غربة، يبكيه من زاره، ويحزن له من لم يزره، ويحترق له من لم يشهده، ويرحمه من نظر إلى قبر ابنه عند رجله، في أرض فلاة لا حميم قربه ولا قريب، ثم منع الحق وتوازr عليه أهل الردة، حتى قتلوه وضيعوه وعرضوه للسباع، ومنعوه شرب ماء الفرات الذي يشربه الكلاب، وضيعوا حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيته به وبأهل بيته، فأسمى مجفواً في حفرته، صريعاً بين قرابته وشيعته بين أطباق التراب، قد أوحش قربه في الوحدة والبعد عن جده، والمنزل الذي لا يأتيه إلا من امتحن الله قلبه للإيمان وعرفه حقنا. فقلت له: جعلت فداك، قد كنت آتية حتى بُليت بالسلطان وفي حفظ أموالهم وأنا عندهم مشهور، فتركت للتقية إتياته وأنا أعرف ما في إتيانه من الخير. فقال: هل تدري ما فضل من أتاه وما له عندنا من جزيل الخير؟ فقلت: لا. فقال: أما الفضل فيباهيه ملائكة السماء، وأما ما له عندنا فالترحم عليه كل صباح ومساء»<sup>(٢)</sup>.

فإذا أضفنا إلى ذلك ما تقدم معنا من النصوص التي خاطب بها الأئمة عليهم السلام الإمام الحسين عليه السلام أو التي علموا أتباعهم كيفية مخاطبتهم له عليه السلام، بما تحمل من مضامين تدل على علو منزلته عليه السلام وعظيم قدره عند الله عز وجل، والتي انطلقوا فيها من بيان مظلوميته والمأساة التي لاقاها عليه السلام؛ فيتضح لنا المغزى من تأكيدهم على زيارته عليه السلام من منطلق حقيقته وإمامته وأنه مفترض الطاعة.

وتُلفت أنظار القراء الكرام إلى أن هذه النقطة بالخصوص تختزل عدة حقائق

(١) الحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد: ص ٩٩.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٥٣٧.

دينية وعقدية مهمة، إذ تحمل في طياتها المعارف التوحيدية، والإقرار بالنبوة، والمعاد، والتعريف بحقيقة الإمام وحقه على الناس وغيرها من العلوم التي أضحت واضحة للجميع بعد تداول النصوص المختصة بزيارته عليه السلام وقراءتها في مناسبات عديدة.

### الثالث: التأكيد على لزوم التضحية من أجل الدين

من الأمور الغريزية لدى الإنسان هو حب الدعة والراحة والعافية، والبحث عن حياة هادئة بمنأى عن المصادمات مع الآخرين؛ وهذا الأمر في حد ذاته ليس معيباً فيما لو كان بنحو من الاعتدال، وإنما الإفراط فيه يكون باعثاً إلى التخاذل وضعف المواقف ضد الباطل والمبطلين، وهذه هي الصفة البارزة لدى غالبية المجتمعات وفي شتى العصور والأزمنة، ولما كانت هذه الخصيصة نقطة ضعف شخصها الطغاة والظلمة أو جدوا أساليب متشابهة يتبعونها لإخافة الناس وإرعابهم، مما جرأهم على التهادي في الظلم والاستبداد؛ ولهذا السبب سَلَطَ الأئمة عليهم السلام الضوء على لزوم تحمُّل المصاعب والتضحية بكل غالٍ ونفيس في سبيل الاصطفاف مع الحقِّ وأهله، موظفين - في ذلك - المظلومية التي تحمّلها الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته في سبيل الله، ومستعرضين ما تحمّله الدعاة والهداة والمستضعفين في العصور المتقدمة، فقد أثار عن الإمام زين العابدين عليه السلام حين سأله المنهال «فقال له: كيف أمسيت يا بن رسول الله؟ فقال: ويحك! كيف أمسيت؟! أمسينا فيكم كهيئة بني إسرائيل في آل فرعون، يُذَبِّحُونَ أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منها، وأمسى آل محمد مقهورين مخذولين، فإلى الله نشكو كثرة عدونا، وتفرُّق ذات بيننا، وتظاهر الأعداء علينا»<sup>(١)</sup>. وروى لنا ابن قولويه أيضاً قال: حدثني أبي رحمه الله وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن أبي داود المسترق، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «بكى علي بن الحسين على

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٣٠٥.

أبيه حسين بن علي عليه السلام عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وُضع بين يديه طعاماً إلا بكى على الحسين، حتى قال له مولى له: جُعلت فداك يا بن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: إنما أشكو بُني وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون؛ إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة لذلك»<sup>(١)</sup>، وقد استعرض عليه السلام - في رواية أخرى مشابهة لما ذكرناه سابقاً - عدد القتلى الذين سقطوا في هذه الواقعة الأليمة حيث قال: «أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فقال له: ويحك! إن يعقوب النبي كان له اثنا عشر ابناً فغيب الله واحداً منهم فايضت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حياً في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟!»<sup>(٢)</sup>، وفي هذا التظلم والشكوى من الواقع المرير الذي يعانيه سلام الله عليه إثر ما جرى عليهم في واقعة كربلاء الأليمة رسالة ودعوة واضحة إلى أنه يتحتم على كل مؤمن أن يُعاهد الله بتحمل كل المصائب والمآسي في سبيله ومن أجل نصرته دينه.

#### الرابع: التشجيع على قراءة القرآن والتمعن فيه

تتعدد الأساليب والطرق التي اتبعتها أهل البيت عليهم السلام في دعوة شيعتهم وتشجيعهم إلى قراءة القرآن والتدبر في آياته؛ لما لذلك من تأثير على روحية الفرد المسلم وعلى تصرّفاته وسلوكياته تجاه نفسه ومجتمعه، وقد ورد كمّ هائل من الأحاديث التي تحبّب قراءة الكتاب، كما روى لنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص قال: «سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول: لرجل أحبّ البقاء في الدنيا؟ فقال: نعم. فقال: ولم؟ قال: لقراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فسكت عنه، فقال له بعد ساعة: يا حفص، مَنْ مات من أوليائنا وشيعتنا ولم يُحسن القرآن علّم في

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٥٣٧.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٣٠٣.

قبره ليرفع الله به من درجته؛ فإن درجات الجنة على قدر آيات القرآن، يُقال له: اقرأ وارق. فيقرأ ثم يرقى...»<sup>(١)</sup>، ولأجل حث أتباعهم وشيعتهم على قراءة القرآن استخدموا عليه السلام هذه النقطة التي ينجذب المحب لأهل البيت من خلالها لقراءة القرآن والتأمل فيه، وهي بيان السور والآيات التي ترتبط بالإمام الحسين عليه السلام، أو التي تنطبق عليه باعتباره المصداق الأجل والأوضح لها، وهذا ما نلاحظه في التراث الديني الوارد عنهم عليهم السلام بكثرة كاثرة؛ إذ إنهم بدأوا في تربية شيعتهم من نقطة الانطلاق المؤثرة في نفوسهم، ألا وهي بيان الترابط الوثيق بين الإمام الحسين المظلوم والآيات القرآنية، وبينوا المواضع التي عُني فيها الإمام الحسين عليه السلام؛ فقد ورد عن أبي عبد الله أنه قال: «اقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم؛ فإنها سورة الحسين بن علي عليه السلام، من قرأها كان مع الحسين عليه السلام يوم القيامة في درجته من الجنة، إن الله عزيز حكيم»<sup>(٢)</sup>، وفي ذيل هذه الرواية ما يبعث بالقارئ إلى الدهشة والاشتياق لإدمان قراءة هذه السورة بغية حصوله على الأجر الذي يترتب عليها، وهو الكون مع الإمام الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة.

وكم هو واضح الفرق بين دخول الجنة أو الرقي في درجاتها - كما في سائر الروايات التي تتكلم عن ثواب قراءة القرآن - وبين الكون مع الإمام الحسين في درجته، فيحظى برؤيته عليه السلام وصحبته في تلك النزل التي تتمناها ملائكة الرحمان في الدنيا والآخرة.

وقد رويت هذه الرواية في البحار بتفصيل أكثر، يتضمن حواراً دار بين الإمام وبعض الحضار آنذاك، فقال عليه السلام: «كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة: روى محمد بن العباس بإسناده عن الحسن بن محبوب بإسناده عن صندل، عن دارم بن فرقد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: اقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم؛ فإنها سورة الحسين عليه السلام وارغبوا فيها، رحمكم الله. فقال له أبو أسامة - وكان حاضراً المجلس: كيف صارت هذه

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٦٠٦.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ١٢٣.

السورة للحسين عليه السلام خاصة؟ فقال: ألا تسمع إلى قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً \* فَأَدْخُلِي فِي عَبْدِي \* وَأَدْخُلِي جَنِّي﴾. إنَّها يعني بها: الحسين بن علي عليه السلام، فهو ذو النفس المطمئنة الراضية المرضية، وأصحابه من آل محمد - صلوات الله عليهم - الراضون عن الله يوم القيامة، وهو راضٍ عنهم، وهذه السورة نزلت في الحسين بن علي عليه السلام، وشيعته وشيعة آل محمد خاصة. من أدمن قراءة الفجر، كان مع الحسين عليه السلام في درجته في الجنة، إنَّ الله عزيز حكيم<sup>(١)</sup>.

وأما تفسيرهم للآيات القرآنية التي فسرت من قبلهم عليه السلام فهي كثيرة جداً، كما ذكر جعفر بن محمد بن قولويه، قال: حدثني أبي، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد وإبراهيم بن هاشم، عن محمد بن أبي عمير، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سَلَّتْ \* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنَلَتْ﴾، قال: نزلت في الحسين بن علي عليه السلام<sup>(٢)</sup>. وغير ذلك من الروايات التي يطول الكلام بذكرها وسوف يأتي بعضها في النقطة اللاحقة عند الكلام عن الأخذ بالثأر.

فعلى الرغم من تأكدهم عليه السلام على أن القرآن يجري كمجرى الشمس والقمر، وأنه ينطبق على الأحياء كما ينطبق على الأموات<sup>(٣)</sup>، إلا أنهم عمدوا إلى ربط شيعتهم بهذه الآيات التي يتذكرون من خلالها إمامهم المظلوم المهتزم عليه السلام؛ لكي يزدادوا تلهفاً وشوقاً لقراءة القرآن؛ فيحصلون على الثواب الذي أعدَّ لقارئ القرآن والمتدبر في معانيه.

### الخامس: توظيف المظلومية ومبررية الأخذ بثأره عليه السلام

إحدى النقاط المهمة والتي أضحت مثار جدل في أوساط المسلمين المعاصرين

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢١٨.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٣٤.

(٣) الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، ص ٢٢٣.

للأئمة المعصومين عليهم السلام - فضلاً عن المجتمعات المعاصرة التي تردد شعارات حقوق الإنسان وغيرها من القوانين التي سنّها القانون الوضعي - هو النداء بالثأر للإمام الحسين عليه السلام في النصوص التي يُطلقها الإمام الحجة المنتظر عليه السلام حينما يتنعم المستضعفون بحضوره بينهم، فقد أفادت بعض النصوص أنه عليه السلام يأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام من أعدائه، فرؤي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحُسَيْنِ مَا كَانَ ضَجَّتِ الْمَلَائِكَةُ وَقَالُوا: يَا رَبَّنَا، هَذَا الْحُسَيْنُ صَفِيكَ وَابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكَ. قَالَ: فَأَقَامَ اللَّهُ ظِلَّ الْقَائِمِ عليه السلام وَقَالَ: بِهَذَا أَنْتَقِمُ لِهَذَا»<sup>(١)</sup>. بل قد روي في عقاب الأعمال عن ابن الوليد، عن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «الْقَائِمُ - وَاللَّهِ - يَقْتُلُ ذُرَارِي قَتْلَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام بِفِعَالِ آبَائِهَا»<sup>(٢)</sup>؛ وقد أطروا عليهم السلام لهذه الحقيقة من خلال تفسيرهم للآيات التي حملت هذه الفكرة، كما في الرواية الواردة عن الحسن بياع الهروي، يرفعه عن أحدهما عليه السلام في قوله: «فَلَا عُدْوَانَ **إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ**». قال: **إِلَّا عَلَى ذُرِيَةِ قَتْلَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام**<sup>(٣)</sup>، الأمر الذي أثار استغراب بعض الحُصَّارِ والسامعين - بل كلِّ مَنْ وصلت إليه هذه الروايات - ودفع بهم إلى التساؤل حول ملاءمة ذلك مع النصوص التي تنفي مؤاخذه الآخرين بذنوب وفعال غيرهم. وقد انطلق أهل البيت عليهم السلام من مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، موظفين ذلك لبيان هذه المسألة الإلهية، كما روى أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، قال: عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: يا بن رسول الله، ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام: أنه قال: «إِذَا خَرَجَ الْقَائِمُ عليه السلام قَتَلَ ذُرَارِي قَتْلَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام بِفِعَالِ آبَائِهِمْ؟ فَقَالَ عليه السلام: هُوَ كَذَلِكَ. فَقُلْتُ: وَقَوْلُ اللَّهِ عز وجل:

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٤٦٥.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٣٥.

(٣) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٦.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ . ما معناه؟ قال: صدق الله في جميع أقواله، ولكن ذراري قتله الحسين عليه السلام يرضون بأفعال آبائهم ويفتخرون بها؛ ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أن رجلاً قُتل بالمشرك فرضيَ بقتله رجلٌ في المغرب لكان الراضي عند الله عز وجل شريكَ القاتل، وإنما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم...»<sup>(١)</sup>. مع أن الإمام الصادق عليه السلام أوضح هذه الفكرة أيضاً وذلك في روايات أخرى يسأل فيها بعض أهل الكوفة عن قتلة الإمام الحسين عليه السلام، قائلاً لأحدهم: «تنزل الكوفة؟ فقلت: نعم. فقال: ترون قتلة الحسين عليه السلام بين أظهركم؟ قال: قلت: جعلت فداك ما بقي منهم أحد. قال: فأنت - إذن - لا ترى القاتل إلا من قتل أو من ولي القتل؟! ألم تسمع إلى قول الله: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ فَلْتَمَّ فَلَيْمٌ فَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فأبي رسول قتل الذين كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرهم، ولم يكن بينه وبين عيسى رسول، وإنما رضوا قتل أولئك فسموا قاتلين»<sup>(٢)</sup>.

وإذا أردنا أن نطبق مضامين هذه الروايات على واقعنا المعاش وظرفنا الراهن فإننا نجد نماذج كثيرة وكثراً هائلاً - في وقتنا الحاضر - من هؤلاء الذين يرضون بأفعال قتلة الحسين عليه السلام، بل إنهم بصريح قولهم يُقرون بذلك أمام الملاء وعبر شبكات التواصل، فيصفون كربلاء الشهادة بأوصاف يصعب على الفرد المؤمن سماعها، ويعييون على كل من يتفاعل مع مصيبة الإمام الحسين عليه السلام كأننا من كان، وقد باتت هذه النماذج من الأمور التي لا يحتاج إثباتها إلى برهنة؛ إذ ما نراه بأعيننا لا يفتقر إلى دليل.

فيتضح للقارئ السر والسبب الذي يُبرر للإمام الحجة المهدي عليه السلام تنفيذ القصاص العادل في حق هؤلاء الظلمة ذرية الظالمين، من خلال توظيفهم عليهم السلام لهذه المظلومية الأليمة في النصوص التي ذكرناها في هذه النقطة.

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٤٧.

(٢) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٠٩.

وفي نهاية المطاف نخرج بنتيجة مهمّة: وهي أن هناك مجموعة من المسائل الدينية والعقائدية تم بيانها عن طريق ذكر الإمام الحسين عليه السلام ومظلوميته التي يتفاعل معها كل من له أدنى رحمة في قلبه.

وهناك مجموعة من المسائل العقديّة والدينيّة التي يطول الكلام فيها لو أردنا تعدادها مفصلاً، إلا أننا أسلفنا فيما سبق أن الباب مفتوح والطريق سالك أمام الباحثين والمحقّقين لإشباع هذا الموضوع، وعلى هذا الأساس؛ فكلّنا أمل أن نجد كتاباً أو دراسة مفصلة في هذا الشأن، لإثراء الساحة العلميّة.



# المشيئة الإلهية لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام

السيد شهيد طالب الموسوي<sup>(١)</sup>

## تمهيد

إنّ البحث في المشيئة الإلهية للمظلومية والمأساة يمكن تصوّره في أمرين:  
الأوّل: تبني مفهوماً واضحاً حول المشيئة الإلهية؛ باعتبارها من المباحث الدقيقة،  
والتي تدخل في مجال علم الكلام إلى جانب مبحث الإرادة؛ فإنّ تكوين مثل هذا المفهوم  
أمرٌ ضروري، خاصّةً عند البحث في قضية الإمام الحسين عليه السلام، وتلك المظلومية التي  
أضحت تُمثّل أوضح أشكال الظلم على الإنسان، ذلك الموجود الذي كرّمه الله تعالى  
على كثيرٍ ممّن خلق.

الثاني: إنّ المظلوميّة والمأساة نوعٌ من أنواع البلاء والامتحان، الذي يُعتبر من  
السُنن الإلهية الجارية على الخلق، والتي من شأنها تحقيق أهداف إلهية في هذا الوجود،  
سواء على مستوى الكمال الفردي؛ باعتبار ما للمظلومية أو البلاء - بشكلٍ عام - من أثرٍ  
فعّال على مستوى تربية الفرد وبنائه نفسياً؛ ليكون محلّاً لفيض الرحمة والهداية الإلهية،  
أو على مستوى الكمال العام؛ باعتبار ما يحقّقه الفرد أو الجماعة الداخلة في هذا الاختبار،

(١) كاتب وباحث إسلامي.

والناجحة فيه من أن يكونوا الأسوة الحسنة للمؤمنين في تحمّل أعباء الرسالة الإلهية، أو الحفاظ عليها بمستوى من المستويات، وعلى أقلّ تقدير الحفاظ على معالمها من الاندراست تحت تأويلات المبطلين، وسطوة الظالمين على الناس فكرياً ومادياً. وهي مسؤولية عظيمة يتصدّى لها رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه في أن يكونوا حماة الدين والقيم الإنسانية، التي رسّخت معالمها الأديان السماوية على مرّ العصور وتدافع الدهور.

### تعريف المشيئة

المشيئة في اللغة محل نزاع بين اللغويين: فمنهم من ذهب إلى ترادف المعنى بين المشيئة والإرادة. ومنهم من ذهب إلى تباينهما. ذكر ابن منظور ما نصّه: «المشيئة: الإرادة، شئت الشيء أشأؤه شيئاً، ومشيئةً ومشاءةً، ومشايةً»<sup>(١)</sup>.

وفي موضع آخر يُنقل عن الجوهرى قوله: «والإرادة: المشيئة...»<sup>(٢)</sup>. وعليه؛ يظهر أن بعض علماء اللغة قائلون بالترادف بين المشيئة والإرادة. إلا أن الزبيدي في تاج العروس فرّق بينهما في قوله: «شئتُه - أي: الشيء - أشأؤه شيئاً ومشيئةً كخطيئة، ومشاءةً ككراهة، ومشائيةً كعلانية: أردته. قال الجوهرى: المشيئة: الإرادة. ومثله في المصباح والمحكم، وأكثر المتكلمين لم يفرّقوا بينهما، وإن كانتا في الأصل مختلفتين، فإن المشيئة في اللغة: الإيجاد، والإرادة: طلب»<sup>(٣)</sup>. إلا أنه يمكن القول: إن المشيئة لغة غير الإرادة - كما ذكر الزبيدي - وما أورده

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١، ص ١٠٣.

(٢) المصدر السابق: ج ٣، ص ١٩١.

(٣) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ١، ص ١٨٥.

الأصفهاني في المفردات بقوله: «والمشيئة عند أكثر المتكلمين كالإرادة سواء، وعند بعضهم المشيئة في الأصل: إيجاد الشيء وإصابته. وإن كان قد يُستعمل في التعارف موضع الإرادة، فالمشيئة من الله تعالى: هي الإيجاد، ومن الناس: هي الإصابة. قال: والمشيئة من الله تقتضي وجود الشيء؛ ولذلك قيل: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»<sup>(١)</sup>.

فالمشيئة لغة: إيجاد الشيء، ولكن ليس إيجاد الشيء على نحو التحقق الفعلي الخارجي، بل هو أول مراتب وجوده، كما ورد عن الرضا عليه السلام حين سأله يونس: «قلت: لا يكون إلا ما شاء الله، وأراد وقضى؟ فقال: لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى. قال: فقلت: فما معنى (شاء)؟ قال: ابتداء الفعل. قلت: فما معنى (أراد)؟ قال: الثبوت عليه. قلت: فما معنى (قدر)؟ قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه. قلت: فما معنى (قضى)؟ قال: إذا قضاه أمضاه فذلك الذي لا مرد له»<sup>(٢)</sup>.

وورد عنه عليه السلام أيضاً قوله: «المشيئة: الاهتمام بالشيء، والإرادة: إتمام ذلك الشيء»<sup>(٣)</sup>. حيث إن الشيء يتسلسل بمراتب وجوده إلى حدّ القضاء، فيمضيه الله تعالى؛ أي: يُحقّقه ويُعيّنه، وإلى ذلك يُشير قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٤)</sup>.

### المشيئة الإلهية في روايات أهل البيت عليهم السلام

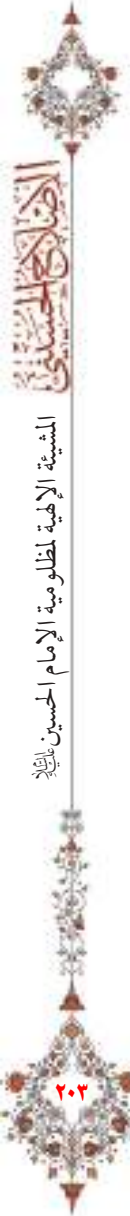
إضافةً إلى ما تضمّنته آيات الذكر الحكيم من بيان مفهوم المشيئة، فإننا نجد أنّ الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام كذلك قد بيّنت - وبشيءٍ من التفصيل - هذا

(١) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ٢٧١.

(٢) الخبوشاني، عزيز الله، مسند الإمام الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٠.

(٣) الديلمى، الحسن بن علي، إعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٣٠٧.

(٤) البقرة: آية ١١٧.



المصطلح باعتباره مفهوماً قرآنياً، إضافةً إلى المسؤولية الإلهية التي يتحملونها في بيان الحق، ودفع الأباطيل عن فهمه؛ وباعتبار ما له من مدخلية تصبّ في فعل العبد، وهو ما رَوَّج له بنو أمية وأتباعهم، بطرح مفاهيم خاطئة من شأنها التشويش على أذهان العامة من الناس؛ لتبرير أفعالهم الوحشية، ونسبتها إلى الله تعالى ظلماً وعدواناً.

وأول محاولة كانت في مجلس ابن زياد، حيث تذكر الرواية: «ثم قال لعلي بن الحسين عليه السلام: مَنْ أنت؟ قال: علي بن الحسين. قال: أليس قُتل الله علي بن الحسين؟ قال: كان لي أُخٌ يُسمّى علياً قتله الناس. قال ابن زياد: بل الله قتله. فقال علي بن الحسين: الله يتوفى الأنفس حين موتها»<sup>(١)</sup>.

كذلك ما ورد في مخاطبة ابن زياد للعقيلة زينب عليها السلام: «فأقبل إليها فقال: الحمد لله الذي فضحككم وأكذب أحموتكم!! فقالت: إنما يُفتضح الفاسق ويُكذّب الفاجر، وهو غيرنا. فقال ابن زياد: كيف رأيت صنعَ الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قومٌ كُتِبَ عليهم القتال، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فُتُحَجَّ وتُحَاصَم، فأنظر لمن يكون الفلج يومئذٍ، هبلك أمك يا بن مرجانة»<sup>(٢)</sup>.

وبعد هذه المقدمة نقول: إن روايات أهل البيت عليهم السلام تعرّضت بشكلٍ غير محدود لبيان المشيئة الإلهية، وإن كنا نجد الغرابة والغموض في بعض الأخبار، إلا أننا بضمّ الأخبار الأخرى نستطيع الوقوف على معنى واضح للمشيئة الإلهية، ومن جملة الأخبار الواردة في بيان المشيئة الإلهية ما جاء عن الصادق عليه السلام: «حَلَقَ اللهُ المشيئةَ بنفسها، ثم حَلَقَ الأشياءَ بالمشيئة»<sup>(٣)</sup>.

ذكر الشيخ المجلسي في البحار خمسة وجوه لبيان الغموض في هذه الرواية، وقد

(١) ابن نما الحلي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص ٧١.

(٢) ابن طائوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٢٠١.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١١٠.

رَجَّحَ الوجه الأوَّل؛ حيث قال: «هذا الخبر الذي هو من غوامض الأخبار، يحتمل وجوهاً من التأويل:

الأوَّل: أن لا يكون المراد بالمشيئة الإرادة، بل إحدى مراتب التقديرات التي اقتضت الحكمة جعلها من أسباب وجود الشيء، كالتقدير في اللوح مثلاً والإثبات فيه، فإنَّ اللوح وما أُثِّبَ فيه لم يحصل بتقديرٍ آخر في لوحٍ سوى ذلك اللوح، وإنَّما وُجد سائر الأشياء بما قُدِّرَ في ذلك اللوح، وربما يلوح هذا المعنى من بعض الأخبار... وعلى هذا المعنى؛ يُحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير». إلى أن قال: «والأوفق بأصولنا هو الوجه الأوَّل»<sup>(١)</sup>.

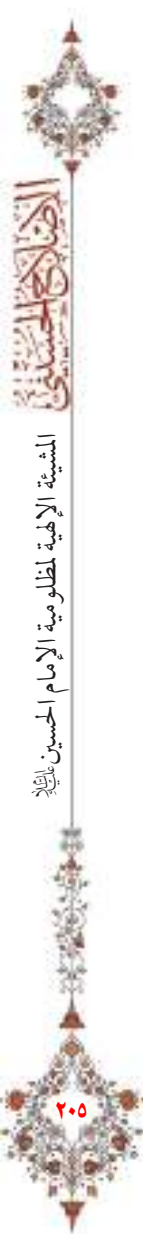
فالمشيئة هي مصدر الشيء وعلته، وبالمشيئة وُجِدَت الأشياء، لا أنَّ المشيئة هي ذلك الشيء الموجود<sup>(٢)</sup>، وهو واضحٌ من قول الصادق عليه السلام: «خَلَقَ الأشياءَ بالمشيئة». أمَّا قوله عليه السلام: «خَلَقَ اللهُ المشيئةَ بنفسها». فهو يدلُّ على أنَّ المشيئة أوَّلُ خلقٍ ابتدعه اللهُ تعالى، والابتداع غير الخلق، فالابتداع: خلق شيءٍ لا من شيء. والخلق: خلق شيءٍ من شيء. فالمشيئة مخلوقةٌ بنفسها وليس من شيءٍ آخر، فهي الخلق الأوَّل، وسائر الأشياء مخلوقةٌ بالمشيئة، كما ورد عن الرضا عليه السلام: «يا يونس، تَعَلَّمْ ما المشيئة؟ قلت: لا. قال: هي الذكر الأوَّل»<sup>(٣)</sup>.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤، ص١٤٥.

(٢) وقع الخلاف في أنَّ المشيئة هل هي مصدر ميمي، أو أمَّا مصدر بمعنى الاسم؟ والفرق بين كونها مصدرًا أو اسمًا: أنَّ المصدر يدلُّ على أصل العملية؛ أي: إنَّ المشيئة هي مَنْ جعلت الأشياء تكون أشياء، وقبل ذلك لم تكن شيئاً.

أمَّا الاسم فيدلُّ على الحالة التي نشأت بتأثير هذه العملية؛ أي: إنَّ المشيئة هي ذلك الشيء الموجود. وكونها مصدرًا أقرب؛ لأنَّ المصدر يدلُّ على صنع الشيء وفعله، والاسم هو ذلك الشيء المتحقق وجوداً، فنقول: شاء ذلك؛ أي: أوجده وصيَّره شيئاً موجوداً، لا أنَّ المشيئة هو ذلك الشيء الموجود، كما سيأتي بيان ذلك في روايات أهل البيت عليه السلام.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص١٥٨.



وربَّ قائلٍ يقول: إننا نلحظ روايات متعدّدة ذكرت الخلق الأوّل، أو أوّل الخلق الذي ابتدعه الله تعالى، كاللوح، والقلم، ونور نبيّنا محمد ﷺ، وغير ذلك، فهل المشيئة غير ذلك؟ وبالتالي كيف تكون كلّها مخلوقة أوّلاً مع تعدّدها؟

فنقول: إن الروايات تُشير إلى حقيقةٍ واحدة، وهذه الحقيقة لها اعتبارات وحيثيات، فسُمّيت طبقاً لاعتباراتها، فالحقيقة سُمّيت مشيئة باعتبار أنّها علّة إيجاد الأشياء، كما أشارت إلى ذلك رواية الإمام الصادق عليه السلام.

أمّا قول بعض المحقّقين من أنّ المشيئة صفة أزلية للذات، أو أنّ المشيئة التي هي مصدر الأشياء وعلتها الأولى، وأنّ هذه المشيئة كائنة بمشيئة أزلية، وهي المشيئة في مقام الذات، فهي إشارة إلى العلم في مقام الذات، ولا يمكن أن نقول: إنّ الله مشيئة أزليّة، فنُثبت صفةً أزليّةً غير العلم والقدرة والحياة؛ وذلك لعدّة وجوه نذكر منها:

**الأوّل:** وردت روايات جاء فيها حدوث المشيئة لا قديمها وأزليّتها، منها:

ما ورد في الكافي عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «المشيئة مُحدّثة»<sup>(١)</sup>. وفي التوحيد عن سليمان بن جعفر الجعفري، قال: قال الرضا عليه السلام: «المشيئة والإرادة من صفات الأفعال، فمنّ زعم أنّ الله تعالى لم يزل مريداً شائئاً فليس بموحّد»<sup>(٢)</sup>.

ولم ترد روايات تتحدّث عن المشيئة في مقام الذات، بل ورد أنّ ما يكون سابقاً على المشيئة هو العلم، كما في رواية عن معلّى بن محمد، قال: سئل العالم عليه السلام كيف علم الله؟ قال: «علم، وشاء، وأراد، وقدّر، وقضى، وأبدى، فأمضى ما قضى، وقضى ما قدّر، وقدّر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة، وبمشيئته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، فالعلم متقدّم المشيئة، والمشيئة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقعٌ على القضاء بالإمضاء، فلله تبارك وتعالى البدء فيما علم متى شاء، وفيما

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ١١٠.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص ٣٣٨.

أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء، فالعلم بالمعلوم قبل كونه، والمشية في المنشأ قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه...»<sup>(١)</sup>.

الثاني: إن من شأن المشيئة التبدل والتغير، كما هو واضح في قوله تعالى: ﴿يَمَحُورُوا  
اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْتِجُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

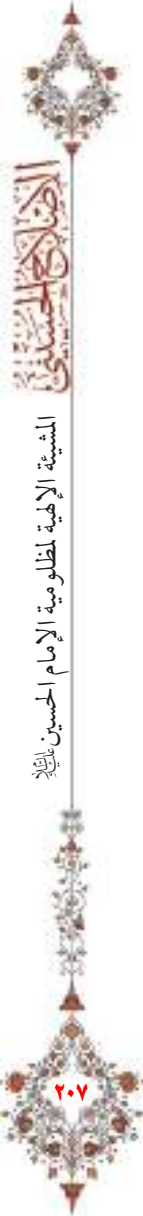
وهذا محال بالنسبة إلى الذات، إضافةً إلى أن المشيئة هي تقدير عالم الإمكان؛ وبهذا المعنى فكل شيء ينتهي إلى المشيئة كما بدأ منها، ولا نستطيع أن نفهم شأنيّة معينة للذات لم تصدر منها، فهي ممّا استأثر الله به عنده وشأن عالم الإمكان في مشيئة الله الحادثة؛ لأنّها علّة الأشياء، وما هو خارج عن هذا التقدير فليس لعالم الممكنات فيه شأن.

الثالث: إن ما يُصطلح عليه بالمشيئة الأزلية هو في الحقيقة العلم الذي هو عين ذاته تعالى كما هو محقق، وهذا العلم ليس مشيئة؛ لأنّ المشيئة هي تقدير عالم الإمكان، وهذا هو معنى قوله عليه السلام: «خَلَقَ اللَّهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا». لا أن المشيئة مخلوقة بمشيئة ذاتية أو أزلية؛ لأنّه يلزم التسلسل، كما ذكر الشيخ المجلسي ذلك بقوله: «إنّه لما كان ههنا مظنةً شبهةً، هي أنّه: إن كان الله عز وجل خلق الأشياء بالمشيئة فبِمَ خلق المشيئة؟ أم مشيئةً أخرى؟ فيلزم أن تكون قبل كلّ مشيئة مشيئة إلى ما لا نهاية له، فأفاد الإمام عليه السلام: أن الأشياء مخلوقة بالمشيئة، وأمّا المشيئة نفسها فلا يحتاج خلقها إلى مشيئةٍ أخرى، بل هي مخلوقة بنفسها؛ لأنّها نسبة، وإضافةً بين الشائي والمشيء، تتحصّل بوجوديهما العيني والعلمي؛ ولذا أضاف خلقها إلى الله سبحانه؛ لأنّ كلا الوجودين له وفيه ومنه، وفي قوله عليه السلام: بنفسها. دون أن يقول: بنفسه. إشارة لطيفة إلى ذلك، نظير ذلك ما يُقال: إنّ الأشياء إنّما توجد بالوجود، فأما الوجود نفسه فلا يفتقر إلى وجودٍ آخر، بل إنّما يوجد بنفسه»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ٣٣٤.

(٢) الرعد: آية ٣٩.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤، ص ١٤٦.



أما وجه التفريق بين المشيئة والإرادة: فإنَّ الشيخَ المجلسي وإن احتمل هذا الأمر ولم يقطع، وتبنّى هذا الاحتمال في قوله: «الأوفق بأصولنا». إلا أنَّ الفرق واضحٌ، فالمشيئة مرتبة سابقة على الإرادة، كما أنَّ متعلِّقَ المشيئة غير متعلِّقِ الإرادة، فالمشيئة متعلِّقة بالموجود بها هو موجود في علم الله تعالى، فتعلِّقُ المشيئة به بصيرَه على نحوٍ من الوجود التفصيلي، هذا الوجود الذي يجعله قابلاً لأن يكون بأمره تعالى، أو قل: إنَّ اختيار الشيء الموجود في علم الله تعالى يُصيرُه شيئاً معلوماً تفصيلاً، وهو معنى الاهتمام بالشيء، أو ابتداء الفعل، كما في الروايات التي وردت في تعريف المشيئة، ثم تتعلَّقُ به الإرادة على نحو الإيجاد الفعلي، فهناك مرتبة سابقة على المشيئة وهي العلم، ووجود الأشياء في علم الله تعالى إجمالي لا تفصيلي؛ أي: إنَّه بسيط، والبساطة ليست من شأن المشيئة؛ لأنَّ المشيئة مركَّبة لتعلُّقها بالأشياء، أو بعالم الإمكان، فالمشيئة هي الوجود العلمي التفصيلي للأشياء، وهذا الوجود على نحو الكلِّي لا الجزئي، وما ينفذ إلى مرحلة الإيجاد هو الجزئي، وإلى ذلك تُشير الآية: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾<sup>(١)</sup>.

فالخزائن هي مشيئته تعالى، والتنزيل إرادته؛ لأنَّ الإرادة من الله تعالى هي نفس الفعل والإحداث، لا الشوق أو الرغبة أو الحب - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - كما ورد عن الرضا عليه السلام عندما سُئل عن الإرادة من الله ومن المخلوق، قال: «الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، وأمَّا من الله ﷻ فأرادته إحدائه لا غير ذلك؛ لأنَّه لا يروي، ولا يهم، ولا يتفكَّر، وهذه الصفات منفيَّة عنه، وهي من صفات الخلق، فأرادة الله هي الفعل لا غير ذلك»<sup>(٢)</sup>.

## أقسام المشيئة

لا شكَّ في أنَّ من المرتكز في الأذهان هو تعدُّد الإرادة الإلهية إلى تكوينية وتشريعية،

(١) الحجر: آية ٢١.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص ١٤٧.



ومحل اختيار العبد هو الإرادة التشريعية، أمّا الإرادة التكوينية فتارة تكون ابتدائية، وتارة تكون أفعال العباد متوقّفة عليها.

والسؤال الذي يمكن أن نطرحه: هل لله تعالى مشيئتان كما في الإرادة، والمشيئة الأولى ثابتة وحتمية، والثانية غير حتمية، بل متعلّقة بأفعال العباد؟

والجواب عن هذا السؤال: إنّ المشيئة الإلهية هي كذلك تنقسم على قسمين: الأولى حتمية والثانية غير حتمية، أي: إنّها مشيئة متوقّفة على أفعال العباد؛ والدليل على ذلك ما ورد عن الرضا عليه السلام، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: «إنّ لله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت أنّه نهي آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتها مشيئة الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

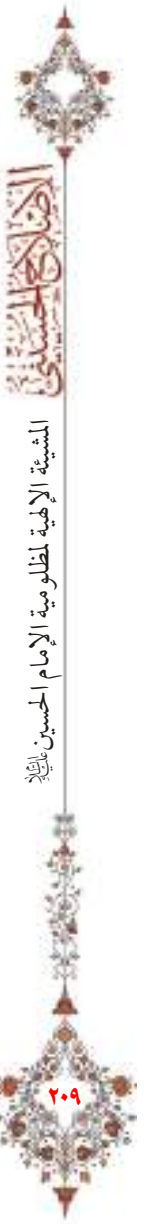
فالمشيئة كالإرادة تارة حتمية أو تكوينية، وأخرى غير حتمية؛ بمعنى أنّ للعبد احتمالات متعدّدة كلّها واقعة في هذه المشيئة، ويثبت منها ما كان واقعاً في المشيئة الحتمية، ويُطلَق عليها مشيئة العلم، ويُطلَق على الحتمية مشيئة الأمر، كما ورد في البحار قوله: «ويؤيد ذلك ما حكى عن الفقه الرضوي من أنّه عليه السلام قال: قد شاء الله من عباده المعصية وما أراد، وشاء الطاعة وأراد منهم؛ لأنّ المشيئة مشيئة الأمر ومشيئة العلم، وإرادته إرادة الرضا وإرادة الأمر، أمر بالطاعة ورضي بها، وشاء المعصية - يعني علم من عباده المعصية - ولم يأمرهم بها»<sup>(٢)</sup>.

ويمكن القول: إنّ الإرادة إذا كانت حتمية باعتبار أنّ المشيئة كذلك؛ لأنّ الإرادة بعد المشيئة، فالمشيئة حتمية، وإذا كانت الإرادة على نحو العزيمة لا الحتمية؛ أي: إنّ الله تعالى ينفذ بإرادته أفعال العباد، فهي بذلك تكون أيضاً طبقاً للمشيئة الإلهية، وهي مشيئة العلم.

كذلك هذا الأمر يجري في القدر والقضاء، أمّا القدر فإنّ الله تعالى قدّر أشياءً تقديراً

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١٥١.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤، هامش ص ١٣٩.



حتمياً أو تكوينياً، كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وأخرى قدّر أشياء بها هي معلقة على فعل العبد، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ، قَدَرْنَا إِنَّمَا لِمَنِ الْغَدِيرَاتُ﴾<sup>(٢)</sup>. فامرأة لوط قد استحقت هذا التقدير؛ لأنه من أسباب تسويل نفسها الأمانة بالسوء، وركونها إلى ما يفعل قوم لوط، ولم تتبع لوطاً عليه السلام في دعوته، فاستحقت هذا التقدير. والقضاء كذلك، فمن القضاء ما للعبد فيه الاختيار، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وتارة يكون القضاء حتمياً أو تكوينياً وليس للعبد أن يخالفه كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالمشيئة تارة تكون على نحو الاختيار الحتمي من الله تعالى المستلزم للإرادة أو الأمر الإلهي، وأخرى على نحو العلم بالفعل الصادر من العبد، إلا أن هذا الفعل وفي كل مرتبة من مراتب وجوده، سواء كان موافقاً لما هو فيه مختاراً أو مخالفاً، فهو متوقف على ما هو حتمي أو تكويني من المشيئة والإرادة، وإلى ذلك يشير العلامة الطباطبائي بقوله: «وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾<sup>(٥)</sup>، إلى غير ذلك، إرادتنا ومشيتنا إذا تحققت فينا فهي مرادة بإرادة الله ومشيتته لها، وكذا أفعالنا مرادة له تعالى من طريق إرادتنا ومشيتنا بالواسطة، وهما - أعني: الإرادة والفعل - جميعاً متوقفان على أمر الله سبحانه، وكلمة (كُنْ)»<sup>(٦)</sup>.

(١) الواقعة: آية ٦٠.

(٢) الحجر: آية ٦٠.

(٣) الإسراء: آية ٢٣.

(٤) آل عمران: آية ٤٧.

(٥) يونس: آية ٩٩.

(٦) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج ١، ص ٤٣.

## المشيئة والإرادة وأفعال العباد

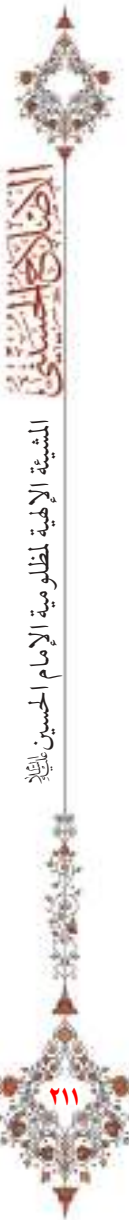
قابلية الموجودات على إحداث الفعل يحتاج إلى أمرين:

الأمر الأول: يتعلّق بنفس الموجود، فلا بدّ له من تصوّر واختيار وقدرة واستطاعة على الفعل، كما في الحديث القدسي المروي عن الرضا عليه السلام: «قال أبو الحسن الرضا عليه السلام، قال الله: يا بن آدم، بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبقوتي أديت فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتُك سميعاً بصيراً قوياً، ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، وذاك أيّ أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك مني، وذاك أنني لا أسأل عمّا أفعل وهم يُسألون»<sup>(١)</sup>. فالله تعالى أودع في المخلوقات الاختيار والقدرة على الفعل، وهذه القدرة هي علّة إرادة المخلوقات.

الأمر الثاني: إنّ هذه الإرادة محكومة بالمشيئة والإرادة الإلهية، فإنّ الأفعال تحتاج أيضاً إلى إذن إلهي بالحدوث، فالفعل الذي يصدر من الموجودات والمقدّر له بمشيئة الله تعالى بالحدوث، فهو كائن، فإذا كان فعل العبد مطابقاً للمشيئة الإلهية، وإنّ الله تعالى قد اختاره بمشيئته، فإنّه تعالى ينفّذه بإرادته التكوينية، بعد تعلق إرادة العبد به؛ لأنّه لا يخالف التخطيط العام للكون، والعبد في موقع الاختيار لهذا الفعل، أمّا إذا كان فعله مخالفاً للمشيئة الإلهية فإنّ إرادته تتعارض مع إرادة الله تعالى؛ لأنّ إرادته تعالى طبقاً لمشيئته، فيضع الله تعالى الموانع لتحقيق هذا الفعل، كما يقول تعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ \* فَيَأْتِي آءِ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبُونَ \* يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْابُ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصُرَانِ﴾<sup>(٢)</sup>. وهذه الآية تُشير إلى طبيعة الموانع التي يضعها الله تعالى أمام مشيئة من يريد النفاذ وإرادته، وعدم توافر الشرط

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١٥٢.

(٢) الرحمن: آية ٣٣-٣٥.



الأول عند المخلوق لا يعني تخلفه إذا كان حدوثه وتحققه موافقاً لمشيئة الله تعالى، فعندها يكون التدخل الإلهي بإيجاده وتحققه الخارج عن قدرة العبد، وهذا التدخل الإلهي لا يكون إلا وفق الحكمة الإلهية، كما في قوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>. فالفتنة القليلة وإن كانت لها مشيئة واختيار في مقارعة الظلم إلا أنها لا تمتلك القدرة، فالله تعالى يفعل النصر لهم، ولدينا شواهد تاريخية كثيرة، منها: معركة بدر، فالله تعالى شاء وأراد النصر للمؤمنين - طبعاً النصر المشروط كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، فأيدهم بالملائكة. أما في معركة أحد فلم يكن الأمر كذلك؛ لأنهم لم ينصروا الله، بل أرادوا نصر أنفسهم وأطماعهم.

وهذا أيضاً واضح في معركة الأحزاب؛ حيث إن الله تعالى هو من هزم الأحزاب وحده، كما ورد عن النبي ﷺ: «وأخذ بعضاتي الباب، ثم قال: لا إله إلا الله، أنجز وعده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده»<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا يتضح أننا أمام ثلاث حيثيات للإرادة الإلهية من جهة فاعليتها في الأشياء حدوثاً:

**الأولى:** ما هو متعلق بفعل العبد من حيث توقف فعل العبد عليها، فإذا كان فعله طبقاً للمشيئة الإلهية فإن الإرادة الإلهية تمضيه له بحسب أسبابه ومسبباته، وأما إذا تعارض مع المشيئة الإلهية فإن الإرادة تضع الموانع لعدم تحققه، والأمران طبقاً لمشيئته تعالى وحكمته، كما في آية نفاذ الجن والإنس إلى أقطار السموات والأرض.

**الثانية:** ما هو غير متوقف على فعل العبد وإرادته، بل متوقف على نمط إدارة الكون،

(١) البقرة: آية ٢٤٩.

(٢) محمد: آية ٧.

(٣) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى: ج ١، ص ٢٢٥.

فالله تعالى يفعل ما يشاء سواء كان للعبد مشيئة وإرادة أم لا، كما هو حال اليتيمين في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾<sup>(١)</sup>، فاليتيمان ليس لهما أي فكرة أو اختيار في استخراج الكنز، فضلاً عن أن تكون لهما إرادة.

الثالثة: كما أن للإرادة الإلهية حيثية أخرى غير متعلقة بطبيعة عالم الخلق من حيث الثقل والزمان والمكان، بل هي طبيعة عالم الأمر وهو أمره تعالى ﴿كُنْ﴾، فإننا وإن كنا نقول: إن طبيعة الأوامر الإلهية هي قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾. إلا أن هذه الأوامر عند نزولها إلى عالم الخلق تتقيد بقيد الزمان والمكان، وهذا التقيد بحكمة الله تعالى ومشيئته، لكنه تعالى في بعض الأوامر الإلهية يرفع هذا القيد، فيحصل نوع اندكالك بين الأمر والخلق؛ لحكمته في بيان عظمته والدلالة على وجوده تعالى؛ لأنها أبلغ في النفس مما لو تقيدت بقيود عالم الخلق، وهما: (الخلق والأمر) بيد الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن الشواهد القرآنية على هذا القول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. فالأمر غير موجه إلى أبدانهم؛ لأنّ البدن من عالم الخلق، بل هو موجه إلى حقائقهم أو أرواحهم، التي هي موجودات أمرية، وخاضعة إلى قوله تعالى: ﴿كُنْ﴾. كذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنْدُرُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ

(١) الكهف: آية ٨٢.

(٢) الأعراف: آية ٥٤.

(٣) البقرة: آية ٦٥.

**إِبْرَاهِيمَ ﴿١﴾**. فَإِنَّ مِنْ ذَاتِيَاتِ النَّارِ الْإِحْرَاقَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾. أَي: إِنَّ حَقِيقَتَهَا هِيَ مَنْ تَغَيَّرَتْ، وَلَمْ يَكُنِ الْخُطَابُ مُوجَّهًا إِلَى لَوْنِهَا وَضِيَائِهَا، وَهَذَا تَتَّضِحُ لَنَا حَيْثِيَّةُ أُخْرَى لِلْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُنْ﴾.

فَكُلُّ الْمَوَارِدِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا تَبَيَّنَ أَنَّ الْإِرَادَةَ الْإِلَهِيَّةَ هِيَ الْفَاعِلَةُ طَبَقًا لِلْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْمَشِيئَةُ الْإِلَهِيَّةُ لَهَا الْحَاكِمِيَّةُ عَلَى الْإِرَادَةِ؛ لِأَنَّهَا الْخَلْقُ الْأَوَّلُ الَّذِي خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ، إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ الْإِلَهِيَّةَ لَهَا حَيْثِيَّاتٌ مُخْتَلِفَةٌ، كَمَا بَيَّنَّاها.

### أسباب المظلومية ونتائجها

المظلومية باعتبارها واقعا أذن الله به واختاره بوصفه نظاماً يمتحن الله تعالى به عباده، لها أسباب ونتائج، أما الأسباب فيمكن الحديث عنها من جهتين:

### الجهة الأولى: ما يتعلق بالمظلوم

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ خَلَقَهُمْ لِهَدَفِ عِبَادَتِهِ.

نعم، هذه العبادة ليست بحسب المفهوم الشائع للعبادة، بل العبادة المحضنة التي بمعنى الطاعة لله في كل شيء، أما العبودية بمفهومها الأعم فهي ليست هدفاً البتة؛ لأنَّ الكَلَّ آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا، فَهُوَ خَاضِعٌ قَهْرًا إِلَى حُكُومَةِ اللَّهِ تَعَالَى، أَمَّا الْعِبَادَةُ الَّتِي يَرِيدُهَا اللَّهُ تَعَالَى فَهِيَ الْعِبَادَةُ الَّتِي تَكُونُ بِاخْتِيَارِ الْعَبْدِ، وَهِيَ الطَّاعَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِلَّهِ تَعَالَى، لَيْسَ لِكَوْنِهِ يَمْلِكُ جَنَّةً يَسْعُدُ مَنْ دَخَلَهَا، أَوْ يَمْلِكُ نَارًا يَشْقَى مَنْ وَلَجَ فِيهَا، وَبِالتَّالِي تَكُونُ عِبَادَتُهُ سَبْحَانَهُ وَسَبِيلَةً إِلَى رِضَا أَنْفُسِنَا، سِوَاءٍ بِتَحْصِيلِ خَيْرِ الْجَنَّةِ أَوْ الْأَمْنِ مِنْ شَرِّ جَهَنَّمَ، بَلْ عِبَادَتُهُ تَعَالَى كَوْنَهُ أَهْلًا لِلْعُبُودِيَّةِ، وَهَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بقوله: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا شوقاً إلى جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»<sup>(٢)</sup>.

(١) الأنبياء: آية ٦٩.

(٢) ابن أبي جمهور الأحسائي، محمد بن علي، عوالي اللآلي: ج ٢، ص ١١.

والطريق إلى تحصيل العبادة بهذا المعنى لا يمكن إلا من خلال تحقيق مقدمات، ومن هذه المقدمات وأجلها هو الصبر، فالصبر رأس كل عبادة، والعلاقة بينهما مطردة، وأجل صورة للصبر هي في الصبر على البلاء، خاصة إذا كان البلاء يهدد وجود الإنسان، أو ماله، أو كل شيء يعده عزيزاً عنده.

فإن الصبر على البلاء يكون سبباً في صيرورة الإنسان عبداً حقيقياً لله تعالى، كما أشارت إليه الآية بقوله تعالى: ﴿ وَخَذِ بِيَدِكَ ضَعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ، وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾<sup>(١)</sup>. فالآية تُشير إلى وضوح العلاقة بين الصبر والعبادة، فكلما كان العبد صابراً كانت عبوديته لله تعالى أوكد وأدق، إلى أن يصل إلى مرحلة العبودية المحضة، ثم إن المظلومية هي أوضح صورة من صور البلاء والامتحان الإلهي، فالإنسان قد يُبتلى بشيء من النقص في الأنفس، أو الأموال، أو الجاه، أو غير ذلك مما يعده ضرورياً في حياته، وهو على هذا الحال بصبره ينال درجات رفيعة عند الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>. فالصبر على البلاء علة فيض الرحمة والهداية الإلهية، وهذا أيضاً ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالوصف في الآية الأولى للصابرين، وفي هذه الآية للعبادين، إلا أن النتائج في كلتا الآيتين، وهداية وعلم، والهداية هي العلم الإلهي أو المعرفة الإلهية، ويمكن أن نحتمل أن الصبر هو من يُصير الإنسان عبداً، أو أن العبودية تُصير الإنسان صابراً، فعلى كلا

(١) ص: آية ٤٤.

(٢) البقرة: آية ١٥٥-١٥٧.

(٣) الكهف: آية ٦٥.

الاحتمالين فإنَّ العبودية هي الهدف الإلهي، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نتوسَّع في فهم العلاقة بين الرحمة والعلم الإلهي، أو الرحمة والهداية الإلهية، وبين كون الإنسان عابداً لله تعالى ونال درجة العبودية الحقَّة بالصبر، فكلمًا كان العبد مهتدياً عالماً رحيماً كان من عباد الله تعالى، وكلمًا كان من عباد الله تعالى كان صابراً على البلاء، فإذا كان العبد ليس محلاً لفيض الرحمة والعلم الإلهي وحسب، بل هو الرحمة، وهو مدينة العلم، كما هو الوصف الذي اختصَّ به نبينا محمد ﷺ، فهي دلالة على درجة العبودية، ودرجة صبره على البلاء؛ ولذا ورد عنه ﷺ: «مَا أُذِيَّ أَحَدٌ مِثْلَمَا أُذِيْتُ فِي اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

فكلمًا كان مقدار البلاء عظيماً وكان صابراً محتسباً أمره إلى الله تعالى كان العبد محلاً لرحمة الله تعالى وهداه.

فكان الحسين عليه السلام بصبره على ذلك البلاء والامتحان الإلهي سفينة النجاة، وباب الرحمة والهداية الإلهية في الدنيا، وشفيعاً مشفّعاً في الآخرة.

### الجهة الثانية: ما يتعلق بالظالم

إنَّ من الأسباب والدوافع التي تدفع الإنسان إلى ممارسة الظلم هو سطوة النفس الأمّارة بالسوء، وحبُّ التسلُّط والجهل، والابتعاد عن جادة الصواب والخير الذي أَرَادَهُ اللهُ تعالى للخلق، والذي بيَّنه بتعاليمه المنزَّلة على أيدي الأنبياء والرسل، وغيرها من العوامل التي تدفع الإنسان إلى ممارسة الظلم على خلق الله تعالى؛ ظناً منهم أنَّ ذلك يُحقِّق أهدافهم ومطامعهم في الحياة الدنيا، إلا أنَّهم بعيدون عن حقيقة أنَّ الله تعالى أوجد

(١) الذاريات: آية ٥٦.

(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ١، ص ٦٧.



الإنسان في هذه الدار لبيئته، والميزان هو العمل الصالح، يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

فممارسة الظلم وإن كانت بمشيئة الله وإذنه، إلا أنه امتحان للظالمين، والسنة الإلهية جرت على الخلق، بأن وَصَعَهُمْ عَلَى مَفْتَرِقِ طَرِيقَيْنِ: طريق التقوى وطريق الفجور، طريق الحق وطريق الباطل، طريق الكفر وطريق الإيثار، وخَوَّلَ عِبَادَهُ فِي الْإِخْتِيَارِ، وهذه هي مشيئته وكلمته التي حَقَّتْ عَلَى عِبَادِهِ؛ لَأَنَّهُ تَعَالَى إِنْ أَوْجَدَ الْإِيثَانَ بِغَيْرِ الْكُفْرِ، والحق بغير الباطل، فلا يتحقق الإيثار المُمَحَّصُ النقي، ولا يكون ذلك إلا بخلق الضدِّ، وكما قيل: بأنَّ الْأَشْيَاءَ تُعْرَفُ بِأَضْدَادِهَا، فالكفر والباطل ما هي إلا أدوات لتمحيص الحقِّ والإيثار والعدل في نفوس العباد، أمَّا أَنْ اللهُ تَعَالَى يَأْذَنُ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ بِمَا يَفْعَلُونَ فَذَلِكَ إِمْلَاءٌ لَهُمْ لَا غَيْرَ؛ لِأَنَّهُمْ اسْتَحَقُّوا بِأَفْعَالِهِمُ الضَّلَالََةَ مِنَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَهُمْ وَعَدَابٌ مُّهِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

كذلك يمكن القول: إنَّ كُلَّ فِعْلٍ قَبِيحٍ يَصْدُرُ مِنَ الْعَبْدِ، وَكُلَّ مَعْصِيَةٍ فِيهَا وَإِنْ كَانَتْ بِمَشِيئَةِ تَعَالَى، إِلَّا أَنَّ الْعَبْدَ قَدْ اسْتَحَقَّ بِتَسَاوُلِهِ هَذَا الْمَقَامَ، كَذَلِكَ الْهُدَايَةُ، فِيهَا مَتَوَقَّفَتَانِ عَلَى فِعْلِ الْعَبْدِ، كَمَا يَقُولُ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

أمَّا النَّتَائِجُ وَالْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ مِنْ إِمضَائِهِ تَعَالَى بِمَشِيئَتِهِ لِلْمَظْلُومِيَّةِ وَالْمَأْسَاةِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَكْلِ عَامٍ، وَالْحُسَيْنِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَكْلِ خَاصٍّ، فَذَكَرْنَا مِنْهَا:

أولاً: ما يتعلَّقُ بِالْكَمَالِ الْخَاصِّ لِلْفَرْدِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْبَلَاءِ وَعَلَى الظلم يُعْطِي

(١) المُلْكُ: آيَةٌ ٢.

(٢) آل عمران: آيَةٌ ١٧٨.

(٣) آل عمران: آيَةٌ ٨٦.

نتائج طيبة فيما يخص كمال الأفراد، فإنه بذلك - وعند حصوله على النتائج الطيبة التي تسببت بها المظلومية، مع صبره عليها وثباته، فإنه - كما ذكرنا في النقطة الأولى من أسباب المظلومية - يكون محلاً لفيوض الرحمة والعلم الإلهي، والتي تنعكس بدورها على كماله الخاص؛ ليرتقي في مراتب الكمال والإيمان؛ ولذا ورد: «وإن لك في الجنة درجات، لا تنالها إلا بالشهادة»<sup>(١)</sup>.

والأكيد أن الدرجات تكون عالية ويستحقها العبد بمقدار صبره واحتساب أمره عند الله تعالى، فنحن نرى الحسين عليه السلام وهو رافعٌ ولده الرضيع بعدما ذبحوه من الوريد إلى الوريد، يقول: «هون عليّ ما نزل بي أنه بعين الله»<sup>(٢)</sup>.

نعم، إن تصوّر ما حدث في كربلاء بعد تتبّع الروايات يعطينا تصوّراً مرعباً عن تلك الأحداث، إلا أن الأغرب هو صبر الحسين عليه السلام وثباته، وانقطاعه إلى الله تعالى في كلّ موقفٍ من مواقف كربلاء، وكان لسان حاله يُعبّر عن مدى الحبّ الإلهي الذي ملأ قلبه حتى يكاد لا يرى في كلّ شيء إلا الله تعالى؛ لأنه أحبّ الله، ولأنه علم أن الله أحبه، فانقطع عن كلّ شيء سواه.

ثانياً: ما يتعلّق بالكمال العام، فإن السّنة الإلهية جرت في أن يكون للناس أسوة في كلّ شيء، حتى أننا نرى أن القرآن قد قصّ علينا قصص الأنبياء والرسل وأحوالهم، وما عانوا وتحملوا من أجل الدين والحق، وكذلك أحوال الأمم التي لم تؤمن بالله تعالى، وما جاء به أنبياءه ورسوله؛ لتكون هذه القصص عبرة للإنسان في أن يرسم طريقه ويحدّد هدفه في الحياة، وهي رحمة إلهية لتخفيف المؤونة على الإنسان في أن يجعل له مثلاً يقتدي به، ويختصر خوض التجارب، للوصول إلى ما هو صواب وعليه أتباعه والتمسك به، وما هو بعيد عن الحقيقة ليتجنّب ويبتعد عنه، حتى أننا نرى أن أحوال الأنبياء قد

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣١٣.

(٢) المصدر السابق: ج ٤٥، ص ٤٦.

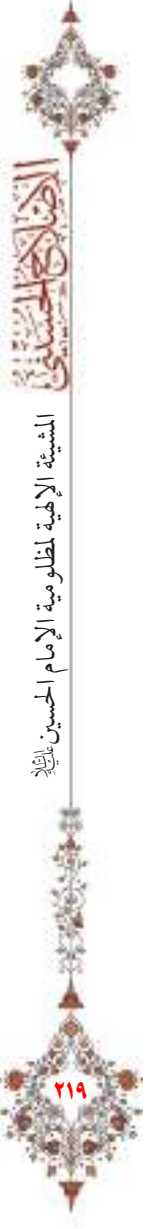
اختلفت، وقصصهم قد تنوّعت؛ لتكون لنا في قصصهم عبرة شاملة لكل الأحوال، سواء على صعيد النفس وتهذيبها، أم على مستوى الصبر على البلاء ونتائجه الطيبة، أم على مستوى الأمور العقّدية والإيمان بوجود الحقّ تبارك وتعالى، وعبادته وحده؛ كونه أهلاً للعبادة دون غيره، أو على مستوى الوقوف في وجه الظالمين والتوكّل على الله تعالى، وغير ذلك ممّا ذكرته آيات الذكر الحكيم، فمشيئته اقتضت أن يُرينا الأسوة الحسنة من عباده المقربّين؛ لتكون أحوالهم مناراً يضيء لنا طريقنا في هذا الوجود.

فكانت مظلومية الإمام الحسين عليه السلام المثل الأعلى عند الله تعالى إلى الناس في الصبر على البلاء، وتحمل أعباء مسؤولية الحفاظ على الدين، فما تضمّنته هذه المظلومية والمأساة من دروس وعبر كانت سبباً من أسباب إحيائها إلى هذا اليوم؛ لأنّها عطاء روحي لا ينفد، لا لأنّ المشيئة الإلهية اقتضت خلودها وحسب، بل كونها تمثل أروع ما يمكن أن يُقدّمه الإنسان من توضحية في سبيل إحياء الدين، فعلى الرغم من شدّة ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، فإننا نراه وأهل بيته وأصحابه وقفوا موقف الثبات والصبر والإقدام، على أن لا مساومة على حساب دين الله تعالى، وبالتالي زرع في نفوس المؤمنين الاستعداد لبذل الغالي والنفيس من أجل الدين والهدف الإلهي.

«إنّ مظلومية أبي عبد الله عليه السلام وغيره من الأئمّة تضع الشيعة دوماً على طريق مقارعة الظلم، والاستعداد للبذل والتوضحية بين المنتقم لدماء الشهداء المظلومين في كربلاء، ألا وهو المهدي المنتظر عليه السلام، ويكرّس كراهية الظالمين في نفوسهم»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: إنّ ما يُصطلح عليه بالمظلومية فهي ما كان من العباد وليس من الله تعالى، وإن كان الله تعالى أنفذها بإرادته فعلاً وبمشيئته اختياراً، إلا أنّ ذلك الفعل - وكما أوضحنا - واقع تحت اختيار العبد؛ لأنّ الظلم ليس من إرادة الله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ

(١) محدّثي، جواد، موسوعة عاشوراء: ص ٦٥٦.



**بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ** ﴿١﴾. وما كان من الله تعالى هو عدم المانع ليس إلا، فهو واقعٌ باختيار بني أميةٍ ومن وقف وراءهم، وإن كان بإرادة الله التكوينية ومشيئته، إلا أنه لم يرضه لعباده، ولم يحبّه، كما ورد عن الفضيل، عن الصادق عليه السلام: «وسمعته يقول: شاء وأراد، ولم يُحِبَّ ولم يرضَ، شاء أن لا يكون في ملكه شيء إلا بعلمه، وأراد مثل ذلك، ولم يُحِبَّ أن يُقال له: ثالث ثلاثة، ولم يرضَ لعباده الكفر» ﴿٢﴾.

فليس كل ما أراده الله تعالى أحبه ورضي به، بل يؤخّرهم إلى يوم الحساب، ويُملي للظالمين ويزيدهم؛ لأنهم قد استحقّوا بأفعالهم هذه الضلالة من الله تعالى، فالله تعالى لا يريد الظلم للعباد، وهو غير ظالم لهم.

وعليه؛ يمكن أن نطرح السؤال التالي: ما هي الإرادة الحقيقية لله تعالى لهذه المظلومية والمأساة؟ فإننا نلاحظ أنّ الإنسان قد يحكم على الأشياء من خلال ظواهرها، ولا يعلم الحكمة منها؛ ولذا ورد في قوله تعالى: **﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرَأُرِيدُ بِنِنِ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾** ﴿٣﴾.

فالحكمة الإلهية لهذا البلاء والامتحان الإلهي قد ذكرها الله تعالى في قوله: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** ﴿٤﴾. فهذا هو المراد الحقيقي لله تعالى؛ ليذهب عنهم كل شك في سبب الحبوّة التي خصّهم الله تعالى بها، بهذا البلاء وهذا الامتحان في دار الدنيا أو الآخرة.

وبالتالي: فإنّ المشيئة الإلهية لهذه المظلومية والمأساة، أو لقتل الحسين عليه السلام إنّما سُمّيت بذلك لأنّ القتل والمظلومية هي الفعل، وهي الإرادة من الله تعالى، وتعني - كما قلنا -:

(١) آل عمران: آية ١٠٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥، ص ٥١.

(٣) الجن: آية ١٠.

(٤) الأحزاب: آية ٣٣.

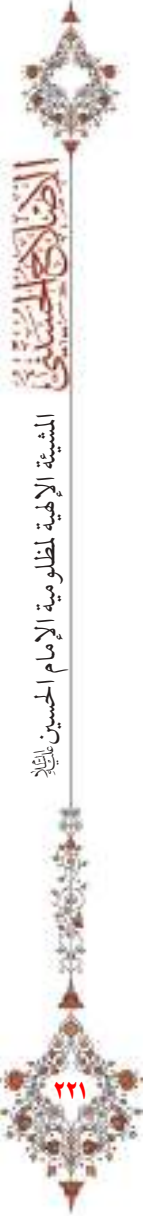
عدم المانع، أمّا المشيئة الإلهية فهي ما تحقّق فعلاً وتعيّن، فهل الذي تعيّن هو مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وقلته وسبي عياله أو أنّ الذي تحقّق فعلاً هو أنّ الله تعالى أذهب عنهم الرجس والشكّ وكرّمهم، ورفع شأنهم، وجعلهم وسيلته إليه، ومناراً للناس يقتدون بهم، ويؤمنون بمبادئهم؟ كما هو المشهور عن المهاتما غاندي قوله: «تعلّمتُ من الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر».

### المشيئة الإلهية ومظلومية الإمام الحسين عليه السلام

بعد أن كوّننا مفهوماً يسعفنا في قراءة طبيعة حركة الإمام الحسين عليه السلام، وهل الإمام الحسين عليه السلام كان قد سار إلى مقتله؛ لأنّه يعلم بأنّه مقتول، وأنّه لا بدّ من أن ينجز ما عليه؛ لأنّ المشيئة الإلهية اقتضت ذلك، والنتائج المترتبة على قتله هي الهدف الحقيقي الذي لا يمكن تحقيقه إلاّ بدمائه الطاهرة، أو أنّ الإمام الحسين كان أمام خيارات متعدّدة طبقاً للمشيئة الإلهية؟ كما قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(١)</sup>. لكنّ الظروف لم تُسعف الحسين عليه السلام نحو تحقيق أهدافه السياسية، بل كانت الأسباب أدّت إلى تلك النتيجة المأساوية، وهذا ما ثبت في مشيئة الله تعالى، وهذه النتيجة بحدّ ذاتها لا تخلو من أهداف واقعية ساهمت وبشكل كبير في خلق الاستعداد في نفوس المؤمنين، للوقوف ضدّ الظلم والطغيان، وأحيث فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتضحية بالنفس والمال والعيال من أجل إحياء دين الله تعالى. وبهذا، فنحن بين الشدّ والجذب، بين من ذهب إلى الاحتمال الأوّل<sup>(٢)</sup>، ومن ذهب إلى تبني الاحتمال الثاني الذي ذكرناه.

(١) الرعد: آية ٣٩.

(٢) وهذا ما نجده واضحاً وجلياً في بعض مؤلّفات من كتبوا في واقعة الطف: «وإنّ الله سبحانه وتعالى قد عهد للإمام الحسين عليه السلام، وأمره عن طريق النبي صلى الله عليه وآله بتنفيذ مشروع ينتهي باستشهاده واستشهاد من معه». الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص ١٤.



ويعزو الشيخ قيصر التميمي إلى أن من تبنى الاحتمال الأول في رؤيته لواقعة الطف يعود إلى أسباب وإشكاليات عقدية وتاريخية وغيرها، أجب عنها في بحثه الموسوم: (الأسباب والمبررات العقدية والتراثية للتفريط بالأهداف والمبادئ السياسية للنهضة الحسينية)<sup>(١)</sup>، ومن جملة الردود على هذه الرؤية قوله: «والحاصل أن المشيئة الإلهية الفعلية التي أخبر عنها الإمام الحسين عليه السلام لا تغلق الأبواب أمام إمكانية تحقيق النصر العسكري، ولا تلغي الأمل والرجاء في إصلاح الأمة، وإسقاط الحكومة الظالمة، وإقامة حكومة إسلامية عادلة بديلة عنها؛ ولذا خرج الحسين عليه السلام بأمل ورجاء تحقيق وإنجاز تلك الأهداف والمصالح والغايات السامية... ينبغي أن نُميّز بين النصوص الصادرة في أوائل أيام النهضة، وبين ما صدر في نهايتها، حينما أصبح الإمام الحسين عليه السلام على مشارف الكوفة، وبعد انقلاب أهلها؛ لأن ما صدر في الأيام الأخيرة كان أقرب إلى الشهادة من النصر، وجملة من النصوص التي ذكرت هذه الإشكالية هي من نصوص الأيام واللحظات الأخيرة للنهضة»<sup>(٢)</sup>.

والحق أن هذا الإشكال قائم؛ لأننا أمام نصوص وعبارات تؤيد الطرفين، إلا أن الجمع بينهما هو الحل الأنسب، فالإمام الحسين عليه السلام باعتباره إماماً معصوماً مفترض الطاعة، ومكلفاً أمام الله تعالى أيضاً، فعليه أن يؤدي تكليفه الواقعي مهما كانت النتائج، فإذا كان تكليفه هو القتل من أجل الدين، وفي هذا القتل يكون قد حقق نتائج عظيمة، وإيّاها الذي حصل هو الهداية والرعاية للبشر دينياً ومعنوياً وإنسانياً بمقتله وشهادته سلام الله عليه؛ إذ أعطى المثال الأعظم للتضحية الضخمة بهذا الصدد، فكان النبراس

(١) التميمي، قيصر، الأسباب والمبررات العقدية والتراثية للتفريط بالأهداف والمبادئ السياسية للنهضة الحسينية، مقال التحرير في مجلة الإصلاح الحسيني: العدد ٤، ص ١١.

(٢) المصدر السابق: العدد ٤، ص ٣٧-٣٨.

الأفضل الذي يُضيء للأجيال طريقهم باستمرار، وإلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>. أو كان تكليفه طبقاً للقواعد الإسلامية العامة، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطلب الإصلاح، وهذا ما تحقق أيضاً بخروجه ﷺ، إمّا بإقامة الحكومة الإسلامية العادلة، فإن هذا الأمر وإن لم يتحقق في زمانه إلا أنه هدف إلهي على المرء أن يسعى إليه وأن يطلبه، سواء تحقق على يديه أم على يد الأجيال التي تليه، فهو بهذا يكون قد شارك فعلاً في تحقيق هذا الهدف، ولا تنافي بين مقتله وهذا الهدف، بل يمكن القول: إن حلم الأنبياء كان في تحقيق هذا الهدف، وتحقيقه على يد الإمام المهدي ﷺ لا يعني حصر أسبابه في فترة ما قبل الظهور أو بعده، بل نستطيع القول: إنه من نتائج تلك التضحيات التي كانت على أيدي الأنبياء والأولياء - والحسين ﷺ منهم - تأكيد هذا الهدف، فإلى اليوم أوضحت تضحيته تقدّم لنا الأمل بقيام دولة العدل الإلهي، وإلى ذلك يُشير قوله تعالى:

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

والإشكالية القائمة في تصوّر أهداف الإمام الحسين ﷺ، وما هو مرتكز عنده، هي ما أشار إليها أصحاب الاحتمال الثاني، إلا أن تعذّر ذلك وعلمه المسبق يقطع الطريق أمام من تبنّى الاحتمال الثاني، سواء أكان علمه عن طريق جدّه، أو عن طريقٍ آخر، باعتبار أنه كان يعلم بمصيره المحتوم، سواء بعلمه اللدني أم بواسطة قراءته لمُجريات الأمور، وهذا ما أشار إليه ﷺ في بعض أقواله ومنها: «وايم الله، لو كنتُ في جحر هامةٍ من هذه الهوام لا استخرجوني حتى يقتلوني، والله! ليعتدنّ عليّ كما اعتدتُ إليهود في السبت، والله! لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي»<sup>(٣)</sup>.

فالمشيئة الإلهية اقتضت أن تكون تلك المظلومية للإمام الحسين ﷺ، وهو عالم بأنّه

(١) المصدر، محمد، أضواء على ثورة الإمام الحسين ﷺ: ص ٩٧.

(٢) المجادلة: آية ٢١.

(٣) الأمين، محسن، لواجع الأشجان: ص ٧٢.

مقتول، وشاء الله ذلك، بمعنى أنه تعالى أذن به وشاء للقتل أن يحصل، ولكنه بتدبير بني أمية ومن يقف خلفهم، لكن جهلهم وعلم الإمام الحسين عليه السلام بالحكمة الإلهية لهذه المظلومية جعلته يسلك الطريق الأمثل لتحقيق النتائج المطلوبة من هذه المظلومية، وهذا ما دل عليه كلامه عليه السلام مع محمد بن الحنفية: «أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما فارتكتك، فقال: يا حسين، أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً. فقال محمد بن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك، وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ قال: فقال [لي صلى الله عليه وسلم]: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا»<sup>(١)</sup>.

### اشترك العيال في المظلومية والمأساة

نعرض هنا ما حلَّ بعيال الحسين عليه السلام واشترآكهم في المظلومية والمأساة، وجريان الأحداث وما تضمّنته من مأساة وقتل وأحداث أليمة أمام أعينهم، والوحدة التي عاشوها بعد غياب الرجال، والممارسات الوحشية لجيش بني أمية مع الأطفال والنساء، ثم أخذهم سبايا أمام الملاء إلى قصر عميد الله بن زياد، ومحاولات ابن زياد للتشويش على فعلته النكراء، وما يترتب على ذلك من مسؤولية تجاه علي بن الحسين عليه السلام، أو عمته العقيلة زينب عليها السلام، ومحاولة ابن زياد قتل علي بن الحسين عليه السلام، وكيف تمسكت به عمته زينب، وغيرها من الأحداث - التي يطول المقام بنا عند عرضها - حتى وصولهم إلى المدينة، وجلوس زينب ومن معها من الأطفال والنساء، والديار خالية من أوليائهم الذين خلفوهم على رمضاء كربلاء صرعى كالأضاحي.

فهذه الأحداث - مع ما لم نورد - تكفي في بيان أن العيال كانوا ممن شاركوا الحسين عليه السلام في هذه المظلومية والمأساة، وهي في الوقت الذي تزيد حجم المظلومية والابتلاء على الإمام الحسين عليه السلام، باعتباره صاحب المسؤولية المباشرة عليهم، فهم أيضاً قد تحمّلوا عبئاً كبيراً من

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٤.



الابتلاء والمظلومية التي امتحنهم بها الله تعالى، ليعلم صبرهم وطاعتهم وتسليمهم لأمره، قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلَهُ وَتِلْكَ الْآيَاتُ تُدْاورُ لَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

أما مقدار الصبر - على الرغم من عظم البلاء الذي مُنيت به العيال - فإن الإمام الحسين (عليه السلام) كان حريصاً على بيان هذا الثبات، فهو (عليه السلام) وفي أحلك الظروف وزينب (عليها السلام) تنظر إلى أهل بيته وأصحابه قد توسدوا عفير الأرض مضرّجين بدماثهم، وهي في هذا الحال إلا أنها ترى أباها شاخصاً أمام ناظرها، وهذا ما يهون الخطب، إلا أن هذا الأمر لم يستمر، فنرى أن الإمام الحسين (عليه السلام) لما أراد أن يتقدم إلى القتال نظر يميناً وهو يقول: «ألا هل من يُقَدِّم لي جوادي؟». فسمعت زينب (عليها السلام)، فخرجت وأخذت بعنان الجواد وأقبلت إليه وهي تقول: «لمن تنادي وقد قرحت فؤادي» (٢).

فهو (عليه السلام) قد امتحن أخته وعياله؛ ووجدهم صابرين محتسبين، ففي تقديمها الجواد لأخيها دلالة واضحة على صبرها وثباتها، وهو (عليه السلام) قد امتحن أصحابه قبل ذلك، حيث ورد: «وجمع الحسين (عليه السلام) أصحابه وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني لا أعلم لي أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني [جميعاً] خيراً، ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا أنتم في حلّ، ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً. فقال له إخوته وأبناؤه وأبناء عبد الله بن جعفر: ولم نفعل ذلك لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك. وبدأهم العباس أخوه ثم تابعوه، وقال لبني مسلم بن عقيل: حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم فقالوا: لا والله، لا نفارقك أبداً حتى نفيك بأسيافنا ونقتل بين يديك» (٣).

(١) آل عمران: آية ١٤٠.

(٢) الحائري، محمد مهدي، معالي السبطين: ج ٢، ص ٢٧.

(٣) ابن نما الحلي، محمد بن جعفر، مثير الأحران: ص ٥٢.

فهذه الروايات وغيرها لها دلالة واضحة على أن الإمام الحسين عليه السلام كان يمتحن أصحابه، ويرى مدى صبرهم وثباتهم أمام قرع السيوف وتهاوت الحتوف، فهم مع تلك المأساة والصعاب، إلا أنهم يتلذذون بالموت كما يتلذذ الطفل بلبن أمه. وهناك روايات كثيرة بينت تلك المواقف العظيمة لهذه الفئة المؤمنة.

أما العيال ومشية الله تعالى في سببها، فإننا نحتمل عدّة احتمالات قد تكون كلّها صحيحة وفقاً لمجريات الأحداث:

**الأطروحة الأولى:** إن هذه الواقعة أراد الله تعالى لها أن تكون أعظم تضحية من أجل الدين، وهذه العظمة لا يمكن أن تكون إلا مع استيعاب كلّ ما هو محتمل أن يدخل تحت عنوان التضحية بالعيال، وما جرى عليهم من السبي داخل تحت هذا العنوان أكيداً.

**الأطروحة الثانية:** إن من حملهم الإمام الحسين عليه السلام من العيال قد استحقوا أن ينالوا هذه المرتبة العظيمة، بعد علم الله تعالى بهم أنهم سيصبرون، وإنّ هذا البلاء ضمن حدود استطاعتهم، فهم بالتالي قد استحقوا أن ينالوا به مراتب أعلى وأجلّ من الكمال والمنزلة العظيمة في الدنيا والآخرة؛ ولذا ورد عن الإمام الحسين عليه السلام: «ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي». كيف لا والعقيلة زينب تضع يدها خلف جثمان أخيها رافعة رأسها إلى السماء قائلة: «اللهم تقبّل منّا هذا القربان»<sup>(١)</sup>.

**الأطروحة الثالثة:** إن اقتضاء المشيئة الإلهية لشراكة العيال في هذه المظلومية والمأساة في حدود السبي هي أرسخ من غيرها؛ لما ذكرنا من أن الهدف الإلهي أو الإرادة الإلهية لم تتعلّق بالسبي، بل بأمرٍ آخر وهو الغاية من السبي، فلو تتبّعنا الأخبار وما جرى من بيانات وكلمات ألفتها العقيلة زينب عليها السلام أو الإمام السجّاد عليه السلام باعتبار كونه مريضاً، وهو مشمول بعنوان أنّه من عيال الإمام الحسين عليه السلام، الذين سقط عنهم تكليف رفع

(١) الحسيني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر: ج ٢، ص ٨٧.

السلاح، فإن هذه الأدوار التي ذكرها التاريخ كانت للحفاظ على بيان تلك المظلومية، فمع ما كان لعبيد الله بن زياد وليزيد من حالة مرعبة في نفوس المسلمين؛ لسطوتهم وظلمهم، نجد أن الإمام السجّاد وعمّته زينب عليها السلام وقفوا بكلّ عزم وهمة أمامه، ولم يُظهروا أيّ نوع من أنواع الانكسار والخسارة، كيف وهي تنهى العيال عن أن يأخذوا الطعام من أهل الكوفة، وتقول: إنّ الصدقات محرّمة على أهل البيت - كما ذُكر في المقاتل - وهذا الدور هو في الحقيقة إكمال لمسيرة الإمام الحسين عليه السلام، وهو الوقوف في وجه الظالمين، الذي لا زال مستمراً بعد أن أوقد الحسين عليه السلام جذوته.

## مظلومية الإمام الحسين ودولة العدل الإلهي

يمكن الكلام عن ذلك في محورين:

### المحور الأوّل: مظلومية الإمام الحسين وبداية حركة الظهور المقدّس

إنّ كلّ حركة أو ثورة - مهما كانت أهدافها، ومهما كانت طبيعتها - لا بدّ لها أن تحمل شعاراً، هذا الشعار يُمثّل رمز الثورة، وهذه الرمزية للشعار تحمل بين طيّاتها أهداف الثورة ومطالبها، ويمكن أن تتضمّن طبيعة الثورة من حيث كونها سلمية أو عسكرية، كذلك امتدادها من حيث كونها ذات طبيعة جغرافية محدّدة ضمن إقليم أو بلد أو ربّما أوسع.

إنّ تواتر الروايات عند الفريقين - في ما لو أهملنا ما تضمّنته باقي الديانات من نصوص - والتي تُشير إلى وجود المنقذ العالمي الذي سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً، وسيقضي على كلّ أنواع الظلم، ويعمّ الخير والعدل على أرجاء المعمورة، فهي قضية عالمية تشمل كلّ بقاع الأرض، وقد وردت روايات تدلّ على أنّ شعار ثورة الإمام المهدي عليه السلام - مهما كانت طبيعتها - هو: (يا لثارات الحسين)، ومنها: ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «وهم من خشية الله مُشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يُقتلوا في سبيل الله، شعارهم: يا لثارات

الحسين عليه السلام، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر»<sup>(١)</sup>.

والسؤال الذي يمكن طرحه هنا: إن قضية الإمام المهدي عليه السلام إذا كانت لها سمة عالمية، فلم إذا ترفع شعار: (يا لثارات الحسين) مع أن قضية الإمام الحسين عليه السلام ذات طابع إسلامي؟ ويمكن الإجابة عن ذلك بعدة أوجه، منها:

أولاً: إن قضية الإمام الحسين عليه السلام، وإن كانت ضمن حدود الدولة الإسلامية، إلا أنها حملت القيم والمبادئ المتسام عليها دولياً، سواء في زماننا هذا - وهو القدر المتيقن - أو في زمان الظهور، فإننا لا نجد أي نوع من التعارض بين بيانات الأمم المتحدة وقانون حقوق الإنسان مع ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام، فهي بذلك تنسجم تماماً مع هدف ثورة الإمام المهدي عليه السلام ضدّ الظلم، وأوضح مصاديق المظلومية عالمياً هي مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، والتاريخ الذي بين أيدينا كفيل بيان هذه المظلومية والمأساة، ولعلنا نشهد في وقت ما اعترافاً دولياً بجريمة إنسانية، هي: مقتل الحسين وأهل بيته عليهم السلام، تجعل منها شعاراً للمنقذ العالمي.

ثانياً: إننا نتمسك بحقيقة أن قضية الإمام الحسين عليه السلام لم تأخذ حقها إلى الآن في البحث والتحقيق، خاصة وإننا نعلم أن من كتب في قضية الإمام الحسين عليه السلام من الأوائل لم يكن لهم الحرّية المطلقة فيما يكتبون ويؤرّخون، أو يتحقّقون من الرواية المنقولة؛ ولذا ذكر الطبري في مقدّمة كتابه ما نصّه: «فما يكن في كتابي هذا من خبرٍ ذكرناه عن بعض الماضين ممّا يستنكره قارئه أو يستشعنه سامعه؛ من أجل أنّه لم يعرف له وجهاً في الصّحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنّه لم يؤت في ذلك من قبيلنا، وإنّما أتى من قبّل بعض ناقله إيلنا، وإنّا إنّما أدّينا ذلك على نحو ما أدّى إلينا»<sup>(٢)</sup>.

إلا أنّنا يمكن أن نثبت - بإقامة بعض القرائن - أنّ مظلومية الإمام الحسين عليه السلام لم

(١) الطبرسي، ميرزا حسين النوري، مستدرک الوسائل: ج ١١، ص ١٠١.  
 (٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ١، ص ٥.

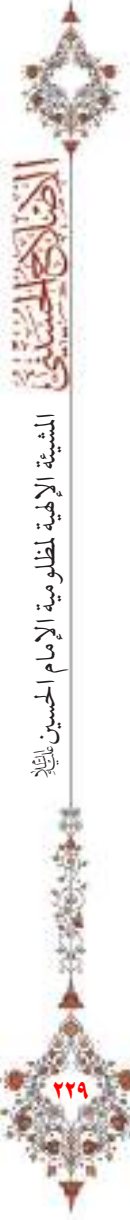
تكن قضية داخلية فحسب، بل إنَّ هناك جهات عالمية في ذلك الزمان كانت لها اليد الطولى في تدبير هذه المأساة على الإمام الحسين عليه السلام، ومنها: ما ورد على لسان العقيلة زينب عليها السلام عندما خاطبت يزيد في مجلسه قائلة: «وسيعلم من بؤأك ومكّنك من رقاب المسلمين، (أن) بئس للظالمين بدلاً، وأنكم شرُّ مكاناً وأضلُّ سبيلاً»<sup>(١)</sup>.

كذلك ما ورد من الكتاب الذي عرضه سرجون المسيحي على يزيد، إذ ورد: «وكتب عبد الله بن مسلم، وعمارة بن عقبة، وعمر بن سعد إلى يزيد بن معاوية: أما بعد، فإنَّ مسلم بن عقيل قدِم الكوفة فبايعه شيعة الحسين بن علي، فإن يكن لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإنَّ النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعّف. فلما وصلت الكتب إلى يزيد دعا سرجون مولى معاوية فقال له: ما رأيك؟ إنَّ حسيناً قد وجّه إلى الكوفة مسلم بن عقيل يبايع له، وقد بلغني أنّ النعمان ضعيف، فمن ترى أن أستعمل على الكوفة؟ وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد، فقال له سرجون: رأيت معاوية لو نشر لك أكنت آخذاً برأيه؟ قال: نعم. قال: فأخرج سرجون عهد عبيد الله على الكوفة، وقال: هذا رأي معاوية وقد أمر بهذا الكتاب، فضمَّ المصريين إلى عبيد الله»<sup>(٢)</sup>.

وفي الخبرين دلالة واضحة على أنّ تدبير مقتل الإمام الحسين عليه السلام لم يكن قراراً داخلياً صرفاً، بل إنّ مندوب الدولة البيزنطية كان له أثر في هذه المظلومية، وبالتالي يمكن أن نقول: إنّ مظلومية الإمام الحسين عليه السلام ذات طبيعة عالمية، ومخطّط لها دولياً من قبل دول الاستكبار العالمي آنذاك، فهي بهذه الحالة إضافة إلى الأطروحة الأولى - من كونها تمثّل أوضح أشكال المظلومية في تاريخ الإنسانية - تمثّل الشعار الأوحى الذي يمكن أن يكون رمزاً لثورة المنقذ العالمي.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٥٩.

(٢) المصدر السابق: ج ٤٤، ص ٣٣٧.



ثالثاً: إنّ قضية الإمام الحسين عليه السلام وحركته وإن كانت ضمن حدود جغرافية معينة، وأنها تأطرت بعنوان محدّد بوصفها إسلامية، إلا أنّ هذا لا ينافي كون هذه الحركة ذات طابع عالمي، أو أنّ حقيقتها وجوهرها عام.

إنّ قضية الإمام الحسين عليه السلام عالمية بأهدافها، وعالمية بحقيقتها؛ لأنّها تمثّل الامتداد الحقيقي لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله، ورسالة النبي صلى الله عليه وآله عالمية بلا شكّ، والآيات القرآنية متضافرة على هذا المفهوم، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(١)</sup>. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

### المحور الثاني: المظلومية وخلق الاستعداد

إنّ من أهمّ الشروط الواجب توافرها لبداية الظهور المقدّس هو وجود العدد الكافي المخصّص من المؤمنين، الذين يأخذون على عاتقهم مهمّة إقامة دولة العدل الإلهي إلى جانب الإمام المهدي عليه السلام، وهذا العدد لا بدّ له من مميّزات تجعله قادراً على تحمّل أعباء المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقه، وسواء كان من العدد (٣١٣) المحدّد في كثير من الروايات، أو من العدد (١٠ آلاف) المحدّد في روايات أخرى، كون العدد الأخير يُعتبر القوّة التي لا بدّ وأن تتوافر في بداية الظهور كما دلّت عليه رواية الصدوق عن أبي بصير قال: «سأل رجلٌ من أهل الكوفة أبا عبد الله عليه السلام: كم يخرج مع القائم عليه السلام، فإنّهم يقولون: إنّهم يخرج معه مثل عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً؟ قال: وما يخرج إلاّ في أوّلي قوّة، وما تكون أوّلو القوّة أقلّ من عشرة آلاف»<sup>(٣)</sup>.

(١) الأنبياء: آية ١٠٧.

(٢) سبأ: آية ٢٨.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص ٦٥٤.

وعلى كل حال، فالعددان مهّان في بداية الظهور، والأول يُمثّل القادة الرئيسيين في إدارة العالم، والعدد الثاني يُمثّل طليعة جيش الإمام في بداية الظهور، والذي من المؤكّد أنّه سيزداد شيئاً فشيئاً، كما يبدو للمتبع.

إلا أنّ ما يهّمنا في المقام هو درجات الإخلاص والإيمان التي يتحلّى بها هذان العددان من المؤمنين، فإنّ من أهمّ ما يميّزهم هو درجة الإيمان والاستعداد العالي من أجل التضحية في سبيل إقامة الهدف الإلهي بنشر العدل على أرجاء المعمورة، وهذا الاستعداد لا يمكن تحصيله إلا بالتربية المركّزة التي تتركّز أكثر بعد الظهور، أمّا قبل الظهور المقدّس فإنّ هناك عوامل كثيرة تكفّلت بتربيتهم، ومنها: المظلومية والاضطهاد الذي يتعرّض له الضعفاء في العالم، ممّا يشعل في نفوسهم جذوة الحماس والإصرار على تغيير الواقع الأليم، فإذا كانت هناك مظلومية لها الدور الأكبر في بنائهم وتربيتهم، وخلق الاستعداد لديهم، من أجل إقامة المشروع الإلهي على الأرض، فهي مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، فإنّها تُمثّل الأسوة الحسنة والمثال الأوضح لمن ظلّم من أجل الدين، وضحّى بنفسه وبكلّ ما يملك من أجل تحقيق هذا المشروع.

فبالإمكان القول: إنّ المشيئة الإلهية للمظلومية والمأساة في واقعة الطف هدفها خلق الأسوة الحسنة للمؤمنين على مرّ الدهور؛ للتضحية من أجل الدين، حتّى يتحقّق حلم الأنبياء عليهم السلام على يد المنقذ المخلص وأصحابه، الذين جعلت منهم تلك الدروس أشخاصاً على مستوى عالٍ من الاستعداد لتحمل هذه المسؤولية، فهم وفي كلّ حين عندما يستذكرون تلك المظلومية والمأساة التي جرت على سبط المصطفى وعياله، وتلك الممارسات البشعة التي مارسها بنو أميّة وشيعتهم على آل الرسول وأصحابهم، يرون أنّ نصرته واجبة؛ لأنّ فيها رضا الله تعالى، ونصرة الحسين عليه السلام، من خلال تحقيق هدفه الذي رفع شعاره في قوله المشهور: «وإني لم أخرج أشرّاً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»<sup>(١)</sup>.

(١) الأمين، محسن، لواجع الأشجان: ص ٣٠.





# دراسين في فقهين في الظالمين والمظلومين ( كَرَبَلَاءُ أَمْوَدَجَا )

الشيخ حبيب عبد الواحد الساعدي<sup>(١)</sup>

## المقدمة

ظاهرة الظلم ووجود ظالم ومظلوم ليست من الظواهر المُستحدثة، بل هي ظاهرة تمتد جذورها إلى أعماق التاريخ، من أول الخلق إلى يومنا هذا، بل هي مستمرة إلى أن يظهر الإمام الحجّة المنتظر - أروحنا له الفداء - فيملا الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلئت ظُلماً وجوراً.

يدور البحث في هذه الدراسة حول الظالمية والمظلومية من ناحية فقهية، بمعنى بيان حكم الظالمية والمظلومية، وموقف الناس، ووظيفتهم تجاه الظالم والمظلوم. تُعدّ مسألة الظالمية والمظلومية من المسائل الحساسة، التي ترتبط بواقع المجتمع الإنساني ارتباطاً مباشراً ومصيرياً؛ فإن وجود الظالم يُمثّل خطراً يُهدّد حياة كلّ إنسان، وربّما يتحوّل المجتمع بسبب الظالم إلى جحيم لا يُطاق، فالظاهرة التي لها هذا التأثير

---

(١) كاتب وباحث إسلامي.

المباشر على المجتمع الإنساني، جديرة بالبحث والدراسة، لا سيّما عند ملاحظة أنّ هذا الموضوع وإن تعرّض الفقهاء لبعض فروعه، كمعونة الظالمين وتظلم المظلوم، إلا أنّهم لم يجمعوا تلك المسائل تحت عنوان مستقل كما في هذا المقال، بل يجد الباحث أنّهم تعرّضوا لذلك تحت عناوين أخرى لا صلة لها بالظالمية والمظلومية، كعنوان ما يجرم التكسب به، وعنوان الغيبة - مثلاً - وعليه فقد دعت الضرورة إلى تفصيل الكلام في ذلك فقهيّاً، وتحت عنوان مستقل، وضمن ضوابط ومنهجية معيّنة.

واستيعاب جميع جوانب هذه الدراسة يحتاج إلى الخوض في غمار البحث، حول أسباب وعوامل إيجاد الظالمية والمظلومية من ناحية فقهيّة؛ حتى يتسنى لنا التعرّيج بعد ذلك على دراسة الموقف الفقهي تجاه الظالم، مع بيان وظيفة الناس تجاهه، ثمّ بيان النظرة الفقهيّة تجاه المظلوم، والوظائف والتكاليف التي يقرّرها الفقه، ويجعلها على عاتق الناس.

ونحن إذ نبحت هذه الأمور نأخذ بعين الاعتبار واقعة كربلاء أنموذجاً، وبها جرى فيها من ظالمية ومظلومية، نستلهم منها وجهة نظر الفقه؛ كي يتيسّر لنا اقتطاف ثمار هذه الدراسة من واقع كربلاء. فيقع البحث في جهات ثلاث:

### الجهة الأولى: الظالمية والمظلومية معناهما وأسبابهما

لا شكّ في أنّ دراسة معاني الكلمات - وما يتّصل بها من المفاهيم بصورة صحيحة - يُعطي القارئ تصوّراً واضحاً عنها، وإعطاء الصورة الواضحة منذُ البدء يُساعد على الإلمام السريع بمقصود المتكلّم. من هنا؛ نجد من الضروري تكريس هذه الجهة، لتسليط الضوء على مفهومي الظالمية والمظلومية، وما يرتبط بهما من مفاهيم، مع التأكيد على بعض أسباب صناعة هذين المفهومين.

## أولاً: معنى الظالمية والمظلومية

الظالمية: هي الظلم (بضم حرف الظاء، وسكون اللام)، اسم مصدر، والمصدر ظلم (بفتح وسكون)، وهو من المصادر المشتقة، وفعله متعدّد، فيقال: ظلمه.

ومعنى الظلم في اللغة: «وضع الشيء في غير موضعه، ألا تراهم يقولون: من أشبه أباه فما ظلم. أي: ما وضع الشبه غير موضعه»<sup>(١)</sup>. والظلم: «الشرك، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾»<sup>(٢)</sup>. والظلمة: «ما تطلبه مظلمتك عند الظالم»<sup>(٣)</sup>.

وكلمة الظالم: صيغة لاسم الفاعل، تدلّ على الشخص الذي صدر منه الظلم، فإذا لحقتها ياء النسب والتاء، أفادت معنى المصدر؛ أي: مُطلق الحدث من دون انتساب إلى الفاعل أو المفعول. وهذا النوع من المصدر يُسمّى بالمصدر الصناعي، واستعماله قليل في اللغة العربية القديمة، كما في كلمة جاهلية<sup>(٤)</sup>.

ومحاربة الظالم ضدّ السّلم والاستسلام إليه، وهي على قسمين: الأوّل محاربة الظالم باللسان. الثاني: محاربة الظالم باليد والسلاح.

والمظلومية أيضاً: هي مصدر صناعي، يدلّ على مُطلق الحدث الذي هو الظلم. والمظلوم: صيغة لاسم المفعول، وهو الشخص الذي وقعت عليه عملية الظلم. والتظلم: هو أن يشتكي ظلمه ممن ظلمه<sup>(٥)</sup>.

ومن المفاهيم ذات الصلة بمفهوم الظلم والمظلومية، مفهوم النّصرة ومشتقاتها،

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٤٦٨.

(٢) لقمان: آية ١٣.

(٣) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٨، ص ١٦٤.

(٤) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٤٦٩.

(٥) أنظر: رضي الدين الأسترابادي، محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: ج ٤، ص ٣٤١.

(٦) أنظر: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ١٧، ص ٤٤٧.

والنُصرة: «حسن المعونة»<sup>(١)</sup>، والاستنصار: استمداد النصر وطلب النُصرة<sup>(٢)</sup>، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرُهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ﴾<sup>(٣)</sup>. والنصير: عون المظلوم. والأنصار: جماعة الناصر. وأنصار النبي ﷺ: أعوانه. وانتصر الرجل: انتقم من ظالمه. والنُصرة على قسمين:

الأول: النُصرة باللسان: وهي أن يُنصر المظلوم بإظهار أحقيته على الظالم؛ ولذا لما مدح حسان بن ثابت أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير، قال له النبي ﷺ: «لا تزال - يا حسان - مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»<sup>(٤)</sup>.

الثاني: النُصرة باليد والسلاح، وهي أن يُدافع عن المظلوم بيده وسلاحه. ويقابل النُصرة الخذلان، والخذل: هو ترك الإعانة والنُصرة، وتخاذل القوم: تدابروا<sup>(٥)</sup>. والخذلان أيضاً على قسمين: الأول: الخذلان القولي، أي: ترك النُصرة باللسان. والثاني: الخذلان العملي، أي: ترك النُصرة بالسلاح.

والظالم والمظلوم عموماً من المفاهيم الواسعة، والتي لها مراتب مختلفة، وحينما نُعبر بالظالم والمظلوم في هذا المقال لا نقصد بذلك ما للمفهوم من السعة والشمول لجميع المراتب، بل نقصد بالظالم: الظالم المسلم، أو من يدّعي الإسلام، الذي يُمارس عملية القتل وإراقة الدماء، وسلب حقوق المسلمين، ونهب أموالهم، والاعتداء على أعراضهم، سواء كان حاكماً أم لم يكن كذلك، وعليه؛ فمن أوضح مصاديقه المحاربون،

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٧، ص١٠٨.  
 (٢) أنظر: الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم: ج١٠، ص٦٦٢٨.  
 (٣) القصص: آية١٨.  
 (٤) الشريف الرضي، محمد بن الحسين، خصائص الأئمة: ص٤٢. وحسان لم يثبت على نصرة أهل البيت، وفي الحديث إشارة إلى ذلك.  
 (٥) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١١، ص٢٠٢.

وسلاطين الجور، الغاصبون للخلافة والحكومة الإلهية<sup>(١)</sup>. ونقصد بالظلم هو ذلك الإنسان الذي قد مارس الحاكم الظالم بحقه تلك الأمور المتقدمة.

## ثانياً : أسباب صناعة الظالم والمظلوم

إنَّ أيَّ ظاهرةٍ من الظواهر تتدخَّل في تكوينها وإيجادها أسباب عدَّة، ووجود ظالم ومظلوم كبقية الظواهر، لا تخرج عن هذا القانون، فهناك أسباب وعوامل مختلفة لها تأثير مباشر في ذلك، وكلامنا حول هذه الأسباب من ناحية فقهية، بمعنى أنَّ الشارع قد جعل أحكاماً؛ الغاية منها القضاء على أسباب الظلم ومناشئها، فتكون مخالفة تلك الأحكام أو تركها سبباً واضحاً لتحقيق الظلمية وانتشار المظلومية. وهذه الأسباب والعوامل كالآتي:

### ١- نقض العهد

كلمة العهد من الكلمات القرآنية، والمراد بالعهد: هو العهد المأخوذ من الناس على الإيمان بالله تعالى، والإيمان برسوله ﷺ، والولاية لعلي عليه السلام. جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، قال: «المأخوذ عليهم الله بالربوبية، ولمحمد ﷺ بالنبوة، ولعلي بالإمامة، ولشيعتها بالمحبة والكرامة»<sup>(٣)</sup>. فإذا نقض الناس هذا العهد - ولم يعملوا به - فسوف يتسلط عليهم الظالم، ويؤكد هذا المعنى بعض الروايات، كما عن أبي جعفر عليه السلام إذ قال: قال رسول الله ﷺ: «...وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ...»<sup>(٤)</sup>. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

(١) أنظر: اللنكراني، فاضل، تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة (المكاسب المحرمة): ص ١٩٧.

(٢) البقرة: آية ٢٧.

(٣) التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص ٢٠٦.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٣٧٤.

وهذه الحقيقة هي أحد الأسباب التي خلقت يزيد الظالم؛ حيث إن من جملة وصايا رسول الله لهذه الأمة، أنه قال: «الخلافة مُحَرَّمَةٌ عَلَى آلِ أَبِي سَفْيَانَ... فَإِذَا وَجَدْتُمْ مَعَاوِيَةَ عَلَى مَنْبَرِي فابْقِرُوا بَطْنَهُ»<sup>(١)</sup>. ولكن لم تعمل هذه الأمة بهذه الوصية، ورأوا معاوية على منبر رسول الله ﷺ، ولم يعترضوا عليه بقولٍ ولا فعلٍ، فضيَعُوا بذلك وصية رسول الله وعهده؛ فسَلَطَ اللهُ عليهم يزيد الفاجر الفاسق، وقد أشار إلى هذه القضية الإمام الحسين عليه السلام، حينما خاطب مروان بن الحكم<sup>(٢)</sup>.

## ٢- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من أهمِّ الوسائل التي تُمَهِّدُ الأَرْضِيَّةَ لتسلُّطِ الظالم على الناس هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنَّ من طبع الإنسان إذا تعدى تعدياً بسيطاً، ولم يواجهه نهياً صريحاً عن هذا التعدي، ولم يتضح له مدى شناعة فعله؛ عند ذلك سيستسيغ ذلك التعدي ويستصغره، باعتبار أنَّ الناس لم تستنكر عليه فعله، وإذا استساغ ذلك، تعدَّى تعدياً أعظم منه، حتى يتسلَّطَ على الناس، وبذلك يشيع الظلم بينهم، بخلاف ما لو استنكر الناس عليه ذلك، ونهوه عن فعله؛ فسيكون هذا الاستنكار منهم رادعاً ومانعاً عن تكرار ذلك الفعل منه، وبذلك سينتهي عن التعدي على الآخرين، وقد ورد هذا المعنى في بعض الروايات، منها: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَرْفَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ: «لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَيْنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيْسَتْ عَمَلَنَّ عَلَيْكُمْ شَرَارُكُمْ، فَيَدْعُوا خِيَارُكُمْ، فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

إذا؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الوظائف التي إن تركها الناس تسلَّطَ الظالم عليهم، فترك هذه الوظيفة العظيمة يُمهِّدُ السبيل، ويوجد الأرضية المناسبة

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٢٥٧.

(٢) أنظر: ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٧.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٥٦.

لصناعة الظالم، فيكون وجود ظالم ومظلوم من النتائج الطبيعية لترك هذه الوظيفة، والرواية تؤكد على هذه النتيجة الطبيعية والمنطقية.

وهذا الأمر هو الآخر كان عاملاً مهماً في إيجاد الظلمية والمظلومية في كربلاء؛ إذ ابتليت الأمة في ذلك الوقت باللامبالاة في الدين، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويُشير إلى هذه الحقيقة قول الإمام الحسين عليه السلام: «ألا ترون أنّ الحق لا يعمل به، وأنّ الباطل لا يتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً؛ فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً»<sup>(١)</sup>.

### ٣- ترك إقامة حدّ القصاص

لو حصل العلم اليقيني للإنسان بأنّ عاقبة القتل هي القتل، وعاقبة السرقة قطع اليد، فسوف لن يُقدم على القتل والسرقة بكل تأكيد؛ لأنّه يعلم أنّ في ذلك هلاكه، كما أنّه لو أمّن الناس من القصاص، لقتل بعضهم بعضاً، وتفشت جرائم القتل والظلم فيهم؛ لذا يُعدّ تقنين القصاص من الأسباب التي تبثّ الأمن والحياة للبشرية، فترك هذا القانون يستلزم الخوف والرعب، وتفشي القتل والجرائم في المجتمع الإنساني، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة، في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢)</sup>. فترك القصاص يساوي الحكم بالإعدام على الجميع، وتسليط الظالمين على الناس؛ وعليه فهو إحدى الوسائل الممهّدة لإيجاد الظالمين، وتحكّمهم في البلاد، وقد ورد في الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ خَافَ الْقِصَاصَ، كَفَّ عَن ظُلْمِ النَّاسِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٨٦. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٠٥. والمشهور على الألسن «ما أرى الموت إلّا سعادة». ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ٢٤٥. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٢٤.

(٢) البقرة: آية ١٧٩.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٣٣١.

ولم يتجرأ معاوية ويزيد على قتل خيار الصحابة وكبارهم إلا لكونها قد أمنا القصاص، فراحا يسفكان الدماء، ويعتديان على الأعراض من دون أن يخضعا إلى المحكمة العادلة، ولو قُدِّر للمحكمة العادلة إجراء حدِّ القصاص على هؤلاء، لما تمكَّن أحد من سفك الدماء، وقتل الأخير.

إذاً؛ ترك إجراء الحدود - وتنفيذ القصاص في ذلك الزمن - كان له أثر كبير وخطير في اتساع بقعة الظلم، وإيجاد المظلومية في كربلاء.

#### ٤. الركون إلى الظالمين ومعاونتهم

المقصود من الركون: هو الميل إلى الظالمين، والاعتماد عليهم. فقد جاء في التنزيل: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ﴾<sup>(١)</sup>؛ لأنَّ التودُّد لهم والاستناد إليهم والنصح لهم يؤدي إلى تقوية الظالم، وتوليته على رقاب المسلمين. وحينئذٍ تُعدُّ ظاهرة الركون - والاعتماد والتودُّد - والنصح للظالم من أسباب وجود الظالم، كما أنَّ معونة الظالمين من أوضح الوسائل وأعظمها تأثيراً في وجود ظاهرة الظلم والجور؛ ومن هنا فإنَّ الغاية من تأكيد الشريعة الإسلامية على حرمة إعانة الظالم، هي المنع عن تسلُّط الظالمين على الناس.

إنَّ أحد الأسباب الأساسية في إيجاد الظالمية والمظلومية في كربلاء وجود جماعة من الناس قاموا بمعونة الظالمين؛ طمعاً بما في أيديهم، وكانت إعانة يزيد الظالم من قبَل هذه الجماعة المنحرفة قائمة على قدم وساق، إلى درجة أنَّهم كانوا يتناسون الخلافات فيما بينهم؛ لأجل القضاء على الثلثة المؤمنة. وعلى سبيل المثال: كان بين مروان بن الحكم والوليد بن عتبة خلاف وحزازة، ولكن مروان بن الحكم بمجرد أن سمع بموت معاوية، وطلب يزيد البيعة من الحسين، جعل يتردّد إلى الوليد بن عتبة وكأنَّه لم يكن بينهما عداوة؛ ولذا تعجَّب الإمام الحسين عليه السلام منها، فقال حينما رآهما جالسين: «الصلة خير من القطيعة، أصلح

(١) هود: آية ١١٣.



الله ذات بينكما»<sup>(١)</sup>؛ وهذا إن دلَّ على شيء، فإنَّما يدلُّ على أنَّ هؤلاء يتعاونون على الإثم والعدوان، وكلَّ ذلك له دور كبير في إيجاد الظالمية والمظلومية في كربلاء؛ ولذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يتعجَّب من اتفاق أهل الباطل على باطلهم، واختلاف أهل الحقِّ في حقهم<sup>(٢)</sup>.

## ٥- ظلم الناس بعضهم بعضاً

من جملة القوانين التي سنَّها الله تعالى في هذا العالم، هو انعكاس الأعمال ورجوعها على صاحبها، فكلُّ إنسانٍ لا بدَّ أن يرى نتيجة أعماله، فمَن زرع خيراً حصد خيراً، ومَن زرع شراً حصد شراً، فمَن قتل فليتهيأ للقتل، ومَن ظلم فليستعد للظلم، ومَن يعتدي على أعراض الناس فليتوقَّع اعتداء الآخرين على عرضه، وفي القرآن الكريم إشارات إلى هذه الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾<sup>(٣)</sup>، وكلمة (حاق): بمعنى نزل، والمعنى: لا ينزل المكر السيء إلا بمنَّ فعله. وأيضاً قوله تعالى:

﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾<sup>(٤)</sup>، والآية تشير إلى أن مَن يأكل أموال يتامى غيره فليستعد إلى أكل غيره أموال يتاماه؛ حيث ورد في تفسير الآية المتقدمة: مَن ظلم سلَّط الله عليه مَن يظلمه، أو على عقبه، أو على عقب عقبه. قال [الراوي]: يظلم هو، فيسلَّط على عقبه؟ فقال: إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾. وقد دلَّت بعض الروايات على هذه الحقيقة أيضاً، فجاء في خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين عليه السلام: «وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ، وَمَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ بُئْرًا وَقَعَ فِيهَا، وَمَنْ هَتَكَ حِجَابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٥١.

(٢) أنظر: خطب أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: ص ٣٤.

(٣) فاطر: آية ٤٣.

(٤) النساء: آية ٩.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ١٩.

وَعَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «مَنْ يَفْعَلِ الشَّرَّ بِالنَّاسِ فَلَا يُنْكِرِ الشَّرَّ إِذَا فَعَلَ بِهِ، أَمَا إِنَّهُ إِتْمَا يُخْصِدُ ابْنَ آدَمَ مَا يَزْرَعُ، وَلَيْسَ يُخْصِدُ أَحَدٌ مِنَ الْمُرْحُلُوا، وَلَا مِنَ الْحُلُوِّ مُرًّا»<sup>(١)</sup>. الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

وكانت كربلاء حافلة بهذه القضية؛ فإن قصة أولاد مسلم بن عقيل مع الحارث خير شاهد على هذه الحقيقة؛ إذ إن الحارث لما قتل الطفلين، وأتى برأسيهما إلى ابن زياد، جعل ابن زياد يسأله عن سبب قتلها وكيفيته، إلى أن قال له: فأبي شيء قال في آخر صلاتها؟ قال: رفعا طرفيهما إلى السماء، وقالا: يا حي يا حلیم، يا أحكم الحاكمين، أحكم بيننا وبينه بالحق. قال عبيد الله بن زياد: فإن أحكم الحاكمين قد حكم بينكم، من للفاسق؟ قال: فانتدب له رجل من أهل الشام، فقال: أنا له. قال: فانطلق به إلى الموضع الذي قتل فيه الغلامين فاضرب عنقه، ولا تترك أن يختلط دمه بدمهما، وعجل برأسه. ففعل الرجل ذلك، وجاء برأسه فنصبه على قناة، فجعل الصبيان يرمونه بالنبل والحجارة، وهم يقولون: هذا قاتل ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله<sup>(٢)</sup>.

## الجهة الثانية: النظرة الفقهية للظلم والظالم

إنَّ الفقه الإسلامي ينظر تارة إلى الشخص الظالم، ويفرض عليه بعض التكاليف، وأخرى ينظر إلى موقف الناس تجاه الظالم، فيقرّر لهم بعض الوظائف أيضاً.

## أولاً: ما يلزم على الظالم شرعاً

### ١- تحريم الظلم والجور

الظلم بجميع أنواعه ومصاديقه من المحرّمات الواضحة التي لا تحتاج إلى دليل،

(١) المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٣٤.

(٢) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٤٨.

بل هي من المسائل البديهية التي يحكم العقل العملي بقبحها، والظلم من المحرمات الكبيرة التي جاء الوعيد عليها في القرآن والسنة، ولا يسعنا هنا إلا أن نشير إجمالاً إلى الأدلة الدالة على حرمة الظلم.

### أ) حكم العقل بقبح الظلم

قد أودع الله تبارك وتعالى في الإنسان جوهرة العقل، التي بها يستطيع أن يُميز الحق من الباطل، والقيح من الحسن، وهذه الجوهرة - ما لم تتلوث - تدرك بوضوح قبح الظلم، وحسن العدل، فإنّ العقل العملي يقول: إنّ الظلم قبيح، والعدل حسن. بل هو من البدييات التي يعتقد بها حتى الظالم نفسه، فإنّه غالباً حينما يظلم إنساناً يعتقد - بحسب منطق الخاطيء - أنّ ذلك الإنسان مستحق للعقاب، وأنّ ما يصنعه به هو مقتضى العدالة، وهذا إنّ دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على أنّه يعتقد بقبح الظلم.

### ب) الآيات الدالة على حرمة الظلم

إنّ القرآن الكريم مشحون بالآيات التي تنبذ الظلم، نقتصر هنا على إيراد جملة منها، ونحيل الباقي إلى القارئ المتدبر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَجْعَلُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَيُجِبُّ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَاللَّهُ لَا يُجِبُّ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾<sup>(٥)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾<sup>(٦)</sup>. فجميع هذه الآيات تُرشدك إلى أنّ الظلم بجميع أنواعه

(١) الأنعام: آية ٢١.

(٢) المائدة: آية ٥١.

(٣) آل عمران: آية ٥٧.

(٤) إبراهيم: آية ٢٢.

(٥) يونس: آية ١٣.

(٦) إبراهيم: آية ٤٢.

وأقسامه، من أشدَّ المحرّمات، وأكبر الكبائر.

### ج) الروايات الدالّة على تحريم الظلم

وأما الروايات فكثيرة جداً تبلغ حدّ التواتر، وقد ذكر صاحب الوسائل باباً بعنوان باب تحريم الظلم، ونقتصر على خمس روايات من باب التيمّن والتبرّك.

١- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّهُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٢- عَنْ زُرَّارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَظْلِمُ مَظْلُومَةً، إِلَّا أَخَذَهُ اللَّهُ بِهَا فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، فَإِذَا تَابَ غُفِرَ لَهُ».

٣- عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «مَنْ ظَلَمَ مَظْلُومَةً أَخَذَ بِهَا فِي نَفْسِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وُلْدِهِ».

٤- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلِغُ صَادٍ﴾، قَالَ: «قَنْطَرَةٌ عَلَى الصِّرَاطِ لَا يُجُوزُهَا عَبْدٌ بِمَظْلُومَةٍ».

٥- عَنْ أَبِي حَمزة الثماليّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «لَمَّا حَضَرَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام الْوَفَاةَ صَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِيَّ، أَوْصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي حِينَ حَضَرْتُهُ الْوَفَاةَ، وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ، قَالَ: يَا بَنِيَّ، إِيَّاكَ وَظَلْمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِراً إِلَّا اللَّهَ»<sup>(١)</sup>.

فالرواية الأولى تأمر بترك الظلم بجميع أنواعه، كما أنّ الرواية الثانية تعرّضت لبيان عقاب الظالم في الدنيا، وفيها إيحاء إلى أنّ الظالم للعباد لا يغفر الله له إلا أن يرضى المظلوم، والرواية الثالثة تعرّضت لعقاب الظالم في الدنيا أيضاً، والرواية الرابعة تعرّضت لعقاب الظالم في الآخرة، والرواية الخامسة تنهى عن ظلم من لا ناصر له إلا الله. فمجموع هذه الروايات يدلُّ على حرمة الظلم بجميع أنواعه.

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٤٨.

## ٢. واجبات الظالم

بناءً على ما تقدّم من أدلّة حُرمة الظلم، فيجب على الإنسان المسلم ترك الظلم بجميع أنواعه؛ فإنّه من أعظم الكبائر، وتترتب عليه تلك الآثار العظيمة؛ وعليه فيكون ترك الظلم بجميع أنواعه من أكبر الواجبات، وكفى رادعاً للظالم عن ظلمه أن يعلم أنّ الله ينظر إليه وهو أقدر عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾<sup>(١)</sup>. ولكن إذا تلبّس الإنسان المسلم بالظلم، فيجب عليه أمور:

١- التوبة: فيجب على الظالم التوبة عن ظلمه، وأما قبول توبته، فيختلف ذلك بحسب نوع الظالم:

أ) السلطان الجائر أو المحارب الذي يقتل الأولياء والصالحين والمؤمنين؛ بسبب دينهم، فلا تُقبل توبته؛ حيث يُستفاد من الروايات التي منها الصحيح<sup>(٢)</sup>، أن من يقتل مؤمناً متعمداً لأجل دينه - كما يقع ذلك غالباً من الحكّام الظالمين الجائرين - لا تُقبل منه توبة.

ويؤيد ذلك ما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَعَظِيبُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾<sup>(٣)</sup>، وقد ذكر جملة من المفسرين أنّ المقصود من الآية، هو من يقتل المؤمنين لأجل دينهم<sup>(٤)</sup>،

(١) إبراهيم: آية ٤٢.

(٢) أحمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، وابن بكير جميعاً، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «سئل عن المؤمن يقتل المؤمن متعمداً، هل له توبة؟ فقال: إن كان قتله لإيماه، فلا توبة له، وإن كان قتله لغضب، أو لسبب من أمر الدنيا، فإن توبته أن يقاد منه...». الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٩٢، ص ٠٣ - ١٣.

(٣) النساء: آية ٩٣.

(٤) أنظر: القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ١، ص ١٤٨. شبر، عبد الله، تفسير شبر: ص ١٢٢.

كما ذكر ذلك جملة من الفقهاء أيضاً<sup>(١)</sup>.

ب) الظالم الذي يقتل المؤمن لأمر من أمور الدنيا، فإن عفا عنه أولياء الدم، فتوبته أن يُعطي الدية لأولياء القتول، ويعتق رقبة، ويصوم شهرين متتابعين، ويُطعم ستين مسكيناً - وهي كفارة الجمع<sup>(٢)</sup>، وإن لم يعف عنه، كان القصاص توبته.

٢- ردّ المظالم: والمقصود من المظالم: هي تلك الأموال التي أخذها الظالم ظلماً وجوراً، فلا يكفي ترك الظلم، والتوبة إلى الله فحسب، بل يجب عليه إرجاع تلك الأموال إلى أصحابها، فإذا لم يُرجع حقوقهم، لا تُقبل توبته<sup>(٣)</sup>.

٣- الاستحلال من المظلوم: وهو أن يطلب الظالم براءة ذمته من المظلوم، وتطيب خاطره حتى يرضى، وقد ورد في النبوي: «مَنْ كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ فِي عَرَضٍ، أَوْ مَالٍ، فَلْيَسْتَحْلِلْهَا...»<sup>(٤)</sup>.

٤- الاستغفار للمظلوم: قد ورد في بعض الروايات الإشارة إلى أنه إذا لم يتمكن الظالم من الوصول إلى المظلوم؛ ليأخذ منه البراءة، ويُرجع إليه حقه، فكفارة ذلك أن يستغفر للمظلوم، جاء عن السكوني، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ ظَلَمَ أَحَدًا فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ؛ فَإِنَّهُ كَفَّارَةٌ لَهُ»<sup>(٥)</sup>.

ولكن في وجوب الاستحلال والاستغفار خلاف بين الفقهاء؛ نظراً لضعف سند

(١) أنظر: العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، تحرير الأحكام: ج ٥، ص ٤١٨ - ٤١٩. التبريزي، جواد بن علي، تنقيح مباني الأحكام: ص ٣٤٠. اللنكراني، فاضل، تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة: ص ٣٣٨. وقد ذكروا أن السبب في عدم قبول توبة مَنْ قَتَلَ مَوْمِناً مُتَعَمِّداً لدينه؛ هو أن القتل لأجل الإيمان إنما يستبطن التكذيب، وحصول الارتداد عن فطرة.

(٢) أنظر: الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين: ج ٢، ص ٣٢١.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ج ١، ص ١٣٧. اللنكراني، فاضل، جامع المسائل: ج ٢، ص ٣٥٨.

(٤) أنظر: ابن إدريس، محمد بن منصور، السرائر: ج ٢، ص ٦٩.

(٥) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٥٣.

الروايات، فمنهم مَنْ أوجبها، ومنهم مَنْ قال باستحبابها دون الوجوب<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أنّ هذه الأحاديث ناظرة إلى مَنْ يظلم ظلماً بسيطاً، ثمّ يتوب، وأمّا الظالمون الذين قتلوا أولاد الأئمة، وأولاد الأنبياء، ولا سيّما جريمة التاريخ التي حصلت في كربلاء، فمن البعيد جداً أن يُوقّفوا إلى التوبة، بل تقدّم في تفسير الآية أنّ مَنْ يَقْتل مؤمناً متعمداً لدينه، فلا تُقبل توبته، فما بالك بمنّ يَقْتل أبناء الأنبياء والأوصياء؟! ولذا؛ لم يُوفّق للتوبة كلّ مَنْ شارك في دم الحسين عليه السلام وأولاده وأصحابه، بل كانت عاقبتهم الخزي في الدنيا والآخرة.

### ٣. عقوبات وجزاء الظالم

لم يكتفِ الإسلام بتحريم الظلم، والمنع من مساعدة الظالم، بل جعل العقوبات على مَنْ يمارس عملية الظلم، وبعد ملاحظة ما بأيدينا من الروايات المتعرّضة لعقاب الظالم، يمكن ترتيبها على ثلاث مراحل:

#### أ) العقاب الدنيوي التشريعي

إنّ أوّل عقوبة يوجّهها الإسلام للظالم، هي عبارة عن العقوبات التشريعية التي رسمتها له الشريعة الإسلاميّة، والحقيقة أنّ الشارع لم يجعل للظالم عقوبةً واحدةً، وإنّما جعل لكلّ جريمة يرتكبها الظالم حداً خاصّاً، فجعل للقتل حداً، وللاعتداء على الأعراس حداً، وللسرقة حداً، إلى غير ذلك من الحدود المذكورة في الكتب الفقهيّة.

وهذا العقاب التشريعي - الاقتصاص - قد حصل بالنسبة إلى بعض الظالمين الذين قاموا بقتل ابن بنت رسول الله وأولاده وأصحابه؛ حيث حصل الاقتصاص منهم على

(١) أنظر: الحكيم، محسن، منهاج الصالحين: ج ١، ص ١٤. الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين:

يد المختار الثقفي عليه السلام، فيما تذكر لنا المقاتل والسير<sup>(١)</sup> جانباً من العقوبات التشريعية التي حصلت بعد وقوع كربلاء؛ لتعطينا صوراً من العقوبات التي حلت بالظالمين، إذ لم تمض الأيام حتى سلط الله تعالى على هؤلاء الظلمة وأولاد الظلمة المختار بن يوسف الثقفي، فاقصص منهم واحداً تلو الآخر، وعجل الله تعالى لهم العقاب في الدنيا، وعقاب الآخرة أكبر، وهذا تطبيق واضح لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

### ب) العقاب الدنيوي التكويني

من السنن الموجودة في هذه الدنيا هي أنّ الظالم ينال جزاءه في الدنيا قبل الآخرة، فالظلم من المسائل التي يتمّ تعجيل العقوبة عليها في الدنيا قبل الآخرة. والتاريخ خير شاهد على هذه الحقيقة، فما من ظالم إلا وقد أنزل الله عليه العذاب في الدنيا، وهذا القرآن الكريم يُحدّثنا بما جرى على الظالمين الذين كانوا يقتلون الأنبياء، وكيف نزل العذاب عليهم في الدنيا قبل الآخرة، فإنّ الله تعالى بالمرصاد لكلّ ظالم، وهذه الحقيقة لا ينكرها إلا مكابر؛ إذ يستجيب الله دعوة المظلوم في حقّه<sup>(٣)</sup>، ويُسلط الله عليه من يظلمه أو على أبنائه أو على أمواله في الدنيا، ولا يرحمه<sup>(٤)</sup>.

وقد سلّطت لنا السير والمقاتل أضواءً على بعض جوانب كربلاء، والتقطت لنا صوراً من العقوبات التي حلت بالظالمين في عرصة كربلاء؛ حيث إنّ العقاب الدنيوي كان يتربّص بأولئك الظلمة، فمن جانب عرضت لنا ما جرى على ابن حوزة التميمي، إذ يسقط بسبب اضطراب فرسه، وتتعلّق رجله بالركاب، ثمّ تجول به الفرس، فتضرب

(١) أنظر: ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٢٣. بيضون، لبيب، موسوعة كربلاء: ج ٢، ص ٦٧٨.

(٢) فاطر: آية ٤٣.

(٣) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٥٠٩.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٣٤. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٤٧.



به كلِّ حجرٍ ومدبرٍ، حتى يموت، ويُعجَّل بروحه إلى النار، وكان هذا بدعوة الإمام الحسين المظلوم؛ إذ قال: «اللهمَّ، حرِّه إلى النار»<sup>(١)</sup>.

وتعطينا صورةً أخرى لما جرى على عبد الله بن الحسين، إذ جعل يشرب الماء، وينادي: اسقوني من الماء. إلى أن مات من العطش؛ وهذا أيضاً كان بدعوة الحسين عليه السلام بقوله: «اللهمَّ، اقتله عطشاً»<sup>(٢)</sup>.

### ج) العقاب الأخرى

إنَّ عقاب الدنيا يُصيب الظالم لا محالة، ولكن لو فرضنا أنه لم يُصبه، فأين يقرّ الظالم من عذاب يوم القيامة؟! إذ أخبرنا الكتاب الكريم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وكما أخبرنا تراجمة القرآن بقولهم: «إنَّ الظالم يوم القيامة في ظلماتٍ»<sup>(٤)</sup>، فمن يكون في ظلمات كيف يتمكّن من جواز تلك القنطرة التي على الصراط؟!<sup>(٥)</sup>، وإنَّ من أصعب العقبات على الظالم يوم القيامة حينما يتعلّق به المظلومون بين يدي الله تعالى<sup>(٦)</sup>، حتى إنّه يأكل جذوات<sup>(٧)</sup> من نار جهنّم؛ بسبب أكله أموال الناس ظلماً<sup>(٨)</sup>.

ولا شكّ في أنّ ظلم الأنبياء والأوصياء أعظم من ظلم غيرهم، والعقاب الأخرى عليه، يكون أشدّ وأعظم، ولا سيّما من ظلم الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في يوم

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٠٢.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢١٤.

(٣) إبراهيم: آية ٢٢.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ج ٢، ص ٤٦.

(٥) أنظر: الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٤٧.

(٦) أنظر: الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ٢، ص ١٧٧١.

(٧) جذوات: مفردها جذوة، وهي القطعة من الجمر. أنظر: الرازي، محمد، مختار الصحاح: ص ٦٠.

(٨) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٣٣٣.

عاشوراء، حيث ﴿يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلَدُ فِيهِ مَهَكَانًا﴾<sup>(١)</sup>، ورحم الله الشاعر إذ يقول:

ويلٌ لمن شفعاؤه خصاؤه والصور في نشر الخلائق ينفخُ  
لا بد أن ترد القيامة فاطمٌ وقميصها بدم الحسين مُلطخُ

## ثانياً: وظائف الناس تجاه الحاكم الظالم

### ١. حرمة إعانة الظالم

إعانة الظالم بجميع ألوانها يمكن أن تكون على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: إعانة الظالم في ظلمه؛ بحيث يعدّه الناس من أعوان الظالمين في ظلمهم. وهذا النوع من الإعانة من المحرّمات الكبيرة أيضاً، كحرمة الظلم نفسه.

القسم الثاني: إعانة الظالمين في غير ظلمهم، بمعنى أنّه يُعينهم في غير المحرّمات؛ بحيث يعدّه العُرف من أعوانهم، ومن المنتسبين إليهم، كمن يعمل عندهم في بناء مساجدهم أو خياطة ملابسهم، بحيث يراه العُرف منهم، فهذا النوع من الإعانة من المحرّمات أيضاً.

القسم الثالث: إعانة الظالمين في غير ظلمهم، بحيث لا يعدّه العرف من أعوانهم المنتسبين إليهم، وهذا القسم الثالث من الإعانة ليس من المحرّمات.

قال السيّد الخوئي رحمته الله: «معونة الظالمين في ظلمهم - بل في كلّ مُحَرَّم - حرامٌ، أمّا معونتهم في غير المحرّمات من المباحات والطاعات، فلا بأس بها، إلا أن يُعدّ الشخص من أعوانهم، والمنسويين إليهم فتحرم»<sup>(٢)</sup>.

ويدلُّ على حرمة إعانة الظالمين العقل والإجماع، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى

(١) الفرقان: آية ٦٩.

(٢) الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين: ج ٢، ص ٧. الأنصاري، مرتضى، المكاسب: ج ٢، ص ٥٣.

الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴿١﴾، أو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ ﴿٢﴾، أو الروايات المستفيضة، بل المتواترة، وقد عقد أصحاب الحديث (رضوان الله عليهم) حرمة إعانة الظالمين، أبواباً كثيرة، فالروايات أشهر من أن تُذكر ﴿٣﴾. وعلى الرغم من وجود هذه الأدلة الواضحة على حرمة إعانة الظالمين وتقويتهم، نلاحظ - وللأسف - أن كربلاء حافلة بإعانة الظالمين، أو تجلّت إعانة الظالمين في كربلاء بأجلى صورها، فهذا الجيش قد ناهز الثلاثين ألف رجل، وهذا العدد الكبير تجسيد واضح لإعانة الظالمين؛ ولذا كان الإمام الحسين عليه السلام يقول في خطاباته: «وأراكم قد اجتمعتم على أمرٍ أسخطتم الله فيه عليكم» ﴿٤﴾.

## ٢- وجوب محاربة الظالم

إن من أهم أهداف الإسلام نشر العدل بين بني الإنسان؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ ﴿٥﴾، فيجب على الأمة الإسلامية - كفايةً - تحقيق العدل، ولا يتم تحقيق العدالة إلا بمحاربة الظالمين الذين يسعون في الأرض فساداً، والإسلام يتدرّج في تحقيق هذا الهدف، ويُعطينا منظومةً كاملةً في سبيل التغلّب على الظلم والظالمين، ونشير إلى هذه المنظومة بنحوٍ إجمالي:

### أ) الدعوة السريّة والتعبئة لنبذ الظالم

تبدأ مسيرة محاربة الظالم - والقضاء على الظلم - بدعوة المؤمنين إلى نبذ الظالمين،

(١) هود: آية ١١٣.

(٢) المائدة: آية ٢.

(٣) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ١٠٥. الطوسي، محمد بن الحسن، التهذيب: ج ٦، ص ٣٣٠. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ١٧٩.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥.

(٥) النحل: آية ٩٠.

وتعدّ هذه الخطوة هي البذرة الأولى لتكوين محاربة الظالمين. فهي من الخطوات الحساسة التي تحتاج إلى الدقة في العمل، فإنّها ستبوء بالفشل إذا ما أعلنت، ولا يتحقق الهدف المطلوب؛ ولذا فإنّ موسى عليه السلام لما قتل القبطي وصف هذا العمل بأنّه من عمل الشيطان؛ لأنّه سابق لأوانه، قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ الَّذِي مِنْ شِيعِنِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا الأسلوب نفسه قد طبّقه الإمام الحسين عليه السلام، فلم يعمل عملاً سابقاً لأوانه، وكان الإمام الحسين عليه السلام، يحرص على أن لا يسفك دمًا، طالما لم يبدر منهم القتال، ومن الشواهد على ذلك: أنّه لما دخل على عتبة بن الوليد اصطحب بني هاشم معه، وقال لهم: إن سمعتم صوتي قد علا، فادخلوا ولا تشهروا سيفاً. فهذه الطريقة تُبيّن الدقة والحنكة السياسية التي يستخدمها الإمام الحسين عليه السلام. واستمرّ بالدعوة السريّة لبند الحاكم الجائر، عن طريق المكاتبات التي حصلت بينه وبين أهل الكوفة والبصرة، من دون أن يُشعر الجهاز الحاكم؛ ولذا لم يكن يعلم الحربن يزيد الرياحي بهذه المكاتبات، مع أنّه كان آنذاك من قادة جيش يزيد. والشاهد الآخر: أنّ مسلم بن عقيل لم يقتل عبيد الله بن زياد للسبب نفسه؛ فإنّه قد ورث هذه الحنكة السياسية من ابن عمّه الحسين عليه السلام، وإلا لو قتل مسلمٌ عبيد الله بن زياد لاحتجّ عليه القوم بأنّه أوّل من سفك الدماء، كما احتجّ فرعون على موسى حينما قال له: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الَّتِي فَعَلْتَ﴾<sup>(٢)</sup>، ولما استطاع الحسين عليه السلام أن يحتجّ على القوم بقوله: «ويحكم! أنظلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مالٍ لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة»<sup>(٣)</sup>. فانظر - أيها اللبيب - إلى مدى عمق تفكير مسلم بن عقيل وحكمته.

(١) القصص: آية ١٥.

(٢) الشعراء: آية ١٩.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٨.

## ب) النصيحة والوعظ المناسب

إن نصيحة الظالم ووعظه هي لون من ألوان مواجهة الظالم، وينبغي استخدام جميع الوسائل التي تُوجب ردع الظالم عن ظلمه، كاللين، واللطف، والعطف، والقول الحسن؛ ولذا كان دأب الأنبياء ﷺ في مواجهتهم مع الظالمين هو النصيحة، والوعظ المناسب، وإليك بعض الآيات الدالة على ذلك، قال تعالى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ \* فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لِّينًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ونجد أن عرصة كربلاء كانت حافلة بالوعظ البليغ، والقول اللين، والحكمة، والموعظة الحسنة، ومن جملتها: خطبة ذلك الصحابي الجليل حنظلة بن سعد الشامي وموعظته الحسنة التي لها وقع خاص في القلوب، إذ أخذ ينادي: «يا قوم، إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب، مثل دأب قوم نوح وعاد، وثمود والذين من بعدهم، وما الله يُريد ظلمًا للعباد. يا قوم، إني أخاف عليكم يوم التناد، يوم تُولّون مدبرين ما لكم من الله من عاصم. يا قوم، لا تقتلوا حسينا، فُيسحتكم الله بعذاب، وقد خاب من افترى»<sup>(٣)</sup>.

## ج) الإنذار والتخويف والترهيب

فإذا لم ينفع النصح والوعظ والقول اللين والقول الحسن نتقل إلى المرحلة الثالثة، وهي القول الشديد، والإنذار والتخويف والترهيب، وهذا اللون من المحاربة والمواجهة للظالمين استخدمه الأنبياء وسيلة لردع الظالمين عن ظلمهم، فكان الأنبياء يندرونهم ويخوفونهم بعذاب الله تعالى الذي سيحلّ بهم في الدنيا، والقرآن الكريم

(١) طه: آية ٤٣-٤٤.

(٢) النحل: آية ١٢٥.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٣، ص ١٥٧.

حافل بهذه التهديدات والإنذارات، والتخويات والترهيبات. ويُستخدَم الترهيب قبل القتال عادةً، قال أبو المجد الحلبي: «وينبغي قبل وقوع الابتداء به تقديم الإعذار والإنذار، والتخويف والإرهاب، والاجتهاد في الدعاء إلى اتباع الحق، والدخول فيه، والتحذير من الإصرار على مخالفته، والخروج عنه»<sup>(١)</sup>.

وقد اجتازت كربلاء الحسين عليه السلام مرحلة النصح والموعظة - بعد أن لم ينفع هذا الأسلوب بأولئك العتاة الطغاة - إلى مرحلة أُخرى، وهي التهديد والترهيب، والتخويف ببأس شديد وعذاب أليم، وما أروع صور الشجاعة التي رسمتها كربلاء في يوم العاشر من المحرم، لبني هاشم من جانب، ولأصحاب الحسين من جانب آخر، وبينك عن هذا قول الإمام الحسين عليه السلام: «ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد تركني بين السلّة والذلّة، وهيهات له ذلك، هيهات منّي الذلّة، أبا الله ذلك ورسوله والمؤمنون - وجدود طهرت وحجور طابت - أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»<sup>(٢)</sup>.

### (د) محاربة الحاكم الظالم بالسلاح

إنّ الخروج على الحاكم الجائر بالسلاح في عصر الحضور مشروط بإذن الإمام المعصوم عليه السلام، فإن أذن وجب، وإلا فلا، وأمّا مسألة الخروج على الظالم في عصر الغيبة، فهي من المسائل الخلافية؛ إذ وردت روايات تدلّ على حرمة الخروج بالسيف على الظالم قبل قيام القائم عليه السلام، وقد عقد لها صاحب الوسائل باباً بعنوان: (حكم الخروج بالسيف قبل قيام القائم)<sup>(٣)</sup>، ولكن حاول بعض الفقهاء مناقشة هذه الروايات، وحملها على التقية، وقال: بجواز الخروج على الحاكم الظالم بالسلاح، ومحاربه إذا كانت الأرضية

(١) أبو المجد الحلبي، علي بن الحسن، إشارة السبق: ص ١٤٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٨٣.

(٣) أنظر: الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٥٠.

مناسبة لذلك<sup>(١)</sup>، وذكر بعضهم أيضاً - بعد مناقشة الروايات المتقدمة - أنه إذا لم تنفع تلك المراحل التي ذكرناها، فيجوز - بل يجب مع تهيئة أسباب الخروج - القتال بالسلاح ضدّ الحاكم الظالم، المتهتك، الفاسق الفاجر، القاتل للنفس المحترمة، المُعلن بالفسق، والذي يجعل مال الله دولاً، وعباده خولاً، ويسفك دماء المسلمين الأبرياء، ويعتدي على أعراضهم<sup>(٢)</sup>.

وقد جسّدت كربلاء هذا الجانب أيضاً، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام هو الإمام المعصوم المفترض الطاعة، الذي يكون فعله وقوله حجةً شرعاً، وقد أعلن خروجه على يزيد الحاكم الجائر بقوله: «أيها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً - مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان - فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقيقاً على الله أن يُدخله مُدخله. وقد علمتم أنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتولّوا عن طاعة الرحمان، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وإني أحقّ بهذا الأمر»<sup>(٣)</sup>.

### الجهة الثالثة: النظرة الفقهيّة للمظلوميّة والمظلوم

المظلوم يمكن أن ينظر إليه الفقيه من ناحيتين: من ناحية الشخص المظلوم نفسه، وما هي التكاليف التي يجعلها الفقه على عاتق المظلوم. ومن ناحية موقف الآخرين تجاه المظلوم، وما هي تكاليفهم تجاهه.

(١) أنظر: الحائري، كاظم، المرجعيّة والقيادة: ص ١١٣. المنتظري، حسين علي، دراسات في ولاية الفقيه: ج ١، ص ٢٥٦-٢٥٧. وقد كتب الأستاذ الشيخ عباس الكعبي في ذلك مقالة. فمن أراد التفصيل فليراجع مجلة فقه أهل البيت عليهم السلام: ج ٤٤، ص ٦٣.

(٢) أنظر: المنتظري، حسين علي، دراسات في ولاية الفقيه: ج ١، ص ٥٩٣، و ص ٦١٩. السبحاني، جعفر، الملل والنحل: ج ٥، ص ٤٨٥. كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء: ج ٤، ص ٢٨٨.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٨٢.

## أولاً: وظيفة المظلوم تجاه نفسه

هناك جملة من الوظائف والأحكام التي يُقررها الشارع تجاه المظلوم، لا بأس بعرضها، وتزيينها بشواهد ونماذج من حوادث كربلاء.

### ١- حرمة تقبّل المظلومية والبقاء عليها

هل يجوز للإنسان شرعاً أن يضع نفسه تحت الظلم، ويُمكن الظالمين من نفسه، ويُصبح مضطهداً؟ لا شك في أنّ الأصل الأوّلي هو حرمة ذلك، فلا يجوز للإنسان المسلم أن يجعل نفسه تحت قبضة الظالمين، ويُعرض نفسه إلى الظلم والاضطهاد؛ ولذا ذكر الفقهاء أنّه لا يجوز تقبّل المظلومية<sup>(١)</sup> والبقاء عليها. وسيأتي أنّه يجب عليه الدفاع عن نفسه؛ للخروج من حالة المظلومية.

ولكن يُستثنى من ذلك بعض الموارد، وهي:

١- أن يكون الخروج من قبضة الظالمين غير مقدور له، كمكتوف الأيدي الذي لا يستطيع الهجرة، ولا حتى الدفاع عن نفسه، فمثل هذا الإنسان لا يجب عليه شيء، بل يُؤجره الله على هذا البلاء العظيم؛ ولذا ورد عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث، قال: «أما إنّه ما ظفر بخيرٍ من ظفر بالظلم، أما إن المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم»<sup>(٢)</sup>. وقال المازندراني في شرحه على الكافي: إن هذا الحديث فيه تنبيه على أنّ المظلومية من أفضل الخيرات<sup>(٣)</sup>.

٢- أن يكون خروجه من تحت المظلومية والاضطهاد سبباً تاماً لظلم الآخرين، وفي هذه الصورة لا يجب عليه الخروج من المظلومية، ويصح له البقاء عليها، ولعله إلى هذا

(١) الشيرازي، محمد، من فقه الزهراء عليها السلام: ج ٤، ص ٣٢٤.

(٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٤٩.

(٣) المازندراني، محمد صالح، شرح أصول الكافي: ج ٩، ص ٣٨٦.



يُشير قوله عليه السلام: «أقدموا على الله مظلومين، ولا تقدموا عليه ظالمين»<sup>(١)</sup>. قال الهاشمي الخوئي شارحاً العبارة: «يعني: إذا دار الأمر بين الظالمية والمظلومية، فكونوا راضين بالمظلومية؛ لأنّ الظلم قبيح عقلاً وشرعاً، والظالم مؤاخذ، ملعون كتاباً وسنةً. أو لا تظلموا الناس وإن استلزم ترك الظلم مظلوميتكم، فإنّ يوم المظلوم من الظالم أشدّ من يوم الظالم من المظلوم»<sup>(٢)</sup>.

٣- أن يكون ترك التعرّض للظالم سبباً لاندساس الدين، وانتشار الفساد في الأرض، والحكم بغير ما أنزل الله، فيجب هنا محاربة الظالم بإذن الإمام المعصوم كما مرّ، وإن استلزم ذلك الوقوع في المظلومية، فهنا الوقوع في المظلومية لا يُبرّر ترك التعرّض للحاكم الجائر، بل تكون هذه المظلومية واجبة، وإن كان يجب عليه الدفاع عن نفسه، والخروج عن حالة المظلومية ما أمكن.

### كربلاء وإبء الضيم والظلم

وفي كربلاء مواقف تدلّ على رفض المظلومية وإبء الضيم، وعدم تحمّل البقاء عليها، وبذل النفس والنفيس في سبيل إحياء الدين، والقضاء على الفساد في الأرض؛ لذا قال الإمام الحسين عليه السلام: «ألا ترون أنّ الحقّ لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّقاً؛ فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً»<sup>(٣)</sup>. وجاء في كلمات الإمام الحسين عليه السلام: «ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت، وحجور طُهرت، ونفوس أبيّة، وأنوف حميّة، من أن نُؤثر طاعة اللئام

(١) عبده، محمد، شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ٣٩.

(٢) الخوئي، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ٩، ص ١٦٨.

(٣) أنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص ٨٦. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ

الأُمم والملوك: ج ٤، ص ٣٠٥.

على مصارع الكرام»<sup>(١)</sup>.

## ٢- الدفاع عن النفس والاستنصار

يجب على الإنسان الدفاع عن نفسه، كما يُستحب له طلب النصره من غيره، بل قد يجب ذلك إذا لم يندفع الظالم إلا به، ويجب عليه التدرّج في الدفاع عن النفس، فإن كان يندفع بالكلام تعيّن الكلام، وإن لم يندفع انتقل إلى الصياح، وإن لم يندفع الصياح انتقل إلى الاستغاثة وطلب النصره من الآخرين، وإن لم يكن هناك ناصر ينتقل إلى العصا - مثلاً - وإن لم يندفع تعيّن الدفاع عن النفس بالسلاح، فإذا قُتل الظالم ذهب دمه هدرًا، وإن قُتل الظالم كان الإنسان الذي يدافع عن نفسه كالشهيد.

قال العلامة في قواعد الأحكام: «يجب الدفاع عن النفس والحريم بما استطاع، ولا يجوز الاستسلام، وللإنسان أن يُدافع عن المال، كما يُدافع عن نفسه وإن قُتل، لكن لا يجب، ويقتصر على الأسهل، فإن لم يندفع به ارتقى إلى الصعب، فإن لم يندفع فإلى الأصعب، فلو كفاه الصياح والاستغاثة في موضع يلحقه المنجد اقتصر عليه، فإن لم يندفع خاصمه بالعصا، فإن لم يُفد فبالسلاح. ويذهب دم المدفوع هدرًا، حرًا كان أو عبدًا، مسلمًا كان أو كافرًا، ولو قُتل الدافع كان كالشهيد»<sup>(٢)</sup>.

والتدرّج لا يختص بالدفاع عن المال، بل يشمل النفس، فيقتصر على الأسهل أيضًا؛ ولذا ذكر بعض الفقهاء: أنه لو كان اللص يندفع بالكلام ولكن دفعه بالقتل وجب القصاص على الدافع<sup>(٣)</sup>.

وقال السيّد الشيرازي: «يُستحب للمظلوم أن يطالب الناس بمساعدته، وأن يشحذ لهم لها، وقد يجب ذلك؛ لحرمة تقبّل المظلومية، والبقاء عليها في الجملة. فإذا ظلم شخص

(١) ابن نما الحلبي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص ٤٠.

(٢) العلامة الحلبي، الحسن بن يوسف، قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام: ج ٣، ص ٥٧١.

(٣) الكلبيكاني، محمد رضا، الدر المنصود في أحكام الحدود: ج ٣، ص ٢٧٣.

وعلم المظلوم أنه لو استعان ببعض الأفراد لتمكّن من دفعه - أو رفعه - لزم ذلك»<sup>(١)</sup>.  
 والوجه في ذلك: لوجوب دفع الضرر عقلاً، ووجوب النهي عن المنكر بمراتبه،  
 ولخبر غياث: «إذا دخل عليك اللص يُريد أهلك ومالك فإن استطعت أن تبدّره وتضربه  
 فابدّره واضربه»<sup>(٢)</sup>.

### استنصار الحسين عليه السلام ودفاعه عن نفسه

وكان الحسين عليه السلام قد طلب النّصرة في مواضع عديدة في مكة؛ إذ بقي هناك  
 لاستقطاب الأنصار، وقد طلب النّصرة حال سيره إلى كربلاء، فاستنصر زهير بن القين،  
 واستجاب لنصرته، واستنصر رجلين آخرين، وهما: عمرو بن قيس المشرقي، وابن  
 عمّه، ولم يُجيبا نصرته، واستنصر عبيد الله بن الحر الجعفي أيضاً، فلم يُجبه، واستنصر  
 في كربلاء مراراً؛ إذ جاء: ولما فجع الحسين عليه السلام بأهل بيته وولده، ولم يبق غيره، وغير  
 النساء، والأطفال، وغير ولده المريض، نادى: هل من ذابّ يذبّ عن حُرْم رسول الله؟  
 هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مُغيث يرجو الله في إغاثتنا؟ هل من معين يرجو  
 ما عند الله في إعانتنا؟<sup>(٣)</sup>.

وأما دفاعه عن نفسه وحُرْمه، فقد أظهر من الشجاعة في كربلاء ما تحيّرت فيها  
 العقول، ويكلّ عن وصفها اللسان، وينحسر البيان.

### ٣- جواز تظلم المظلوم

قد ذكر الفقهاء تحت بحث (الغيبية) جملة من المستثنيات، منها: تظلم المظلوم،  
 والمقصود به: إظهار المظلوم ما فعله الظالم به بين الناس، وهو على نوعين:

(١) أنظر: الشيرازي، محمد، من فقه الزهراء عليها السلام: ج ٤، ص ٣٥٧.

(٢) الفاضل الهندي، محمد بن الحسن، كشف اللثام والإبهام عن قواعد الأحكام: ج ١٠، ص ٦٣٨.

(٣) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٤٦.

## أ) تظلم المظلوم عند من يرجو إزالة ظلمه

وهذا القسم لا خلاف بين الفقهاء في جوازه، واستدلوا عليه بالآيات والروايات، أما الآيات، فقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ \* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾<sup>(٢)</sup>. وأما الروايات: فهي ما ورد في تفسير هذه الآيات، فعن تفسير القمي: «أي: لا يحب أن يبهر الرجل بالظلم والسوء ويظلم إلا من ظلم، فأطلق له أن يُعارضه بالظلم»<sup>(٣)</sup>، وعن تفسير العياشي، عن أبي عبد الله عليه السلام: «من أضاف قوماً فأساء ضيافتهم فهو ممن ظلم، فلا جناح عليهم فيما قالوا فيه»<sup>(٤)</sup>.

## ب) تظلم المظلوم عند من لا يتمكن من إزالة مظلوميته

اختلف الفقهاء في جواز هذا القسم من التظلم على قولين:  
القول الأول: يجوز التظلم لإطلاق الآيات المتقدمة، والروايات الواردة في تفسيرها؛ حيث عدت سوء الضيافة من جملة موارد التظلم<sup>(٥)</sup>.  
القول الثاني: لا يجوز؛ لأن الأصل عدم جواز الغيبة، فإذا دلّ الدليل على الجواز، فيقتصر فيه على القدر المتيقن، والقدر المتيقن هو التظلم عند من يرجو إزالة الظلم عنه<sup>(٦)</sup>.  
وقد نوقش هذا القول بأن الآية تقول: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾. وهي مُطلقة؛ فبمقتضى الإطلاق نستفيد جواز التظلم في الحالتين<sup>(٧)</sup>.

(١) الشورى: آية ٤١-٤٢.

(٢) النساء: آية ١٤٨.

(٣) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ١، ص ١٥٧.

(٤) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨٣.

(٥) أنظر: الجواهري، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٢٢، ص ٦٦.

(٦) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، كشف الرية: ص ٧٧.

(٧) الخوئي، أبو القاسم، مصباح الفقاهة: ج ١، ص ٣٤٣.

ومن المناسب هنا إيراد تظلم الإمام الرضا عليه السلام، وإظهار مظلومية جدّه الحسين عليه السلام، إذ روى الصدوق، عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: قال الرضا عليه السلام: «إِنَّ الْمُحَرَّمَ شَهْرٌ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُحَرِّمُونَ فِيهِ الْقِتَالَ، فَاسْتُحِلَّتْ فِيهِ دِمَاؤُنَا، وَهَيَّكَتْ فِيهِ حَرَمَتْنَا، وَسُيِّبَ فِيهِ ذَرَارِينَا وَنَسَاؤُنَا، وَأُضْرِمَتْ النَّيْرَانُ فِي مِضَارِينَا، وَأَنْتَهَبَ مَا فِيهَا مِنْ ثِقْلَانَا، وَلَمْ تُرْعَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُرْمَةٌ فِي أَمْرِنَا. إِنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ أَقْرَحَ جَفُونَنَا، وَأَسْبَلَ دُمُوعَنَا، وَأَذَلَّ عَزِينَنَا، بَأَرْضِ كَرْبٍ وَبِلَاءٍ، أَوْرَثْنَا الْكَرْبَ وَالبِلَاءَ، إِلَى يَوْمِ الْانْقِضَاءِ»<sup>(١)</sup>.

وعن الريان بن شبیب، قال: «دَخَلْتُ عَلَى الرَّضَاءِ عليه السلام فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ، فَقَالَ لِي: ... يَا بَنَ شَبِيبٍ، إِنَّ الْمُحَرَّمُ هُوَ الشَّهْرُ الَّذِي كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ فِيهَا مَضَى يُحَرِّمُونَ فِيهِ الظُّلْمَ وَالْقِتَالَ؛ لِحَرَمَتِهِ. فَمَا عَرَفْتَ هَذِهِ الْأُمَّةَ حُرْمَةَ شَهْرِهَا، وَلَا حَرْمَةَ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَقَدْ قَتَلُوا فِي هَذَا الشَّهْرِ ذَرِيَّتَهُ، وَسَبَّوْا نِسَاءَهُ، وَأَنْتَهَبُوا ثِقْلَهُ، فَلَا غُفْرَانَ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَبَدًا. يَا بَنَ شَبِيبٍ، إِنْ كُنْتَ بَاكِيًا لَشَيْءٍ، فَايَكُ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَإِنَّهُ ذُبِحَ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ، وَقُتِلَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَا لَمْ يَفِ الْأَرْضُ شَيْئًا...»<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- هجرة المظلوم إلى بلد آخر

إذا ظلم الإنسان وحُرِّمَ من شعائر دينه - ولم يتمكن من إظهارها، ولا يستطيع أن يقتص من الظالم؛ لقوة شوكته - فذكر الفقهاء<sup>(٣)</sup> أنه يحرم عليه الإقامة في ذلك البلد، وتجب عليه الهجرة إلى بلد آخر مع القدرة؛ وتدلل على ذلك عدة آيات تقتصر منها على آيتين:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا \* إِلَّا

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٩٠.

(٢) المصدر السابق: ص ١٩٢.

(٣) أنظر: الترحيني العاملي، محمد حسن، الزبدة الفقهية: ج ٣، ص ٦٢٤.

الْمُسْتَضَعْفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١﴾.

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَنَّهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنَ وَدَّعِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾.

ودلالة الآية الأولى واضحة، وأما الآية الثانية فنستفيد ذلك من قوله ﷺ: ﴿يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَدَّعِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾؛ حيث أنطت الولاية، التي هي من أوثق عُرى الإيمان بالهجرة، فلا يدخل الإنسان المسلم المظلوم الذي بقي في بلاد الظالمين في ولاية المؤمنين حتى يهاجر، وهذا يعني أن الهجرة شرط أساس في الإيمان، فتكون واجبة<sup>(٣)</sup>.

### الإمام الحسين عليه السلام والهجرة

ومن هنا؛ نجد أن الإمام الحسين عليه السلام حاول استقطاب أكبر عدد ممكن من الأصحاب، وذلك عن طريق هجرته إلى مكة، وإقامته فيها مدة، ثم هجرته إلى الكوفة، فإن هاتين الهجرة، هما عملية لاستقطاب الأنصار، لا سيما بعد أن بانَت علائم ذلك من كُتِبَ أهل الكوفة، التي يطلبون فيها قدوم الإمام الحسين عليه السلام إليهم، وما هذا الاستقطاب إلا لأجل قمع الظلم، والدفاع عن المظلومين.

والجدير بالذكر أن الغرض من وجوب الهجرة على المظلوم هو الحصول على الأمان المناسب، واستعادة القوة، واستقطاب الأنصار، والاستعداد المناسب لمقارعة الظلم، ومن الواضح أنه لا يوجد مكان أنسب من الكوفة لمحاربة الظالمين؛ إذ إن الكوفة كان فيها أنصار

(١) النساء: آية ٩٧-٩٨.

(٢) الأنفال: آية ٧٢.

(٣) أنظر: البيهقي، محمد كاظم، فقه القرآن: ج ٢، ص ٢٧٦. إذ تعرّض هناك للآيات الدالة على وجوب الهجرة على المظلوم، فمن أراد التفصيل فليراجع.

الإمام علي عليه السلام، وإذا هاجر الإمام الحسين عليه السلام إلى غير الكوفة، فحركة كربلاء تنتهي، وتتوقف عن مسيرها المرسوم لها، ويُقتل الحسين عليه السلام من دون أن يُعرف مَنْ هو؟ ولماذا قُتل؟

## ثانياً: وظيفة الناس تجاه المظلوم

كما أنّ للمظلوم أحكاماً ووظائف تخصّه، كذلك هناك وظائف وتكاليف على الناس تجاهه، فإنّ للمظلوم حقوقاً على غيره. نُشير إلى جملة من هذه الوظائف والتكاليف، مع ذكر بعض الشواهد والنماذج، وبعض العبر المستوحاة من عرصة كربلاء.

### ١- نصرة المظلوم والدفاع عنه

يجب على المسلم نصرة المظلوم، فإنّ كلّ إنسانٍ يدرك بفطرته أنّ الظلم قبيح، وهذا يعني أنّ العقل يحكم بوجود نصرة المظلوم والدفاع عنه. قال السيّد الشيرازي: «مسألة: نصرة المظلوم واجب عقلي، فلا ينحصر وجوب الانتصار له في المسلم أو المؤمن، بل يجب على كلّ إنسانٍ ذلك، بحكم العقل، والفطرة، والوجدان»<sup>(١)</sup>، ويدلّ على ذلك أيضاً ما جاء في التنزيل: ﴿وَإِنْ أَسَنَصْرُكُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فالآية تدلّ على أنّ المسلم إن طلب النصر من المسلم الآخر فيجب عليه النصرة<sup>(٣)</sup>. وقد ورد من طرق العامة أيضاً عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً. أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال ﷺ: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإنّ ذلك نصره»<sup>(٤)</sup>. ولا شكّ في أنّ وجوب النصرة يتضاعف حسب الشخصية المظلومة، ويصل ذروته

(١) الشيرازي، محمد، من فقه الزهراء عليه السلام: ج ٤، ص ١٥.

(٢) الأنفال: آية ٧٢.

(٣) أنظر: مجلة أهل البيت عليه السلام: العدد ١٧، ص ٨٨.

(٤) العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري: ج ٢٤، ص ١٠٧.

حينما يكون المظلوم من أهل بيت النبوة والعصمة والطهارة عليهم السلام.

## أساليب نصره المظلوم

هناك أساليب كثيرة لنصرة المظلوم، لاسيما نصره أهل البيت عليهم السلام والدفاع عنهم، وبنبغي التدرج في رفع الظلم عن المظلوم ونصرته، كما في الدفاع عن النفس، فيبدأ بالأسهل والأخف مؤنة، فإذا كان يندفع الظلم عن المظلومين بالتفاوض - والاتفاق، والحوار، والأساليب الدبلوماسية - تعين ذلك، فمثلاً: السلوك الحسن من أهم وسائل النصر؛ ولذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ لِمَنِ اتَّمَمْتُمْ، وَحُسْنِ الصَّحَابَةِ لِمَنْ صَحِبْتُمُوهُ، وَأَنْ تَكُونُوا لَنَا دُعَاءَ صَامِتِينَ»<sup>(١)</sup>. وبالقول الحسن تُكسب القلوب، وبالموعظة الحسنة يُكسب الصديق الحميم، وبذلك سيتحقق النصر لمذهب أهل البيت عليهم السلام، وهذا الأسلوب هو أسلوب الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿فَقَوْلًا لَهُ، قَوْلًا لَيْتًا﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَقَوْلُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا أَلْقَبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾<sup>(٤)</sup>، و﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>. كما أن نشر علوم أهل البيت ومحاسن كلامهم من أهم وسائل النصر لهم؛ ولذا جاء عن عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ صَالِحِ الهَرَوِيِّ، قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَاءَ عليه السلام يَقُولُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا. فَقُلْتُ لَهُ: فَكَيْفَ يُحْيِي أَمْرَكُمْ؟ قَالَ: يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مُحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا»<sup>(٦)</sup>، فإذا لم يندفع الظلم عن المظلوم

(١) القاضي المغربي، النعمان، دعائم الإسلام: ج ١، ص ٥٦.

(٢) طه: آية ٤٤.

(٣) البقرة: آية ٨٣.

(٤) آل عمران: آية ١٥٩.

(٥) فصلت: آية ٤٨٠.

(٦) الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص ١٨٠.



بهذه الأساليب وجب نصرته بالسلاح بإذن المعصوم في عصر الحضور، أو الحاكم الشرعي في عصر الغيبة، على خلاف تقدّم ذكره؛ فإنّ النُصرة بالسلاح هي الحلّ الأخير.

### كربلاء ونصرة المظلوم

تعطينا كربلاء دروساً في نصرّة المظلوم، فمن جانب نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام يتبع هذا المنطق، وهو أنّ السلاح والعنف هو الحلّ الأخير في نصرّة المظلومين وقمع الظالمين؛ ولذا لم يسمح الإمام عليه السلام في مواقف متعددة لأصحابه بابتداء القتال، ويحاول قدر الإمكان دفع الظالمين ونصرة المظلومين بالوعظ واللّين والحكمة، ومواعظ الأصحاب وبني هاشم يوم عاشوراء أشهر من أن تُذكر، ولكن لما انحصر الدفاع - عن الغريب المظلوم - بالسلاح أبدى الأصحاب موقفاً مُشرّفاً، ولم يُقصرُوا في نصرته؛ ولذا جاء في السير: فقام الحسين عليه السلام في أصحابه خطيباً، فقال: «اللهم، إني لا أعرف أهل بيت أبرّ ولا أذكى ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحاباً بهم خير من أصحابي، وقد نزل بي ما قد ترون، وأنتم في حلٍّ من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمّة، وهذا الليل قد غشيتكم، فاتخذوه جملاً، وتفرّقوا في سواده، فإنّ القوم إنّما يطلبونني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري»<sup>(١)</sup>.

ومع أنّ الإمام عليه السلام قد رخصهم، ولكن ماذا كان جواب الأصحاب؟ أبت تلك النفوس أن يتركوا إمامهم المظلوم مع أنّهم استيقنوا الموت في ذلك اليوم العصيب، ورحم الله الشاعر حيث يصفهم:

قال اذهبوا وانجوا ونجّوا أهل  
فأبت نفوسهم الأبيّة عند ذا  
ماذا يقول لنا الورى ونقوله  
بيتي إنّني وحدي أنا المطلوب  
أن يتركوه بين العدى ويثبوا  
هم ومنّنا يجيبُ مجيبُ

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢٢٠.

إنا تركنا شيخنا وإمامنا بين  
فالعيش بعدك قُبِّحت أيامه  
العدى وحسامنا مقروب  
والموت فيك محبب مرغوب<sup>(١)</sup>

## ٢- حُرمة خذلان المظلوم

إنَّ ترك نُصرة المظلوم مع القدرة عليها من أعظم المحرّمات؛ وتدلّ على وجوب  
النصرة الأدلّة المتقدّمة نفسها؛ إذ إنَّ العقل يُدرك أنّ خذلان المظلوم قبيح<sup>(٢)</sup>، ويدلّ عليه  
أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد تقدّمت الآية  
بتامها عند الاستدلال على وجوب النصرة، وهذه الآية أيضاً دالّة على أنّ ترك النصرة  
حرام شرعاً؛ لأنّه يجرم ترك الواجب كما هو واضح، وترك النصرة هو خذلان المظلوم.  
وأما مع عدم القدرة فهي جائزة؛ ولذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يحثّ أهل الكوفة على  
الجهاد، وكيف يستعرض ما يجري على المرأة المسلمة أو المعاهدة، التي يظلمها الظالم وهي  
تستغيث فلا تُغاث، ولا ينصرها أحد من الرجال؛ لأنّ مصيره القتل، فيقول الإمام عليه السلام:  
لو قدّم الرجل نفسه، وقاتل هؤلاء الظلمة؛ لنصرة المرأة فهات، كان عندي مُحسناً. فإنّ هذا  
الكلام يدلّ على جواز النصرة حتى في صورة عدم القدرة، والقطع بالموت.

قال عليه السلام: «وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْعُصْبَةَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، كَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ  
وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ، فَيَهْتَكُونَ سِتْرَهَا، وَيَأْخُذُونَ الْقِنَاعَ مِنْ رَأْسِهَا، وَالْحُرْصَ مِنْ أُذُنِهَا،  
وَالْأَوْصَاحَ مِنْ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا وَعَضْدَيْهَا، وَالْخَلْخَالَ وَالْمِئْزَرَ عَنْ سَوْقِهَا، فَمَا تَمْتَنِعُ إِلَّا  
بِالْأَسْتِرْجَاعِ وَالنِّدَاءِ يَا لِلْمُسْلِمِينَ، فَلَا يُغِيثُهَا مُغِيثٌ، وَلَا يَنْصُرُهَا نَاصِرٌ، فَلَوْ أَنَّ مُؤْمِنًا

(١) الحسن، عبد الله، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: ص ٣٣١.

(٢) أنظر: الشيرازي، محمد، من فقه الزهراء عليها السلام: ج ٤، ص ٣٢٧. الشيرازي، محمد، الفقه والقانون:  
ص ٣٤٩.

(٣) الأنفال: آية ٧٢.

مَاتَ دُونَ هَذَا مَا كَانَ عِنْدِي مَلُومًا، بَلْ كَانَ عِنْدِي بَارًا مُحْسِنًا»<sup>(١)</sup>.

## كربلاء وخذلان المظلوم

كما اشتملت كربلاء على مشاهد مُشرِّفة لنصرة المظلوم، كذلك قد حملت - في الوقت نفسه - مشاهد أخرى لخذلان المظلوم، لا سيَّما مظلومي أهل بيت الوحي والنبوة ﷺ، وقد ابتدأت معالم هذا الخذلان تتجلى وتظهر في الكوفة، بشأن رسول الإمام الحسين مسلم بن عقيل ؑ، وقد صرَّح بذلك مسلم بن عقيل حينما قبضوا عليه بعد قتال عنيف، فقال: «هذا أوَّل الغدر»<sup>(٢)</sup>، وقال أيضاً ﷺ: «اللهم، أحكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذّبونا، ثمَّ خذلونا وقتلونا»<sup>(٣)</sup>، وذكر الإمام الحسين ذلك في كربلاء، إذ قال: «فإنهم غرّونا، وكذّبونا، وخذلونا»<sup>(٤)</sup>. وخذلان المظلوم كما تقدّم من أشدّ المُحرّمات، فكيف إذا كان ذلك الخذلان لأهل البيت ﷺ وخصوصاً إذا استنصروا؟! جاء في السير: «ثمَّ سار الحسين حتى نزل القطقطانة، فنظر إلى فسطاط مضرّوب، فقال: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل: لعبد الله بن الحر الجعفي، فأرسل إليه الحسين ﷺ، فقال: أيها الرجل، إنك مُذنب خاطئ، وإن الله ﷻ أخذك بما أنت صانع، إن لم تُتب إلى الله تبارك وتعالى في ساعتك هذه فتنصرنِي، ويكون جدِّي شفيعك بين يدي الله تبارك وتعالى. فقال: يا بن رسول الله، والله، لو نصرتك لكنت أوَّل مقتول بين يديك، ولكن هذا فرسي خذه إليك، فوالله، ما ركبته قطُّ وأنا أروم شيئاً إلاّ بلغتُه، ولا أُرادني أحدٌ إلاّ نجوت عليه، فدونك فخذُه! فأعرض عنه الحسين ﷺ بوجهه، ثمَّ قال: لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك، وما كنتُ مُتخذ المُضَلِّين عُضدًا، ولكن قِرِّ، فلا لنا ولا علينا، فإنّه من سمع واعيتنا أهل البيت، ثمَّ

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ١، ص ١٥٨.

(٢) الفتال النيسابوري، محمد، روضة الواعظين: ص ١٧٦.

(٣) المصدر السابق: ص ١٧٧.

(٤) البحراني، عبد الله، العوالم: ص ٢٥٣.

لم يجينا، كبه الله على وجهه في نار جهنم»<sup>(١)</sup>.

وعن عمرو بن قيس المشرقى، قال: «دخلت على الحسين عليه السلام أنا وابن عمي، وهو في قصر بني مقاتل، فسلمنا عليه، فقال له ابن عمي: يا أبا عبد الله، هذا الذى أرى خضاب أو شعرك؟ فقال: خضاب، والشيب إلينا بنى هاشم يعجل. ثم أقبل علينا فقال: جئتما لنصرتي؟ فقلت: إني رجل كبير السن، كثير الدين، كثير العيال، وفي يدي بضائع للناس، ولا أدري ما يكون وأكره أن أضيع أمانتي، وقال له ابن عمي مثل ذلك، قال لنا: فانطلقا، فلا تسمعا لي واعية، ولا تريا لي سوادا؛ فإنه من سمع واعيتنا، أو رأى سوادنا، فلم يجينا ولم يُعنا كان حقا على الله ﷻ أن يكبه على منخرية في النار»<sup>(٢)</sup>.

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢١٩. المجلس، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣١٥.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ٢٥٩.

مكتبة

في النهضة الحسينية

◆ منطلقات النهضة الحسينية وخلفياتها

القسم الخامس (مفاصل الحركة الحسينية)

◆ المؤسسة الشعائرية

القسم الثاني (الأهداف والغايات)

◆ فقه التربة الحسينية

(القسم الرابع)

◆ توثيق الشعر المنسوب إلى الإمام الحسين عليه السلام

(القسم الأول)



مَنْظَلَاتُ

النَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ وَخَلْفِيَّاتِهَا

الْقِسْمُ الْخَامِسُ

مَفَاضِلُ الْجُرْكَهِ الطُّيْبِيَّةِ

السيد محمد الشوكي<sup>(١)</sup>

انتهت حقبة معاوية بتولي يزيد السُّلْطَة، وتربَّعه على العرش من دون أيِّ مشاكل في الشام، حيث إنَّ معاوية قد ذلَّل له الصعاب وأخضع له الرقاب، بحسب ما ورد في وصيته له في آخر حياته. غير أنَّ معاوية لم يرحل مرتاح البال تماماً على مستقبل يزيد، فقد كانت ثَمَّة هو اجس جدية وعقبات ليست بالهيئة ستقف في طريق ولده يزيد. وأشدَّ ما كان يتخوَّف منه هو موقف الإمام الحسين عليه السلام وبعض الأشخاص في المدينة، مما بيَّنه له في وصيته التي تحدثنا عنها في القسم السابق من هذه الدراسة.

من هنا؛ نرى أنَّ يزيد كان مستعجلاً في أخذ البيعة من أهل المدينة ومن الإمام الحسين عليه السلام بالذات، كأول إجراء يقوم به بعد توليِّه السلطة. وقد بعث إلى والي المدينة الوليد بن عتبة كتابين، كتاباً عاماً يأمره فيه بأخذ البيعة من أهل المدينة، وكتاباً خاصاً يأمره فيه بأخذ البيعة من الحسين عليه السلام، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، مرفقاً هذا الكتاب بتهديد

(١) باحث وكاتب إسلامي.

صارخ يطلب منه أن يأخذ البيعة منهم بكل ثمن، حتى ولو بتهديدهم بالقتل إن رفضوا.

## والي المدينة وحراجة الموقف

وصل الكتابان إلى والي المدينة، فوجل وجلاً شديداً، خصوصاً من الكتاب الصغير الذي وصفه المؤرخون (كأنه أذن فأرة)، حيث يتضمّن تهديداً واضحاً بقتل الإمام الحسين عليه السلام إن رفض البيعة. فالوليد كان يعلم أنّ الحسين عليه السلام سوف لن يبايع، وقد رفض البيعة بولاية العهد ليزيد إبان حياة معاوية، على الرغم مما كان يتمتع به معاوية من قوة وصرامة، وعلى الرغم من كلّ الضغوط والتهديدات التي مارسها ضده، فكيف سيقبل بها الآن؟!

كما أنه يعلم أن إجبار الحسين عليه السلام على ذلك ليس من السهل إلاّ بقتاله وقتله، كما ورد في كتاب يزيد، وهذه خطوة ليس من السهل عليه اتخاذها؛ نظراً لتبعاتها الدينية أولاً، وتبعاتها السياسية ثانياً، فإن من يلقي الله بدم الحسين عليه السلام (خفيف الميزان يوم القيامة)، كما صرّح هو بذلك لمروان بن الحكم عندما عاتبه على عدم قتله للحسين عليه السلام. وكذلك إذا ما تمّ النظر إلى التبعات السياسيّة لقتل الحسين عليه السلام؛ إذ إنه ليس شخصاً عادياً من عرض الناس حتى تتم تصفيته من دون أضرار تهدّد الكيان الأموي برمّته، فضلاً عن الوليد ذاته، فمكانة الحسين عليه السلام الدينية والاجتماعية مكانة مرموقة جداً لا يدانيه فيها شخص آخر في الأمة، وسوف لن تمرّ عملية قتله دون أضرار وتداعيات خطيرة.

من هنا؛ استشعر الوليد حراجة الموقف، ولم يدّر ما يصنع وأي قرار سيتخذ، فقرّر أن يبعث وراء مروان بن الحكم أحد شيوخ بني أمية ودُهاهم، وأحد أعمدة الكيان الأموي ليستشيره في الأمر، رغم الخصومة السابقة التي أدّت إلى القطيعة بينهما، ولكنّ المسألة خطيرة جداً ينبغي تجاوز الخصومات معها؛ لأنّها تتعلق بالكيان الأموي برمّته.

بعث الوليد وراء مروان، وأخبره بموت معاوية وتولّي يزيد السلطة، وأطلعه على



مضمون الكتابين اللذين وردا عليه من يزيد، وطلب منه أن يُعيّنه في اتخاذ الموقف تجاه ذلك، فقال له مروان: «ابعث إليهم في هذه الساعة، فتدعوهم إلى البيعة والدخول في طاعة يزيد، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم، وإن أبوا قدامهم واضرب أعناقهم قبل أن يدروا بموت معاوية؛ فإنهم إن علموا ذلك وثب كل رجل منهم فأظهر الخلاف ودعا إلى نفسه، فعند ذلك أخاف أن يأتيك من قبلكم ما لا قبيل لك به وما لا يُقام له، إلا عبد الله بن عمر، فإني لا أراه ينازع في هذا الأمر أحداً إلا أن تأتيه الخلافة فيأخذها عفواً»<sup>(١)</sup>.

وفي نصّ ابن قتيبة: «أرسل الساعة إلى هؤلاء النفر فخذ بيعتهم، فإن هم بايعوا لم يختلف على يزيد أحد من أهل الإسلام، فعجل عليهم قبل أن يفشي الخبر فيمتنعوا»<sup>(٢)</sup>. من هذين النصين نعرف أن خطة مروان كانت قائمة على أن يستعجل بدعوتهم قبل أن ينتشر الخبر ويشيع في الناس وأن يأخذ البيعة منهم سرّاً، فإن بايعوا وإلا ضرب أعناقهم. إن إصراره على أخذ البيعة منهم سرّاً يمكنه من أن يمارس عليهم مختلف الضغوط بما في ذلك التهديد بالقتل، وهو ما لا يستطيع فعله حينما يكونون وسط الجماهير، بل حينها سيستفيدون هم من ورقة الحضور الجماهيري ليؤلبوا الناس على رفض البيعة.

فأخذ البيعة سرّاً يعطي معطين مهمين: فهو يوفر للوالي فرصة الضغط عليهم من جهة، ويسلب منهم الإفادة من ورقة الجمهور من جهة أخرى، كما أنه يشكّل مباغته لهم ويسلب منهم فرصة الخروج من المدينة، والتمكّن في أمصار أخرى، وإعلان التمرد على حكومة يزيد. فإذا تمّ له ما أراد واستطاع أن يأخذ البيعة منهم فسوف يخرج على الناس ويقول: هذا الحسين بن علي، وهذا عبد الله بن الزبير، وهذا عبد الله بن عمر قد بايعوا، فهلموا للبيعة؛ وحينئذ لا يلتوي على البيعة أحد، فمن سيرفض البيعة بعد أن قبّل بها الإمام الحسين عليه السلام، «فإن هم بايعوا لم يختلف على يزيد أحد من أهل الإسلام»<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن أعمش الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٠.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٧٥.

(٣) المصدر السابق.

لقد كانت خطة ماكرة، ولكنّ الإمام الحسين عليه السلام اكتشفها وتنبّه لها وخطوطها، واستطاع أن يفوّتها عليهم كما سنرى، إذ رفض أن يبايع سراً إلا أن يكون بين الجماهير.

### استدعاء المعارضين

ركّز مروان خلال النّصّ السابق - لخبرته بالأُمور والأشخاص - على الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير، مستثنياً عبد الله بن عمر الذي لا يخشى جانبه، وفعلاً لم يُستدع عبد الله بن عمر عندما استدعى الوالي الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير: «فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان - وهو إذ ذاك غلام حدث - إليها يدعوهما، فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس، ولا يأتيانه في مثلها، فقال: أجيبا الأمير يدعوكما. فقالا له: انصرف، الآن نأتيه. ثم أقبل أحدهما على الآخر، فقال عبد الله بن الزبير للحسين: ظنّ فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟ فقال حسين: قد ظننت، أرى طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشوا في الناس الخبر. فقال: وأنا ما أظن غيره. قال: وما تريد أن تصنع؟ قال: أجمع فتياي الساعة، ثم أمشي إليه، فإذا بلغت الباب احتبستهم عليه، ثم دخلت عليه. قال: فإني أخافه عليك إذا دخلت. قال: لا آتية إلا وأنا على الامتناع قادر»<sup>(١)</sup>.

لقد قرّر الإمام الحسين عليه السلام - خلافاً لابن الزبير - أن يمضي لمقابلة الوليد؛ لأنّه يعلم أن الوليد غير تاركة، وبدل أن يتمّ استدعاؤه بالقوة<sup>(٢)</sup>، وسوف لن يستجيب حتى تكثر القتلى وهو أمر لا نفع فيه لحركته التي خطّط لها، فمن الأفضل أن يذهب للقائه الآن مع الاحتراز لذلك؛ حيث لا يأمن أن يؤخذ غيلة، فلذلك جمع بعض مواليه وأهل بيته،

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٥١.

(٢) لقد تم ذلك مع ابن الزبير فعلاً؛ فإنه لم يذهب لمقابلة الوليد، فلم يتركه الوليد، بل أرسل إليه جماعة، فشتموه، وقالوا له: يا بن الكاهلية، لتأتين الأمير أو ليقتلنك. فأرسل أخاه جعفر ليقابل الوليد ويتفاوض معه، ويأخذ له المهلة إلى يوم، وقد تمّ ذلك، فهرب ابن الزبير خفية من المدينة. أنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ١٤.

وطلب منهم أن يربطوا على دار الوالي، ولا يبرحوا مكانهم فإن استدعاهم أو سمعوا الصوت قد ارتفع اقتحموا الدار عليه وأخرجوه.

دخل عليه السلام على الوالي، فوجده جالساً إلى جنب مروان، فسلمَ عليهما وجلس، فأقرأه الوليد الكتاب الذي أرسل إليه ونعى إليه معاوية، ودعاه إلى البيعة فردّ عليه الحسين عليه السلام قائلاً: «أما ما سألتني من البيعة، فإن مثلي لا يُعطي بيعته سرّاً، ولا أراك تجتزئ بها مني سرّاً دون أن نظهرها على رؤوس الناس علانية؟ قال: أجل. قال: فإذا خرجت للناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس، فكان أمراً واحداً. فقال له الوليد - وكان يحب العافية -: فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس»<sup>(١)</sup>.

لقد اكتشف الحسين عليه السلام خيوط اللُعبة التي حاكها مروان، ولهذا رفض أن يُعطي بيعته سرّاً، واستطاع أن يُقنع الوليد بذلك؛ لأنه لن يستفيد شيئاً من بيعته سرّاً؛ إذ إن هدفه أن يستفيد من بيعة الإمام الحسين عليه السلام إعلامياً ليُقنع بقية الناس ببيعة يزيد، وهذا لا يتم إذا لم ير الناس الحسين عليه السلام مبايعاً يزيد أمامهم، فحتى لو خرج إليهم الوليد، وقال لهم: إن الحسين قد بايع يزيد البارحة ليلاً. فلن يصدّقه كثيرون؛ لما يعرفونه من موقف الإمام الحسين السابق في رفض البيعة.

اقتنع الوليد بذلك وأذن للإمام عليه السلام بالانصراف، ولكن مروان تدخّل، وقال: «والله، لئن فارقت الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام فقال: يا بن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو؟! كذبت - والله - وأثمت. ثم خرج فمرّ بأصحابه فخرجوا معه حتى أتى منزله»<sup>(٢)</sup>.

وفي نصّ ابن أعثم: «ويلى عليك - يا بن الزرقاء - أتأمر بضرب عنقي؟! كذبت

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٥١.

(٢) المصدر السابق.

والله! والله، لو رام ذلك أحد من الناس لسقيت الأرض من دمه قبل ذلك، وإن شئت ذلك فرُم ضرب عنقي إن كنت صادقاً»<sup>(١)</sup>.

ويظهر أن مروان بن الحكم لم يكن لديه اطلاع بأن الحسين عليه السلام قد أخذ احتياطاته اللازمة، وجاء بجماعة من مواليه وأهل بيته، وأنهم ينتظرون إشارته على الباب، وأنهم لو دخلوا لقتلوا كلَّ مَنْ في البيت بما في ذلك مروان نفسه؛ إذ لم يكن معه إلا مجموعة من حراس الوالي. وقد كان ردُّ الإمام الحسين عليه السلام حاسماً وجريئاً لم يترك لمروان بعده قائلة. ويضيف ابن أعثم: «ثم أقبل الحسين عليه السلام على الوليد بن عتبة، وقال: أيها الأمير، إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيُّنا أحقُّ بالخلافة والبيعة»<sup>(٢)</sup>.

ويظهر من هذا النصّ أنّ ردَّ الإمام الحسين عليه السلام كان واضحاً وحاسماً (ومثلي لا يبايع مثله)، فالإمام الحسين عليه السلام قد اتخذ القرار بعدم بيعة يزيد، وهذا قرار لا تراجع عنه ولا مجال للمواربة فيه؛ ولذلك فالوليد لم يبعث بعدها وراءه ليفاوضه؛ لأنّه أدرك أنّ المسألة قد حُسمت من جهة الحسين عليه السلام، وهكذا أدرك مروان ذلك، ولهذا حينها التقى بالإمام عليه السلام بعد ذلك في إحدى طرق المدينة حاول أن يتعامل معه بدبلوماسية ناعمة - بعد أن كان يجرّض على قتله - لعلّه يقنعه ببيعة يزيد ويجعله يتراجع عن قراره، فقد روى ابن أعثم: «وأصبح الحسين من الغد خرج من منزله ليستمع الأخبار، فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه، فقال: يا أبا عبد الله، إني لك ناصح، فأطعني تُرشد وتُسدّد. فقال له الحسين: وما ذلك؟ قل حتى أسمع! فقال مروان: أقول: إني أمرت ببيعة أمير المؤمنين يزيد؛ فإنه حَوَّلَكَ في دينك وديناك. قال: فاسترجع الحسين، وقال: إنا لله

(١) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٠.

(٢) المصدر السابق: ج ٥، ص ١٤.

وإنّا إليه راجعون! وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد...»<sup>(١)</sup>.

وهذه - كما يبدو - كانت آخر المحاولات لإقناع الحسين عليه السلام بالبيعة، فقد رجع مروان إلى الوليد وأخبره بما جرى مع الحسين عليه السلام، فكتب الوليد عند ذلك كتاباً إلى يزيد، يخبره بالأوضاع في المدينة، وأمر عبد الله بن الزبير وموقف الحسين عليه السلام «فلما ورد الكتاب على يزيد غضب لذلك غضباً شديداً - وكان إذا غضب انقلبت عيناه فعاد أحول - قال: فكتب إلى الوليد بن عتبة: من عبد الله يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذُرَّ عبد الله بن الزبير؛ فإنه لن يفوتنا ولن ينجو منا أبداً ما دام حياً، وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك جعلت لك أَعِنَّة الخيل، ولك عندي الجائزة والحظّ الأوفر والنعمة واحدة، والسلام.

ولما ورد الكتاب على الوليد بن عتبة وقرأه تعاضم ذلك، وقال: لا والله، لا يراني الله قاتل الحسين بن علي، وأنا لا أقتل ابن بنت رسول الله، ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها»<sup>(٢)</sup>.  
ويبدو أن موقف الوليد كله لم يرقّ ليزيد؛ لذلك عجل بعزله، ونصب مكانه عمرو بن سعيد الأشدق.

### مغادرة المدينة

لم يلبث الحسين عليه السلام بعد ذلك كثيراً في المدينة، فقرّر الخروج منها متوجّهاً إلى مكة المكرمة. وقرار الإمام الحسين عليه السلام بمغادرة المدينة له مبرراته الموضوعية؛ فإنّ المدينة لم تكن لتوفّر له الحماية الكافية إن دُوهم فيها من قبل الجيش الأموي، كما أنّها لا تصلح لئّن تكون حاضنة للثورة لكي يفجر ثورته فيها، ولم نشهد من خلال ما لدينا من نصوص

(١) المصدر السابق: ج ٥، ص ١٧.

(٢) المصدر السابق: ص ١٨.

أيّ تضامن من قِبَل أهل المدينة، أو من قِبَل شخصياتها النافذة مع قراره برفض البيعة ليزيد، فلم يجتمع معه أيّ وفد من أهل المدينة، ولم يدعم موقفه أيّ من شخصياتها، كما أنّه حينما قرر الخروج منها لم يخرج معه أحد، على الرغم من أنه خرج علانيةً وفي وضوح النهار، وسلك الطريق الأعظم رافضاً بيعة يزيد.

إنّ موقف أهل المدينة بصورة عامّة يحتاج إلى دراسة وافية تُبيّن أسباب هذا التراجع الخطير في دور الأنصار، فقد بدوا وكأنهم يعيشون على الهامش في كل المنعطفات التي مرّ بها المجتمع الإسلامي، بعد أن كان لهم الدور الريادي الكبير والفاعل في نصرته الرسول والرسالة حتى استحقوا لقب (الأنصار).

لا يسعنا في هذه المقالة أن نخوض في تفاصيل هذه الانتكاسة في مجتمع المدينة، وهو بحث بحاجة إلى دراسة أوسع وأشمل، ولكن ما يمكن قوله هنا: إنّ الأنصار عاشوا حالة من التهميش والإقصاء بدأت مع مؤتمر السقيفة، حيث رفضت قريش أن تمنحهم أيّ منصب من المناصب، فبعد أن كانوا يطالبون بالخلافة تمّ رفض مطالبهم بصرامة، ولما تنازلوا عنها وقبلوا بالمناصفة، ونادوا: (منا أمير ومنكم أمير). تمّ رفض ذلك أيضاً. وبعد ذلك لم يُعهد لأيّ من الأنصار بمنصب سياسي أو عسكري مرموق في جميع الحكومات المتعاقبة، مما عزّز من شعورهم بالإقصاء والتهميش.

ولمّا وصل الأمر إلى بني أمية أمعنوا في إقصائهم وحرمانهم وإذلالهم؛ لما يحملونه لهم من بغض شديد؛ نتيجة مواقفهم الداعمة لرسول الله ﷺ في جميع حروبه التي خاضها ضد المشركين، وكان بنو أمية قادة الشرك آنذاك، وفقدوا فيها كثيراً من رجالهم. ولدينا كثير من الشواهد التاريخية التي تدل على ذلك، ولكن لا مجال لسردها هنا.

وهذا الإمعان في الاستضعاف قد يُفضي إلى نتيجتين متعاكستين: فقد يؤدي إلى الثورة والتمرد والعصيان، وقد يؤدي إلى الرضوخ والسكون والرضا بالواقع؛ حيث يدجّن الناس على استمرار الضيم. ويظهر أنّ هذا الأخير هو ما حدث لأهل المدينة

من الأنصار، عزّزه شعورهم بأنهم أقلية في المجتمع الإسلامي، لا يملكون كثيراً من الخيارات تجاه قريش ومن معها من مسلمة الفتح.

ولربما شعر الأنصار - من ناحية سياسية - أنه ليس لهم في الأمر نصيب مهما حاولوا، فلا داعي لأن يدخلوا في نزاعات ليس لهم فيها مكسب سياسي على كل الأحوال، ولهذا رضوا بالواقع كما هو، وقد أفل نجمهم وقل تأثيرهم في الواقع الإسلامي، حتى لم يعودوا رقماً يمكن أن يُعوّل عليه. وما حدث بعد ذلك من تمرد في المدينة انتهى بواقعة الحرة كان مجرد ارتدادات للزوال الحسيني الذي أحدثه في كربلاء.

## المحطة المكيّة

اختار الحسين عليه السلام مكة المكرمة بوصفها محطة من محطات ثورته، فمكة لم تكن أحسن حالاً من المدينة من الزاوية الثورية، ولكن مكة كانت تتميز بميزة تفتقدها المدينة، وهي كونها بيئة مناسبة للعمل الإعلامي والتواصل مع بقية الأمصار الإسلامية؛ باعتبارها قبلة المسلمين، وتحتضن بيت الله الحرام الذي لا يخلو من الحجاج والمعتمرين. وفعالاً، بمجرد أن وصل إلى مكة المكرمة بدأ الناس يتوافدون عليه، سواء في ذلك أهل مكة أو بقية الوافدين من الأمصار: «فأقبل حتى نزل مكة، فأقبل أهلها يختلفون إليه ويأتونه، ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق»<sup>(١)</sup>.

لقد بدأ الحسين عليه السلام نشاطاً إعلامياً مكثفاً في مكة المكرمة، حيث كان جُلّ وقته مشغولاً بقاء الناس والحديث معهم في مختلف الشؤون: «فعكف الناس على الحسين يَفِدُون إليه ويقدمون عليه، ويجلسون حوَالِهِ، ويستمعون كلامه، حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد»<sup>(٢)</sup>.

وبالإضافة إلى لقاءاته في داخل مكة المكرمة بعث عليه السلام بعض الكتب إلى خارجها،

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٦١.

(٢) ابن كثير، إسحاق بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٦٢.

فقد أرسل كتاباً موحّداً إلى زعماء الأحماس والزعماء في البصرة، يبين فيه أحقية أهل البيت عليهم السلام بمنصب الخلافة ويدعوهم إلى نصرته، وقد ختمه بالقول: «وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»<sup>(١)</sup>.

وكان ممن كتب إليه: مالك بن مسمع البكري، والأحنف بن قيس، والمنذر بن الجارود، ويزيد بن مسعود النهشلي، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد الله بن معمر. لقد جاءت استجابة هؤلاء متفاوتة، فبعضهم - مثل الأحنف بن قيس - كتب إلى الإمام عليه السلام يوصيه بالصبر والأناة، بل الرسالة كلها كانت عبارة عن الآية الكريمة: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وبعض كانت استجابته سيئة، مثل المنذر بن الجارود؛ فإنه قد أمسك رسول الإمام، وبعث به إلى عبيد الله بن زياد فقتله.

وبعض كانت استجابته جيدة، كيزيد بن مسعود النهشلي عليه السلام؛ فإنه عقد مؤتمراً عاماً دعا فيه القبائل الموالية له من تميم وبني حنظلة وبني سعد، فلما اجتمعوا عنده قام فيهم خطيباً فقال: «يا بني تميم، كيف ترون موضعي فيكم؟ فقالوا: بخٍ بخٍ! أنت، والله فقرة الظهر، ورأس الفخر، حللت في الشرف وسطاً، وتقدمت فيه فرطاً. فقال لهم: إنّي جمعتمكم لأمر أريد أن أشاوركم وأستعين بكم عليه... إن معاوية مات... وكان قد أحدث بيعة عقد بها أمراً ظنّ أنه قد أحكمه، وهيئات الذي أراد! اجتهد - والله - ففشل، وشاور فخذل، وقد قام يزيد شارب الخمر ورأس الفجور يدعي الخلافة على المسلمين، ويتأمر عليهم بغير رضا منهم مع قصر حلم وقلة علم، لا يعرف من الحق

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٦٦.

(٢) الروم: آية ٦٠.



موطأً قدميه، فأقسم بالله قسماً مبروراً، لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين. وهذا الحسين بن علي وابن رسول الله، ذو الشرف الأصيل والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر؛ لسابقته، وسنّه وقدمه، وقرابته، يعطف على الصغير، ويحسن إلى الكبير، فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعدة، فلا تعشوا عن نور الحق، ولا تسكعوا في وهد الباطل، والله، لا يقصّر أحدكم عن نصرته إلا أورثه الله الذل في ولده والقلّة في عشيرته، وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها، وأدرعت بدرعها، من لم يُقتل يمته، ومن يهرب لم يفته، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب»<sup>(١)</sup>.

فقام بعضهم ملبياً لدعوته ومؤيداً لنصرته، وبعضهم كان من المترددين.

### موقف أهل الكوفة

لقد عرفنا - في الأقسام السابقة من هذه السلسلة - أنّ أهل الكوفة كانوا على تواصل دائم مع الإمام الحسين عليه السلام منذ أيام معاوية، وكانوا يفتون عليه، ويكتبون له الكتب يدعونه فيها للثورة، غير أنه كان يأمرهم بالترّيث والانتظار إلى ما بعد معاوية. ولما بلغهم موت معاوية عقدوا مؤتمراً مهماً في دار سليمان بن صُرد الخزاعي؛ ليقرروا فيه الإجراءات اللازم اتخاذها في هذه اللحظة التاريخية الفاصلة، وقد قرّروا أن يكتبوا له كتاباً يدعونه فيه إلى القدوم إلى الكوفة، ويبدون فيه استعدادهم لنصرته ومؤازرته على عدوه، فكتبوا كتاباً جاء فيه بعد البسملة: «من سليمان بن صُرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة. أما بعد: فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه الأمة فابتزّها أمرها، واغتصبها فيئها، وتآمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٣٨.

واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جابرتها وأغنيائها، فبُعداً له كما بُعدت ثمود! إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نُلحقه بالشام إن شاء الله. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»<sup>(١)</sup>.

ولم يكتفوا بهذه الرسالة، وإنما بعثوا له قيس بن مسهر الصيداوي مع رجلين آخرين، وحملوهما نحواً من ثلاث وخمسين صحيفة من الرجل والاثنتين والأربعة. ثم لبثوا بعد ذلك مدة، فكتبوا له كتاباً مع هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي جاء فيه: «الحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين، أما بعد: فحيّلاً؛ فإنّ الناس ينتظرونك، ولا رأي لهم في غيرك، فالعجل العجل والسلام ورحمة الله عليك»<sup>(٢)</sup>. وقد توالى الكتب والرسائل على الإمام عليه السلام حتى ملأ منها خرجين، بل روي أنّه اجتمع عنده عليه السلام اثنا عشر ألف كتاب<sup>(٣)</sup>.

لم تدفع هذه الكتب الإمام الحسين عليه السلام للتحرك نحو الكوفة، فلا بدّ من شخص يدرس الواقع دراسة ميدانية، ويقيم الأوضاع عن قرب، ويكتب له عن حقيقة الموقف؛ لذلك قرّر عليه السلام أن يبعث شخصاً يثق بأمانته ونصحه ووعيه وبصيرته؛ لكي يدرس له الأوضاع، ويقدم له تقييماً شاملاً وصادقاً عنها؛ ليتخذ الموقف المناسب حيالها. وقرّر عليه السلام أن يبعث ابن عمه مسلم بن عقيل عليه السلام؛ ليقوم بهذه المهمة الخطيرة، فبعثه إلى الكوفة، وبعث معه إلى أهلها كتاباً جاء فيه: «من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين... أما بعد: فإنّ هائناً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رُسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتهم، ومقالة جُلّكم: إنه ليس علينا إمام،

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٦١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٣٤.

فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق. وقد بعثت لكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم؛ فإن كتب إليّ أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري، ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله، والسلام»<sup>(١)</sup>.

### مسلم بن عقيل والمهمة الخطيرة

المهمة الأساسية لمسلم بن عقيل - إذاً - هي دراسة الأوضاع في الكوفة، ورفع تقرير بها إلى الإمام الحسين عليه السلام، وقد وصل إلى الكوفة ونزل في دار المختار الثقفي.

لا نعلم السبب الذي دعاه لاختيار منزل المختار، فالمختار على رغم تشييعه لأهل البيت وفطنته وحنكته وسياسته، لم يكن له ثقل كبير في الكوفة آنذاك، مقارنة ببعض الزعماء الآخرين، بل إن المختار وبحسب ما لدينا من نصوص لم يكن من الذين راسلوا الحسين عليه السلام في جملة من راسله ودعاه. إلا أن هناك نقطة مهمة لا ينبغي إغفالها، وهي أن المختار كان صهراً لوالي الكوفة النعمان بن بشير، وهذا يمكن أن يشكل غطاءً سياسياً له، وهذا ربّما هو السبب الذي دعا النعمان بن بشير أن يغض الطرف نوعاً ما عن تحركات مسلم بن عقيل، حتى كتب بعض المواليين لبني أمية إلى يزيد كتاباً يخبرونه فيه بأن النعمان «ضعيف أو يتضعّف»<sup>(٢)</sup>.

ففي قولهم: «يتضعّف»، إشارة واضحة إلى أنه لم يكن جاداً وحاسماً في معالجة حركة مسلم بن عقيل عليه السلام، ولذلك لما عُزل النعمان عن الكوفة وجاء عبيد الله بن زياد مكانه اضطرّ مسلم لمغادرة بيت المختار إلى بيت هانئ بن عروة؛ باعتباره يشكلّ ثقلاً

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٦٢.

(٢) المصدر السابق: ج ٤، ص ٢٦٥.

عشائرياً في الكوفة يمكنه أن يحتمي به.

أيّاً كان السبب، فقد توافد الناس على منزل المختر حينما علموا بنزول مسلم بن عقيل فيه، فقام عليه السلام، وقرأ عليهم كتاب الإمام الحسين عليه السلام، فعمّ الفرح كما عمّ البكاء، وقام بعض الأشخاص وتحدّثوا ببعض الكلمات، وأوّل من قام هو عابس بن شبيب الشاكري (رضوان الله عليه)، وتكلّم بكلمة واعية جدّاً، قال فيها: «أما بعد، فإني لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في نفوسهم وما أغرّك منهم، والله، إنّي محدّثك عمّا أنا موطنّ عليه نفسي، والله، لأجيبنكم إذا دعوتهم، ولأقاتلنّ معكم عدوكم، ولأضربنّ بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله»<sup>(١)</sup>.

ويظهر من كلامه أنّه لم يكن مطمئناً لموقف الناس، ولهذا قال: «لا أغرّك منهم»، وأرسم لك صورة وردية عن صدقهم وتفانيهم، وفي كلامه رسالة لمسلم أو قل: إيحاء بأنّ عليه أن يكون مُدركاً لهذا الأمر ولا يغترّ بالناس.

قام بعده حبيب بن مظاهر الأسدي رضي الله عنه، فخاطب عابساً قائلاً: «رحمك الله، فقد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك، وأنا - والله الذي لا إله الا هو - على مثل ما أنت عليه». ثم قام بعدهم سعيد الحنفي رضي الله عنه، وقال مثل ما قال صاحبه. وصدق هؤلاء ما عاهدوا الله عليه، فاستشهدوا في كربلاء مع سيد الشهداء عليه السلام.

## تقييم مسلم للأوضاع

لم يكتف مسلم بن عقيل عليه السلام بدراسة الأوضاع واستطلاع الآراء، بل راح يعمل على الدعوة للإمام الحسين عليه السلام وأخذ البيعة له، وقد استطاع أن ينجح في ذلك نجاحاً ملحوظاً إذا ما لاحظنا ظروف السرية التي كان يتحرّك فيها، فقد بايعه جمّ غفير من أهل الكوفة، اختلف المؤرخون في تحديده ما بين اثني عشر ألفاً إلى أربعين ألفاً. غير أن المشهور هو

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٦٤.

أن عدد المبايعين بلغ ثمانية عشر ألفاً، وهو ما يؤكده مسلم بن عقيل في رسالته للإمام الحسين عليه السلام التي ذكر فيها تقييمه للأوضاع في الكوفة، حيث كتب له: «أما بعد، فإنَّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابي؛ فإنَّ الناس كلهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى. والسلام»<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الرسالة الموجزة جداً يُعطي مسلم بن عقيل عليه السلام رأيه وتقييمه للأمر في الكوفة، فبعد دراسة شاملة ومعايشة يومية للواقع توصل إلى أنَّ الناس جميعاً مع الحسين عليه السلام، وليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى.

لكن ما دقة هذه الرؤية وهذا التقييم بالنسبة إلى الواقع؟ هل كان كل أهل الكوفة مع الحسين عليه السلام وليس لهم في آل معاوية رأي أو هوى؟ أم أنَّ تقييم مسلم بن عقيل للأوضاع لم يكن دقيقاً!

إذا كان واقع الكوفة مطابقاً لما ورد في كتاب مسلم، فلماذا وقف أهل الكوفة بالضد من الحسين عليه السلام ما بين مقاتل وخاذل له؟ لماذا انضموا إلى جبهة بني أمية وتركوا الحسين وحده في رُبى الطفوف؟!

إنَّ تقييم مسلم للأمر - وهو ثقة الحسين عليه السلام - كان تقييماً دقيقاً، فمسلم كان يتحدث عن الجانب السياسي والجانب العاطفي، وأشار بقوله: «ليس لهم في آل معاوية رأي»، إلى الجانب السياسي، وبقوله: «ولا هوى». إلى الجانب العاطفي.

وإذا ما درسنا أوضاع الكوفة آنذاك فنصل إلى النتيجة نفسها؛ فعلى المستوى السياسي كان الرأي العام بصورة عامة - ما عدا بعض الجيوب الأموية - مع الحسين عليه السلام، أمَّا ما يخصَّ المكوّن الشيعي فالأمر فيه واضح، وأمَّا بقية الناس فقد عاشوا تجربة حكم الأمويين طوال عشرين سنة في ظلّ الحكم الأموي الذي استباح الدماء ونهب الأموال وقتل الأشراف، وسلّط أكثر الجلادين بشاعة ودموية على الأمة؛ فإنَّها باتت أكثر رغبة

(١) المصدر السابق: ج ٤، ص ٢٨١.

في التخلص منه، واستبداله بنموذج آخر عايشته لفترة قصيرة ورأت في ظلّه العدل والحرية والكرامة والرّخاء، وهو عهد الإمام علي عليه السلام.

وأما على المستوى العاطفي، فإنّ هوى الكوفة بصورة عامة مع أهل البيت عليه السلام، وخصوصاً الإمام الحسين عليه السلام الذي وصفه معاوية في وصيته لابنه يزيد بالقول: «مَنْ القلوب إليه مائلة، والأهواء نحوه جانحة، والأعين إليه طامحة، وهو الحسين بن علي»<sup>(١)</sup>. ولدينا شواهد كثيرة على ذلك.

فما الذي حصل يا ترى؟! ولماذا وقفت الكوفة في الجبهة المناوئة للحسين عليه السلام إذا كان رأيها وعاطفتها معه بصورة عامة؟

المشكلة لم تكن في الرأي أو في العاطفة، وإنّما المشكلة كانت في صدق الموقف. لقد لخص الفرزدق وآخرون ممن التقى بهم الإمام الحسين عليه السلام الجواب عن ذلك بكلمة واحدة: «قلوبهم معك وسيوفهم عليك». إنها الازدواجية إذاً، ازدواجية (العواطف والمواقف)، وهو ما أثار استغراب الإمام السجاد عليه السلام لما دخل مع ركب السبايا إلى الكوفة، فاستقبلهم أهلها بالبكاء والعيول، فقال عليه السلام: «هؤلاء سيكون علينا، فمن قتلنا غيرهم؟!»<sup>(٢)</sup>

وهذا الموقف تكرّر مع الإمام الحسن عليه السلام قبل ذلك، فقد روى ابن عساکر: «أنّ الإمام الحسن عليه السلام خطب أهل الكوفة، فقال: يا أهل الكوفة، اتقوا الله فينا، فإنّا أمراؤكم ونحن ضيفانكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله فينا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. قال هلال: فما سمعت يوماً قط كان أكثر باكياً ومسترجعاً من يومئذ»<sup>(٣)</sup>.

فهؤلاء الذين يكون هم الذين خذلوه، صدقت عواطفهم وكذبت مواقفهم.

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ٢٠، ص ١٣٣.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٩.

(٣) ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٣، ص ٢٦٩.

وحالات البكاء هذه تتكرّر في أكثر من موقف ذكره التاريخ، وهو ينمّ عن عاطفة تجاه أهل البيت عليهم السلام ولكنها بقيت مجرد عاطفة بعيدة عن صدق الموقف.

ولعلنا نلمس في خطبة السيدة زينب عليها السلام بعد ذلك إشارة واضحة إلى هذه الازدواجية، فقد قالت عليها السلام مخاطبة أهل الكوفة: «ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف، والصدر الشنف، وملق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كفضة على ملحودة»<sup>(١)</sup>. أي: مظاهركم جميلة تغرّ الناظرين، ولكن مخابركم قبيحة تُسيء الخابرين، وشعاراتكم براءة أخاذة ولكن مواقفكم سيئة ومتخاذلة، فشتان بين منظركم ومخبركم، كالمرعى الجميل الزاهي الذي يُعجب النظّار، ولكن أصله دمنة نبت عليها وتغذّى منها، أو كالفضة أو الرخامة الجميلة التي توضع على القبر وتحتها جثة هامدة متوارية فيها، وهذا أدقّ وصف يمكن تقديمه عنهم آنذاك.

أما سبب هذه الازدواجية التي كان يعيشها المجتمع الكوفي، فهو يحتاج إلى بحث وتقصّص، فليست المسألة جينيّة حتى يُسدّ باب البحث فيها، وإنما هي ناشئة من ظروف موضوعية أدت إليها، وعلينا أن نبحث عن تلك الأسباب والظروف، وهذا ما سنعمل عليه في مقالة أخرى إن شاء الله تعالى.

(١) ابن طائوس، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٧.





# المؤسّسة الشيعية ابن بتر

## القسم الثاني

### الأهداف والغايات

الشيخ عامر الجابري<sup>(١)</sup>

أشرنا فيما سبق إلى توجّه أنظار أئمّة أهل البيت عليهم السلام بعد الفاجعة إلى التركيز على بناء كيان الشيع، وأشرنا إلى أنّ توظيف المظلومية الحسينية ومأساة كربلاء كان من أهمّ السبل التي سلكها المعصومون عليهم السلام؛ لتحقيق هذا الهدف والوصول إلى هذه الغاية، وقد تمّ ذلك عبر تأسيس ما أسميناه: (مؤسّسة الشعائر الحسينية)، وقد تحدّثنا في القسم الأول عن الملامح العامّة والخطوط العريضة لهذه المؤسّسة المباركة.

وبقي علينا أن نتناول بيان الأهداف والغايات التي يُراد تحقيقها من خلال هذه المؤسّسة المباركة.

### الشعائر من أهم مقومات بقاء الأديان والمذاهب وانتشارها

يمكن تصنيف الأديان والمذاهب - بغضّ النظر عن حقّانيتها أو عدمها - إلى ثلاثة

أصناف:

---

(١) باحث وكاتب إسلامي.

الصف الأول: الأديان والمذاهب التي وُجدت لفترة في التاريخ ثم انقرضت.

الصف الثاني: الأديان والمذاهب التي استطاعت البقاء والمحافظة على وجودها عبر القرون، بالرغم من التغييرات الاجتماعية والحضارية التي حدثت في العالم، ولكنها لم تتمكن من الانتشار والازدهار، وإنما بقيت منعزلة اجتماعياً، ومنغلقة على أتباعها، وإذا ما حصلت زيادة في عدد أتباعها، فإنها تكون زيادة طبيعية ناتجة عن التكاثر الطبيعي لأتباعها؛ بسبب التزاوج والتوالد.

الصف الثالث: الأديان والمذاهب التي كُتبت لها البقاء والدوام والانتشار والازدهار. والفرق بين الصف الأول والصفين الآخرين يتمثل - في تقديرنا - بوجود الشعائر وعدمه، بمعنى: أن الأديان والمذاهب التي وُجدت في التاريخ ثم انقرضت بعد مدة من الزمن، لم تكن سوى أفكار ورؤى خالصة، ولم يكن أتباعها يترجمون تلك الأفكار والرؤى عبر شعائر معينة.

وفي الحقيقة، إن الأفكار والرؤى الدينية والمذهبية إذا لم تتحول إلى شعائر شعبية رمزية تعبر عن تلك الأفكار والرؤى، وتترسخ وتعمق في وجدان القاعدة الجماهيرية لذلك الدين أو المذهب، فإن درجة احتمال بقاء ذلك الدين أو المذهب تكون ضئيلة جداً، أو منعدمة.

وأما الفرق بين الصف الثاني والثالث، فيتمثل بطبيعة تلك الأديان والمذاهب، وطبيعة شعائرها، فإذا كانت أدياناً ومذاهب ذات طبيعة منغلقة ومنزوية أو عنصرية، فإنها ستتخذ شعائر ذات طبيعة مشفرة وملغزة، لا يفهمها سوى أتباع ذلك الدين أو المذهب.

وأما إذا كانت أدياناً ومذاهب ذات طبيعة منفتحة وعالمية الطموح، فإنها ستتخذ شعائر تتناسب مع طبيعتها هذه، وستكون تلك الشعائر بمثابة رسائل مفتوحة مكتوبة بلغة إنسانية يفهمها الجميع.

ولا ريب في أن المذهب الشيعي يُحسب على الصنف الثالث من هذه الأصناف، فهو مذهب منفتح، ذو طبيعة تمدّدية انتشارية، إن صحّت العبارة.

فهو - كما نعتقد - الصيغة الحقّة للإسلام المحمّدي الأصيل، والإسلام دينٌ عالميٌّ، يسعى إلى بسط نفوذه على جميع أرجاء المعمورة.

ومن هنا؛ فقد قام قادة هذا المذهب عليه السلام بتأسيس: (مؤسسة الشعائر الحسينية)؛ للنهوض بمهمّتين أساسيتين:

- ١- حفظ كيان التشيع وخلوده.
- ٢- انتشار هذا الكيان وازدهاره.

### ١- دور الشعائر الحسينية في حفظ كيان التشيع

إذا كنّا نعتقد بأنّ دعوة التشيع هي الصورة الحقيقية للإسلام المحمّدي الأصيل، فلا بدّ أن نعتقد بأنّ هذه الدعوة محفوظة بحفظ الإسلام، فقد تعهدّ الباري سبحانه وتعالى بحفظ هذا الدين وبقائه وخلوده إلى أن تقوم الساعة، غير أنّ هذا لا يتنافى مع تحقّق الحفظ المشار إليه عبر الأسباب والسنن الاجتماعية والتاريخية، ونحن نعتقد أنّ لمؤسسة الشعائر الحسينية الدور الأكبر في حفظ دعوة التشيع و«أعظم الأثر في بقائها، رغم الضغوط الكثيرة التي تعرّضت لها؛ وذلك لأنّ تفاعل الجمهور بالفاجعة واهتمامهم بإحيائها لا يتوقّف على دفع الخاصّة لهم - كرجال الدين أو غيرهم - وتشجيعهم إيّاهم؛ ليسهل على العدو القضاء عليها بتحجيم دور الخاصّة، بالترغيب والترهيب، وصنوف التنكيل حتى التصفية الجسدية، كما حصل ذلك قديماً وحديثاً»<sup>(١)</sup>.

بل يرى الشيخ حسن المظفر بأنّ حفظ المذهب من الاندساس هو الغرض النهائي من تأسيس مؤسسة الشعائر الحسينية، بل هي الغاية القصوى التي قُتل الإمام الحسين عليه السلام

(١) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص ٤٣١.

من أجلها، فيقول: «لا شك أنه لا غرض للأئمة عليهم السلام - وهم حكماء الأمة - من الأمر بذلك الاجتماع المحزن، وتذكر تلك المصيبة المقرحة في أحوالٍ مخصوصة كثيرة، وزيارته التي لم يفهم الترغيب إليها والمبالغة في ثوابها، حتى حذروا من تركها، وبعبارة جامعة: ليس أمرهم بتلك الروابط الحسينية إلا حفظ المذهب عن الاندساس، وهو الغاية التي قُتل لها الحسين عليه السلام، وهذه الحكمة - مع أنها وجدانية - قد ألمعوا إليها بعبارات مختلفة، وضوحاً وخفاءً، وأمروا بها صريحاً فيما تضمن الحث على إحياء أمرهم».

ثم يقول بعد عدة سطور: «أنا لا أشك أن تلك المجالس والمجتمعات ألبتها الأئمة الأطهار عليهم السلام - بوسع علمهم وبعده نظرهم للمستقبل - لباساً مذهيباً؛ لأنها السبب الوحيد لاجتماع كلمة الشيعة، ورسوخ عقائدهم، وبقاء ذكر الجميل بكل معانيه للأئمة فيما بينهم، وتلك نكتة مستورة عن جميع المسلمين، حتى عن الشيعة أنفسهم؛ فإنهم لا يتصورون هذه الفائدة من عملهم، بل قصدهم الثواب الأخروي فقط...»<sup>(١)</sup>.

وقد أدرك أعداء أهل البيت عليهم السلام - من الأمويين والعباسيين - هذه الملازمة بين إحياء هذه الشعائر وبين بقاء كيان التشيع، واستمرارية وجوده، فسعوا بشتى الوسائل، وسلكوا مختلف السبل للقضاء على هذه الشعائر؛ إذ أدركوا أن القضاء على التشيع لا يتم إلا بالقضاء عليها.

وفي المقابل، فإن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا قد استعدوا لمواجهة هذا الخطر، وكانوا على طول الخط يتعاملون مع محاولات طمس هذه الشعائر ومحوها على أنها محاولات لطمس الوجود الشيعي ومحوه والقضاء عليه، وهو ما يمكن ملاحظته في الباب الخامس والأربعين من كتاب كامل الزيارات، الذي أعده ابن قولويه لبيان (ثواب من زار الحسين عليه السلام وعليه خوف)، وأورد فيه عدة روايات بعضها عن الإمام الخامس أبي جعفر الباقر عليه السلام، والبعض الآخر عن الإمام السادس أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وفي هذه

(١) المظفر، حسن بن عبد المهدي، نصره المظلوم: ص ٧.

الروايات يحث الإمامان عليهما السلام شيعتهما على تحدي السلطات، والاستمرار على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وتعاهد قبره المطهر، وأن لا يكون الخوف مانعاً لهم عن ذلك؛ فإن الله سبحانه وتعالى سيضاعف لهم الثواب، كما أن ترك زيارته عليه السلام لخوفٍ تُوجب الحسرة، وقد نقلنا في المبحث السابق أكثر روايات هذا الباب في مواضع متفرقة.

وهي روايات لا يمكن فهمها إلا في ظل ظروفها التاريخية، وفي إطار المواجهة التي أشرنا إليها، فليست المسألة مجرد قيام بعمل فردي مستحب، وإلا لكان مقتضى القاعدة سقوط ذلك العمل عن الاستحباب، بل حرمة لمخالفته للتقية، التي تجب لحفظ النفس، أو المال، أو العرض.

إذن؛ فالمسألة ترتبط بما هو أهم من حفظ النفس، أو المال، أو العرض، إنها ترتبط بالحفاظ على الكيان الشيعي واستمرارية وجوده، فكانت المدوامة على هذه الشعائر، والإصرار على إحيائها هو الطريق الوحيد لنشيت هوية التشيع، وترسيخها في ضمير المسلم الشيعي.

وهذا الفهم لمسألة إحياء الشعائر قد توارثه الشيعة جيلاً بعد جيل، فكانوا على الدوام ينظرون إلى محاولات منع إحياء الشعائر الحسينية على أنها محاولات للقضاء على التشيع والشيعة، فكانوا يُصرّون - وبدفعٍ وتشجيعٍ من العلماء - على إحياء هذه الشعائر مهما كلفهم الأمر.

وهذا ما يفسّر لنا أيضاً وقوفهم الحازم ضدّ كلّ من حاول التشكيك بشرعية الشعائر أو بعض مفرداتها؛ إذ تُعدّ هذه المسألة خطأً أحمراً لا يُسمح بالاقتراب منه، ولطالما وُصف من حاول الاقتراب من هذه الدائرة بكونه متآمراً مع أعداء المذهب وأعداء الحسين عليه السلام.

وهذه النظرة لمسألة الشعائر نظرة صائبة؛ إذا كانت منطلقة من الوعي بأهمية هذه الشعائر وتأثيرها الكبير في الحفاظ على تماسك الكيان الشيعي وتلاحمه.

ولكن في الواقع، إنّه ليس كلّ مَنْ ينظر إلى مسألة الشعائر على أنّها خطأ أحمر، ينطلق من الوعي المشار إليه، بل إنّ بعضاً من هؤلاء ينطلق بدافع العاطفة غير الواعية، والتعصّب الأعمى، وهؤلاء هم الذين يقفون حجر عثرة أمام محاولات الإصلاح في الشعائر الحسينية وتهذيبها.

إنّ النقاش الدائر حول الشعائر الحسينية يقع في دائرتين:

**الدائرة الأولى:** النقاش الذي يثيره المخالفون والعلمانيون وبعض الحداثيين من الوسط الشيعي، من شبهات حول أصل إحياء الشعائر الحسينية، ويمكن أن نُعبّر عن الشبهات التي تُطرح في هذه الدائرة بـ (الشبهات الكلامية)، وهذه الشبهات هي التي ينبغي الوقوف في وجهها ومعالجتها من قِبَل المختصّين بعلم الكلام الإمامي.

**الدائرة الثانية:** النقاش الحاصل بين فقهاءنا حول مشروعية بعض المفردات من الشعائر، وهذا نقاشٌ فقهيٌّ مؤطّر بالأطر العامّة للفقّه الإمامي، ولا محذور فيه. وتدخل غير المختصّين الذين لا يميّزون بين الدائرتين، هو الذي يخلط الأوراق، ويتسبّب فيما نشاهده في محرم من كلّ عام من مشاحنات وتراشقات حول هذه المفردة أو تلك من مفردات الشعائر الحسينية، وقد يصل الأمر في بعض المناطق إلى حدوث فتنة بين أبناء المذهب الواحد.

ويا للأسف! فقد أصبحت هذه الشعائر في بعض المناطق - بسبب هؤلاء المتعصّبين - سبباً للفرقة والتشردم، مع أنّها قد شرّعت من قِبَل أئمة أهل البيت عليهم السلام لرصّ صفوف الشيعة، وتوحيد كلمتهم، وشدّ أزر بعضهم بعضاً.

## ٢. انتشار التشيع وازدهاره عبر الشعائر الحسينية

كما ساهمت مؤسّسة الشعائر الحسينية في حفظ كيان التشيع والحفاظ عليه من الانقراض والاندثار، فقد ساهمت هذه المؤسّسة في توسعة هذا الكيان وانتشاره

وازدهاره؛ بحيث وصل التشيع - بركة هذه الشعائر - إلى أبعد نقطة في العالم، وأصبح عدد الشيعة اليوم حوالي ٢٥٠ مليون نسمة، ممّا يعني أنّهم يشكلون نسبة الربع من المسلمين.

وقد باتت وسائل الإعلام تتحدّث عمّا أطلقت عليه اسم: (ظاهرة المدّ الشيعي)، وهو مصطلح يُطلق على ظاهرة انتشار التشيع وتمدّده في بلدان ذات أغلبية تتبّع المذاهب السنيّة.

وفي الحقيقة، إنّ جميع الذين كتبوا حول سرّ انتشار التشيع وازدهاره وتمدّده - من المؤلّفين أو المخالفين، وحتى من المستشرقين - قد أكّدوا تأكيداً بالغاً على الدور الكبير الذي تلعبه الشعائر الحسينية، وتأثيرها الواضح في هذا المجال.

فكلّما فُسِح المجال للشيعة في ممارسة الشعائر الحسينية، كلّما انتعش كيان التشيع، واتّسع وتمدّد في الآفاق، وكلّما ضيّق عليهم وحوربوا في ممارسة هذه الشعائر، كلّما حدّ ذلك من تقدّمهم، وتوقّفوا عن النمو وإن استمرّوا على إحياء هذه الشعائر سرّاً للحصول على الحدّ الأدنى من فوائدها، والتمثّل بالحفاظ على الهوية الشيعية من الضياع والاندثار.

### مقتطفات من كلام المستشرقين: جوزيف الفرنسي، ومارين الألماني

وبحسب تتبّعي لم أجد أحداً قد تناول موضوع مؤسّسة الشعائر الحسينية وأثرها الكبير في نشر مذهب التشيع وازدهاره أفضل من الكاتين المستشرقين: الدكتور جوزيف الفرنسي في كتابه: (الإسلام والمسلمون)، والمسيو مارين الألماني في كتابه: (السياسة الإسلامية)، وقد ترجمت جريدة الحبل المتين الفارسية - في العدد الثامن والعشرين من السنة الثامنة بتاريخ: (٧ محرم/ سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)، فصلين من الكتاتين المذكورين، يحتويان على فلسفة الشعائر الحسينية، وما لها من دور في تقدّم المذهب الشيعي وازدهاره، فكان لهما دويٌّ في العالم الإسلامي، وأخذوا في الشرق دوراً

مهياً، وتُرجمًا إلى التركية والهندية، وترجمها إلى العربية السيد صدر الدين الموسوي، فنشرت مجلة العلم أحد الفصلين، ونشرت مجلة العرفان الفصل الآخر. ولأهمية هذين المقالين قام السيد محسن الأمين بترجمتهما إلى العربية، وخصّص الفصل السابع من خاتمة كتابه المجالس السنية<sup>(١)</sup> لذكر ما أورده هذان المستشرقان، ولشدة ارتباط هذين المقالين ببعضنا نودّ أن نقطف منها المقتطفات التالية بالاعتماد على ترجمة السيد الأمين.

### مقتطفات من كلام الدكتور جوزيف الفرنسي

يقول هذا المستشرق عن بداية نشوء كيان التشيع: «لم تكن هذه الفرقة - يعني الشيعة - ظاهرة في القرون الأولى الإسلامية كأختها، ويمكن أن تُنسب قلتهم إلى سببين: أحدهما: إنّ الرئاسة والحكومة التي هي سبب ازدياد تابعي المذهب كانت بيد الفرقة الأخرى.

والسبب الآخر: هو القتل والغارات التي كانت تتوالى عليهم. ونظراً لحفظ نفوس الشيعة؛ حكم أحد أئمتهم في أوائل القرن الثاني عليهم بالتقية، فزادت في قوتهم؛ لعدم تمكّن العدو القوي الشكيمة من قتلهم والإغارة عليهم، بعد أن لم يكونوا ظاهرين، وصاروا يعقدون المجالس سرّاً، ويكون على مصائب الحسين، واستحكمت هذه العاطفة في قلوبهم على وجهٍ لم يمضِ زمانٌ قليل إلا وارتقوا، حتى صار منهم الخلفاء والسلاطين والوزراء، وهؤلاء بين من أخفى مذهبه وتشيّعه، وبين من أظهره. وبعد أمير تيمور، حيث رجعت السلطنة في إيران إلى الصفوية، صارت إيران مركز فرقة الشيعة، وبمقتضى تخمين بعض سواح فرنسا إنّ الشيعة فعلاً: سدس المسلمين أو سبعهم.

(١) والخاتمة منشورة أيضاً في كتيب خاص، نشرته مطبعة العرفان.



ونظراً إلى هذا الترقّي الذي حازته فرقة الشيعة في زمانٍ قليل، من دون جبرٍ وإكراه،  
يمكن أن يُقال: إنهم سيفوقون سائر فرق الإسلام بعد قرنٍ أو قرنين.

والسبب في ذلك هو إقامة عزاء الحسين، الذي قد جعله كلّ واحدٍ منهم داعياً إلى  
مذهبه، ولا يوجد اليوم مكان فيه الواحد أو الاثنان من الشيعة إلا ويقيماً فيه عزاء  
الحسين، ويبدلان في هذا السبيل الأموال الكثيرة».

ثمّ يقول بعد ذلك: «ويمكن أن يُقال: إنّ جميع فِرَق الإسلام من حيث المجموع  
لا يبذلون في سبيل تأييد مذهبهم بمقدار ما تبذله هذه الفرقة في سبيل ترقيات مذهبها،  
وموقوفات هذه الفرقة ضعفاً أوقاف سائر المسلمين، أو ثلاثة أضعافها، كلّ واحد من  
هذه الفرقة هو في الحقيقة داعٍ إلى مذهبه من حيث يخفى على سائر المسلمين، بل إنّ الشيعة  
أنفسهم لا يدركون هذه الفائدة المترتبة على عملهم، وليس في نظرهم إلا الثواب الأخروي.  
ولكن حيث إنّ كلّ مَنْ عمل في هذا العالم لا بدّ وأن يكون له أثر طبيعي في العالم  
الاجتماعي، قصده الفاعل أو لم يقصده، لم تُحرم هذه الفرقة فوائد هذا العمل الطبيعية في  
هذا العالم.

ومن المعلوم أنّ مذهباً دعاه خمسون أو ستون مليوناً لا بدّ وأن يرتقي أربابه على  
وجه التدريج إلى ما يليق بشأنهم».

ثمّ يقول بعد ذلك: «ولقد بلغ اهتمام هذه الفرقة في أداء مراسم مذهبها مبلغاً عظيماً،  
حتّى جعلت ثلثي المسلمين من أتباع سيرتها، بل اشترك معها كثير من الهنود والمجوس  
وسائر المذاهب.

ومن المعلوم أنّه بعد مضي قرنٍ ووَصِّل هذه الأعمال بالوراثة إلى أبناء أولئك  
الطوائف، يذعنون بها ويصدقون هذا المذهب.

وبما أنّ فرقة الشيعة تعتقد بأنّ جميع المطالب والمقاصد موكول نجاحها إلى أكابر  
مذهبهم، وهم يفرعون إليهم في قضاء الحوائج، ويستمدّون منهم عند الشدائد، سرت

هذه الروح أيضاً إلى سائر الفرق التي اشتركت معهم في تلك الأعمال والأفعال، ومن المعلوم أنه بمجرد قضاء حاجتهم وبلوغ آمالهم تزداد عقيدتهم بهذا المذهب رسوخاً. من هذه القرائن والأسباب يمكننا أن نقول: لا يمضي على هذه الفرقة زمان قليل إلا وتفوق سائر المسلمين من حيث العدد، وكانت هذه الفرقة قبل قرن أو قرنين تلازم التقية - فيما عدا إيران - نظراً لقلّتهم، وعدم قدرتهم على إظهار شعائر مذهبهم، ولكن من يوم استولت الدولة الغربية على الممالك الشرقية، ومنحت جميع المذاهب الحرية قامت هذه الفرقة تقيم شعائر مذهبها علناً في كلّ مكان، واستفادوا من هذه الحرية فائدة تامة، حتى إنهم تركوا التقية».

### مقتطفات من كلام المسيو ماريين الألماني

يقول المسيو ماريين الألماني: «كانت الرياسة الروحانية بعد الحسين في أولاده واحداً بعد واحد، وهؤلاء أيضاً جعلوا إقامة عزاء الحسين الجزء الأعظم من المذهب، وألبست هذه النكته السياسية شيئاً فشيئاً اللباس المذهبي، وكلّما ازدادت قوة أتباع علي ازداد إعلانهم بذكر مصائب الحسين، وكلّما سعوا وراء هذا الأمر ازدادت قوتهم وترقيهم، وجعل العارفون بمقتضيات الوقت يغيرون شكل ذكر مصائب الحسين قليلاً قليلاً، فجعلت تزداد كلّ يوم؛ بسبب تحسينهم وتنميقهم لها، حتى آل الأمر إلى أن صار لها اليوم مظهر عظيم في كلّ مكان يوجد فيه مسلمون، حتى إنّها سرّت شيئاً فشيئاً بين الأقسام وأهل الملل الأخرى، خصوصاً في الصين والهند».

ثمّ يقول: «لعدم اطلاع بعض مؤرّخيننا على كمّية وكيفية هذه المآتم ورواجها، استرسلوا في كلامهم على غير علم، وجعلوا يصفون إقامة أتباع الحسين عليه السلام لها بأنّها أفعال جنون، ولم يقفوا أبداً على مقدار ما أحدثته هذه المسألة من التغييرات والتبديلات في الإسلام... إنّ من يسبر غور الترقيات التي حصلت في مدّة مائة سنة لأتباع علي في

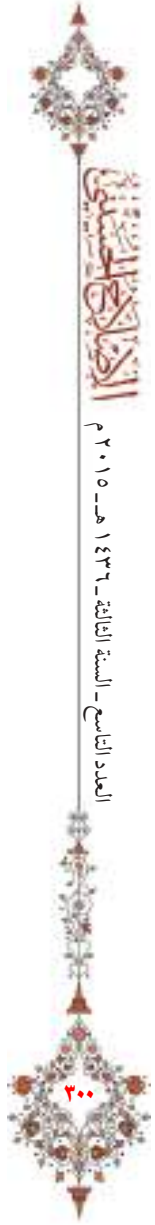
الهند، الذين اتخذوا إقامة هذه المآتم شعاراً لهم، يجزم بأنهم متّبعون أعظم وسيلة للترقي. كان أتباع علي والحسين في جميع بلاد الهند يُعدّون على الأصابع، واليوم هم في الدرجة الثالثة بين أهل الهند من حيث العدد، وكذلك في سائر البلدان».

ويضيف قائلاً: «عندما نقيس منهج دعواتنا (المبشرين) مع صرف تلك القوة والثروة بمنهج دعاة هذه الفرقة، نرى أنّ دعواتنا لم يحوزوا العُشر من تقدّم هذه الفرقة. رؤساء ديننا وإن كانوا يحزّنون الناس بذكر مصائب حضرة المسيح، ولكنّه ليس بذلك الأسلوب والشكل الذي يتّخذه أتباع الحسين؛ ويُحتمل أن يكون السبب في ذلك أنّ مصائب المسيح في جنب مصائب الحسين لا تكون مؤثّرة، مُشجّية للقلب بتلك الدرجة التي لمصائب الحسين.

على مؤرّخيننا أن يطلّعوا على حقائق رسوم وعادات الأغيار، ولا ينسبوا إلى الجنون». ثمّ يقول في ختام المقال: «الحسين عليه السلام أشبه الروحانيين بحضرة المسيح، ولكنّ مصائبه كانت أشدّ وأصعب، كما أنّ أتباع الحسين كانوا أكثر تقدّماً من أتباع المسيح في القرون الأولى، فلو أنّ المسيحيين سلكوا طريقة أتباع الحسين، أو أنّ أتباع الحسين لم تمنعهم من ترقياتهم عقبات من نفس المسلمين؛ لسادت إحدى الديانتين في قرون عديدة جميع المعمور، كما أنّه من حين زوال العقبات من طريق أتباع الحسين عليه السلام أصبحوا كالسيل المنحدر، يحيطون بجميع الملل وسائر الطبقات».

### دور مؤسّسة الشعائر الحسينية في بناء المسلم الشيعة

ما تحدّثنا به في السطور السابقة عن دور مؤسّسة الشعائر الحسينية في حفظ كيان التشيع من الاندراس، وتقويته وانتشاره في البلاد، هو الدور الأساس والرئيس الذي تؤدّيه هذه المؤسّسة، ويمكن أن نعبر عنه بالدور الخارجي، لو صحّحت العبارة، وهناك دور آخر تقوم به هذه المؤسّسة من الداخل، وهذا الدور يتمثّل بالمساهمة ببناء الإنسان



الشيوعي وتكوينه، عقدياً واجتماعياً وثقافياً.

فعلى المستوى العقدي، تعدّ ممارسة هذه الشعائر تجسيداً عملياً لمفهومي: (الموالاتة)، و(البراءة). مولاة أهل البيت عليهم السلام، والبراءة من أعدائهم.

وبعبارة أدق: إنّ ممارسة هذه الشعائر هي تعبيرٌ عمليٌّ عن الانتهاء لخطّ الإمامة، والتبرّي من الخطّ المعادي لها في آنٍ واحد، فهي بمثابة العلامة الفارقة التي يتمييز بها المسلم الشيوعي عن غيره.

وقد أشار المعصومون عليهم السلام إلى هذا البعد، وركّزوا عليه في أكثر من رواية، فقد روى ابن قولويه بسنده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال: مَنْ لم يأت قبر الحسين عليه السلام من شيعتنا كان منتقص الإيمان منتقص الدين، وإن دخل الجنة كان دون المؤمنين في الجنة»<sup>(١)</sup>.

فهذه الرواية ونظائرها ناظرة إلى البعد الشعائري في زيارة الحسين عليه السلام؛ إذ إنّ زيارة الحسين عليه السلام أصبحت تعبيراً عن الانتهاء لخطّ التشيع، ومن هنا اعتبرت الرواية عدم زيارة الحسين عليه السلام نقصاً في الإيمان، والإيمان في هذه الرواية وأشباهها يعني الانتهاء لخطّ التشيع.

ومما يؤكّد هذا المعنى رواية أخرى رواها ابن قولويه بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مَنْ لم يأت قبر الحسين عليه السلام - وهو يزعم أنّه لنا شيعة - حتى يموت فليس هو لنا بشيعة، وإن كان من أهل الجنة؛ فهو من ضيفان أهل الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وقد يبدو للوهلة الأولى وجود تهافت بين مدلول الروایتين؛ إذ اعتبرت الأولى عدم إتيان قبر الحسين عليه السلام نقصاً في إيمان الإنسان الشيوعي، وإن لم يخرج ذلك عن دائرة التشيع؛ إذ قالت الرواية: «من شيعتنا».

بينما أكّدت الرواية الثانية على الملازمة بين مفهوم التشيع وإتيان قبر الحسين عليه السلام.

ولكنّ هذا مجرد تهافت ظاهري، وسرعان ما يرتفع بملاحظة كون الروایتين ليستا

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٥٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٥٦.

بصدد الحديث عن التشيع بمعناه الكلامي، بل هما بصدد الحديث عن التشيع ككيان اجتماعي قائم، وفي ضوءه نفهم أنّ عدم الزيارة كان في عصر الإمام الباقر عليه السلام لا يتنافى مع التشيع بمفهومه الاجتماعي، وإن كان يعدّ نقصاً وضعفاً فيه، بمعنى أنّ الإنسان الذي لا يزور الإمام الحسين عليه السلام كان يُعتبر شيعياً ناقص التشيع أو ضعيف التشيع، ما شئت فعبّر.

أمّا في حياة الإمام الصادق عليه السلام - أو بالدقة في فترة متأخرة من حياته - فقد أصبحت زيارة الحسين عليه السلام جزءاً ذاتياً من التشيع بمعناه الاجتماعي، بمعنى أنّ الإنسان الذي لا يزور لا يُعدّ من المتمين إلى هذا الكيان، ونكرّر مرةً أخرى: إنّ حديثنا هنا يتعلّق بـ(التشيع) بمدلوله الاجتماعي، لا بمدلوله الكلامي.

وأما على المستوى الاجتماعي، فيمكن القول: إنّ فائدة إحياء هذه الشعائر لعموم الشيعة كفائدة إحياء شعيرة الحجّ لعموم المسلمين، فإذا كانت شعيرة الحجّ مظهراً من مظاهر وحدة المسلمين، وتجسيداً عملياً لانتمائهم إلى دينٍ واحد، ونبيٍّ واحد، وكتابٍ واحد، فإنّ الشعائر الحسينية تُعتبر مظهراً من مظاهر وحدة المسلمين الشيعة، وتجسيداً عملياً لانتمائهم إلى مذهبٍ واحد، وخطّ واحد، ففي الحضور في تلك التجمّعات والمآتم والمواسم الحسينية تذوب كلّ الانتهات وتبخر، ولا يبقى سوى الانتفاء إلى الحسين عليه السلام.

يقول السيد عبد الحسين شرف الدين في بيان هذا البُعد: «وحسبك في رجحانها [أي: رجحان إقامة المآتم] ما يتسنّى بها للحكيم من إلقاء المواعظ والنصائح، وإيقاف المجتمعين على الشؤون الإسلامية، والأمور الإمامية، ولو إجمالاً، وبذلك يكون أمل العاملي نفس أمل إخوانه في العراق وفارس والبحرين والهند، وغيرها من بلاد الإسلام.

ولا تنس ما يتهيأ للمجتمعين فيها من الاطلاع على شؤونهم، والبحث عن شؤون إخوانهم النائين عنهم، وما يتيسّر لهم حينئذٍ من تبادل الآراء فيما يعود عليهم بالنعف، ويجعلهم كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضه بعضاً، أو كالجسد الواحد إذا اشتكى منه

عضو أنت له سائر الأعضاء، وبذلك يكونون مستقيمين في السير على خطّة واحدة، يسعون فيها وراء كلّ ما يرمون إليه»<sup>(١)</sup>.

وأما على المستوى الثقافي، فإنّ مؤسّسة المنبر الحسيني كانت ولا تزال مدرسة لجمهور الشيعة، يتعلّم المسلم الشيعي في هذه المجالس ما يرتبط بأمر دينه من عقيدة وفقه وتفسير و... ممّا لا بد له من الاطلاع عليه، كما يتلقّى فيها ما يرتبط بالثقافة العامّة من سياسة وأدب وتاريخ و...

ومؤسّسة المنبر الحسيني وإن لم تتحوّل إلى أداة تثقيفية بالمعنى المشار إليه، إلّا في عصرٍ متأخّر عن عصر الأئمّة عليهم السلام، غير أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام قد غرسوا هذه الروح التثقيفية في نفوس أصحابهم، منذ بدايات تشكّل مؤسّسة المنبر الحسيني.

فمن ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: «رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكر أمرنا، فإنّ ثالثهما ملكٌ يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلّا باهى الله بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكّر؛ فإنّ في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياءنا، وخير الناس بعدنا من ذاكر بأمرنا، ودعا إلى ذكرنا»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام مخاطباً الفضيل بن يسار: «تجلسون وتحدّثون؟ قال: نعم، جعلت فداك! قال: إنّ تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيى أمرنا...»<sup>(٣)</sup>.

## وقفتان لا بدّ منهما

في نهاية هذا القسم من بحثنا حول (المؤسّسة الشعائرية) توجد وقفتان أرى من الضروري أن أختم بهما:

(١) شرف الدين، عبد الحسين، المأتم الحسيني (مشروعيته وأسراره): ص ٩٤-٩٥.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١، ص ٢٠٠.

(٣) المصدر السابق: ج ٤٤، ص ٢٨٢.

## الوقفه الأولى

تعرفنا فيما مضى على ما المؤسّسة الشعائر الحسينية من دورٍ فعّالٍ وكبيرٍ على مستوى حفظ الكيان الشيعي وديمومته، أو على مستوى توسّع هذا الكيان وازدهاره، أو على مستوى بناء الإنسان المتمي لهذا الكيان وتكوينه، عقدياً واجتماعياً وثقافياً، والأثر الذي تحقّقه هذه المؤسّسة على هذه المستويات الثلاث هو روح الشعائر الحسينية، كما أنّ النهي عن الفحشاء والمنكر هو روح الصلاة، وكما أنّ الصلاة التي لا تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر هي صلاة ميتة لا روح فيها، فإنّ الممارسات والفعاليات الحسينية التي لا يُراعى فيها الأثر المذكور هي طقوس وعادات ميتة، وفارغة من المحتوى الاجتماعي. ولكي تكون هذه المؤسّسة قادرة على تحقيق أهدافها، فلا بدّ لها من مواكبة تطوّرات العصر ومتغيّراته، مع المحافظة على عنصر الأصالة؛ فإنّ المؤسّسة الثقافية الاجتماعية - كما يقول شمس الدين -: ليست هدفاً في حدّ ذاتها، وإنّما هي وسيلة وُجدت لتساهم في إغناء الإنسان، وإثراء عالمه الداخلي، ومساعدته على التناغم مع واقعه الخارجي المتدفّق بالتغيرات، مع احتفاظه بشخصيته المعنوية والحضارية.

ولذا؛ فإنّ المؤسّسة الثقافية الاجتماعية ذات المحتوى الديني الإسلامي لا بدّ أن تكون واعيةً لتستوعب تغيّرات عصرها، ولا بدّ أن تكون - مع وعيها - مرنة؛ لتستجيب انطلاقاً من قواعدها الفكرية لهذه التغيّرات، وذلك من أجل أن تكون بوعيتها ومرونتها ذات قدرة على التصدّي لما لا يتلاءم مع رؤاها هي، من أفكار واتجاهات تبثّها المؤسّسات الثقافية الاجتماعية الأخرى<sup>(١)</sup>.

## الوقفه الثانية

يتّضح ممّا سبق حجم المسؤولية الملقاة على عاتق القائمين بشؤون هذه المؤسّسة،

(١) أنظر: شمس الدين، محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي: ص ٣٠٦-٣٠٧.

كما أنّ هذه المسؤولية يتضاعف حجمها بالنسبة للفقهاء الذين هم الآباء الروحيون لهذه المؤسسة، فإنّ هذه المؤسسة قد نشأت ونمت وتطوّرت على أيدي الأئمة المعصومين عليهم السلام، فكانوا هم الرعاة لها في زمانهم عليهم السلام، أمّا الآن فإنّ رعاتها الحقيقيين هم نوابهم من الفقهاء. وقد لاحظنا: أنّ دور أئمة أهل البيت عليهم السلام تجاه (مؤسسة الشعائر الحسينية) كان دوراً فعلياً لا دوراً انفعالياً، بمعنى أنّهم كانوا هم الذين يمسكون زمام المبادرة في رسم أساليب إحياء ذكرى عاشوراء من الناحية العملية المصدقية، ولم يكتفوا بإلقاء الأصول، ووضع الأطر العامة.

أمّا الفقهاء، فيمكن أن نقول: إنّ لهم مسلكين في هذه المسألة:

**المسلك الأول:** هو المسلك الانفعالي بمعنى أنّ الفقيه لا يبادر إلى التدخّل في ابتكار مصاديق خارجية للشعيرة الحسينية، بل يترك الأمور تسير بحسب ما يخطط لها القائمون على شؤون الشعائر الحسينية، من خطباء ومنشدين، ومواكب وهيئات... فتنحصر مهمة الفقيه بالإشراف غير المباشر على مجريات الأمور في هذا المجال، فيبادر إلى تأييد المظاهر المنسجمة مع قواعد الشرع الحنيف، وينهض في وجه المظاهر المخالفة له.

**المسلك الثاني:** هو المسلك الفعلي، ويعني: أن لا يكتفي الفقيه بالإشراف غير المباشر على المؤسسة الشعائرية، بل يبادر إلى الإشراف المباشر على مسيرة هذه المؤسسة، فيتدخّل في تهذيبها وإصلاحها وتطويرها على كافّة المستويات، وفي رأينا: أنّ هذا المسلك هو مسلك أهل البيت عليهم السلام، فالمؤسسة الشعائرية قد تأسست وتكاملت على أيدي المعصومين عليهم السلام، فكانوا لا يكتفون بإلقاء الأصول ووضع الأطر العامة، بل كانوا يتدخّلون حتى على مستوى الجزئيات والتطبيقات، فمن ذلك:

١- تشجيعهم لفتي الشعراء والمنشدين، ودفعهم لنظم الشعر الحسيني وإنشاده.

٢- توظيفهم لفئة القصّاص، وتوجيههم لاستغلال موهبتهم لخدمة القضية

الحسينية المقدّسة.



٣- تدخلهم في توجيه الشعر الحسيني نحو أسلوب الرثاء، بمعنى أنهم كانوا يوجهون الشعراء للتركيز على الوجه المساوي لواقعة كربلاء.

٤- تدخلهم في طريقة الإنشاد، كما في قصة الإمام الصادق عليه السلام مع أبي هارون المكفوف<sup>(١)</sup>.

فهذه كلها مؤشرات على تدخل المعصومين عليهم السلام في تفاصيل وجزئيات المؤسسة الشعائرية، وعدم اجترائهم برسم الخطوط العريضة والأطر العامة لها. وقد تجلّى هذا المسلك من خلال بعض المواقف لبعض السيدات العلويات اللواتي ساهمن في تطوير وتنمية المؤسسة الشعائرية، بحسب المستطاع.

فقد حدّث المرزباني قال: «دخل أبو الرميح على فاطمة بنت الحسين بن علي عليه السلام فأنشدها مرثيته في الحسين عليه السلام :

أجالت على عيني سحائب عبرة	فلم تصح بعد الدمع حتى ارمعلت
تبكي على آل النبي محمد وما	أكثرت في الدمع لا بل أقلت
أولئك قوم لم يشيموا سيوفهم	وقد نكأت أعداءهم حين سلّت
وإنّ قتيل الطف من آل هاشم	أذلّ رقاباً من قريش فذلّت

فقالت فاطمة: يا أبا الرميح، هكذا تقول؟ قال: فكيف أقول جعلني الله فداك؟ قالت: قل: أذلّ رقاب المسلمين فذلّت.

فقال: لا أنشدها بعد اليوم إلا هكذا<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو الفرج الأصفهاني عن ابن جامع أنّه قال: «حدّثني جماعة من شيوخ أهل مكة: أمّهم حدّثوا أنّ سكينه بنت الحسين عليه السلام بعثت إلى ابن سريج بشعرٍ أمرته أن يصوغ فيه لحناً يُنّاح به، فصاغ فيه، وهو الآن داخلٌ في غنائه، والشعر:

(١) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٠٨.

(٢) جواد شبر، أدب الطف: ج ١، ص ٥٩-٦٠.

يا أرض وَيْحِكْ أَكْرِمِي أَمْوَاتِي      فلقد ظَفِرَتْ بِسَادَتِي وَحُمَاتِي

فقدّمه ذلك عند أهل الحرمين على جميع ناحة مكة والمدينة والطائف»<sup>(١)</sup>.

ففي الرواية الأولى دلالة واضحة على تدخل السيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام في تصحيح المفاهيم التي ينبغي أن ينطوي عليها الشعر الحسيني، ونحن بأمس الحاجة إليه هذه الأيام.

وفي الرواية الثانية نجد السيدة سكيّنة هي التي تختار الشعر بنفسها، ثم تعطيه لابن سريج، فيترفع شأنه بين الناحية في مكة والمدينة والطائف.

وقد سلك هذا المسلك العديد من الفقهاء، منهم: الشيخ جعفر بن محمد بن هبة الله بن نما الحليّ (ت ٦٤٥هـ)، والسيد رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاوس (ت ٦٦٤هـ)، ويتجلّى سلوك هذين العَلَمين لهذا المسلك من خلال تصديهما لإعداد كتابين في المقتل الحسيني، حيث كتب الأول: (مثير الأحران)، وكتب الثاني: (المهوف على قتلى الطفوف)، وهما من أوائل الكتب التي أُعدت لغرض القراءة والتعزية، فقد أضحت قراءة المقتل الحسيني في صبيحة يوم عاشوراء من كلّ عام - منذ ذلك العصر أو قبله - شكلاً من أشكال العزاء الحسيني الذي تلتزم به الشيعة؛ ولذا تصدّى هذان العلمان إلى إعداد كتابين خاصّين في هذا المجال؛ لغرض السيطرة على رواية المقتل الحسيني، وعدم السماح بحدوث فوضى على مستوى النقل.

وللسيد ابن طاوس نصّ مهم في الإقبال، ينافح فيه عن تجديد قراءة المقتل كلّ عام، وفلسفة ذلك؛ حيث يقول: «فإن قيل: فعلام تجددون قراءة المقتل والحزن كلّ عام؟ فأقول: لأنّ قراءته هو عرض قصّة القتل على عدل الله تعالى؛ ليأخذ بثأره كما وعد من العدل، وأما تجدد الحزن كلّ عشر والشهداء صاروا مسرورين؛ فلأنّه مواساة لهم في أيام العشر؛ حيث كانوا فيها ممتحنين، ففي كلّ سنة ينبغي لأهل الوفاء أن يكونوا وقت

(١) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج ١، ص ٢٥٥.

الحزن محزونين، ووقت السرور مسرورين»<sup>(١)</sup>.

ويبدو أنّ الوضع السياسي لم يكن يسمح لابن نما وابن طاوس بتطوير المؤسسة الشعائرية بأكثر من ذلك، يقول صاحب نصره المظلوم وهو يتحدث عن تلك الفترة: «وما كانت التذكارات الحسينية حينئذ إلاّ ماتم يُقرأ فيها نحو كتاب (المقتل، تأليف أبي مخنف) - وهو من أكابر المُحدّثين الذين تلقى منه: ابن جرير الطبري، وغيره، مقتل الحسين - أو كتاب (الإرشاد) للشيخ المفيد، أو كتاب (اللهوف) لابن طاوس، وبضع قصائد انفراد الشعراء من أهل الحلة خاصّة بإنشائها، ولم تُعرف لغيرهم يومئذٍ قصيدة قطُّ»<sup>(٢)</sup>.

ومَن سلك هذا المسلك: العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠هـ) صاحب البحار، فقد كان له دورٌ بارزٌ في تطوير المؤسسة الشعائرية، وقد عدّ عصره من العصور التي انتقلت فيها المؤسسة الشعائرية إلى طورٍ جديد، ويُقال: إنّه أول من أسّس المسرح الحسيني (الشبيه)، كما أنّه أول من استحدث الصنوج (الطوس) «في قرى إيران مصاحباً لموكب اللطم المخترق للأزقة والمجتمع في الدور والمآتم؛ ليسمع صوته أهل القرى القريبة منهم ويعلموا بإقامتهم للعزاء ليشاركوهم، إمّا في الاجتماع معهم، وإمّا بإقامة عزاء آخر في قريتهم»<sup>(٣)</sup>.

قال صاحب نصره المظلوم: «حتّى إذا تسنّم عرش الملّك الملوك الصفويّة، وهم علويّون موسويّون، تفنّنا بإظهار ضروب الحزن على جدّهم الأعلى (الحسين بن علي)، فأحدثوا تمثيل فاجعته لعيون الملأ في يوم عاشوراء، بأمر وإشارة وبتقرير وإمضاء من العلامة (الفاضل المجلسي) صاحب كتاب: بحار الأنوار (أعلى الله درجته)، وذلك بعد الألف من الهجرة، في أواسط المئة الحادية عشر، زمن السلطان الحسين بن سليمان

(١) ابن طاوس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٩٠ - ٩١.

(٢) المظفر، حسن بن إبراهيم، نصره المظلوم: ص ٢٨.

(٣) الحلّي، عبد الحسين قاسم، النقد النزيه لرسالة التنزيه: ص ١٦٧.

الصفوي، والتمثيل يومئذ في دَوْر نشأته»<sup>(١)</sup>.

وقال المامقاني: «مع أنّ أول مَنْ مثّل واقعة الطف وأمثالها وأشاع التمثيل فيها، هو العلامة المجلسي، الذي هو أكثر العلماء اطلاعاً على الأخبار وكلمات الفقهاء، وكلّ مَنْ جاء بعده من علماء البلاد أمضى فعله ولم ينكر عليه»<sup>(٢)</sup>.

وقال السيد الشهيد حسن الشيرازي في تعدادهِ للأدوار التي مرّت بها الشعائر الحسينية: «والدور الرابع: دور الصفويين، وخاصّةً عهد العلامة المجلسي، الذي شجّع الشيعة على ممارسة شعائرهم بكلّ حرية، فأضافوا إليها التمثيل، الذي كان إبداعاً منهم لتجسيد المأساة»<sup>(٣)</sup>.

وهذا يعني أنّ دور العلامة المجلسي لم يكن مقتصرّاً على التوجيه الشرعي في هذا المجال، بل تعدّى إلى المشاركة العملية في هذا المجال، وابتكار الأساليب المنسجمة مع الضوابط والمحدّدات الشرعية التي وضعها المعصومون عليهم السلام من جهة، ومواكبة هذه الأساليب لمتغيرات العصر من جهة ثانية، وهذا هو الدور الذي ينبغي أن يؤدّبه الفقيه في رأينا.

(١) المظفر، حسن بن إبراهيم، نصرّة المظلوم: ص ٢٨.

(٢) الشيرازي، حسن، الشعائر الحسينية: ص ١٠٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٨٤.

# فقه التربة الحسينية

## القسم الرابع

الشيخ أحمد العلي<sup>(١)</sup>

ما زال الحديث مستمراً في فقه التربة الحسينية، وذكر ما يختص بها من أحكام شرعية، سواء في جانبها الإيجابي (الوجوب والاستحباب) أو في جانبها السلبي (الحرمة والكراهة)، وقد تقدّم جملة منها، ونعرض في هذا القسم ما تبقى منها في خمس مسائل، نتناول حكم السجود على التربة الحسينية في المسألة الأولى، ثم نُعرج إلى التحرُّز بالتربة الحسينية في المسألة الثانية، لنستعرض التسبيح بتربة الإمام الحسين عليه السلام في المسألة الثالثة، وفي المسألة الرابعة ندرس الإفطار يوم العيد على التربة الحسينية، وأمّا المسألة الخامسة فنتناول فيها تعلق الخمس بالتربة الحسينية.

### المسألة الأولى: السجود على التربة الحسينية

أخذت مفردة (الأرض) في القرآن الكريم والسنة الشريفة مساحة واسعة؛ حيث ورد ذكرها ما يقرب (٢٨٧) مرّة، ولأهميتها خصّها الله بحكمين: فهي محل طهور الناس والمكلفين، وهي محل السجود.

(١) كاتب وباحث إسلامي.

فهي الصعيد الطيب الذي جعله الله طهوراً للمؤمنين، قال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾<sup>(١)</sup>.

وهي المكان الذي يسجد عليه الإنسان، قال ﷺ: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»<sup>(٢)</sup>.

وقد منح الله تعالى بعض الأماكن كرامة خاصة، وحبها ببعض الخصوصيات، كما في تربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ حيث خصّها البارئ تعالى باستحباب السجود عليها بين سائر التُّرَب، وقد حظي هذا الحكم بحضور واضح في كتب الفقه الفتوائية والاستدلالية.

والكلام في هذا الاستحباب يقع في مباحث:

### المبحث الأول: السجود أحد أركان الصلاة

أجمع الإمامية<sup>(٣)</sup> وفقهاء المذاهب<sup>(٤)</sup> على أنّ السجود فرض واجب في كلّ صلاة، وأنّ مجموع السجدين يُعدّ ركناً من أركان الصلاة، وتبطل الصلاة بتركه عمداً وسهواً كما عند الإمامية، وكذا لو تركه عمداً عند فقهاء المذاهب الأخرى. وفي حال السهو أو الجهل فقد اتَّفَقوا على وجوب الإتيان به إن أمكن تداركه، وإن لم يمكن تداركه تفسد

(١) النساء: آية ٤٣.

(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٢، ص ٢٤٠، وج ٥، ص ١٦١. العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٣، ص ٣٥٠.

(٣) أنظر: العاملي، محمد بن علي، مدارك الأحكام: ج ١، ص ٣٤٠. النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ١٠، ص ١٢٧.

(٤) الكاشاني، علاء الدين، بدائع الصنائع: ج ١، ص ١٠٥. ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار: ج ١، ص ٣٠٠-٣٢٠. أنظر: الآبي، صالح، جواهر الإكليل: ج ١، ص ٤٨. النووي، يحيى بن شرف، روضة الطالبين: ج ١، ص ٢٥٥. الموسوعة الفقهية الكويتية: ج ٢٧، ص ١٣١-١٣٢، وج ٢٤، ص ٢٠٢.

الصلاة كما عند الحنفيّة، وأمّا جمهورهم فقالوا: تُلغى الركعة التي منها الركن فقط، وذلك إذا كان الركن المتروك غير النية وتكبيرة الإحرام، وإلا استأنف الصلاة.<sup>(١)</sup> واستدل على الركنيّة بنصّ الكتاب والسُّنة والإجماع<sup>(٢)</sup>.  
 وأنفقوا على أن الواجب هو السجود على الجبهة، واختلفوا في بقيّة الأعضاء السّنة أو السّبعة - على الخلاف الموجود بينهم - التي هي عبارة عن: اليدين والركبتين والقدمين، وطرف الأنف، حيث أوجبه بعض، وجعله بعض من كمال السجود<sup>(٣)</sup>.

### المبحث الثاني: السجود على الأرض وما أنبتت (شعار الإمامية)

اتّفق الإمامية وفقهاء المذاهب على أن السجود على الأرض يتحقّق به الواجب والركن معاً، وتصحّ الصلاة به، وهو القدر المتيقّن لصحّة السجود، واختلفوا فيما عدا ذلك: فقد أجمع الإماميّة<sup>(٤)</sup> على أنه لا يجوز السجود إلا على الأرض وما أنبتت من غير المأكول والملبوس. وقد أصبح هذا شعاراً تُعرّف به الشيعة الإماميّة، وخلافه شعار يُعرّف به أهل السنّة؛ وذلك لأنّ السجود عبادة شرعيّة، فتقف كيفيتها على نصّ من الشارع، وقد وقع الإجماع - من جميع الطوائف - على صحّة وجواز السجود على الأرض والنابت منها، فيقتصر عليه.

وقال رسول الله ﷺ: «إنّها لا تتمّ صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله

(١) المصدر السابق.

(٢) أنظر: الشريبي، محمّد بن أحمد، مغني المحتاج: ج ١، ص ١٦٨. المقدسي، ابن قدامة، المغني: ج ١، ص ٥٢٤.

(٣) أنظر: البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج ٨، ص ٢٧٦. النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام: ج ١٠، ص ١٣٥. ابن رشد، محمّد بن أحمد، بداية المجتهد: ج ١، ص ٣٣٠، وص ٣٨٢ - ٣٨٣.

(٤) أنظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، الخلاف: ج ١، ص ٣٥٧. العلّامة الحلي، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء: ج ٢، ص ٤٣٤ - ٤٣٥. العلّامة الحلي، الحسن بن يوسف، منتهى المطلب: ج ٤، ص ٣٥١ - ٣٥٣. العاملي، محمّد بن مكي (الشهيد الأول)، ذكرى الشيعة: ج ٢، ص ١٣٨.

تعالى... ثمَّ يسجد ممكِّناً جبهته من الأرض»<sup>(١)</sup>.

وقال خبَّاب: «شكونا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حرَّ الرضاء في جباهنا وأكفنا، فلم يُشكِّنا»<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - وقد سُئل عن الرجل يصلي على البساط من الشعر والطنافس<sup>(٣)</sup>، فأجاب -: «لا تسجد عليه، وإن قمت عليه وسجدت على الأرض فلا بأس، وإن بسطت عليه الحصير وسجدت على الحصير فلا بأس»<sup>(٤)</sup>.

وقال هشام بن الحكم للإمام الصادق عليه السلام: «أخبرني عمَّا يجوز السجود عليه وعمَّا لا يجوز. قال عليه السلام: السجود لا يجوز إلا على الأرض أو على ما أنبتت الأرض»<sup>(٥)</sup>.

وأطبق جمهور فقهاء المذاهب<sup>(٦)</sup> على جواز الصلاة على الجلود، والصوف، والشعر، وأشباهها؛ وذلك لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه صلى في نمرة، ولأنه بساط طاهر يجوز له الصلاة فيه، فجازت الصلاة عليه كالقطن. وقال الشافعي: والنمرة تُعمل من الصوف<sup>(٧)</sup>. ولا يخفى بأن الرواية ممنوعة، أو محمولة على أنه صلى الله عليه وآله كان يضع جبهته على ما يصح السجود عليه، لا على نفس النمرة<sup>(٨)</sup>.

(١) السجستاني، سليمان، سنن أبي داود: ج ١، ص ٢٢٧، ح ٨٥٨.  
(٢) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري: ج ٢، ص ١٣. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج ١، ص ٤٣٣.

(٣) البسط والثياب التي لها خمل رقيق.

(٤) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٥، ص ٣٤٨-٣٤٧.

(٥) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٥، ص ٣٤٣.

(٦) الشافعي، محمد بن إدريس: الأم، ج ١، ص ٩١. المقدسي، ابن قدامة، المغني: ج ١، ص ٥٩٣.  
النووي، محيي الدين، المجموع: ج ٣، ص ٤٢٥. ابن حزم، علي، المحلّى بالآثار: ج ٤، ص ٨٣.  
المرغيناني، علي، الهداية: ج ١، ص ٥٠. ابن همام، محمد، فتح القدير: ج ١، ص ٢٦٥. الدردير، أبو البركات، الشرح الكبير: ج ١، ص ٢٥٢.

(٧) الشافعي، محمد بن إدريس: الأم، ج ١، ص ٩١.

(٨) أنظر: العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء: ج ٢، ص ٤٣٥.



هذا كله إذا اعتمدنا على تفسير الشافعي للنمرة، وإلا فإن (نمرة) ناحية بعرفات، أو الجبل الذي عليه أنصاب الحرم على يمينك خارجاً من المأزمين تريد الموقف<sup>(١)</sup>. بالإضافة إلى كثرة الروايات الناهية صراحة عن السجود على هذه الأشياء. والدليل الأخير باطل أيضاً؛ لأنه قياس، حيث قاس صحّة الصلاة عليه بصحّة الصلاة فيه، والقياس باطل عندنا وعند جماعة من الجمهور. وقد صرح جماعة منهم بأفضلية السجود على الأرض، رغم ذهابهم إلى جواز السجود على غيرها<sup>(٢)</sup>.

### المبحث الثالث: استحباب السجود على تربة الحسين عليه السلام وأقوال الفقهاء فيه

رغم حصر فقهاء الإمامية جواز السجود على الأرض وما أنبتت فقط، إلا أنهم جوّزوا السجود على مطلق وجه الأرض، سواء الحجر والمدر والتراب والرمل وغيرها، ولم يقيّدوا الجواز بنوع خاص، ولكن مع هذا فضّلوا السجود على التراب وخصوصاً تربة الحسين بن علي عليهما السلام، حيث صرّحوا باستحباب السجود عليها، وهو المعروف بينهم. واختصّ الشيعة الإمامية بالقول باستحباب السجود على تربة قبر الحسين بن علي عليهما السلام، تبعاً لأئمتهم، بل أتباعاً لمنهج رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ منهج أهل البيت عليهم السلام هو منهج الرسول صلى الله عليه وآله، لا يخالفونه قيد شعرة أبداً في تكريمه للحسين عليه السلام سيّد الشهداء، وتكريم تربة قبره.

والسجود على التربة بما فيها تربة الحسين عليه السلام ليس بدعة في الدين، وليس هو خرقاً

(١) أنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج ٥، ص ٣٠٥.

(٢) أنظر: الشافعي، محمد بن إدريس: الأم، ج ١، ص ٩١. المقدسي، ابن قدامة، المغني: ج ١، ص ٥٩٣. النووي، محيي الدين، المجموع: ج ٣، ص ٤٢٥. ابن حزم، علي، المحلّى بالأثار: ج ٤، ص ٨٣. المرغيناني، علي، الهداية: ج ١، ص ٥٠. ابن همام، محمد، فتح القدير: ج ١، ص ٢٦٥. الدردير، أبو البركات، الشرح الكبير: ج ١، ص ٢٥٢.

لإجماع المسلمين، بل هو الثابت بالأدلة القرآنية والروائية.

وقد أضفت شهادة الحسين عليه السلام قداسة أخرى على هذه التربة المباركة، ومنحها بشهادته مسحة قدسية إلهية، تمثلت بمقارعة الطغاة وإرجاع الحق إلى أهله. وعلى هذا؛ فلا معنى لما يرمي به الحمقى والمغفلون من جهال المسلمين - وهم ثلثة - الشيعة بأنهم يعبدون الحجر، أو يسجدون للحجر. بل إنهم يعبدون الله تعالى وحده لا شريك له، ويسجدون لله وحده تعالى، على طبق الشرع وتعاليمه، لم يزيغوا عنها أنملة، ولم يكن في دعوتهم إلى فضل السجود على التربة الحسينية خروج على قوله صلى الله عليه وآله: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»<sup>(١)</sup>، فالتربة الحسينية من الأرض، مع مزيد فضل، وإنها وردت الندب والاستحباب في السجود عليها لما لها من فضيلة الانتساب، مما يزيد الأجر والثواب.

ولما كان السجود أعظم أركان الصلاة، وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد إلى ربه حال سجوده»<sup>(٢)</sup>، فإنه من المناسب أن يتذكر بوضع جبهته على تلك التربة الطاهرة أولئك الذين جعلوا أجسامهم ضحايا للحق، وارتفعت أرواحهم إلى الملاء الأعلى ليخضع ويخضع ويتلازم الوضع والرفع، ويحتقر هذه الدنيا الزائفة وزخارفها الزائلة، ولعل هذا هو المقصود من أن السجود عليها يخرق الحجب السبع - الوارد في الخبر - فيكون حينئذ في السجود سر الصعود والعروج من التراب إلى رب الأرباب<sup>(٣)</sup>.

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٣، ص ٣٥٠. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ١، ص ١١٣.

(٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٦، ص ٣٨٠-٣٨١. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج ٢، ص ٥٠.

(٣) أنظر: كاشف الغطاء، محمد حسين، الأرض والتربة الحسينية: ص ٥٦-٥٧. الأحمدي، علي، السجود على الأرض: ص ١٠٦، ص ١٠٨، ص ١٠٩. الخرسان، محمد مهدي، السجود على التربة الحسينية: ص ٣٥٣-٣٥٤.

## كلمات الفقهاء في استحباب السجود على التربة الحسينية

قد أكد فقهاء الإمامية على استحباب السجود على تربة الإمام الحسين عليه السلام، وذكره في كتاب الصلاة في باب السجود منه، وإليك جملة من كلماتهم:  
قال الديلمي: «وما يُسجد عليه ينقسم أربعة أقسام: إلى ما تجوز الصلاة عليه بإباحة، وإلى ما تُكره الصلاة عليه، وإلى ما لا يجوز السجود عليه، وإلى ما يُستحب السجود عليه... الرابع: ما يُستحب السجود عليه، وهو الألواح من التربة المقدسة، ومن خشب قبور الأئمة»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن حمزة: «وما يُسجد عليه أربعة أقسام: إما يُستحب، أو يحرم، أو يُكره، أو يكون السجود عليه مطلقاً. فالأول شيئان: الألواح من التربة، وخشب قبور الأئمة»<sup>(٢)</sup>.  
وقال ابن أبي المجد الحلبي: «ولا ينبغي السجود على المعادن أو ما كان منها، ولا على ما قبلته النار كالكأس والخزف والجصّ وشبهه، وأفضله على التربة الحسينية»<sup>(٣)</sup>.  
وقال صاحب جامع الشرائع: «والسنة السجود على الأرض؛ للخبر... ويُستحب السجود على التربة الحسينية»<sup>(٤)</sup>.

وقال الشهيد الأوّل: «البحث الثاني: في مستحباته [السجود] وهي: التكبير له قائماً... والسجود على الأرض، وأفضلها التربة الحسينية...»<sup>(٥)</sup>.  
وقال الكركي: «ويُستحب السجود على الأرض، وأفضل منه على التربة الحسينية ولو سُويت بالنار»<sup>(٦)</sup>.

(١) الديلمي، حمزة بن عبد العزيز، المراسم العلوية: ص ٦٦.

(٢) ابن حمزة الطوسي، محمد بن علي، الوسيلة: ص ٩١.

(٣) الحلبي، علي بن الحسن بن أبي المجد، إشارة السبق: ص ٨٩.

(٤) الحلبي، يحيى بن سعيد، جامع الشرائع: ص ٧٠.

(٥) العاملي، محمد بن مكّي (الشهيد الأوّل)، البيان: ص ١٦٩.

(٦) الكركي، علي بن الحسين، رسائل الكركي: ج ١، ص ١٠٣.

وقال الشهيد الثاني - وهو بصدد بيان سُنن السجود -: «والسجود على الأرض؛ لأنه أبلغ في الخشوع وأقوى في الدّل بين يدي الباري ﷻ... وخصوصاً التربة الحسينية المقدسة على مشرفها السلام ولو لوحاً متّخذاً منها...»<sup>(١)</sup>.

وقال المحقق البحراني: «وأفضل أفراد الأرض في السجود التربة الحسينية على مشرفها أفضل الصلاة والسلام والتحية»<sup>(٢)</sup>.

وقال البهبهاني - وهو بصدد تعداد مستحبات السجود -: «ومن المستحب أن يتساوى مساجده جميعاً... وأن يختار الأرض على النبات؛ لأنه أبلغ في الخضوع... ثم التربة الحسينية؛ لأنه ينور إلى الأرضين السبع، ويحرق الحجب كما في التصوص»<sup>(٣)</sup>.  
وقريب منها عبارة الشيخ جعفر كاشف الغطاء<sup>(٤)</sup>.

وقال النجفي: «وأفضل الأرض تربة سيّد الشهداء ﷺ قطعاً وسيرة؛ ولذا كان الصادق ﷺ لا يسجد إلا عليها؛ تذكراً لله واستكانة، كما عن إرشاد الديلمي»<sup>(٥)</sup>.  
وقال السيّد اليزدي: «السجود على الأرض أفضل من النبات والقرطاس، ولا يبعد كون التراب أفضل من الحجر، وأفضل من الجميع التربة الحسينية؛ فإنها تحرق الحجب السبع، وتستنير إلى الأرضين السبع»<sup>(٦)</sup>.

### المبحث الرابع: أدلة استحباب السجود على تربة الإمام الحسين ﷺ

يمكن حصر أدلة القول باستحباب السجود على تربة سيّد الشهداء ﷺ بما يلي:

- (١) العاملي، زين الدين بن عليّ (الشهيد الثاني)، الفوائد المليّة: ص ٢١٠.
- (٢) البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج ٧، ص ٢٦٠.
- (٣) الوحيد البهبهاني، محمد باقر، مصابيح الظلام: ج ٨، ص ٥٥.
- (٤) أنظر: كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء: ج ٣، ص ٢٠٦.
- (٥) النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٨، ص ٤٣٧.
- (٦) اليزدي، كاظم، العروة الوثقى: ج ٢، ص ٣٩٧.

الدليل الأول: ما ورد في فضلها من روايات كثيرة على لسان النبي ﷺ بنقل أمهات المؤمنين - أم سلمة وعائشة وغيرهما - وعلى لسان أهل بيته المعصومين ﷺ.

وقد نُقلت هذه الروايات في كتب ومجاميع السنّة قبل الشيعة<sup>(١)</sup>، فإن الله تعالى اهتّم بهذه التربة أشدّ اهتمام، وأمر باحترامها أجلّ احترام، حيث أرسل رُسلًا من الملائكة فجاءوا إلى النبي ﷺ بقبضة منها، فمن أجل ذلك نلاحظ النبي ﷺ يحترمها ويأخذها، فاستفاض النقل بأنّ جبرئيل ﷺ لما نزل على رسول الله ﷺ بخبر قتل الحسين ﷺ أتى بقبضة من تربة مصرعه ﷺ، وكذا تكرر هذا الفعل من غير جبرائيل ﷺ من الملائكة<sup>(٢)</sup>.

الدليل الثاني: إنّ اتّخاذ هذه التربة والمحافظة عليها والسجود عليها أوقات الصلاة أسلم من حيث النظافة والنزاهة من السجود على سائر الأراضي، وما يُطرح عليها من الفرش والبوارى والحُصُر الملوّنة والمملوءة غالباً من الغبار والميكروبات الكامنة فيها. فأبى مانع من أن يحتاط المسلم في دينه، ويتخذ معه تربة طاهرة يطمئن بها وبطهارتها، يسجد عليها في صلاته؛ حذراً من السجدة على النجاسة والأوساخ التي لا يُتقرب بها إلى الله قط، ولا تجوز السنّة السجود عليها؟!

إنّ وضع الجباه على تربة في طياتها دروس الدفاع عن دين الله ومظاهر قدسه، ومجلى المحاماة عن ناموس الإسلام المقدّس، أجدر بالتقرب إلى الله تعالى، وأقرب الزلفى لديه، وأنسب بالخضوع والخشوع والعبوديّة له تعالى.

أليس أليق بأسرار السجود على الأرض السّجود على تربة فيها سرّ المنعة والعظمة والكبرياء لله ﷻ ورموز العبوديّة والتصاغر بأجلّ مظاهرها وسماتها؟!

أليس أحقّ بالسجود على تربة مُزج فيها التوحيد والتفاني دون الباري تعالى؟!

(١) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٨٧. أبو يعلى، أحمد بن علي، مسند أبي يعلى: ج ١، ص ٢٨٩. المتقي الهندي، كنز العمال: ج ١٣، ص ٦٥٥. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ١، ص ٨٥.

(٢) أنظر: الأحمدى، عليّ، السجود على الأرض: ص ١١٦-١١٧.

أليس الأمثل أتخاذ المسجد من تربة تفجّرت عليها عيون دماء اصطبغت بصبغة حبّ الله، وصيغت على سنّة الله وولائه المحض الخالص<sup>(١)؟!</sup>

الدليل الثالث: الروايات الكثيرة الواردة عن طريق أهل البيت عليهم السلام.

فقد وردت عدّة روايات تؤكّد استحباب السجود على التربة الحسينيّة:

منها: ما رواه الشيخ الطوسي في (المصباح) عن معاوية بن عمّار قال: «كان لأبي عبد الله عليه السلام رِيطة دِيَاج صَفراءُ فيها تربةُ أبي عبد الله عليه السلام، فكان إذا حضرته الصلاة صَبَّه عَلَى سَجّادته وسجد عليه، ثُمَّ قال عليه السلام: السُّجُودُ عَلَى تربةِ أبي عبد الله عليه السلام يخرقُ الحُجُبَ السَّبْعَ»<sup>(٢)</sup>.

### تفسير (يخرقُ الحُجُبَ السَّبْعَ)

ويقول السيّد عبد الأعلى السبزواري رحمته الله - في تعليقه على قوله عليه السلام: (يخرقُ الحُجُبَ السَّبْعَ) -: «ولا بُدّ في ذلك؛ فإنّ هذه التربة المقدّسة رمز التفاني في إعلاء كلمة التوحيد وشعار العترة النبويّة في إبقاء الرسالة والنبوّة، ووسام الأسرة المحمّديّة، وإتّها روضة من رياض الجنّة، ومولد عيسى، ومختلف الملائكة، ومجمع أرواح الأنبياء في كلّ ليلة نصف من شعبان».

وقال رحمته الله: «ثمّ إنّ قوله عليه السلام: (تخرق الحجب السبع) أي: يقبلها الله تعالى من دون أن يمنع عنه موانع القبول التي هي كثيرة...»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق في الفقيه عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «السُّجُودُ

(١) أنظر: الأحمدي، عليّ، السجود على الأرض: ص ١٠٨-١١٣. الأميني، عبد الحسين، السجود على التربة الحسينيّة: ص ٦٥-٦٦. السبحاني، جعفر، الإنصاف: ج ١، ص ٢٦٤.  
(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجّد: ص ٧٣٣. الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٥، ص ٣٦٦.

(٣) السبزواري، عبد الأعلى، مهذّب الأحكام: ج ٥، ص ٤٥٩-٤٦٠.

على طين قبر الحسين عليه السلام ينور إلى الأرضين السبعة. ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحسين عليه السلام كتبت مسبحة وإن لم يسبح بها»<sup>(١)</sup>.

قال السيد السبزواري تعليقا على هذه الرواية: «قد تكرّر في الكتاب والسنة استعمال سنخ هذا النور، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾. وقوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَمْنِهِمْ﴾. إلى غير ذلك مما هو كثير... وهذا النور أجل من أن يدرك بالمشاعر الجسائية التي انحصر شعورهم بدرك الأجسام الكثيفة، ونعم ما قيل:

وكيف ترى ليلي بعين ترى بها سواها وما طهرتها بالمدامع

كما أنه أرفع من أن يرجع في شرحه إلى الكتب اللغوية، أو جملة من أقوال المفسرين، بل يختصّ درك مثل هذا النور بالإمام المعصوم، والملا الأعلى، أو من تحلّى عن الرذائل مطلقاً، وتحلّى بالفضائل بجمعها، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض مقاماتهم في خطبة همام»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ما عن الطبرسي في كتاب (الاحتجاج)، عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن صاحب الزمان عليه السلام: «إنه كتب إليه يسأله عن السجدة على لوح من طين القبر هل فيه فضل؟ فأجاب عليه السلام: «يجوز ذلك، وفيه الفضل»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: ما رواه الحسن بن محمد الديلمي في كتاب (الإرشاد)، قال: «كان الصادق عليه السلام لا يسجد إلا على تربة الحسين عليه السلام؛ تذلل الله واستكأنه إليه»<sup>(٤)</sup>.

(١) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٦٨. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٥، ص ٣٦٥-٣٦٦.

(٢) السبزواري، عبد الأعلى، مهذب الأحكام: ج ٥، ص ٤٦٠-٤٦١.

(٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣١٢. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٥، ص ٣٦٦.

(٤) الديلمي، الحسن بن محمد، إرشاد القلوب: ص ١١٥. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٥، ص ٣٦٦.

الدليل الرابع: دعوى الإجماع على استحباب السجود على تربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، بل ادعى بعض أن الإجماع المنقول والمحصل عليه<sup>(١)</sup>.

### المبحث الخامس: فروع المسألة

يتفرّع على أصل المسألة الفرع الآتي:

#### جواز السجود على التربة المطبوخة (المشوية)

لا خلاف يُعرف بين فقهاء الإمامية، بل بين المسلمين في جواز السجود على التربة الحسينية سواء شويت بالنار أم لا.

أما فقهاء الإمامية، فلم نقف - كما صرح الشيخ الكركي - على المنع من السجود لأحد من الفقهاء المعتبرين، إلا سألار في رسالته، حيث حكم بکراهة السجود على التربة المشوية. وأما فقهاء المذاهب، فإنهم يجوزون السجود على كل شيء طاهر، وباقي الفقهاء أطلقوا القول بجواز السجود على الأرض وأجزائها، وبعضهم أطلق القول باستحباب السجود على التربة الحسينية.

فالمذهب هو القول بالجواز لا محالة، والقول بالمنع من التربة المشوية خارج عن مقالة علماء أهل البيت عليهم السلام.

وأما القول بکراهة السجود على التربة المشوية فهو قول ضعيف مرغوب عنه. ولا يخفى أن الذي اختار القول بالکراهة هو سألار والشهيد الثاني.

وقد توقّف الشيخ البحراني في الحكم؛ للشك في خروجها عن اسمها بعد طبخها، ثم اختار القول بالاحتياط.

واستدلّ على القول بالکراهة بأمرين:

(أ) إنّ التربة المطبوخة إن لم تكن مستحيلة إلى شيء آخر فهي شبيهة بالمستحيل،

(١) أنظر: بني فضل، مرتضى، مدارك تحرير الوسيلة: ج ١، ص ٢٧٠.



فُيكره لذلك.

(ب) إنَّ كُلَّ شَيْءٍ مَسَّته النَّارُ يُكره السجود عليه.

ولكن قوَّة أدلَّة القول الأوَّل الآتية وكثرة مَنْ يذهب إليه تُضَعِّف القول بالكراهة.

واستدلَّ أصحاب القول الأوَّل بعدد أدلَّة، تأتي بخلاصتها:

**الأوَّل:** الأصل، فإنَّ الأوامر الواردة بالسجود تقتضي جواز السجود على كُلِّ شَيْءٍ

إلَّا ما ورد المنع منه شرعاً، ولم يرد في الشريعة نصٌّ يقتضي المنع من السجود على التربة

المشويَّة، فتمسَّك بالأصل الذي يقتضي الجواز.

**الثاني:** استصحاب الحكم المنصوص؛ حيث إنَّ النَّصوص وردت بجواز السجود

على التربة الحسينيَّة قبل أن تُشوى بالنار، فيجب استصحاب هذا الحكم بعد أن تُشوى؛

لانتفاء الناقل شرعاً، فإنَّ الاستصحاب حجة ما لم يرد من الشرع ناقل.

**الثالث:** التمسَّك بالإجماع من علمائنا، بل من جميع المسلمين على جواز السجود

على التربة المتنازع فيها (وهي التربة الحسينيَّة المشويَّة)<sup>(١)</sup>.

### **المسألة الثانية: التحرُّز بالتربة الحسينيَّة**

يُستحب للمسافر وغيره استصحاب شيء من تربة الحسين عليه السلام التي هي أمان من

كُلِّ خوف وشفاء من كُلِّ داء، وخصوصاً إذا أخذ السبحة من تربته ودعا بدعاء المبيت

على الفراش ثلاث مرات، ثمَّ قبلها ووضعها على عينه، وقال: «اللهم، إنِّي أسألك بحقِّ

هذه التربة، وبحقِّ صاحبها، وبحقِّ جدِّه وأبيه، وأمِّه وأخيه، وبحقِّ وُلده الطاهرين،

اجعلها شفاءً من كُلِّ داء، وأماناً من كُلِّ خوف، وحفظاً من كُلِّ سوء. ثمَّ وضعها في

جيبه. فإنَّ مَنْ فعل ذلك في الغداة لا يزال في أمان الله حتى العشاء، وإن فعل ذلك في

(١) أنظر: الكركي، عليّ بن الحسين، رسائل الكركي (المجموعة الثانية): ج ٢، ص ٩١-٩٦. البحراني،

يوسف، الحدائق الناضرة: ج ٧، ص ٢٦٠-٢٦١. البهبهاني، علي، الفوائد العلية: ج ٢، ص ٢١٠.

العشاء فلا يزال في أمان الله حتى الغداة، وإن خاف من سلطان أو غيره وخرج من منزله واستعمل ذلك كان حرزاً له»<sup>(١)</sup>.

«ويستحب جعل تربة الحسين عليه السلام في المتاع لحفظه، وإنه أمان من كل شر»<sup>(٢)</sup>.  
ولا يستبعد الشاك هذه الآثار والأحكام لهذه التربة المباركة؛ وذلك لما حباها الله تعالى، وميّزها وشرّفها على غيرها، وجعل لها خواصاً اختصت بها دون غيرها.  
ومما يدلّ على ذلك عدّة روايات:

منها: ما رواه السيد ابن طاوس في (الأمان من أخطار الأسفار والأزمان) وفي (مضباح الزائر) عن الصادق عليه السلام: «أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: «تُرْبَةُ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، فَهَلْ هِيَ أَمَانٌ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ؟ فَقَالَ عليه السلام: نَعَمْ إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ آمِنًا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ فَلْيَأْخُذِ السَّبْحَةَ مِنْ تُرْبَتِهِ، وَيَدْعُو بِدُعَاءِ الْمَيْتِ عَلَى الْفَرَاشِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَقْبَلُهَا وَيَضَعُهَا عَلَى عَيْنَيْهِ...»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: ما رواه الشيخ الطوسي في (التهذيب) و(الاستبصار)، عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن محمد بن عيسى اليقطيني، قال: «بعث إليّ أبو الحسن الرضا عليه السلام رزم ثياب وغلماًناً وحبّة لي وحبّة لأخي موسى بن عبيد وحبّة ليونس بن عبد الرحمن، فأمرنا أن نحجّ عنه، فكانت بيننا مائة دينار، أثلاثاً فيما بيننا، فلما أردت أن أعبّي الثياب رأيت في أضعاف الثياب طيناً، فقلت للرسول: ما هذا؟ فقال: ليس يوجّه بمتاع إلا جعل فيه طيناً من قبر الحسين عليه السلام. ثمّ قال الرسول: قال أبو الحسن عليه السلام: هو أمان بإذن الله»<sup>(٤)</sup>.

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج ١، ص ٤٢٧. النوري، حسين، مستدرک الوسائل:

ج ٨، ص ٢١٨.

(٢) الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان: ج ٩، ص ٥٠٣-٥٠٤.

(٣) ابن طاوس، علي بن موسى، الأمان من أخطار الأسفار والأزمان: ص ٤٧.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ٤٠. الطوسي، محمد بن الحسن، الاستبصار:

ج ٣، ص ٢٧٩.

ومنها: ما رواه الشيخ الطوسي في (التهذيب) عن محمد بن أحمد بن داود، عن الحسن بن محمد بن علان، عن حميد بن زياد، عن عبد الله بن نبيك، عن سعد بن صالح، عن الحسن بن عليّ، عن أبي المغيرة، عن بعض أصحابنا، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي رجل كثير العلل والأمراض وما تركت دواءً إلّا تداويت به. فقال لي: وأين أنت عن طين قبر الحسين عليه السلام؟! فإنّ فيه الشفاء من كلّ داء، والأمن من كلّ خوف. قلت: قد عرفت الشفاء من كلّ داء، فكيف الأمان من كلّ خوف؟ قال: إذا خفت سلطاناً أو غير ذلك فلا تخرج من منزلك إلّا ومعك من طين قبر الحسين عليه السلام وقل إذا أخذته: اللهم، إنّ هذه طينة قبر الحسين وليّك وابن وليّك، أخذتها حرزاً لما أخاف وما لا أخاف... أخذتها كما قال لي؛ فأصحّ الله بدني، وكان لي أماناً من كلّ خوف ممّا خفت وما لم أخف، كما قاله. قال: فما رأيت بحمد الله بعدها مكرهاً»<sup>(١)</sup>.

### المسألة الثالثة: التسبيح بتربة الإمام الحسين عليه السلام

أولت الشريعة الإسلامية اهتماماً خاصاً بالجانب المعنوي، سواء منه الجانب الأخلاقي أو القرب الإلهي، وتمثّل الجانب الثاني من خلال الحثّ على الالتزام بعدة أشياء:

منها: قراءة القرآن.

ومنها: الأدعية بكافة أنواعها الزمانيّة والمكانيّة.

ومنها: التسبيح والتنزيه بأنواعها الزمانيّة والمكانيّة، وخصّ بالزمانيّة تعقيبات الصلاة، فقد وردت عدّة روايات عن النبي ﷺ وأهل بيته تؤكّد على أنواع من تعقيبات الصلاة، عسى أن ترفع من الجانب المعنوي والقرب الإلهي. وهي كثيرة جداً، ولكنّ أفضلها على الإطلاق هو المسمّى بتسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام، والذي اتّفق على نقله العامّة والخاصّة.

نعم، قد لا يصرّحون بنسبته إلى الزهراء عليها السلام، ولكن الروايات المنقولة عن أبي

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٧٥.

هريرة وغيره من الصحابة أرادته لا غير.

وَصَرَّحَ علماء الإمامية بأنه يُستحب أن يكون التسييح المذكور بسبحة مصنوعة من تربة الإمام الحسين عليه السلام؛ لتضاعف الثواب والأجر بذلك. ونحاول استعراض المسألة من خلال عدّة أمور:

### الأمر الأول: استحباب التعقيب بتسيحات فاطمة الزهراء عليها السلام

اتفقت كلمة الفقهاء على استحباب التعقيب عقب كلّ صلاة بهذه التسيحات، والنصوص الواردة فيها مستفيضة في الجملة ومروية في كتب الطرفين، وأكدت أكثر الروايات على أنّ عدد التسيحات مائة تسيحة.

فمن أبي ذرّ، قال: «قلت: يا رسول الله، تسبقنا أصحاب الأموال والدثور سبقاً بيناً، يصلّون ويصومون كما نصليّ ونصوم، وعندهم أموال يتصدّقون بها وليست عندنا أموال. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أخبرك بعمل إن أخذت به أدركت من كان قبلك، وفّت من يكون بعدك، إلا أحد أخذ بمثل عملك؟ تسيح خلف كلّ صلاة ثلاثاً وثلاثين، وتحمّد ثلاثاً وثلاثين، وتكبّر أربعاً وثلاثين»<sup>(١)</sup>.

وروى صالح بن عقبة، عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام أنّه، قال: «ما عبّد الله بشيء من التحميد أفضل من تسيح فاطمة عليها السلام، ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام»<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٥، ص ١٥٨. ورواه أبو هريرة بلفظ آخر قريب من هذا، أنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ١، ص ٢٠٥. البيهقي، أحمد، السنن الكبرى: ج ٢، ص ١٨٦. ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة: ج ١، ص ٣٦٨. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج ١، ص ٤١٦، ح ٥٩٥.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٦، ص ٤٤٣. كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء: ج ٣، ص ٢٢٨. النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ١٠، ص ٤٠٤ - ٤٠٥. البحراني، يوسف، الحقائق الناضرة: ج ٨، ص ٥٢٥.

## تسيحات الزهراء عليها السلام ثابتة في غير التعقيب

ولا بد أن يُعلم بأن جملة من الفقهاء صرّحوا بأن استحباب تسيحات الزهراء عليها السلام لا يختص بتعقيبات الصلاة، بل هو مستحب أيضاً في غير التعقيب، فلا استحباب ثابت في نفسه من دون اعتبار وصف التعقيب - وإن زاد الأجر بذلك - لإطلاق جملة من الأدلة بأنّه من الذكر الكثير، وأنّه «ما عبد الله بشيء من التحميد أفضل منه»، ويظهر من روايات أخرى الحثّ على تسيحات الزهراء عليها السلام، والترغيب فيها من دون ذكر التعقيب أو شيء آخر<sup>(١)</sup>.

## الأمر الثاني: ما كانت عليه السيّدّة فاطمة الزهراء عليها السلام

من المسموعات الواردة عن أبي البركات المشهدي، أنّه روى إبراهيم بن محمّد الثقفى: «أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كانت سبحتها من خيط صوف مفتل معقود عليه عدد التكبيرات، فكانت عليها السلام تديرها بيدها، تكبّر وتسبّح إلى أن قُتِل حمزة بن عبد المطلب (رض) سيّد الشهداء، فاستعملت تربته وعملت التسابيح، فاستعملها الناس، فلما قُتِل الحسين عليه السلام عدل بالأمر إليه، فاستعملوا تربته؛ لما فيها من الفضل والمزيّة»<sup>(٢)</sup>.

## الأمر الثالث: استحباب أن يكون التسييح بتربة الحسين عليه السلام

ذكر فقهاء الإماميّة - من دون نقل خلاف بينهم - أنّه يُستحب أن تكون السبحة من طين قبر الحسين عليه السلام.

وقد أشار إلى هذا الاستحباب كلّ من تعرّض إلى أصل القول باستحباب تسيحة

(١) أنظر: النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام: ج ١٠، ص ٣٩٩. اليزدي، كاظم، العروة الوثقى: ج ٢، ص ٦١٦. الحكيم، محسن، مستمسك العروة: ج ٦، ص ٥١٦. السبزواري، عبد الأعلى، مهذب الأحكام: ج ٧، ص ١١٤. العاملي، محمّد بن عليّ، مدارك الأحكام: ج ١٥، ص ٦٣٧.

(٢) الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق: ص ٢٨١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٨٢، ص ٣٣٣.

فاطمة الزهراء عليها السلام، حيث عقّبوا - بعد قولهم باستحبابها - بأنه يُستحب أن تكون هذه التسيّحات بسبحة مصنوعة من تراب قبر الإمام الحسين عليه السلام، بل صرّح في المسالك أنّ الاستحباب هنا استحباب مؤكّد<sup>(١)</sup>.

وقد دلّ على الاستحباب روايات عديدة، كما سيأتي ذكرها.

### الأمر الرابع: أدلّة الاستحباب

يدلّ على استحباب التسيّح بالتربة الحسينيّة عدّة روايات، نأتي عليها تباعاً:

١- ما رواه الطبرسي عن كتاب الحسن بن محبوب: أنّ أبا عبد الله عليه السلام سُئل عن استعمال الترتبتين من طين قبر حمزة والحسين عليهما السلام والتفاضل بينهما، فقال عليه السلام: «السُّبْحَةُ الَّتِي مِنْ طِينِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام تُسَبِّحُ بِيَدِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسَبِّحَ»<sup>(٢)</sup>.

٢- ما رواه الطبرسي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَنْ أَدَارَ سُبْحَةً مِنْ تُرْبَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَرَّةً وَاحِدَةً بِالِاسْتِغْفَارِ أَوْ غَيْرِهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَإِنَّ السُّجُودَ عَلَيْهَا يَخْرِقُ الْحُجُبَ السَّبْعَ»<sup>(٣)</sup>.

٣- ما رواه الطوسي في (المصباح) عن عبيد الله بن عليّ الحلبي، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «لَا يَخْلُو الْمُؤْمِنُ مِنْ حَمْسَةٍ: سِوَاكِ، وَمُشْطٍ، وَسَجَّادَةٍ، وَسُبْحَةٍ فِيهَا أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ حَبَّةً وَخَاتَمَ عَقِيقٍ»<sup>(٤)</sup>.

٤- ما رواه الطوسي في (المصباح) عن الصادق عليه السلام، أنّه قال: «إِنَّ مَنْ أَدَارَ الْحَجَرَ مِنْ

(١) أنظر: الحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى: ج ٥، ص ٥١١.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، مكارم الأخلاق: ص ٥٨١. الحرّ العاملي، محمّد، وسائل الشيعة: ج ٦، ص ٤٥٥-٤٥٦.

(٣) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٦، ص ٤٥٦.

(٤) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٦٧٨. الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٦، ص ٤٥٦.

تُرْبَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاسْتَعْفَرَ بِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَإِنْ مَسَكَ السُّبْحَةَ بِيَدِهِ  
وَلَمْ يُسَبِّحْ بِهَا فَفِي كُلِّ حَبَّةٍ مِنْهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ»<sup>(١)</sup>.

٥- ما رواه الطبرسي في (الاحتجاج) عن محمد بن جعفر الحميري، أنه كتب إلى  
صاحب الزمان عليه السلام يسأله: «هل يجوز أن يسبَّح الرجل بطين القبر؟ وهل فيه فضل؟  
فأجاب عليه السلام: يجوز أن يسبَّح به، فما من شيءٍ من السُّبْحِ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَمِنْ فَضْلِهِ أَنَّ الْمُسَبِّحَ  
يَنْسَى التَّسْبِيحَ وَيُدِيرُ السُّبْحَةَ فَيَكْتُبُ لَهُ التَّسْبِيحَ»، وفي نسخة أخرى: «يُجُوزُ ذَلِكَ وَفِيهِ  
الْفَضْلُ»<sup>(٢)</sup>.

٦- ما رواه الطبرسي عن محمد الثقفي، وقد تقدّم في أول البحث<sup>(٣)</sup>.

٧- ما روي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، أنه قال: «مَنْ سَبَّحَ بِسُبْحَةٍ مِنْ طِينِ  
قَبْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَسْبِيحَةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِمِائَةَ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَرْبَعِمِائَةَ سَيِّئَةٍ، وَقُضِيَتْ لَهُ  
أَرْبَعِمِائَةَ حَاجَةٍ، وَرُفِعَ لَهُ أَرْبَعِمِائَةَ دَرَجَةٍ»<sup>(٤)</sup>.

وفي هذه الروايات كفاية لإثبات الحكم بالاستحباب؛ ولذلك صرح الشهيد  
الثاني بكون التسبيح بتربة الحسين يُستحب استحباباً مؤكداً<sup>(٥)</sup>، وخصوصاً على القاعدة  
المعروفة بقاعدة: (التسامح في أدلة السنن).

## الأمر الخامس: فروع المسألة

يتفرّع على القول باستحباب التسبيح بتربة الإمام الحسين عليه السلام عدّة فروع مهمّة لا بدّ

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد: ص ٦٧٨.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٧٥.

(٣) أنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ص ٤٨٩.

(٤) النوري، حسين، مستدرک الوسائل: ج ٥، ص ٥٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٨٢،  
ص ٣٤١.

(٥) نقله عنه: الحكيم، محسن، العروة الوثقى: ج ٥، ص ٥١١.

من الإشارة إليها إجمالاً، وهي:

## ١- عدد التسيّحات وآداب التسيّحة

صرّح بعض الفقهاء<sup>(١)</sup> بأنّ أصحّ ما روي في عدد تسيّحات فاطمة الزهراء عليها السلام هي: أربعة وثلاثون تكبيرة بلفظ (الله أكبر)، وثلاثة وثلاثون تحميدة بلفظ (الحمد لله)، وثلاث وثلاثون تسيّحة بلفظ (سبحان الله). وهذا هو المشهور بين الفقهاء. وينبغي في التسيّح التمهّل، والتوسّل، والوقف عند كلّ ذكر منه، والمولاة، ولو طال الفصل بين التسيّحات بوقت طويل خرج عن هيئته، وفات بذلك ما استحبّ لأجله. ويدلّ عليه ما رواه الكليني بسنده إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: في تسيّح فاطمة الزهراء: «تبدأ بالتكبير أربعاً وثلاثين، ثمّ التحميد ثلاثاً وثلاثين، ثمّ التسيّح ثلاثاً وثلاثين»<sup>(٢)</sup>.

## ٢- عدد ما في السبحة من الخرز

صرّح الشهيد الأوّل بأنّ المستحبّ أنّها سبحة من تربة الحسين عليه السلام بثلاث وثلاثين حبة، والمذكور في بعض الروايات أربع وثلاثين حبة، والمعمول به والمتعارف في عصرنا من نظم المئة بخيط واحد، وقد يُشعر هذا بأنّه خلاف الموجود في الروايات. ولكنّ الأقوى - كما صرّح به الجواهري - أنّه لا بأس بالجميع، فيصحّ التسيّح بأيّ عدد من هذه الأعداد<sup>(٣)</sup>.

(١) أنظر: كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء: ج٣، ص٢٢٧. الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة: ج٢، ص٣١٢.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٣، ص٣٤٢.

(٣) أنظر: النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج١٠، ص٤٠٨. العاملی، محمد بن مكّي، الدروس الشرعية: ج٢، ص١٢. القمي، أبو القاسم، غنائم الأيام: ج٢، ص٦٢٧. العاملی، محمد جواد، مفتاح الكرامة: ج٧، ص٦١٤.



### ٣- التسييح بالطين المطبوخ (المشوي)

لا فرق عند جملة من الفقهاء في تحقّق الاستحباب والتسييح بين الطين المشوي (المطبوخ) وغير المشوي، فالاستحباب يتحقّق بمطلق التسييح، سواء كانت الحَبّات المنظومة قد طبّخت بالنار أم لم تُطبخ، كَلَّ ذلك لإطلاق الأخبار، وظهور بعضها في ذلك. فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَنْ أَدَارَ الْحَجَرَ مِنْ تُرْبَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَاسْتَغْفَرَ بِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً»<sup>(١)</sup>. ولا بدّ أن يُعلم بأنّ ذلك ليس استحالة حتى يخرج عن اسم الطين أو الحجر، مضافاً إلى استصحاب الجواز الثابت قبل الطبخ<sup>(٢)</sup>.

### ٤- استحباب اتّخاذ السبحة مطلقاً

لقد عمّم الفقهاء استحباب اتّخاذ السبحة لغير تسيحة الزهراء عليها السلام، فُستحب اتّخاذ سبحة من تربة الحسين عليه السلام لمطلق التسيحات، بل يُستحب اتّخاذ مسبحة لكلّ شخص وإن لم يسبّح بها، لما فيها من الثواب الجزيل، وذلك لما رواه الطوسي بسنده عن الإمام الكاظم عليه السلام، قال: «قَالَ: لَا يَسْتَغْنِي شَيْعَتُنَا عَنْ أَرْبَعِ حُمْرَةٍ يُصَلِّي عَلَيْهَا، وَخَاتَمٍ يَتَخْتَمُ بِهِ، وَسَوَاكِ يَسْتَاكُ بِهِ، وَسُبْحَةٍ مِنْ طِينِ قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فِيهَا ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ حَبَّةً، مَتَى قَلَبَهَا ذَاكِرًا لِلَّهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ حَبَّةٍ أَرْبَعُونَ حَسَنَةً، وَإِذَا قَلَبَهَا سَاهِيًا يَعْبَثُ بِهَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرُونَ حَسَنَةً»<sup>(٣)</sup>.

### ٥- الشكّ في التسيحات

إنّ الثواب والآثار المترتبة على تسيحة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام بتربة سيّد

(١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٦، ص ٤٥٦. وأنظر: الهندي، محمّد، كشف اللثام: ج ٣، ص ٢٢٨. النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ١٠، ص ٤٠٥-٤٠٦.  
(٢) أنظر: المصادر السابقة.

(٣) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٣٦. البهبهاني، محمد باقر، مصابيح الظلام: ج ٨، ص ٢٣٦.

الشهداء إنما تترتب إذا كانت بالكيفية السابقة وهي: التكبير (٣٤) مرّة، والتحميد (٣٣) مرّة، والتسبيح (٣٣) مرّة.

وأما لو شكّ في عدد التسبيحات زيادة أو نقيصة ففيه قولان:  
الأول: إنّه لو شكّ في شيء من التسبيح تلافي المشكوك فيه خاصّة، فإذا شكّ هل أنّه أتى بـ (٢٥) تسبيحة أو (٢٤) تسبيحة فإنّه يبني على (٢٤) ويأتي بواحدة.  
وأما إذا شكّ في الزيادة فإنّه يمضي على شكّه ولا يراعي شيئاً.  
الثاني: الحكم بالإعادة من جديد بحيث يستأنف التسبيح من بدايته، ولا يبني على ما أتى به بأيّ شكل<sup>(١)</sup>.

## ٦- مقدار الثواب المترتب على التسبيحات

يتعدّد الثواب على لسان الروايات بعدّة أنواع، نأتي على ذكر فهرساً لها:  
أ) إنّ حمل السبحة المباركة سبب لكونها تسبّح عن صاحبها ولو لم يسبّح، وفي رواية أخرى: إنّ الاستغفار يُضاعف سبع مرّات.  
ب) إنّ من أدار السبحة مرّة واحدة بالاستغفار أو غيره ضاعف الله له هذا التسبيح سبعين مرّة.  
ج) إنّ من سبّح بتربة الحسين عليه السلام كتب الله تعالى له أربعائة حسنة، ومحا عنه أربعائة سيئة، وقُضيت له أربعائة حاجة، ورُفِع له أربعائة درجة.

## المسألة الرابعة: الإفطار يوم العيد على التربة الحسينية

أجمعت الإمامية على حرمة أكل الطين؛ لما فيه من الإضرار بالبدن، وللإجماع،

(١) أنظر: كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء: ج٣، ص٢٢٧. العاملي، محمد جواد، مفتاح الكرامة: ج٧، ص٦١٥. البهبهاني، محمد باقر، مصابيح الظلام: ج٨، ص٢٣٥. النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام: ج١٠، ص٤٠٧-٤٠٨.

وللنصوص المستفيضة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام التي تنهى بأشدّ العبارات عن أكله<sup>(١)</sup>.  
منها: ما روي عن الواسطي عن أبي عبد الله عليه السلام: «الطين حرام كلّه كلحم الخنزير،  
ومن مات فيه لم أصلّ عليه، إلا طين القبر، فإنّ فيه شفاء من كلّ داء، ومن أكله بشهوة  
لم يكن له فيه شفاء»<sup>(٢)</sup>.

وقد استثنى فقهاء الإمامية من هذه الحرمة طين تربة الإمام الحسين عليه السلام؛ للاستشفاء  
بقدر حمصة، وهذا لا إشكال فيه عندهم؛ للأخبار الكثيرة الدالة عليه.  
ومن الأمور التي استثناهها بعض الفقهاء هو الإفطار يوم العيدين على شيء من  
التربة الحسينية، حيث ذكروا بأنّه يجوز للمكفّف الصائم قبل الذهاب إلى صلاة العيد أن  
يتناول شيئاً من التمر أو شيئاً حلواً كالسكر<sup>(٣)</sup>، وأضاف إليه الإفطار على التربة المباركة.  
وأيضاً يجوز الإفطار يوم العاشر من المحرم بعد صومه إلى وقت محدّد على تلك  
التربة المباركة.

وتحقيق المسألة يتوقّف على ذكر بعض الأمور:

### الأمر الأوّل: القول بالجواز وكلمات الفقهاء فيه

الظاهر أنّ أوّل من قال بالجواز هو الشيخ الطوسي في (المصباح)<sup>(٤)</sup>، وقوى المجلسي  
في (البحار)<sup>(٥)</sup> القول بالجواز تبعاً لبعض الروايات، ثمّ قال: بأنّ الاحتياط يقتضي الترك.

(١) أنظر: الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان: ج ١١، ص ٢٣٣. النراقي، أحمد بن محمد مهدي،  
مستند الشيعة: ج ١٥، ص ١٥٩ وما بعدها.

(٢) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٤، ص ٢٢٦.

(٣) أنظر: البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج ١٠، ص ٢٧٣-٢٧٥.

(٤) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجّد: ص ٧٧١.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٧، ص ١٦١. وأنظر: البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة:

ج ١٠، ص ٢٧٤-٢٧٥.

وحَدَّد السيد العاملي والأردبيلي<sup>(١)</sup> الجواز بقصد الاستشفاء، فَمَنْ تناول شيئاً من التربة المباركة يوم العيد أو يوم عاشوراء بقصد الاستشفاء، فإنَّ ذلك جائز له، وإلا فلا يجوز. ولم أجد - بحدود تتبَّعي - مَنْ قال بالجواز غير هذين العلمين، ومنع سائر الفقهاء من تناول التربة بأيِّ قصدٍ كان.

ودليلهم على المنع أمران:

الأول: إنَّ الروايات الواردة في القول بالجواز إمَّا ضعيفة السند، أو هي من الروايات الشاذَّة.

الثاني: إنَّ الإجماع من قِبَل الإمامية قائم على حرمة أكل الطين مطلقاً - وفي جميع الحالات - إلا ما خرج بالدليل، والدليل قد دلَّ على جواز تناولها للاستشفاء فقط دون غيره.

### الأمر الثاني: أدلة القائلين بالجواز ومناقشتها

يمكن حصر أدلة القائلين بالجواز بما يلي:

١- الرواية الدالة على جواز الأكل تبرُّكاً ظهر يوم عاشوراء، وهي ما ذكره الشيخ في (مصباح المتَّهجد) بقوله: «ويُستحب صيام هذا العشر، فإذا كان يوم عاشوراء أمسك عن الطعام والشراب إلى بعد العصر، ثمَّ يتناول شيئاً من التربة»<sup>(٢)</sup>.

ولم يذكر الشيخ المجلسي في كتاب (البحار) دليلاً سواها في هذا الحكم<sup>(٣)</sup>.

٢- ما رواه محمد بن يعقوب الكليني، عن الحسين بن محمد، عن الحرَّاني، عن عليِّ بن محمد النوفلي، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إنِّي أفطرت يوم الفطر على طين وتمر، فقال لي: «جمعت بركة وسُنَّة»<sup>(٤)</sup>.

(١) أنظر: المصادر في الهوامش السابقة.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتَّهجد: ص ٧٧١.

(٣) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٧، ص ١٦١.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ١٧٠. الحرَّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة:

ورواه الشيخ الصدوق بنفس اللفظ بسنده عن علي بن محمد النوفلي<sup>(١)</sup>.  
وكيفية الاستدلال هي ما انتصر به البحراني للمجلسي، حيث قال: إن روايات  
المنع من الأكل وإن كانت صحيحة السند ومطلقة، إلا أن أمثال هذه الروايات تكون  
مخصّصة للإطلاقات الناهية عن أكل مطلق الطين، خصوصاً وأن المجلسي حسب  
طريقته في الأخبار يُلغى أمثال هذه المصطلحات من الضعيف والحسن والصحيح  
والموثق، وله طريقته الخاصّة في قبول الروايات.

### مختار مشهور الفقهاء

خالف مشهور الفقهاء<sup>(٢)</sup> ما عليه الطوسي والمجلسي، وقالوا بالتحريم إلا مع قصد  
الاستشفاء، وناقشوا جميع أدلّة القائلين بالجواز، ونكتفي هنا بنقل ثلاثة نصوص تُبيّن  
ضعف دليل هؤلاء:

١- قال الفاضل الهندي رحمته الله - بعد ذكره رواية النوفلي -: «قلت: لعله [أي: النوفلي  
الذي سأله الإمام عليه السلام] استشفى بها عن علة كانت به. ثم قال: وفي السرائر: إنه روى  
الإفطار فيه على التربة المقدّسة، وأنّ هذه الرواية شاذة من أضعف أخبار الآحاد؛ لأنّ  
أكل الطين على اختلاف ضروبه حرام بالإجماع، إلا ما خرج بالدليل من أكل التربة  
الحسينيّة (على متضمّنهما أفضل السلام) للاستشفاء فحسب - القليل منها دون الكثير -  
للأمراض، وما عدا ذلك فهو باقٍ على أصل التحريم والإجماع»<sup>(٣)</sup>.

(١) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١١٣.

(٢) أنظر: العاملي، محمد بن مكّي، ذكرى الشيعة: ج ٤، ص ١٧٥ - ١٧٦. الكركي، علي، جامع  
المقاصد: ج ٢، ص ٤٤٧. العاملي، محمد، مدارك الأحكام: ج ٤، ص ١١٤. العاملي، زين الدين،  
روض الجنان: ج ٢، ص ٨٠١. الهندي، محمد، كشف اللثام: ج ٤، ص ٣٢٢. الحلّي، ابن إدريس،  
السرائر: ج ١، ص ٣١٨. النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٣٦، ص ٣٦٨، السبزواري،  
محمد باقر، كفاية الأحكام: ج ٢، ص ٦١٢ وغيرها.

(٣) الهندي، محمد، كشف اللثام: ج ٤، ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

وقال النجفي: «إنما يجوز أكل طين القبر للاستشفاء دون غيره، ولو للتبرك في عصر يوم عاشوراء ويومي عيدي الفطر والأضحى، كما هو صريح بعض وظاهر الباقيين، خلافاً للمحكي عن الشيخ في (المصباح)، فجوّزه لذلك في الأوقات الثلاثة - المشار إليها - لكن لم ننف له على حجّة، فضلاً عن أن تكون صالحة لمعارضة إطلاق النصّ والفتوى، مضافاً إلى قول الصادق عليه السلام في خبر حنان: من أكل طين قبر الحسين عليه السلام غير مستشفٍ به فكأنما أكل من لحومنا»<sup>(١)</sup>.

وقال الهمداني: «وأما الإفطار بتربة الحسين عليه السلام، فقد دلّ على استحبابها خبر النوفلي، والمرسل المروي في الرضوي، ولكن حيث دلّت الأدلة المعتبرة على حرمة أكلها إلا للاستشفاء لم يجز المسامحة فيها، فيشكل حينئذٍ إثبات جواز الإفطار بها بمثل هذه الروايات مع ما في سندها من الضعف، وكونها مرمية بالشذوذ في عبائر كثير منه، واحتمال كون الراوي الذي أجابه الإمام عليه السلام بقوله: جمعت بركة وسنة. مريضاً قاصداً بالإفطار بها البركة والاستشفاء، فالقول بالمنع عنه - كما لعله المشهور - مع أنه أحوط لا يخلو من قوّة»<sup>(٢)</sup>.

وخلاصة دليلهم ما يلي:

أ) قوّة أدلة القول بالتحريم لكثرتها وصحة سندها، وضعف أدلة القول بالحرمة، بل ورميها بالشذوذ، هذا من حيث السند.

ب) ومن حيث الدلالة، يمكن حمل الروايات المجوّزة على أن السائل مريض، ويقصد بتناول التربة الاستشفاء والإمام عليه السلام قد جوز له ذلك، وهذا لا ضير فيه كما سوف يأتي.

### المسألة الخامسة: وجوب الخمس في التربة الحسينية

الخمس حقٌّ ماليٌّ أوجبه الله تعالى في أموال المكلفين، وقد اتفقت كلمة الفقهاء على

(١) النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٣٦، ص ٣٦٨.

(٢) الهمداني، رضا، مصباح الفقيه (ط ق): ج ٢، ق ٢، ص ٤٧٣.

وجوبه - بشرط خاصة - في الجملة، والقدر المتفق على وجوبه هو غنائم دار الحرب. وختلفوا في وجوبه على أشياء أخرى، كالمعدن، والكنز، وما يخرج بالغوص، والفاضل عن مؤنة السنة من أرباح المكاسب، والميراث والهبة، فأوجه فقهاء الإمامية في أغلب هذه الأشياء، وخصّه باقي فقهاء المذاهب في أشياء محدودة، وهي: الفبيء، والسلب، والركاز على تفصيل في ذلك<sup>(١)</sup>.

وينقسم الخمس عند الإمامية على قسمين: حقّ الإمام، وحقّ السادة. واتفق الإمامية على وجوب الخمس في المعدن. وأمّا فقهاء المذاهب، فذهب الحنفية إلى وجوب الخمس فيه؛ لأنّه يُعدّ غنيمته، ويجب الخمس في الغنيمته. وأكثر فقهاء المذاهب الأخرى أوجبوا فيه الزكاة فقط<sup>(٢)</sup>.

### الاختلاف في تفسير المعدن

اختلف الفقهاء في تفسير المعدن أو الرّكاز الذي يجب فيه الخمس على أقوال: ففسّرها بعض: «بأنّها كلّ ما خرج من الأرض ممّا يُخلّق فيها من غيرها، ممّا له قيمة كالملح، والنفط، والقيز، والكبريت»<sup>(٣)</sup>. وفسّرها آخر: بأنّه كلّ ما استخرج من الأرض ممّا كان أصله منها، ثمّ اشتمل على خصوصية يعظم الانتفاع بها، كالجصّ، وطين الغسل، وحجارة الرحي<sup>(٤)</sup>.

(١) أنظر: النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ١٦، ص ٢ وما بعدها. جماعة من العلماء، الموسوعة الفقهية الكويتية: ج ٢٠، ص ١٠ وما بعدها، ج ٢٣، ص ٢٢٦ وما بعدها.

(٢) أنظر: النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ١٦، ص ٢٢ وما بعدها. جماعة من العلماء، الموسوعة الفقهية الكويتية: ج ٢٠، ص ١٢.

(٣) العلامة الحليّ، الحسن بن يوسف، تحرير الأحكام: ج ١، ص ٤٣٤. البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج ١٢، ص ٣٢٧.

(٤) أنظر: العاملي (الشهيد الثاني)، زين الدين، الروضة البهية: ج ٢، ص ٦٦. الأنصاري، مرتضى، كتاب الخمس: ص ٣٦.

وفسرها ثالث: بأن أصل المعدن المكان بقيد الاستقرار فيه، ثم اشتهر في نفس الأجزاء المستقرّة التي ركبها الله تعالى في الأرض، حتى صار الانتقال من اللفظ إليه ابتداءً بلا قرينة<sup>(١)</sup>.

وفسرها رابع: بأنه كلّ ما تولّد في الأرض من غير جنسها ليس نباتاً<sup>(٢)</sup>.  
وعلى بعض هذه التفاسير يأتي القول بوجود الخمس على التربة المباركة.

### القول بوجود الخمس في التربة الحسينية

لعلّ أوّل من أشار إلى هذه المسألة هو الشيخ الكبير جعفر كاشف الغطاء في (كشف الغطاء)، بقوله - وهو بصدد ذكر بعض مصاديق المعدن -: «وفيما يحتاج إلى العمل من التراب - كالتربة الحسينية، والظروف وآلات البناء - لوجوب الخمس فيه وجه»<sup>(٣)</sup>.

فالشيخ عليه السلام استوجه القول بوجود الخمس في أوّل كلامه، وهو أنّ التربة الحسينية بالكيفية المطبوخة تحتاج إلى عمل وجه، وهذا يوجب جعل الخمس عليها، فالظاهر أنّه غير مراد له عليه السلام.

ولعلّ وجه القول بوجود الخمس هو: أنّ التربة الحسينية المباركة تدرج في المعدن، وتكون أحد مصاديقه، فيجب - لذلك - الخمس فيها.

وهذا إنّما يتمّ بناءً على إحدى التفسيرات المتقدمة للمعدن، وهو تفسيره: «بكلّ شيء اشتمل على خصوصية يعظم الانتفاع بها».

### مناقشة وجه القول بالوجوب

ويُنَاقَشُ هذا الوجه بأمريّن:

- (١) أنظر: ابن عابدين، حاشية ردّ المحتار: ج ٢، ص ٣٤٧. ملا خسرو، محمد، درر الأحكام: ج ١، ص ١٨٤.
- (٢) البهوتي، منصور بن يونس، كشف القناع: ج ١، ص ٢٢٢.
- (٣) كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء: ج ٤، ص ٢٠١.



الأول: إنّه لو عمّمنا تفسير المعدن لكان كُـلُّ ما على الأرض معدناً وهو واضح  
البطلان.

الثاني: إنّ تفسير المعدن بـ(كُلُّ ما اشتمل على خصوصية يعظم الانتفاع بها) لم يثبت  
من العُرف واللغة، وإنّما المعيار والميزان في المعدن هو ما صدق عليه المعدن عرفاً، وفي  
كُلِّ مورد نشكّ في صدق المعدن على الشيء عرفاً لا يجب فيه الخمس<sup>(١)</sup>.  
ولأجل هذين الوجهين خالف كُـلُّ مَنْ جاء بعد الشيخ كاشف الغطاء وتعرّض  
لهذه المسألة، كالشيخ النجفي وغيره<sup>(٢)</sup>.

الخلاصة: عدم نهوض دليل القول بوجوب الخمس على التربة الحسينيّة، وعدم  
إمكان الاعتماد عليه، فالقول بعدم الوجوب هو الأقوى، كما هو واضح.

(١) أنظر: النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ١٦، ص ٢٢. الأنصاري، مرتضى، كتاب الخمس:

ص ٣٠. الأملي، محمّد تقّي، مصباح الهدى: ج ١١، ص ٢٦.

(٢) أنظر: المصادر السابقة.



# توثيق الشعر المنسوب إلى الإمام الحسين القسم الأول

د. عادل لعيبي<sup>(١)</sup>

## المقدمة

موضوع الدراسة التي بين أيدينا توثيق الشعر المنسوب إلى الإمام الحسين بن علي عليه السلام. وقد قمنا بالتحقق من نسبة شعره وفق ثلاثة معايير، هي:

١- معيار الزمن: فيؤخذ بالأسبق زمنًا، فيُنسب الشعر إلى قائله بحسب أقدمية المصدر ووروده فيه، إذا لم توجد قرائن تدلّ على خلاف ذلك؛ إذ الغموض ينشأ من ابتعادنا عن عصر النص وصدوره، وبناءً على هذا الضابط، يُقدّم كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في نسبة الشعر مثلاً على كتاب العمدة لابن رشيقي (ت ٤٦٣هـ).

٢- معيار التواتر: فهو يستلزم صدور الشعر ممّن نُسب إليه.

٣- معيار العصمة: وما يناسب مقام الإمامة، فكلّ ما ينافي العصمة ومقام الإمامة، بحيث يستحيل عقلاً نسبته إلى المعصوم عليه السلام، فلا يندرج في نظمه وشعره.

وبناءً على المعايير المذكورة، تبين أنّ هناك ثلاثة أنحاء:

---

(١) دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، متخصص في الأدب الإسلامي، الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الأشرف.

١- الشعر المنسوب إليه عليه السلام وإلى غيره، والصواب أنه له عليه السلام.

٢- الشعر المنسوب إليه عليه السلام، ولم يشاركه في نسبته إليه أحد.

٣- الشعر المنسوب إليه عليه السلام وإلى غيره والصواب أنه لغيره.

وقد قسمنا هذه الدراسة إلى قسمين أدرجنا النحو الأول والثاني من الشعر المنسوب إليه عليه السلام في القسم الأول منها، فيما كان القسم الثاني منصباً على النحو الثالث، والتي سيأتي في العدد القادم التعرّض لها، إن شاء الله تعالى.

وقد جعلنا لكل قصيدة من قصائده أو مقطعة أو نتفة أو يتيم<sup>(١)</sup> رقماً مستقلاً، ولكل بيتٍ رقماً يُشير إلى مرتبته في القصيدة أو المقطع.

هذا هو موضوع البحث، فإن حاله في التوفيق، فبعون الله وتوفيقه، وإلا حسبي أنني حاولت مُعطيّاً أقصى طاقاتي.

والأبيات الشعرية مرتبة أبثياً حسب حروف قافيتها:

### قافية الهمزة

[١] (٢)

- الطويل -

١. إِذَا اسْتَنْصَرَ الْمَرْءُ امْرَأً لَا يَدًا لَهُ فَنَاصِرُهُ وَالْخَاذِلُونَ سَوَاءٌ
٢. أَنَا ابْنُ الَّذِي قَدْ تَعَلَّمُونَ مَكَانَهُ وَلَيْسَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ طَخَاءٌ
٣. أَلَيْسَ رَسُولُ اللَّهِ جَدِّي وَوَالِدِي أَنَا الْبَدْرُ إِنْ خَلَا النُّجُومُ خَفَاءٌ

(١) مقطعات الكلام ومقطعات الشعر: أجزاءه المتخيرة. المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٧٤٦. وقيل: مقطعات الشعر: قصاره. الفارابي، إسحاق بن إبراهيم بن الحسين، معجم ديوان الأدب: ج ٢، ص ٣٦٥. واليتيم: هو البيت الواحد. والنتفة: هما البيتان أو الثلاثة. المشاط، حسن بن محمد، إنارة الدجى في مغازي خير الورى: ص ٩٢.

(٢) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٥٥.

٤. أَلَمْ يَنْزِلِ الْقُرْآنُ وَسَطَ بُيُوتِنَا  
 ٥. يُنَازِعُنِي وَاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ  
 ٦. فَيَا نُصَحَاءَ اللَّهِ أَنْتُمْ وُلائُهُ  
 ٧. بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ
- صَبَاحًا وَمِنْ بَعْدِ الصُّبْحِ مَسَاءً  
 يَزِيدُ وَلَيْسَ الْأَمْرُ حَيْثُ يَشَاءُ  
 وَأَنْتُمْ عَلَى أَدْيَانِهِ أُمْنَاءُ  
 تَنَاوَلَهَا عَنِ أَهْلِهَا الْبُعْدَاءُ

## التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: الإربلي (ت ٦٩٣ هـ)<sup>(١)</sup>، وابن الصباغ (ت ٨٥٥ هـ)<sup>(٢)</sup>، ولم يُشارَكه عليه السلام فيها أحد، واختلفت المصادر في روايتها<sup>(٣)</sup>.

## قافية الألف

[٢] (٤)

- الكامل -

١. نَادَيْتُ سُكَّانَ الْقُبُورِ فَأُسْكِنُوا  
 ٢. قَالَتْ أَتَدْرِي مَا فَعَلْتُ بِسَاكِنِي  
 ٣. وَحَشَوْتُ أَعْيُنَهُمْ تُرَابًا بَعْدَمَا  
 ٤. أَمَّا الْعِظَامُ فَإِنِّي مَزَقْتُهَا  
 ٥. قَطَّعْتُ ذَا مِنْ ذَا وَمِنْ هَذَا كَذَا
- وَأَجَابَنِي عَنْ صَمْتِهِمْ تُرْبُ الْحَصَا  
 مَزَقْتُ لَحْمَهُمْ وَخَرَقْتُ الْكِسَا  
 كَانَتْ تَأْذَى بِالْيَسِيرِ مِنَ الْقَذَا  
 حَتَّى تَبَايَنْتِ الْمَفَاصِلُ وَالشُّوَا  
 فَتَرَكَتُهَا رَمَائًا يَطُولُ بِهَا الْبَلَا

(١) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٢٤٥.

(٢) ابن الصباغ، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٧٧٥.

(٣) اختلاف الروايات:

البيت الثاني: الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ... قد يعلمون..... طحاء.

(٤) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٥٨.

## التخريج والتوثيق

نسب ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)<sup>(١)</sup> الأبيات: الأول والثاني، وصدر الثالث، وعجز الرابع والخامس إلى الإمام الحسين عليه السلام، وكذا ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)<sup>(٢)</sup>، وابن الدمشقي (ت ٨٧١هـ)<sup>(٣)</sup>، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد، واختلفت المصادر في روايتها<sup>(٤)</sup>.

### قافية الباء

[٣] (٥)

- الوافر -

١. لَعَمْرُكَ إِنِّي لِأَحِبُّ دَارًا      تَحُلُّ بِهَا سَكِينَةٌ وَالرِّبَابُ
٢. أُحِبُّهَا وَأَبْدُلُ جُلًّا مَالِي      وَلَيْسَ لِعَاتِبٍ عِنْدِي عِتَابُ
٣. وَلَسْتُ لَهُمْ وَإِنْ عَتَبُوا مُطِيعًا      حَيَاتِي أَوْ يَعلِنِي التُّرَابُ

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٦٣.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٢٦.

(٣) الدمشقي، محمد بن أحمد، جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ج ٢، ص ٣١٦.

(٤) اختلاف الروايات:

البيت الأول: ترجمة الإمام الحسين عليه السلام:... فأجابني... ندب الحشا.

البيت الثاني: المصدر السابق:... ما صنعتُ بساكني...

البيت الثالث: المصدر السابق: جاء العجز: كانت تباينه المفاصل والشوا.

البيت الرابع: المصدر السابق:... فإنني فرقته...

البيت الخامس: البداية والنهاية:

قَطَعْتُ ذَا مِنْ ذَا مِنْ هَذَا كَذَا فَتَرَكَتُهَا مِمَّا يَطْوُلُ...

ولعل «رما» أو وقع للمعنى والوزن من «رما»، ومع هذا فهو صحيح إلا أن التفعيلة في الثانية تكون: مستفعلن.

(٥) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٦٠.

## التخريج والتوثيق

نسب هذه الأبيات إلى الإمام الحسين عليه السلام - وبالتفصيل التالي - كل من: أبي مخنف الأزدي (ت ١٥٧ هـ) <sup>(١)</sup> البيت الأول والثاني، ومحمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥ هـ) <sup>(٢)</sup> البيت الأول فقط، وابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) <sup>(٣)</sup> البيت الأول، والبلاذري (ت ٢٧٩ هـ) <sup>(٤)</sup> البيت الأول والثاني، وإبراهيم بن محمد الثقفي (ت ٢٨٣ هـ) <sup>(٥)</sup> البيت الأول والثاني، وأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) <sup>(٦)</sup> البيت الأول والثاني، والقاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣ هـ) <sup>(٧)</sup>، والحصري القيرواني (ت ٤٥٣ هـ) <sup>(٨)</sup> البيت الأول والثاني، والموفق الخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ) <sup>(٩)</sup>، وابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) <sup>(١٠)</sup>، وابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) <sup>(١١)</sup> البيت الأول والثاني، وسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ) <sup>(١٢)</sup>، وعلى بن محمد العلوي (ت ٧٠٩ هـ) <sup>(١٣)</sup> البيت الأول، والصفدي (ت ٧٦٤ هـ) <sup>(١٤)</sup> البيت الأول

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٧٢.

(٢) البغدادي، محمد بن حبيب، المحبر: ص ٣٩٧.

(٣) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، المعارف: ص ٢١٣.

(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ص ١٩٦.

(٥) الكوفي، إبراهيم بن محمد، الغارات: ج ٢، ص ٨١٦.

(٦) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٥٩.

(٧) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج ٣، ص ١٧٧.

(٨) القيرواني، إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب: ص ١٢٤.

(٩) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٢٤٧.

(١٠) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٩، ص ١٢٠.

(١١) ابن الجوزي، عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٦، ص ٩.

(١٢) سبط ابن الجوزي، يوسف شمس الدين، تذكرة خواص الأمة: ص ٢٣٨.

(١٣) العلوي، علي بن محمد، المجدي في أنساب الطالبين: ص ٩٢.

(١٤) الصفدي، خليل بن أبيك، الوافي بالوفيات: ج ١٤، ص ٥٣.

والثاني، وابن الدمشقي (ت ٨٧١هـ) (١).

ونسبها ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) (٢) إلى الزبير بن بكار بلفظ الإنشاد، وهي ليست له؛  
لقريظة الإنشاد وقريظة ما ذكره ابن الدمشقي؛ إذ قال ما نصّه: «ومأ أنشده الزبير بن بكار  
للحسين عليه السلام...» (٣).

فالآيات للإمام الحسين للسبق الزمني والتواتر، واختلفت المصادر في روايتها (٤).

[٤] (٥)

### - الطويل -

١. أَدَهْنُ رَأْسِي أَمْ تَطِيبُ مَجَالِسِي وَرَأْسُكَ مَعْفُورٌ وَأَنْتَ سَلِيبٌ
٢. أَأَشْرَبُ مَاءَ الْمَزْنِ مِنْ غَيْرِ مَائِهِ وَقَدْ ضَمِنَ الْأَحْشَاءَ مِنْكَ هَيْبُ
٣. أَوْ أَسْتَمْتَعُ الدُّنْيَا لِشَيْءٍ أَحَبُّهُ أَلَا كُلُّ مَا أَدْنَى إِلَيْكَ حَبِيبُ

- (١) الدمشقي، محمد بن أحمد، جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ج ٢، ص ٣١٦-٣١٧.
- (٢) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٢٨.
- (٣) الدمشقي، محمد بن أحمد، جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ج ٢، ص ٣١٦-٣١٧.

(٤) اختلاف الروايات:

البيت الأول: مقتل الإمام الحسين عليه السلام: تقيم بها...

مقاتل الطالبيين: تكون بها...

البيت الثاني: تذكرة خواص الأمة: ... وأبذل فوق جهدي وليس لعاذل...

البداية والنهاية، والعمدة، زهر الآداب وثمر الألباب، مقتل الإمام الحسين عليه السلام، جواهر المطالب

في مناقب علي بن أبي طالب: وليس للائمي فيها...

البيت الثالث: تذكرة خواص الأمة: ... وليس... أو يعيبي...

مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ... وإن رغبوا... أو يعيبي التراب.

جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ... أو يعيبي التراب.

البداية والنهاية: ... وإن عابوا معي... أو يعيبي...

(٥) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٦٢.



- ٤ . فَلَا زِلْتُ أَبْكِي مَا تَغَنَّتْ حَمَامَةٌ  
عَلَيْكَ وَمَا هَبَّتْ صَبَاً وَجَنُوبُ
- ٥ . وَمَا هَمَّكَتْ عَيْنِي مِنَ الدَّمْعِ قَطْرَةً  
وَمَا اخْضَرَّتْ فِي دَوْحِ الْحِجَازِ قَضِيبُ
- ٦ . بُكَائِي طَوِيلٌ وَالِدُمُوعُ غَزِيرَةٌ  
وَأَنْتَ بَعِيدٌ وَالْمَزَارُ قَرِيبُ
- ٧ . غَرِيبٌ وَأَطْرَافُ الْبَيْوتِ تَحُوْطُهُ  
أَلَا كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ غَرِيبُ
- ٨ . وَلَا يَفْرَحُ الْبَاقِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى  
وَكُلُّ فَتَى لِلْمَوْتِ فِيهِ نَصِيبُ
- ٩ . فَلَيْسَ حَرِيباً مَنْ أُصِيبَ بِإِلَيْهِ  
وَلَكِنَّ مَنْ وَاوَى أَخَاهُ حَرِيبُ
- ١٠ . نَسِيبُكَ مَنْ أَمْسَى يُنَاجِيكَ طَرْفُهُ  
وَلَيْسَ لِمَنْ تَحْتَ التُّرَابِ نَسِيبُ

### التخريج والتوثيق

نسب هذه الأبيات إلى الإمام الحسين عليه السلام - وبالتفصيل التالي - كل من: المسعودي (ت ٣٤٦هـ) <sup>(١)</sup> الأبيات: السابع، والخامس، والثاني، والأول، والموفق الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ) <sup>(٢)</sup> كاملة عدا الثاني، والعاشر، وابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) <sup>(٣)</sup> عدا الثاني. ونسبها إلى محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام المعروف بابن الحنفية بلفظ الإنشاد كل من: سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ) <sup>(٤)</sup> الأبيات: السابع والخامس والأول، والزرندي الحنفي (ت ٧٥٠هـ) <sup>(٥)</sup> والزرندي الشافعي (ت ٧٥٠هـ) <sup>(٦)</sup> الأبيات: الأول، وصدر الرابع، وعجز السابع، والخامس، ولا يمكن الأخذ بهذه النسبة لقريبتين: التأخر الزمني، والنقل بلفظ الإنشاد.

(١) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٢، ص ٣٤٧.

(٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج ١، ص ١٤٢.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٠٥.

(٤) سبط ابن الجوزي، يوسف شمس الدين، تذكرة خواص الأمة: ص ٢١٤.

(٥) الزرندي الحنفي، محمد بن يوسف، نظم درر السمطين: ص ١٧١، البيت ٢-١.

(٦) الزرندي الشافعي، محمد بن يوسف، معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول عليهم السلام: ص ٨٢.

ونسب ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)<sup>(١)</sup>، وأبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ)<sup>(٢)</sup> البيتين: العاشر والأول إلى ابن دريد بلفظ الإنشاد، ولا يمكن الأخذ بهذه النسبة؛ لقرينة النقل بلفظ الإنشاد.

فالأبيات للإمام الحسين عليه السلام، واختلفت المصادر في روايتها<sup>(٣)</sup>.

[٥]<sup>(٤)</sup>

- مجزوء الكامل -

- |     |                                  |                                   |
|-----|----------------------------------|-----------------------------------|
| ١ . | ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ    | وَبَقِيَتْ فَيَمَنْ لَا أَحِبُّهُ |
| ٢ . | فَيَمَنْ أَرَاهُ يَسُبُّنِي      | ظَهَرَ الْمَغِيبِ وَلَا أُشْبَهُ  |
| ٣ . | يَبْغِي فَسَادِي مَا اسْتَطَاعَ  | وَأَمْرُهُ مِمَّا أَدْبُّهُ       |
| ٤ . | حَقًّا يَدْبُّ إِلَى الضَّرَاءِ  | وَذَاكَ مِمَّا لَا أَدْبُّهُ      |
| ٥ . | وَيَرَى ذُبَابَ الشَّرِّ مِنْ    | حَوْلِي يَطْنُ وَلَا يَدْبُّهُ    |
| ٦ . | وَإِذَا جَنَا وَغَرَّ الصُّدُورِ | فَلَا يَزَالُ بِهِ يُشْبَهُ       |
| ٧ . | أَفْلا يَعِيْجُ بِعَقْلِهِ       | أَفْلا يَثُوبُ إِلَيْهِ لُبُّهُ   |

(١) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار: ج ٣، ص ١٨٩.

(٢) أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي: ص ١٥١٢.

(٣) اختلاف الروايات:

البيت الأول: تذكرة خواص الأمة، ومروج الذهب: أدهن... محاسني وخذك...

مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي: أم أطيب محاسني... وأنت تريب.

البيت الثالث: المصدر السابق: وأستمع... بشيء... بل كل ما...

البيت الخامس: تذكرة خواص الأمة، ومروج الذهب: سأبكيك ما ناحت حمامة أيقة...

مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي: ... عين من الماء قطرة...

البيت السابع: تذكرة خواص الأمة، ومروج الذهب: غريب وأكتاف الحجاز تحوطه...

البيت الثامن: مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي: فَلَا يَفْرَحُ الْبَاقِي بَعْدَهُ... فَكَلَّ...

البيت التاسع: المصدر السابق: وليس حريباً...

(٤) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٦٤.

٨. أَفَلَا يَرَى أَنْ فَعَلَهُ      مِمَّا يَسُورُ إِلَيْهِ غُبُهُ  
٩. حَسْبِي بِرَبِّي كَافِيًا      مَا أَخْتَشِي وَالْبَغْيُ حَسْبُهُ  
١٠. وَلَقَلَّ مَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ      فَمَا كَفَاهُ اللَّهُ رَبُّهُ

## التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام كل من: الإربلي (ت ٦٩٣هـ)<sup>(١)</sup>، وابن الصباغ (ت ٨٥٥هـ)<sup>(٢)</sup> الأبيات: الثامن، والثاني، والأول. ونسب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)<sup>(٣)</sup>، وابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)<sup>(٤)</sup>، البيت الأول إلى عتبة الأعمور<sup>(٥)</sup>، ويبدو أنّ الإمام الحسين عليه السلام ضمّن البيت الأول لعتبة الأعمور في أبياته عليه السلام؛ يؤيده شهادة الجاحظ، وابن عبد البر، المتقدّمة زمنًا على شهادة الإربلي، وابن الصباغ، واختلفت المصادر في روايتها<sup>(٦)</sup>.

[٦] (٧)

### - الطويل -

١. إِذَا الْمَرْءُ لَا يَجْمِي بِنَيْهِ وَعَرَضَهُ      وَعَعْرَتَهُ كَانَ اللَّئِيمَ الْمَسِيًّا

(١) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٢٤٤.

(٢) ابن الصباغ، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٧٧٤.

(٣) الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان: ص ٩٤٨.

(٤) القرطبي، ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس: ص ١٠٧٥.

(٥) لم أعثر على ترجمة له.

(٦) اختلاف الروايات:

البيت الثامن: الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ... مما يسير...

البيت التاسع: المصدر السابق: ... مما أختشي...

البيت العاشر: المصدر السابق: وَلَقَلَّ مَنْ يَبْنَى عَلَيْهِ.. إلّا كفاه..

(٧) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٦١.

٢. وَمِنْ دُونِ مَا يَبغَى يَزِيدُ بِنَا غَدًا      نخوضُ بحارَ الموتِ شرقاً ومغرباً
٣. وَنَضْرِبُ ضَرْباً كَالْحَرِيقِ مَقْدَمًا      إِذَا مَا رَأَهُ ضَيْغَمٌ فَرَّ مَهْرَبًا

## التخريج والتوثيق

نسبها أبو مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ)<sup>(١)</sup> إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيها أحد.

[٧]<sup>(٢)</sup>

- الرجز -

١. أَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي
٢. طَالِبِ الْبَدْرِ بِأَرْضِ الْعَرَبِ
٣. أَلَمْ تَرَوْا وَتَعَلَّمُوا أَنَّ أَبِي
٤. قَاتِلُ عَمْرٍو وَمُبِيرُ مَرْحَبِ
٥. وَلَمْ يَزَلْ قَبْلَ كُشُوفِ الْكَرْبِ
٦. مُجَلِّيًا ذَلِكَ عَنِ وَجْهِ النَّبِيِّ
٧. أَلَيْسَ مِنْ أَعْجَبِ عَجَبِ الْعَجَبِ
٨. أَنْ يَطْلُبَ الْأَبْعَدُ مِيرَاثَ النَّبِيِّ
٩. وَاللَّهِ قَدْ أَوْصَى بِحِفْظِ الْأَقْرَبِ

## التخريج والتوثيق

نسبها الإربلي (ت ٦٩٣هـ)<sup>(٣)</sup> إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيها أحد.

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٦.

(٢) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٦١.

(٣) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٢٤٦.

## قافية التاء

[٨] (١)

- مجزوء البسيط -

١. إن لم أمت أسفاً عليك فقد أصبحت مُشتاقاً إلى الموتِ

## التخريج والتوثيق

نسبه ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) (٢) إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيه أحد.

[٩] (٣)

- الطويل -

١. إذا جادت الدنيا عليك فجد بها  
على الناس طراً قبل أن تتقلتِ  
٢. فلا الجودُ يفيها إذا هي أقبلت  
ولا البخلُ يُقيها إذا ما تولتِ

## التخريج والتوثيق

نسبها ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) (٤) إلى الإمام الحسين عليه السلام، ونسبها محمد بن

طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ) (٥) إلى أمير المؤمنين عليه السلام؛ ولتأخره لم نَعول على نسبه.

وذكرهما الخزرجي (ت ٨١٢هـ) (٦) من دون نسبة، فهما للإمام الحسين عليه السلام؛ اعتماداً

على معيار السبق الزمني، واختلفت المصادر في روايتها (٧).

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٦٦.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٠٥.

(٣) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٦٦.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٢٢.

(٥) الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ص ٢١٩.

(٦) الخزرجي، علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية: ص ١٠٣٨.

(٧) اختلاف الروايات:

البيت الأول: مطالب السؤول في مناقب آل الرسول... على الخلق طراً أئمتها تتقلب.

البيت الثاني: المصدر السابق... إذا هي تذهب...

## قافية الحاء

[١٠] (١)

- الوافر -

١. فَنِعَمَ الْحَرُّ حَرُّ بِنِي رِيَّاحِ صبور عند مُشْتَبِكِ الرِّمَّاحِ
٢. وَنِعَمَ الْحَرُّ فِي وَهَجِ الْمَنَائِيَا إِذَا الْأَبْطَالُ تَخَطُّو بِالرِّمَّاحِ
٣. وَنِعَمَ الْحَرُّ إِذْ وَاسَى حُسَيْنَا وَجَادَ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الصَّبَّاحِ
٤. لَعَمْرُكَ إِنْ تَكُنْ ذَقْتَ الْمَنَائِيَا لَقَدْ أَسْقَيْتَهُمْ كَأْسَ الذَّبَّاحِ
٥. تَرَكْتَ الطَّيْرَ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ بِهَا رُخْمٌ مُضْرَجَةُ الْجَنَاحِ
٦. لَقَدْ فَازُوا الْأَوْلَى نَصْرُوا حُسَيْنَا وَفَازُوا بِالْهُدَايَةِ وَالصَّلَاحِ
٧. فَيَا رَبِّي أَضْفَهُ فِي جِنَانٍ وَزَوْجَهُ مَعَ الْحَوْرِ الْمَلَّاحِ

## التخريج والتوثيق

نسب هذه الأبيات إلى الإمام الحسين عليه السلام - وبالتفصيل التالي - كل من: أبي مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ) (٢) الأبيات: السادس، والثالث، والثاني، والأول، والقاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣هـ) (٣) الأبيات: السابع، والثالث، والأول، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) (٤)، وأبي إسحاق الأسفرايني (ت ٤١٨هـ) (٥) الأبيات: السادس، والثالث، والثاني، والأول، والنيسابوري (ت ٥٠٨هـ) (٦) البيتين: الأول، والثاني، ومسلم

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٧١.

(٢) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص ٧٨، و ص ٢٢٣.

(٣) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج ٣، ص ١٥١ الهامش.

(٤) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢٢٣.

(٥) الأسفرايني، إبراهيم بن محمد، نور العين في مشهد الحسين عليه السلام: ص ٤٥.

(٦) الفتال النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين: ج ١، ص ١٦٨.

اللحجي<sup>(١)</sup> الأبيات: الخامس، والرابع، والثالث، والأول.

ونسب الموفق الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ)<sup>(٢)</sup> البيتين: الثالث، والأول إلى أحد أصحاب الحسين عليه السلام؛ ولتأخره لم نُعَوَّل على نسبه، فهي للإمام الحسين عليه السلام؛ اعتماداً على معيار السبق الزمني، وتواتر الشهادات، واختلفت المصادر في روايتها<sup>(٣)</sup>.

## قافية الدال

[١١] (٤)

- الطويل -

١. تَعْدِيْتُمْ يَا شَرَّ قَوْمٍ بَبِغِيكُمْ وَخَالَفْتُمْوَا فِينَا النَّبِيَّ مُحَمَّدَا
٢. أَمَا كَانَ خَيْرُ الْخَلْقِ أَوْصَاكُمْ بِنَا أَمَا كَانَ جَدِّي خَيْرَ اللَّهِ أَحْمَدَا
٣. أَمَا كَانَتْ الزَّهْرَاءُ أُمِّي وَوَالِدِي عَلِيٌّ أَخَا خَيْرِ الْأَنَامِ الْمُسَدَّدَا
٤. لُعْنَتُمْ وَأَخْرَيْتُمْ بِمَا قَدْ جَنَيْتُمْ فَسَوْفَ تُلَاقُوا حَرَّ نَارٍ تَوْقَدَا

## التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ)<sup>(٥)</sup>، وابن شهر

(١) اللحجي، مسلم بن محمد، تاريخ مسلم اللحجي (مخطوط): ج ٤، ص ٤٧.

(٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ١١.

(٣) اختلاف الروايات:

البيت الأول: الأُمالي للشيخ الصدوق: لنعم الحر... ونعم الحر مختلف الرماح.

تاريخ مسلم اللحجي (مخطوط): لنعم الحر.... ونعم الحر عن لقي الرماح.

البيت الثالث: الأُمالي للشيخ الصدوق، تاريخ مسلم اللحجي (مخطوط): إذا نادى... الصباح.

(٤) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٧٥.

(٥) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٦١.

آشوب (ت ٥٨٨ هـ)<sup>(١)</sup>، ولم يُشاركه فيها أحد، واختلفت المصادر في روايتها<sup>(٢)</sup>.

[١٢]<sup>(٣)</sup>

- الرجز -

١. يَا رَبِّي لَا تَتْرِكْنِي وَحِيدًا
٢. قَدْ أَظْهَرُوا الْمُسُوقَ وَالْجُحُودَا
٣. قَدْ صَيَّرُونَا بَيْنَهُمْ عَيْدَا
٤. يُرْضُونَ فِي فِعَالِهِمْ يَزِيدَا
٥. أَمَّا أَحْيِي فَقَدْ مَضَى شَهِيدَا
٦. مُجَدَّلًا فِي فَدْفَدٍ فَرِيدَا
٧. فِي وَسْطِ قَاعٍ مُفْرَدًا بَعِيدَا
٨. وَأَنْتَ بِالْمَرْصَادِ لَنْ تَحِيدَا

## التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي (ت ١٥٧ هـ)<sup>(٤)</sup>، ونسب أبو إسحاق

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٥٦.

(٢) اختلاف الروايات:

البيت الأول: مناقب آل أبي طالب: ... يا شرَّ قومٍ بفعالكم وخالفتم قول النبي محمّد.

البيت الثاني: المصدر السابق: ... وصّاكم بنا أما نحن من نسل...

البيت الثالث: المصدر السابق: ... دونكم أما كان من خير البرية أحمد

البيت الرابع: المصدر السابق: ... فسوف تلاقوا حرّ نار توقد.

(٣) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٧٦.

(٤) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٨٣.



الأسفرايني (ت ٤١٨ هـ)<sup>(١)</sup> إليه عليه السلام الأبيات: السادس، والخامس، والرابع، والثالث، والثاني، والأول، ولم يُشاركه فيها أحد، واختلفت المصادر في روايتها<sup>(٢)</sup>.

## قافية الرء

[١٣] (٣)

- الطويل -

١. وَمَا هُمْ بِقَوْمٍ يَغْلِبُونَ ابْنَ غَالِبٍ      وَلَكِنْ بَعِلِمِ الْغَيْبِ قَدْ قُدِّرَ الْأَمْرُ

## التخريج والتوثيق

نسبه جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٦٧ هـ)<sup>(٤)</sup> إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيه أحد.

[١٤] (٥)

- الطويل -

١. أَنَا ابْنُ عَلِيٍّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      كَفَانِي بِهَذَا مَفْخَرًا حِينَ أَفْخَرُ

(١) الأسفرايني، إبراهيم بن محمد، نور العين في مشهد الحسين: ص ٣٥.

(٢) اختلاف الروايات:

البيت الثاني: نور العين في مشهد الحسين عليه السلام: بين أناس أظهروا الجحودا.

البيت الثالث: المصدر السابق: وصيرونا...

البيت الرابع: المصدر السابق: في أفعالهم...

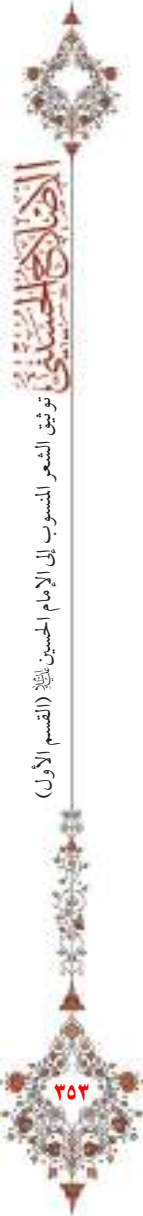
البيت الخامس: المصدر السابق: وكلّ شخص مضى شهيداً.

البيت السادس: المصدر السابق: مجندلاً في دمه فريداً.

(٣) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٨١.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٩٦.

(٥) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٨٢.



٢. وَجَدِّي رَسُولُ اللَّهِ أَكْرَمُ مَنْ مَضَى وَنَحْنُ سِرَاجُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ نَزْهَرُ
٣. وَفَاطِمَةُ أُمِّي ابْنَةُ الطَّهْرِ أَحْمَدُ وَعَمِّي يُدْعَى ذَا الْجَنَاحِينَ جَعْفَرُ
٤. وَفِينَا كِتَابُ اللَّهِ أَنْزَلَ صَادِعاً وَفِينَا الْهُدَى وَالْوَحْيُ بِالْخَيْرِ يُذَكَّرُ
٥. وَنَحْنُ أَمَانُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ كُلِّهِمْ نُسِرُّ بِهَذَا فِي الْأَنَامِ وَنُجْهِرُ
٦. وَنَحْنُ وُلاةُ الْحَوْضِ نَسْقِي مَحَبَّنَا بِكَأْسٍ وَذَاكَ الْحَوْضُ لِلْسَّقِيِّ كَوْثَرُ
٧. فَيَسْعُدُ فِينَا فِي الْقِيَامِ مُحَبَّنَا وَنُغَضُّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَجْسَرُ

## التخريج والتوثيق

نسب هذه الأبيات إلى الإمام الحسين عليه السلام وبالتفصيل الآتي - كل من: ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)<sup>(١)</sup>، وأبي إسحاق الأسفرائيني (ت ٤١٨هـ)<sup>(٢)</sup> الأبيات: الخامس، والرابع، والثالث، والثاني، والأول، والطبرسي (ت ٥٤٨هـ)<sup>(٣)</sup>، والموفق الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ)<sup>(٤)</sup>، وابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)<sup>(٥)</sup>، ومحمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ)<sup>(٦)</sup>، والإربلي (ت ٦٩٣هـ)<sup>(٧)</sup>، وابن الصباغ (ت ٨٥٥هـ)<sup>(٨)</sup> الأبيات: الرابع، والثالث، والثاني، والأول، بلفظ الإنشاد، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحدٌ، واختلفت المصادر في روايتها<sup>(٩)</sup>.

- (١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٢١٣.
- (٢) الأسفرائيني، إبراهيم بن محمد، نور العين في مشهد الحسين: ص ٣٥.
- (٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٦.
- (٤) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٣٢-٣٣.
- (٥) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٣٤.
- (٦) الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ص ٣٨٣.
- (٧) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٢٢٩.
- (٨) ابن الصباغ، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٧٦٦.
- (٩) اختلاف الروايات: البيت الأول: الاحتجاج، والفصول: الطهر.

-الرجز-

١. المَوْتُ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ العَارِ
٢. وَالعَارُ خَيْرٌ مِنْ دُخُولِ النَارِ
٣. وَاللهُ مِنْ هَذَا وَهَذَا جَارِي

### التخريج والتوثيق

نسب هذه الأبيات إلى الإمام الحسين عليه السلام - وبالتفصيل التالي - كل من: ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) (٢)، وابن طاوس (ت ٦٦٤هـ) (٣) الشطر الثاني، والأول، والإربلي

البيت الثاني: الاحتجاج: ... في الخلق.

المناقب: ... أكرم خلقه... يزهر.

الاحتجاج، والفصول: أكرم من مشى.

البيت الثالث: الاحتجاج، والمناقب، والفصول: وفاطم أمي من سلاله أحمد...

البيت الرابع: الاحتجاج، والمناقب، والفصول: ... أنزل صادقاً...

البيت الخامس: الاحتجاج: ... الله للناس نطول...

المناقب: ... الله للخلق...

البيت السادس: الاحتجاج:

... نسقي ولاتنا بكأس رسول الله ما ليس ينكر.

المناقب:

... نسقي ولينا بكأس رسول الله ما ليس ينكر

البيت السابع: الاحتجاج، والمناقب، ونور العين، نص البيت:

وَشِيعَتُنَا فِي النَّاسِ أَكْرَمُ شِيعَةٍ وَمُبْعِضُنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْسُرُ

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٨٠.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٢٤، وص ٢٥٨.

(٣) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٧٠.

(ت ٦٩٣هـ)<sup>(١)</sup>، والزرندي الشافعي (ت ٧٥٠هـ)<sup>(٢)</sup>، والديلمي (ت ق ٨ هـ)<sup>(٣)</sup>، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد، واختلفت المصادر في روايتها<sup>(٤)</sup>.

[١٦]<sup>(٥)</sup>

- مجزوء الكامل -

١. اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَا بِيَدِي يَزِيدُ لِغَيْرِهِ
٢. وَبِأَنَّهُ لَمْ يَكْتَسِبْهُ بِخَيْرِهِ وَبِمِيرِهِ
٣. لَوْ أَنْصَفَ النَّفْسَ الْخَوَّوْنَ لَقَصَّرَتْ مِنْ سَيْرِهِ
٤. وَلَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ أَدْنَى شَرِّهِ مِنْ خَيْرِهِ

### التخريج والتوثيق

نسبها الإربلي (ت ٦٩٣هـ)<sup>(٦)</sup> إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيها أحد.

### قافية السين

[١٧]<sup>(٧)</sup>

- (١) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٢٤٢.
- (٢) الزرندي الشافعي، محمد بن يوسف، معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول: ص ٩٦.
- (٣) الديلمي، الحسن بن أبي الحسن، أعلام الدين: ص ٢٩٨.
- (٤) اختلاف الروايات:
- البيت الأول: اللهوف: القتل أولى من...
- البيت الثاني: المناقب، واللهوف: أولى.
- البيت الثالث: المناقب: والله ما....
- (٥) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٨٢.
- (٦) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٢٤٤.
- (٧) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٨٧.

- الطويل -

١. قَوْمٌ إِذَا نُودُوا لَدَفَعِ مُلَمَّةٍ وَالْقَوْمُ بَيْنَ مُدْعَسٍ وَمَكْرَدَسٍ
٢. لَبَسُوا الْقُلُوبَ عَلَى الدَّرُوعِ وَأَقْبَلُوا يَتَهَاوَتُونَ عَلَى ذَهَابِ الْأَنْفُسِ
٣. نَصَرُوا الْحُسَيْنَ فَيَا هَا مِنْ فِتْيَةٍ عَافُوا الْحَيَاةَ وَالْبُسُوءَ مِنْ سُنْدَسٍ

## التخريج والتوثيق

نسبها أبو مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ)<sup>(١)</sup> إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيها أحد.

وذكر ابن عنبه (ت ٨٢٨هـ)<sup>(٢)</sup> وابن طاوس (ت ٦٦٤هـ)<sup>(٣)</sup> البيتين: الثاني، والأول من دون نسبة.

## قافية القاف

[١٨]<sup>(٤)</sup>

- البسيط -

١. يَا أَهْلَ لَذَاتِ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا إِنَّ الْمَقَامَ بظَلِّ زَائِلٍ حُمَق

## التخريج والتوثيق

نسبه إلى الإمام الحسن عليه السلام بلفظ التمثيل: محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ)<sup>(٥)</sup>،

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٣٣.

(٢) ابن عنبه، أحمد بن علي، عمدة الطالب: ص ٣٥٧.

(٣) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٦٧.

(٤) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٤١ نسبه إلى الإمام الحسن عليه السلام، وفي ص ٣٩٧ نسبه إلى الإمام الحسين عليه السلام.

(٥) الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ص ٣٤٧.

والإربلي (ت ٦٩٣هـ)<sup>(١)</sup>، والديلمي (توفي في القرن الثامن الهجري)<sup>(٢)</sup>، وابن الصباغ (ت ٨٥٥هـ)<sup>(٣)</sup>.

ونسبه ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)<sup>(٤)</sup> إلى الإمام الحسين عليه السلام، فهو له عليه السلام؛ لقرينة السبق الزمني، ومن نقله عن الإمام الحسن عليه السلام نقله بلفظ التمثيل.  
[١٩]<sup>(٥)</sup>

### - المنسرح -

١. حُذِّهَا فَإِنِّي إِلَيْكَ مُعْتَذِرٌ وَعَلِمَ بِأَنِّي عَلَيْكَ ذُو شَفَقَةٍ
٢. لَوْ كَانَ فِي سِيرِنَا الْغَدَاةَ عَصَا أَمَسَتْ سَنَا عَلَىكَ مُنْدَفِقَهُ
٣. لَكِنْ رَيْبَ الزَّمَانِ ذُو غَيْرِ وَالْكَفُّ مَنِّي قَلِيلَةُ النَّفَقَةِ

### التخريج والتوثيق

تردّد ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)<sup>(٦)</sup> في نسبتها إلى الإمام الحسن، أو الإمام الحسين عليه السلام.

ونسبها ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)<sup>(٧)</sup> إلى الإمام الحسين عليه السلام، فهي له؛ للسبق الزمني، ولأنّ ابن شهر آشوب متردّد في نسبتها، واختلفت المصادر في روايتها<sup>(٨)</sup>.

(١) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ١٨٣.

(٢) الديلمي، الحسن بن أبي الحسن، أعلام الدين: ص ٢٤١.

(٣) ابن الصباغ، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٧٠٦.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٢٥.

(٥) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٤٠١.

(٦) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٢٢.

(٧) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ١٨٥.

(٨) اختلاف الروايات:

البيت الأول: تاريخ مدينة دمشق: خذها وإنّي...

البيت الثاني: المصدر السابق:

- الهزج -

- |                                   |                             |
|-----------------------------------|-----------------------------|
| ١ . إذا ما عَصَّكَ الدهرُ         | فَلا تَجْنَحْ إلى خَلْقِ    |
| ٢ . وَلَا تَسْأَلْ سِوَى الله     | تَعَالَى قَاسِمَ الرِّزْقِ  |
| ٣ . فَلَوْ عِشْتَ وَطَوَّفْتَ     | مِنَ الغَرْبِ إلى الشَّرْقِ |
| ٤ . لَمَا صَادَفْتَ مَنْ يَقْدِرُ | أَنْ يُسْعِدَ أو يُشْقِي    |

### التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: الإربلي (ت ٦٩٣ هـ) (٢)، وابن الصباغ (ت ٨٥٥ هـ) (٣).  
ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد.

### قافية اللام

- المجتث -

- |                                 |                         |
|---------------------------------|-------------------------|
| ١ . مَنْ كَانَ يَبَاءَ بِجَدِّ  | فإنَّ جَدِّي الرَّسُولُ |
| ٢ . أو كَانَ يَبَاءَ بِأُمِّ    | فإنَّ أُمِّي البَتُولُ  |
| ٣ . أو كَانَ يَبَاءَ بِزورٍ     | فزورنَا جِبْرَيْلُ      |
| ٤ . فَتَحْنُ لَمْ نَبَأَ إِلَّا | بِمَا يُطَاعُ الجَلِيلُ |

لو كان في سيرنا عصا تمداد كانت سمانا عليك مندفة

البيت الثالث: تاريخ مدينة دمشق: ذونكد والكفّ منّا...

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٩٨.

(٢) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٢٤٤.

(٣) ابن الصباغ، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٧٧٥.

(٤) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٤٠٧.

## التخريج والتوثيق

نسبها الموفق الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ)<sup>(١)</sup> إلى الإمام الحسين عليه السلام، فهي له؛ للسبق الزمني، واختلاف المصادر في روايتها<sup>(٢)</sup>، ونسب ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)<sup>(٣)</sup> الأبيات: الثالث، والثاني، والأول إلى الإمام الحسن عليه السلام.

[٢٢] <sup>(٤)</sup>

- الرجز -

١. أَهْلَ الْعِرَاقِ مَا لَكُمْ خَلِيلُ
٢. وَمَا بَكُمْ فِي جَمْعِكُمْ فَضِيلُ
٣. وَالْأَمْرُ فِي ذَلِكُمْ جَلِيلُ
٤. وَكُلُّ حَيٍّ عِنْدَهُ سَبِيلُ
٥. قَدْ قَرُبَ النُّقْلَةُ وَالرَّحِيلُ
٦. وَكُلُّ شَيْءٍ حَوْلَهُ دَلِيلُ

## التخريج والتوثيق

نسبها أبو إسحاق الأسفرائيني (ت ٤١٨هـ)<sup>(٥)</sup> إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيها أحد.

(١) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٢٣.

(٢) اختلاف الروايات:

البيت الأول: مناقب آل أبي طالب: ... فجدي الرسول.

البيت الثالث: المصدر السابق: ... فيزورنا جبرئيل.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٧٦.

(٤) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٤٠٤.

(٥) الأسفرائيني، إبراهيم بن محمد، نور العين في مشهد الحسين عليه السلام: ص ٣٠.



- الطويل -

١. فَإِنْ تَكُنْ الدُّنْيَا تُعَدُّ نَفْسَةً
  ٢. وَإِنْ تَكُنْ الأَرْزَاقُ قِسْمًا مُقَدَّرًا
  ٣. وَإِنْ تَكُنْ الأَمْوَالُ لِلتَّرِكِ جَمْعُهَا
  ٤. وَإِنْ تَكُنْ الأَبْدَانُ لِلْمَوْتِ أُنْشِئَتْ
  ٥. سَامِضِي وَمَا بِالْقَتْلِ عَارٌّ عَلَى الْفَتَى
  ٦. عَلَيْكُمْ سَلامُ اللهِ يَا آلَ أَحْمَدِ
  ٧. أَرَى كُلَّ مَلْعُونٍ كَفُورٍ مُنَافِقٍ
  ٨. لَقَدْ غَرَّهَمَ حِلْمُ الإِلهِ وَأَنَّهُ
  ٩. لَقَدْ كَفَرُوا يَا وَبِلَهُمْ بِمُحَمَّدٍ
- فَدَارُ ثَوَابِ اللهِ أَعْلَى وَأَنْبَلُ  
فَقِلَّةُ حِرْصِ المَرءِ فِي الكَسْبِ أَجْمَلُ  
فَمَا بَالُ مَتْرُوكِ بِهِ المَرءِ يَبْخَلُ  
فَقَتْلُ امْرِئٍ فِي اللهِ بِالسِّيفِ أَفْضَلُ  
إِذَا فِي سَبِيلِ اللهِ يَمِضِي وَيُقْتَلُ  
فإِنِّي أَرَانِي عَنْكُمْ سَوْفَ أَرْحَلُ  
يَرُومُ فَنَانًا جَهْلُهُ ثُمَّ يَعْمَلُ  
كَرِيمٌ حَلِيمٌ لَمْ يَكُ قَطُّ يَعْجَلُ  
وَرُبُّهُمْ فِي الخَلْقِ مَا شَاءَ يَفْعَلُ

### التخريج والتوثيق

نسب هذه الأبيات إلى الإمام الحسين عليه السلام - وبالتفصيل التالي - كل من: أبي مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ) <sup>(١)</sup> الأبيات: التاسع، والثامن، والسابع، والسادس، والرابع، والثالث، والثاني، والأول، وابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ) <sup>(٢)</sup> الأبيات: الرابع، والثالث، والثاني، والأول، والموفق الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ) <sup>(٣)</sup> الأبيات: الخامس، والرابع، والثالث، والثاني، والأول، وابن عساكر (ت ٥٧١هـ) <sup>(٤)</sup> الأبيات: الرابع،

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٤٠٧-٤٠٨.

(٢) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص ٨٨.

(٣) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٧٢.

(٤) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٣.

(٥) ابن عساكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٢٣٣، و ص ٢٣٤.

والثالث، والثاني، والأول، وابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)<sup>(١)</sup> الأبيات: السادس، والرابع، والثالث، والثاني، والأول، ومحمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ)<sup>(٢)</sup> الأبيات: الرابع، والثالث، والثاني، والأول، وابن طاوس (ت ٦٦٤هـ)<sup>(٣)</sup> الأبيات: الرابع، والثالث، والثاني، والأول، والإربلي (ت ٦٩٣هـ)<sup>(٤)</sup> الأبيات: الرابع، والثالث، والثاني، والأول، وابن كثير (ت ٧٧٤هـ)<sup>(٥)</sup> الأبيات: الرابع، والثالث، والثاني، والأول، وابن الصباغ (ت ٨٥٥هـ)<sup>(٦)</sup> الأبيات: الرابع، والثالث، والثاني، والأول، وابن الدمشقي (ت ٨٧١هـ)<sup>(٧)</sup> الأبيات: الرابع، والثالث، والثاني، والأول، وتردد ابن نما الحلي (ت ٦٤٥هـ)<sup>(٨)</sup> في الأبيات: الرابع، والثالث، والثاني، والأول بين أمير المؤمنين والإمام الحسين عليه السلام، وبوجود هذا التردد نرجع إلى قرائن أخرى، وهي واضحة في نسبتها إلى الإمام الحسين عليه السلام؛ للسبق الزمني وتواتر الشهادات، وقد اختلفت المصادر في روايتها<sup>(٩)</sup>.

- (١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤٦.
- (٢) الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ص ٢٥٧.
- (٣) ابن طاوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٤٥.
- (٤) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٢٣٨.
- (٥) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٢٨.
- (٦) ابن الصباغ، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٧٧٤.
- (٧) الدمشقي، محمد بن أحمد، جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ج ٢، ص ٣١٦.
- (٨) ابن نما، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص ٣٢.
- (٩) اختلاف الروايات:

البيت الأول: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، والفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: وإن ...

ترجمة الإمام الحسين، والبداية والنهاية: لئن كانت ...

البيت الثاني: البداية والنهاية: وإن كانت الرزق... فَقَلَّةٌ سعي...

ترجمة الإمام الحسين: وإن كانت... شيئاً... فَقَلَّةٌ سعي...

اللهوف... فَقَلَّةٌ السعي...

مقتل الحسين عليه السلام:... تَكُنْ الرزق...

## - الخفيف -

١. كُلُّمَا زَيْدٌ صَاحِبُ الْمَالِ مَالًا زَيْدٌ فِي هَمِّهِ وَفِي الْإِسْتِغَالِ
٢. قَدْ عَرَفْنَاكَ يَا مُنْغَصَّةَ الْعَيْدِ شِ وَيَا دَارَ كُلِّ فَا نٍ وَبَالِي
٣. لَيْسَ يَصْفُو لِزَاهِدٍ طَلَبُ الزُّهْدِ إِذَا كَانَ مُثْقَلًا بِالْعِيَالِ

## التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) (٢)، وابن كثير (ت ٧٧٤هـ) (٣)،  
وابن الدمشقي (ت ٨٧١هـ) (٤)، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد.

## - الرجز -

١. يَا دَهْرُ أَفَّ لَكَ مِنْ خَلِيلِ
٢. كَمْ لَكَ فِي الْإِشْرَاقِ وَالْأَصِيلِ

البيت الثالث: البداية والنهاية، والترجمة: وإن كانت...

البيت الرابع: اللهوف العجز هذا النص: مقتل امرئ بالسيف في الله أفضل.

البداية والنهاية العجز هذا النص:

وإن كانت... مقتل امرئ بالسيف في الله أفضل.

كشف الغمّة في معرفة الأئمة: فقتل امرئ والله بالسيف أفضل.

ترجمة الإمام الحسين: ... كانت... فقتل في سبيل الله بالسيف أفضل.

البيت الخامس: مناقب آل أبي طالب: ... عنكم سوف أرحل.

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٤٠٤.

(٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ١٨٦.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٢٨.

(٤) الدمشقي، محمد بن أحمد، جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ج ٢، ص ٣١٥.

(٥) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٤٠٥.

٣. مِنْ طَالِبٍ وَصَاحِبٍ قَتِيلٍ
٤. وَالذَّهْرُ لَا يَقْنَعُ بِالْبَدِيلِ
٥. وَإِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيلِ
٦. وَكُلُّ حَيٍّ سَالِكِ السَّبِيلِ

## التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ)<sup>(١)</sup>، واليعقوبي (ت ٢٨٤هـ)<sup>(٢)</sup>، والطبري (ت ٣١٠هـ)<sup>(٣)</sup>، وابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)<sup>(٤)</sup>، وأبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)<sup>(٥)</sup>، والصدوق (ت ٣٨١هـ)<sup>(٦)</sup>، والمفيد (ت ٤١٣هـ)<sup>(٧)</sup>، والنيسابوري (ت ٥٠٨هـ)<sup>(٨)</sup>، والطبرسي (ت ٥٤٨هـ)<sup>(٩)</sup>، والموفق الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ)<sup>(١٠)</sup>، وابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)<sup>(١١)</sup>، وابن

- (١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٩.
- (٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤٤.
- (٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٢٠.
- (٤) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٤٩.
- (٥) أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٧٥.
- (٦) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٢٢١.
- (٧) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ١، ص ٩٣.
- (٨) الفتال النيسابوري، محمد بن القتال، روضة الواعظين: ص ١٨٤.
- (٩) الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى: ج ١، ص ٤٥٦.
- (١٠) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٢٣٧.
- (١١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ١٠٨.

الجوزي (ت ٥٩٧هـ)<sup>(١)</sup>، وابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)<sup>(٢)</sup>، وابن طائوس (ت ٦٦٤هـ)<sup>(٣)</sup>،  
وابن كثير (ت ٧٧٤هـ)<sup>(٤)</sup>، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد، وقد اختلفت المصادر في روايتها<sup>(٥)</sup>.

[٢٦] (٦)

## - البسيط -

- (١) ابن الجوزي، عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٥، ص ٣٣٨.
- (٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥٨.
- (٣) ابن طائوس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٤٠.
- (٤) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٩٢.
- (٥) اختلاف الروايات:

البيت الأول: المناقب: «لك» غير موجودة.

البيت الثاني: الإرشاد، وإعلام الوري، ومقتل الخوارزمي، والمناقب، واللهوف، البداية والنهاية:  
كَمْ لَكَ بِالْإِشْرَاقِ.

تاريخ يعقوبي: كم لك في ...

البيت الثالث: تاريخ الأمم والملوك، والإرشاد، إعلام الوري، والبداية والنهاية: من صاحبٍ أو طالب.  
مقتل الخوارزمي، والمناقب: من صاحبٍ و طالب.

البيت السادس: الإرشاد، والأمل: «سبيلي»، وإعلام الوري بأعلام الهدى، والمناقب: «سبيل».  
وفي مقتل الخوارزمي زيادة بهذا النص:

وَكُلُّ حَيٍّ سَالِكِ السَّبِيلِ  
مَا أَقْرَبَ الْوَعْدِ مِنَ الرَّحِيلِ  
وَإِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيلِ  
سَبْحَانَهُ جَلَّ عَنِ الْمَثِيلِ

وفي المناقب زيد آخر الأبيات: «ما أقرب الوعد من الرحيل».

وفي اللهوف بهذا النص:

وَكُلُّ حَيٍّ فِإِلَى سَبِيلِ  
مَا أَقْرَبَ الْوَعْدِ مِنَ الرَّحِيلِ  
إِلَى جَنَّاتٍ وَإِلَى مَقِيلِ

(٦) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٤١٢.

١. أَبِي عَيْبٍ وَجَدِّي خَاتَمُ الرَّسُلِ وَالْمُرْتَضُونَ لِدِينِ اللَّهِ مِنْ قَبْلِي
٢. وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَالْقُرْآنُ يَنْطِقُهُ إِنَّ الَّذِي بِيَدِي مَنْ لَيْسَ يَمْلِكُ لِي
٣. مَا يُرْتَجَى بِأَمْرِي لَا قَائِلَ عَدْلًا وَلَا يَزِيغُ إِلَى قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ
٤. وَلَا يَرَى خَائِفًا فِي سِرِّهِ وَجَلًّا وَلَا يُجَادِزُ مِنْ هَفْوٍ وَلَا زَلٍّ
٥. يَا وَيْحَ نَفْسِي مَن لَيْسَ يَرْحَمُهَا أَمَا لَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ مَثَلٍ
٦. أَمَا لَهُ فِي حَدِيثِ النَّاسِ مُعْتَبَرٍ مِنَ الْعَمَالِقَةِ الْعَادِيَةِ الْأُولِ
٧. يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَغْبُونُ شِيمَتُهُ أَتَى وَرِثَتْ رَسُولَ اللَّهِ عَنْ رَسُولٍ
٨. أَنْتَ أَوْلَى بِهِ مِنْ آلِهِ فِيمَا تَرَى إِعْتَلَّتْ وَمَا فِي الدِّينِ مِنْ عِلَلٍ

### التخريج والتوثيق

نسبها الإربلي (ت ٦٩٣ هـ) <sup>(١)</sup> إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيها أحد.

[٢٧] <sup>(٢)</sup>

-الرجز-

١. يَا نَكَبَاتِ الدَّهْرِ دُولِي دُولِي
٢. وَأَقْصِرِي إِنْ شِئْتِ أَوْ أَطِيلِي
٣. رَمَيْتَنِي رَمِيَّةً لَا مُقِيلِ
٤. بِكُلِّ خَطْبٍ فَادِحِ جَلِيلِ
٥. وَكُلِّ عِبٍّ أَيْدٍ ثَقِيلِ
٦. أَوَّلَ مَا رُزِئْتُ بِالرَّسُولِ
٧. وَبَعْدُ بِالطَّاهِرَةِ الْبَتُولِ
٨. وَالْوَالِدِ الْبَرِّ بِنَا الْوَصُولِ

(١) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٢٤٧.

(٢) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٤١٥.

٩. وَبِالشَّقِيقِ الْحَسَنِ الْجَلِيلِ
١٠. وَالْبَيْتِ ذِي التَّأْوِيلِ وَالتَّنْزِيلِ
١١. وَزَوْرِنَا الْمَعْرُوفَ مِنْ جِبْرِيلِ
١٢. فَمَا لَهُ فِي الرِّزْقِ مِنْ عَدِيلِ
١٣. مَا لَكَ عَنِّي الْيَوْمَ مِنْ عَدُولِ
١٤. وَحَسْبِيَ الرَّحْمَنُ مِنْ مُنِيلِ

## التخريج والتوثيق

نسبها الإربلي (ت ٦٩٣ هـ)<sup>(١)</sup> إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيها أحد.

## قافية الميم

[٢٨] (٢)

- الوافر -

١. سَبَقْتُ الْعَالَمِينَ إِلَى الْمَعَالِي بِحُسْنِ خَلِيقَةٍ وَعُلُوِّ هَمِّهِ
٢. وَلَا حَ بِحِكْمَتِي نُورُ الْهُدَى فِي لِيَالٍ فِي الضَّلَالَةِ مُدْهِمِّهِ
٣. يُرِيدُ الْجَاحِدُونَ لِيُظْفَوْهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّهُ

## التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي (ت ١٥٧ هـ)<sup>(٣)</sup>، وابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ)<sup>(٤)</sup>، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد.

(١) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٢٤٧.

(٢) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٤١٩.

(٣) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٩٤.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٢٧-٢٢٨.

- الكامل -

١. سَيْطُولُ بَعْدِي يَا سَكِينَةَ فَاعْلَمِي
  ٢. لَا تُحْرِقِي قَلْبِي بدمِعِكِ حَسْرَةَ
  ٣. وَإِذَا قُتِلْتُ فَأَنْتِ أَوْلَى بِالذِّي
  ٤. فابْكِي وَقُولِي يَا قَتِيلًا قَدْ قَضَى
  ٥. فابْكِي وَقُولِي هَدَّ رُكْنِي بَعْدَمَا
  ٦. قَدْ كُنْتُ أَمَلُ أَنْ أَعِيشَ بظِلِّهِ
  ٧. ادْنِي إِلَيَّ يَا سَكِينَةَ عَاجِلًا
  ٨. أَوْصِيكِ بِالوَلَدِ الصَّغِيرِ وَبَعْدَهُ
  ٩. فَإِذَا قُتِلْتُ فَلَا تَشْقِي مِئْزَرًا
  ١٠. لَكِنَّ صَبْرًا يَا سَكِينَةَ فِي الْقَضَا
  ١١. لِي أَسْوَةٌ بِأَبِي وَجَدِّي وَإِخْوَتِي
- مِنْكَ الْبِكَاءُ إِذَا الْحِمَامُ دَهَانِي
- مَا دَامَ مِنِّي الرُّوحُ فِي جِثْمَانِي
- تَأْتِينَهُ يَا خَيْرَةَ النَّسْوَانِ
- عَجَلًا عَلَى شَطِّ الْفُرَاتِ وَعَانِي
- كَانَتْ تَزْعَزَعُ مِنْهُ بِالْأَرْكَانِ
- أَبَدًا مِنَ الْأَيَّامِ مَا يِرْعَانِي
- حَتَّى أودَّعَكَ وَدَاعِ الْفَانِي
- بِالْأَلِ وَالْأَيْتَامِ وَالْجِيرَانِ
- أَيْضًا وَلَا تَدْعِي ثُبُورَ هَوَانِ
- هَانَحْنُ أَهْلُ الصَّبْرِ وَالْإِحْسَانِ
- أَخَذُوا حُقُوقَهُمْ بَنُو الطُّغْيَانِ

### التخریج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: أبو إسحاق الأسفرايني (ت ٤١٨ هـ) (٢)، وابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ) (٣) إليه عليه السلام الأبيات: الثالث، والثاني، والأول، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد.

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٤٢٠.

(٢) الأسفرايني، إبراهيم بن محمد، نور العين في مشهد الحسين: ص ٤٣.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٥٧.



-الرجز-

١. مَا يَحْفَظُ اللَّهُ يُصَنِّعُ مَا يَضَعُ اللَّهُ يُهَيِّنُ
٢. مَنْ يُسَعِدِ اللَّهُ يَلِينُ لَهُ الزَّمَانُ إِنْ حَشُنَ
٣. أَخِي إِعْتَبِرْ لَا تَغْتَرِرْ كَيْفَ تَرَى صَرْفَ الزَّمَنِ
٤. يُجْزَى بِمَا أُوتِيَ مِنْ فِعْلٍ قَبِيحٍ أَوْ حَسَنِ
٥. أَفْلَحَ عَبْدٌ كُشِفَ الـ غِطَاءُ عَنْهُ فَفَطِنَ
٦. وَقَرَّ عَيْنًا مَنْ رَأَى أَنْ الْبَلَاءَ فِي اللِّسَنِ
٧. فَمَازَ مِنْ أَلْفَاظِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَوَزَنَ
٨. وَخَافَ مِنْ لِسَانِهِ عَزْبًا حَدِيدًا فَحَزَنَ
٩. وَمَنْ يَكُ مُعْتَصِمًا بِاللَّهِ ذِي الْعَرْشِ فَلَنْ
١٠. يَضُرَّهُ شَيْءٌ وَمَنْ يَعْدِي عَلَى اللَّهِ وَمَنْ
١١. مَنْ يَأْمَنُ اللَّهُ يَخْفَ وَخَائِفُ اللَّهِ أَمِنَ
١٢. وَمَا لِيَا يُثْمِرُهُ الـ خَوْفُ مِنَ اللَّهِ ثَمَنَ
١٣. يَا عَالِمَ السِّرِّ كَمَا يَعْلَمُ حَقًّا مَا عَلَنَ
١٤. صَلِّ عَلَى جَدِّي أَبِي الـ قَاسِمِ ذِي النُّورِ الْمُبِينِ
١٥. أَكْرَمُ مِنْ حَيٍّ وَمِنْ لُفِّ مَيْتٍ فِي الْكَفَنِ
١٦. وَآمِنُنْ عَلَيْنَا بِالرِّضَا فَأَنْتَ أَهْلٌ لِلْمِنَنِ
١٧. وَأَعْفِنَا فِي دِينِنَا مِنْ كُلِّ خُسْرٍ وَغُبْنِ
١٨. مَا خَابَ مَنْ خَابَ كَمَنْ يَوْمًا إِلَى الدُّنْيَا رَكَنَ

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٤٢٥.

١٩. طوبى لِعَبْدٍ كُشِفَتْ عَنْهُ غِيَابَاتِ الْوَسَنِ  
٢٠. وَالْمَوْعِدُ اللهُ وَمَا يَقْضِي بِهِ اللهُ يَكُنْ

## التخريج والتوثيق

نسبها الإربلي (ت ٦٩٣هـ)<sup>(١)</sup> إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولم يُشاركه فيها أحد.

[٣١] (٢)

- الرمل -

- |   |  |
|---|--|
| ١. كَفَرَ الْقَوْمُ وَقِدْمًا رَغِبُوا        | عَنْ ثَوَابِ اللَّهِ رَبِّ الثَّقَلَيْنِ   |
| ٢. قَتَلُوا قِدْمًا عَلِيًّا وَابْنَهُ        | حَسَنَ الْخَيْرِ كَرِيمِ الطَّرْفَيْنِ     |
| ٣. حَقًّا مِنْهُمْ وَقَالُوا أَجْمَعُوا       | نَفْتِكَ الْآنَ جَمِيعًا بِالْحُسَيْنِ     |
| ٤. يَا لِقَوْمٍ مِنْ أَنْاسٍ رُذِلَ           | جَمَعُوا الْجَمْعَ لِأَهْلِ الْحَرَمَيْنِ  |
| ٥. ثُمَّ صَارُوا وَتَوَاصَوْا كُلَّهُمْ       | بِاجْتِيَا حِي لِرِضَاءِ الْمُلْحَدِينِ    |
| ٦. لَمْ يَخَافُوا اللَّهَ فِي سَفْكِ دَمِي    | لِعُبَيْدِ اللَّهِ نَسْلِ الْكَافِرِينَ    |
| ٧. وَابْنِ سَعْدٍ قَدْ رَمَانِي عُنْوَةً      | بِجُنُودِ كَوْكُوفِ الْهَاطِلَيْنِ         |
| ٨. لَا لِشَيْءٍ كَانَ مِنِّي قَبْلَ ذَا       | غَيْرِ فَخْرِي بِضِيَاءِ الْفَرَقْدَيْنِ   |
| ٩. بِعَلِيِّ الْخَيْرِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ | وَالنَّبِيِّ الْقُرْشِيِّ الْوَالِدَيْنِ   |
| ١٠. خَيْرَةَ اللَّهِ مِنَ الْخَلْقِ أَبِي     | ثُمَّ أُمِّي فَأَنَا ابْنُ الْخَيْرَتَيْنِ |
| ١١. فِضَّةٌ قَدْ خَلَصَتْ مِنْ ذَهَبٍ         | فَأَنَا الْفِضَّةُ وَابْنُ الذَّهَبَيْنِ   |
| ١٢. فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ أُمِّي وَأَبِي     | قَاصِمُ الْكُفْرِ بِيَدْرِ وَحَيْنِ        |

(١) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمة: ج ٢، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٢) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٤٢٧، وفي ص ٣٤٧ نسب البيتين: العاشر، والحادي عشر

إلى الإمام الحسن عليه السلام.

١٣. طَعَنَ الْأَبْطَالَ لَمَّا بَرَزُوا  
 ١٤. وَلَهُ فِي يَوْمٍ أَحَدٍ وَقَعَةٌ  
 ١٥. ثُمَّ بِالْأَحْزَابِ وَالْفَتْحِ مَعًا  
 ١٦. وَأَخُو خَيْبَرَ إِذْ بَارَزَهُمْ  
 ١٧. مَنْفِي الصَّفِينِ عَنِ سَيْفٍ لَهُ  
 ١٨. وَالَّذِي أَرْدَى جِيوشًا أَقْبَلُوا  
 ١٩. فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَاذَا صَنَعْتَ  
 ٢٠. عِتْرَةُ الْبَرِّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى  
 ٢١. مَنْ لَهُ عَمٌّ كَعَمِّي جَعْفَرٍ  
 ٢٢. مَنْ لَهُ جَدٌّ كَجَدِّي فِي الْوَرَى  
 ٢٣. وَالِدِي شَمْسٌ وَأُمِّي قَمَرٌ  
 ٢٤. جَدِّي الْمُرْسَلُ مَصْبَاحُ الْهُدَى  
 ٢٥. بَطْلٌ قَرْمٌ هَزْبَرُ ضَيْغَمٍ  
 ٢٦. عَرُوةُ الدِّينِ عَلِيُّ الْمُرْتَضَى  
 ٢٧. مَعَ رَسُولِ اللَّهِ سَبْعًا كَامِلًا  
 ٢٨. وَقَلَى الْأَوْثَانِ لَمْ يَسْجُدْ لَهَا  
 ٢٩. عَبَدَ اللَّهُ غُلَامًا يَافِعًا  
 ٣٠. يَعْبُدُونَ اللَّاتَ وَالْعِزَّى مَعًا  
 ٣١. وَأَبِي كَانَ هَزْبَرًا ضَيْغَمًا  
 ٣٢. كَتَمَشِي الْأَسَدِ بَغِيًّا فَسُقُوا

يَوْمَ بَدْرٍ وَتَبُوكٍ وَحُنَيْنِ  
 شَفَتِ الْغُلَّ بَفِضِّ الْعَسْكَرَيْنِ  
 كَانَ فِيهَا حَتْفُ أَهْلِ الْفَيْلَقَيْنِ  
 بِحُسَامِ صَارِمِ ذِي شِفْرَتَيْنِ  
 وَكَذَا أَفْعَالُهُ فِي الْقِبْلَتَيْنِ  
 يَطْلُبُونَ الْوَتَرَ فِي يَوْمِ حُنَيْنِ  
 أُمَّةُ السَّوِّءِ مَعًا بِالْعِترَتَيْنِ  
 وَعَلَى الْقَرَمِ يَوْمَ الْجَحْفَلَيْنِ  
 وَهَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْنَحَتَيْنِ  
 أَوْ كَشَيْخِي فَأَنَا ابْنُ الْقَمَرَيْنِ  
 فَأَنَا الْكُوكَبُ وَابْنُ الْقَمَرَيْنِ  
 وَأَبِي الْمَوْفِي لَهُ بِالْبَيْعَتَيْنِ  
 مَا جَدُّ سَمَحٌ قَوِي السَّاعِدَيْنِ  
 هَازِمُ الْجَيْشِ مُصَلِّي الْقِبْلَتَيْنِ  
 مَا عَلَى الْأَرْضِ مُصَلٍّ غَيْرَ ذَيْنِ  
 مَعَ قَرِيشٍ لَا وَلَا طَرْفَةَ عَيْنِ  
 وَقَرِيشٌ يَعْبُدُونَ الْوَثْنَيْنِ  
 وَعَلَى قَائِمٍ بِالْحُسَيْنَيْنِ  
 يَأْخُذُ الرُّمْحَ فَيُطَعْنُ طَعْتَيْنِ  
 كَأْسِ حَتْفٍ مِنْ نَجِيعِ الْحَنْظَلَيْنِ

## التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ)<sup>(١)</sup>، وأضاف الأبيات

الآتية:

١. ذَهَبٌ مِنْ ذَهَبٍ فِي ذَهَبٍ      وَجَيْنٌ فِي لُجَيْنٍ فِي لُجَيْنٍ
٢. حَصَّهُ اللهُ بِفَضْلِ وَتَقَى      فَأَنَا الرَّاهِرُ وَابْنُ الْأَزْهَرَيْنِ
٣. أَيَّدَ اللهُ بِطَهْرٍ طَاهِرٍ      صَاحِبَ الْأَمْرِ بِيدِرٍ وَحَيْنِ
٤. ذَاكَ وَاللهِ عَلَيَّ الْمُرْتَضَى      سَادَ بِالْفَضْلِ جَمِيعَ الْحَرَمَيْنِ
٥. تَرَكَ الْأَصْنَامَ مُسْتَدْحَضَةً      وَرَقَى بِالْحَمْدِ فَوْقَ الْمُنْبَرَيْنِ
٦. فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَيْنَا وَاجِبٌ      مَا جَرَى بِالْفَلَكَ إِحْدَى النَّيْرَيْنِ
٧. وَأَبَادَ الشَّرْكَ فِي حَمَلْتِهِ      بِرِجَالٍ أُتْرَفُوا فِي الْعَسْكَرَيْنِ
٨. وَأَنَا ابْنُ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ الَّتِي      أَدْعَنَ الْخَلْقُ لَهَا فِي الْخَافِقَيْنِ
٩. نَحْنُ أَصْحَابُ الْعَبَا حَمْسَتَنَا      قَدْ مَلَكْنَا شَرْقَهَا وَالْمَغْرِبَيْنِ
١٠. ثُمَّ جَبْرِيلَ لَنَا سَادِسَنَا      وَلَنَا الْبَيْتُ كَذَا وَالْمَشْعَرَيْنِ
١١. وَكَذَا الْمَجْدُ بِنَا مُفْتَحِرٌ      شَاخِحًا يَعْلُو بِهِ فِي الْحَسْبَيْنِ
١٢. فَجَزَاهُ اللهُ عَنَّا صَالِحًا      خَالِقُ الْخَلْقِ وَمَوْلَى الْمَشْعَرَيْنِ
١٣. يُفَرِّقُ الصَّفَانَ مِنْ هَيْبَتِهِ      وَكَذَا أفعالُهُ فِي الْخَافِقَيْنِ
١٤. وَالَّذِي صَدَّقَ بِالْحَاتَمِ مِنْهُ      حِينَ سَاوَى ظَهْرَهُ فِي الرِّكَعَيْنِ
١٥. شِيعَةُ الْمُخْتَارِ طَبِئُوا أَنْفُسًا      فَغَدًا تُسْقُونَ مِنْ حَوْضِ اللَّجَيْنِ
١٦. فَعَلَيْهِ اللهُ صَلَّى رَبُّنَا      وَحَبَاهُ تُحْفَةً بِالْحَسَنَيْنِ

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٩.

ونسب ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)<sup>(١)</sup> إليه عليه السلام الأبيات: العشرين، والتاسع عشر، والخامس عشر، والرابع عشر، والثاني عشر، والحادي عشر، والعاشر، والتاسع، والثامن، والسابع، والسادس، والخامس، والرابع، والثالث، والثاني، والأول، والثاني والعشرين، والطبرسي (ت ٥٤٨هـ)<sup>(٢)</sup>، والموفق الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ)<sup>(٣)</sup> الأبيات: العاشر، والثاني، والأول، وابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)<sup>(٤)</sup>، ومحمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ)<sup>(٥)</sup> الأبيات: الثاني والعشرين، والعشرين، والتاسع عشر، والخامس عشر، والرابع عشر، والثاني عشر، والحادي عشر، والعاشر، والتاسع، والثامن، والسابع، والسادس، والخامس، والرابع، والثالث، والثاني، والأول، والإربلي (ت ٦٩٣هـ)<sup>(٦)</sup> الأبيات: الثاني والعشرين، والعشرين، والتاسع عشر، والخامس عشر، والرابع عشر، والثاني عشر، والحادي عشر، والعاشر، والتاسع، والثامن، والسابع، والسادس، والخامس، والرابع، والثالث، والثاني، والأول، وابن الصباغ (ت ٨٥٥هـ)<sup>(٧)</sup>، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد، وقد اختلفت المصادر في روايتها<sup>(٨)</sup>.

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١١٥.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٥.

(٣) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٣٣.

(٤) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٣٣.

(٥) الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ص ٣٨٩.

(٦) الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٢٣٧.

(٧) ابن الصباغ، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٧٧٢.

(٨) اختلاف الروايات:

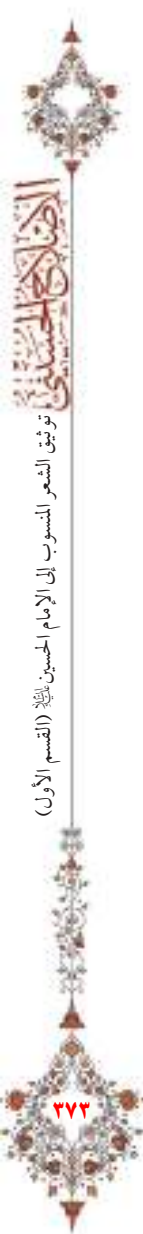
البيت الأول: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: غدر القوم...

ومقتل أبي مخنف: كفر والقوم...

البيت الثاني: مقتل الخوارزمي: حسن الخير وجاءوا بالحسين عليه السلام

وفي المناقب: الحسن الخير الكريم...

والفصول: ... كريم الأبوين.



والفتوح: قاتلوا... كريم الأيوين.

البيت الثالث: الفصول: ... حسداً منهم وقالوا أقبلوا نقتل... للحسين.  
كشف الغمّة في معرفة الأئمة: حسداً... نقبل...

البيت الرابع: كشف الغمّة في معرفة الأئمة: يا لِقَوْمِ لَأُنَاسٍ...  
البيت الخامس: المناقب: ثمّ ساروا... باحتياجي.

كشف الغمّة في معرفة الأئمة: ثمّ ساروا... لا جتياحي للرضا بالملحدين.  
البيت السادس: كشف الغمّة في معرفة الأئمة: ... نسلُ الفاجرين.

البيت السابع: الفتوح: ... بِجُنُودِ كُوُودٍ...  
البيت الثامن: مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ... مني سابقاً...

البيت التاسع: كشف الغمّة في معرفة الأئمة: بعليّ خير...  
ومقتل أبي مخنف: بعليّ الطهر... والنبيّ الهاشمي...

البيت العاشر: الفتوح، ومقتل الخوارزمي، ومقتل أبي مخنف: ... بعد جدي فأنا ابنُ الخَيْرَيْنِ.  
نور العين في مشهد الحسين عليه السلام: ... بعد جدي وأنا ابنُ الخَيْرَيْنِ.

البيت الحادي عشر: كشف الغمّة في معرفة الأئمة: فَضَّةٌ قَدْ صَفِيَتْ... وأنا...  
والفصول، ومقتل أبي مخنف: فَضَّةٌ قَدْ صَفِيَتْ...  
ونور العين في مشهد الحسين عليه السلام: فَضَّةٌ قَدْ صَفِيَتْ... وأنا...

البيت الثاني عشر: المناقب عجز البيت: ... وارث الرسل ومولى الثقلين.  
ونور العين في مشهد الحسين عليه السلام: ... فارس الخيل ورامي النبلتين.  
ومقتل أبي مخنف: أمّي الزّهراء حقاً وأبي وارث العلم ومولى الثقلين.

البيت الثالث عشر: المناقب: طحن... يوم بدر وبأحد...  
نور العين في مشهد الحسين عليه السلام:

هازم الأبطال في هيجائه \* يوم بدر ثمّ أحد...  
البيت الخامس عشر: الفتوح: ... أهل الثقلين.  
وكشف الغمّة في معرفة الأئمة: ... أهل القبلتين.

والفصول: ... أهل الوثنيين.

البيت السادس عشر: مقتل أبي مخنف:  
أظهر الإسلام رغماً للعدى... بحسام قاطع...

البيت الثامن عشر: مقتل أبي مخنف: ... يطلبون الثأر في يوم حنين.

البيت التاسع عشر: الفتوح: ... أمةُ السوء معاً بالفرقدين.

## قافية الهاء

[٣٢] (١)

- المنسرح -

- |  |  |
|--|--|
| ١ . يَا رَبِّي يَا رَبِّي أَنْتَ مَوْلَاهُ   | فَارْحَمْ عُيَيْدًا إِلَيْكَ مَلْجَاهُ |
| ٢ . يَا ذَا الْمَعَالِي عَلَيْكَ مُعْتَمِدِي | طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ  |
| ٣ . طُوبَى لِمَنْ كَانَ خَائِفًا أَرْقَاً    | يَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلَوَاهُ |
| ٤ . وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَقَمٌ          | أَكْثَرَ مِنْ حُبِّهِ لِمَوْلَاهُ      |
| ٥ . إِذَا اشْتَكَى بَثُّهُ وَغَصَّتْهُ       | أَجَابَهُ اللَّهُ ثُمَّ لَبَّاهُ       |
| ٦ . إِذَا خَلَا فِي الظَّلَامِ مُبْتَهَلًا   | أَكْرَمَهُ اللَّهُ ثُمَّ أَدْنَاهُ     |

كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ... في العترتين ...

البيت العشرون: الفتوح: ... وَعَلِيٌّ الْوَرْدُ ...

كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، ومطالب السؤل: ... وَعَلِيٌّ الْوَرْدُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ .

المناقب: عِتْرَةُ الْبَرِّ التَّقِيّ ... والفصول: ... وَعَلِيٌّ الْوَرْدُ .

البيت الثاني والعشرون: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، والمطالب، والفتوح: ... كَشَيْخِي وَأَنَا، وَالْمَنَاقِبُ: ...

وَكَشَيْخِي فَأَنَا ابْنُ الْعَلَمِينَ .

البيت الرابع والعشرون: مقتل أبي مخنف: ... مصباح الدجى .

البيت السادس والعشرون: مقتل أبي مخنف: ... معزّ المؤمنين . والمناقب: ... عَلِيٌّ ذَاكُمُ صَاحِبُ الْحَوْضِ ...

نور العين في مشهد الحسين عليه السلام :

عروة الدين عليّ ذو العُلَى \* سَاقِي الْحَوْضِ إِمَامُ الْخَافِقِينَ .

البيت الثامن والعشرون: مقتل أبي مخنف:

تَارِكُ اللَّاتِ وَلَمْ ... لَا وَلَا طَرْفَةَ عَيْنِ

المناقب: ترك ... مع قريش مُدْ نَشَأُ طَرْفَةَ عَيْنِ

نور العين في مشهد الحسين عليه السلام : ترك الأصنام ... مع قريش مُدْ نَشَأُ طَرْفَةَ عَيْنِ

البيت التاسع والعشرون: نور العين في مشهد الحسين عليه السلام : ... غَلاماً نَاشِئاً ... يَعبُدون الصنمين .

البيت الثلاثون: مقتل أبي مخنف: ... في القبليتين .

(١) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٤٣٤ .

## التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) <sup>(١)</sup> عدا السادس، وابن حاتم العاملي (ت ٦٦٤هـ) <sup>(٢)</sup> عدا الأول، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد، وقد اختلفت المصادر في روايتها <sup>(٣)</sup>.

## قافية الباء

[٣٣] <sup>(٤)</sup>

- الرجز -

١. أَنَا الْحَسَيْنُ بَنُ عَلِيٍّ
٢. أَحْمِي عِيَالَتِ أَبِيٍّ
٣. آيْتُ أَنْ لا أَنْثِي
٤. أَمْضِي عَلَى دِينِ النَّبِيِّ

## التخريج والتوثيق

نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ) <sup>(٥)</sup>، وابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) <sup>(٦)</sup>، ولم يُشاركه عليه السلام فيها أحد.

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٢) العاملي، يوسف بن حاتم، الدرّ النظيم: ص ١٧.

(٣) اختلاف الروايات:

البيت الثالث: الدرّ النظيم: كان خائفاً وجللاً...

البيت الخامس: المصدر السابق: إذا شكى بثه وحاجته...

(٤) المؤيد، علي حيدر، ديوان أهل البيت: ص ٣٦٠.

(٥) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٩٧.

(٦) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٥٨.



رَبِّهِمْ أَلِفٌ لَامٍ مُّدَّةٌ يَوْمَئِذٍ مُّبِينٌ

الْاِخْتِلَافُ وَالتَّعَابُرُ  
فِي حُكْمِ الْجُرْحِ وَالتَّعَدُّلِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَنِ  
عَمُّ فِي الْمَسْئَلَةِ وَمَنَاهُ فِي الطَّلُونِ



# الاختلاف والتعابر في أحكام الجرح والتعدّل عند أهل السنّة مؤنّ في المسألة ومناها في الطول

د. السيد حاتم البخاتي<sup>(١)</sup>

## مقدمة

لقد أفرز واقع النظرية السنية في التعاطي مع الحديث النبوي الشريف عدّة معطيات، أهمّها: الحكم بانقطاع النصّ الديني بوقت مبكّر جداً، وعدم تدوين الحديث النبوي طيلة القرن الأوّل الهجري، وتعدّد قنوات نقل الحديث التي امتدّت لتشمل كلّ من صحب النبي ﷺ، طالت صحبته له أم قصرت، مع الحكم بسلامة وصحة ما نقلوه من أحاديث. وتدخّل الحكومات بشكل فعّال في رواية الحديث وتدوينه؛ ما ألقى أعباءً ثقيلة على كاهل العلماء والمحدّثين وهم يتصدّون إلى وضع آليات وضوابط يرونها صحيحة، يتمّ بموجبها تنقية الأحاديث من العناصر الغريبة، وبيان العلل الظاهرة والخفية فيها؛ ليتبلور شيئاً فشيئاً - ومع مرور الوقت - علمٌ يُعرف بعلم الدراية، ويُسمى: مصطلح الحديث، أو علوم الحديث، أو أصول الحديث، ويُطلق عليه أحياناً علم الحديث.

(١) عضو هيئة التحرير في مجلة الإصلاح الحسيني.

وأما تعريفه فهو: «علمٌ يُعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها، وحال الرواة وشروطهم وأصناف المرويات وما يتعلّق بها»<sup>(١)</sup>. ويُقال أيضاً: «علم الحديث: علمٌ بقوانين يُعرف بها أحوال السند والمتن»<sup>(٢)</sup>.

فيتبيّن لنا من خلال ذلك أهميّة وخطورة وحساسية هذا العلم، وأثره في رسم معالم الشريعة الإسلاميّة التي يلعب الحديث النبويّ دوراً أساسياً في بيانها، سواء على مستوى العقائد أم الأحكام أم الأخلاق والآداب، فعبر إعمال هذه المجموعة من القواعد والضوابط على الحديث النبويّ تمتاز الأحاديث الصالحة للحجّة من غيرها؛ وبالتالي تؤثر تأثيراً بالغاً على تشكيل القناعات الدينيّة، وتكوين النظريّات الإسلاميّة. فعلم الدراية بالنسبة إلى الحديث بمثابة أصول الفقه بالنسبة إلى الفقه.

ومن بين أهمّ علوم الحديث هو ما يُعرف بعلم الجرح والتعديل الذي يقول عنه ابن الأثير: «الجرح: وصفٌ متى التحق بالراوي أو الشاهد سقط الاعتبار بقوله، والتعديل: وصفٌ متى التحق بهما اعتُبر قولهما وأخذ به»<sup>(٣)</sup>.

إذاً؛ علم الجرح والتعديل هو علم يتناول القواعد والنظريات المؤمّنة للطرق والأسانيد الموصلة للأحاديث المعتمدة، عبر معرفة الناقلين لها، وتمييز الثقات من غيرهم من قبل علماء مختصّين في هذا المجال، يُطلق عليهم علماء الجرح والتعديل، فهم وحدهم من يملكون حقّ نقد الرواة وحملّة الحديث، فيعدّون هذا ثقة صادقاً مأموناً، وذاك ضعيفاً أو ليئناً أو كذاباً أو فيه شيء آخر يمنع من الاعتماد عليه؛ وذلك من خلال اتّباع طُرُق في أغلبها تعتمد على الاجتهاد وإعمال النظر.

ويُعَدّ علم الجرح والتعديل العمود الفقري والحجر الأساس لعلم دراية الحديث،

(١) السيوطي، عبد الرحمن، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: ص ١٣.

(٢) المصدر السابق: ص ١٤.

(٣) ابن الأثير، المبارك بن محمّد، جامع الأصول في أحاديث الرسول: ج ١، ص ١٢٦.

فهو الميزان الذي يوزن فيه الحديث ورواته فيتوصّل بالنهاية إلى معرفة المردود والمقبول من الحديث، فتتأسس على ذلك الشرائع والأحكام، بل حتى العقائد، فتبرز بذلك أهميّة علم الجرح والتعديل ومكانته وخطورته في الوقت ذاته، فهو سلاح ذو حدّين؛ فمن الممكن أن يكون له تأثير سلبي جدّاً على مصير الأُمّة الإسلاميّة ووحدها إذا أُسيء استخدامه، ووجّهه وجهة غير سليمة. وهذا ما حصل بالفعل، فقد حكم على قطاعات واسعة من الأُمّة الإسلاميّة بالضلال والانحراف، بل وإخراجها من الدين، والحكم عليها بالكفر؛ وذلك بقبول أحاديث أو ردّها أخرى عن طريق تضعيف رجال وتعديل آخرين، فمُرّرت أفكار وعقائد، ورُفضت أخرى وحُكم على معتنقيها بأشدّ الأحكام قسوةً وأكثرها إيلاماً. وإنّ كثيراً من الناس والعامّة يجهلون أنّ سبب تلك الأحكام هي مجموعة من القواعد والقوانين الاجتهادية يُطلَق عليها: علم الجرح والتعديل، والتي تخضع في كثير من الأحيان لعدد من العوامل والمؤثرات النفسيّة والفكريّة.

وما نشاهده اليوم من الواقع المتردّي للأُمّة الإسلاميّة وما وصلت إليه الانقسامات الحادّة يرجع قسم كبير منه إلى الاستغلال السيئ لتلك الأدوات والقوانين التي دُوّنت في علم الحديث من قبل، ولا زالت حاكمة إلى يومنا هذا، وقد حاول العديد من الكتّاب والباحثين في علم الحديث من أهل السنّة أن يعكسوا صورة ناصعة عن واقع هذه الأبحاث والعلوم، وإظهارها على أنّها السمة التي تميّزت بها الأُمّة الإسلاميّة من بين الأمم، وأنّها هي التي حفظت لنا الآثار النبويّة، وميّزت الدخيل من غيره، ونحن في الوقت الذي لا نبخس الناس أشياءهم، ونُقرّ بأنّ هناك جهوداً بُذلت في تقعيد وتأصيل بعض علوم الحديث، ولكن هذا لا يعني التغاضي أبداً عمّا شاب هذه الأبحاث والعلوم - وخصوصاً علم الجرح والتعديل - من تحيُّز وميل عن الحقّ والصواب، بحيث صيغ الكثير منها لإقصاء من يخالف توجهات واضعي هذه القواعد والنظريات، والذين اعتمدت أقوالهم وأحكامهم كموازنين تُقاس عليها أعمال المسلمين.

## غياب الأسس العلميّة في الجرح والتعديل

إنّ علم الجرح والتعديل في واقعه من أصعب العلوم وأدقّها؛ فيفترض بمن يقتحم هذا الميدان أن يكون متسلّحاً بسعة الاطلاع على الأخبار المروية ورواتها، وأن يسبر أحوال الرواة وطُرُقهم وغيرها من المعلومات المتعلقة بهذا العلم، مع توفّره على فطنة وذكاء حادّ وحافضة جيّدة، وقبل كلّ هذا لا بدّ أن يتحلّى بالتقوى والورع والتشبّت والاحتياط التامّ قبل الحكم، والبُعد عن الهوى والتعصّب. وقد حاول المختصّون تقنين هذه الشروط، فقال الذهبي في الموقظة: «والكلام في الرواة يحتاج إلى ورع تامّ، وبراءة من الهوى والميل، وخبرة كاملة بالحديث وعلله ورجاله»<sup>(١)</sup>.

وقال في التذكرة: «ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكّي نقلة الأخبار ويجرّحهم جهبذاً إلاّ بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن، وكثرة المذاكرة، والسهر والتيقّظ والفهم، مع التقوى والدين المتين والإنصاف، والتردد إلى مجالس العلماء، والتحرّي والإتقان، وإلّا تفعل:

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سوّدت وجهك بالمداد

وإن غلب عليك الهوى والعصبيّة لرأى ولمذهب فبالله لا تتعب»<sup>(٢)</sup>.

وقال اللكنوي الهندي: «يُشترط في الجراح والمعدّل: العلم والتقوى والورع والصدق والتجنّب عن التعصّب، ومعرفة أسباب الجرح والتزكّيّة، ومَن ليس كذلك لا يُقبل منه الجرح ولا التزكّيّة»<sup>(٣)</sup>.

ولكن هذه الشروط والصفات ظلّت في كثير من الأحيان نظريّة في بطون الكُتب، ولم تُترجم كحقيقة على أرض الواقع؛ لأنّها لم تمنع أبداً من وقوع الاختلافات الشديدة

(١) الذهبي، محمّد بن أحمد، الموقظة في مصطلح الحديث: ص ٨٢.

(٢) الذهبي، محمّد بن أحمد: تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ٤.

(٣) اللكنوي الهندي، محمّد عبد الحي، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: ص ٦٧.

وصدور الكلمات الشنيعة والهفوات الكبيرة من كبار أئمة الجرح وجهابذته، الناشئة عن الابتعاد عن التحلي بهذه الصفات، وتمكّن التعصّب والهوى والاختلاف في الرأي والمذهب من أن يؤثر في أحكام هؤلاء الأئمة، فشاع الجرح بينهم لأنفه الأسباب وأبسطها، والتي تفتقر في كثير من الأحيان إلى الأسس العلميّة التي من المفترض أن يقوم عليها علم الجرح والتعديل؛ ممّا حدا بالخطيب البغدادي أن يعقد لذلك باباً<sup>(١)</sup>، روى فيه عن محمد بن جعفر المدائني، قال: «قيل لشعبة: لم تركت حديث فلان؟ قال: رأيت يركض على بردون<sup>(٢)</sup> فتركت حديثه!... [وعن] محمد بن حميد الرازي، قال: حدّثنا جرير، قال: رأيت سهاك بن حرب يبول قائماً فلم أكتب عنه... [و] عن شعبة، قال: قلت للحكم بن عتيبة: لم لم ترو عن زاذان؟ قال: كان كثير الكلام... [وعن] الحسن بن عليّ، عن شابة، قال: قلت - أو قيل لشعبة -: ما شأن حسام بن مصك؟ قال: رأيت يبول مستقبل القبلة. قال أبو داود: سمعت يحيى بن معين، يقول: ترك شعبة أبا غالب أنّه رآه يحدث في الشمس، وضعه شعبة على أنّه تغرّ عقله... [وعن] محمد بن عليّ الوراق يقول: سألت مسلم بن إبراهيم عن حديث لصالح المزي، فقال: ما تصنع بصالح؟ ذكره يوماً عند حماد بن سلمة فامتخط حماد... وسئل يحيى - يعني بن معين - عن حجاج بن الشاعر، فبزق لما سُئل عنه»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك عدلوا أناساً بما لا يستحقّوا التعديل، فقد نقل السيوطي عن يعقوب الفسوي في تاريخه، أنّه قال: «سمعتُ إنساناً يقول لأحمد بن يونس: عبد الله العمري ضعيف؟ قال: إنّها يضعّفه رافضيٌّ مبغضٌ لأبائه، لو رأيت لحيته وهيئته لعرفت أنّه ثقة!

(١) باب ذكر بعض أخبار من استفسر في الجرح فذكر ما لا يسقط العدالة.

(٢) البردون: الدابة... والبراذين من الخيل ما كان من غير نتاج العراب. أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٣، ص ٥١.

(٣) الخطيب البغدادي، أحمد بن عليّ، الكفاية في علم الرواية: ص ١٣٨ - ١٤٠.

فاستدلّ على ثقته بما ليس بحجّة؛ لأنّ حسن الهيئة يشترك فيه العدل وغيره»<sup>(١)</sup>، وغيرها من الشواهد الكثيرة التي تؤكد أنّ علم الجرح والتعديل ابتلي بالعديد من الآفات والأمراض التي تجعل المراقب والمتتبّع لها يقف ملياً قبل الأخذ بكلّ قول أو جرح أو تعديل. ومن أهمّ آفات هذا العلم هو اتساع الأقوال وكثرتها وتعارضها.

### كثرة الاختلافات في أحكام الجرح والتعديل

لقد انتجت عمليّة نقل الحديث عند أهل السنّة أعداداً هائلة من الرواة ونقله الحديث، والتي امتدّت لتغطّي جميع أفراد المسلمين تقريباً، خصوصاً في عصر التابعين والأعصار التي تلت، والتي كانت الحافلة بالفتن والاختلافات والنزاعات الكثيرة؛ فبرزت اتجاهات فكريّة وعقائديّة عديدة، ونشأت الفِرَق والمذاهب والنحل، وكانت جذور العديد منها تمتدّ إلى ما حصل بين الصحابة أنفسهم من خلاف ونزاع وحروب، فصار المسلمون مشارب ومذاهب، ولم تكن هناك جماعة كبيرة ساحقة على ما كان عليه رسول الله ﷺ، والباقي شذاذ مبتدعة، كما حاول أهل السنّة تسويق هذا المعنى، بل إنّ كثرة الخلافات وتنوعها قطعّت أوصال الأُمّة وجزّأتها إلى فِرَق ومذاهب لا تُحصى.

وعلماء الجرح والتعديل لم يكونوا بمنأى عمّا حلّ بالأُمّة من تناحر ونزاع، بل كانوا يعيشون في خضم تلك الدوّامات من الاختلافات والتقاطعات، فلا بدّ أن يتأثّروا وتتأثّر أحكامهم بكلّ هذا.

مضافاً إلى أنّ كثيراً من أحكام الجرح والتعديل بُنيت على الاجتهاد في الرأي؛ ما أدّى بطبيعة الحال إلى اختلاف الأنظار والرؤى بين المجتهدين، فعلماء الجرح والتعديل يتفاوتون في قدراتهم العلميّة، ومدى اهتمامهم وانشغالهم في توثيق الرواة وتضعيفهم، وانتهاهم إلى أجيال وعصور مختلفة زماناً ومكاناً، وتمثيلهم لمدارس علميّة وفكريّة

(١) السيوطي، عبد الرحمن، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: ص ٢٠٣.



متباينة، كالمدينة ومكّة والكوفة والبصرة ودمشق، والتي كانت تمثل الواحدة منها منهجاً مغايراً للأخرى قد يصل إلى حدّ إشهار العداء وتبادل التّهم، قال الزهري: «يا أهل العراق، يخرج الحديث من عندنا شبراً، ويصير عندكم ذراعاً»<sup>(١)</sup>.

وقال مالك: «إذا خرج الحديث عن الحجاز انقطع نخاعه. وقال الشافعي: إذا لم يوجد للحديث من الحجاز أصل ذهب نخاعه. حكاه الأنصاري في كتاب ذمّ الكلام. وعنه أيضاً: كلّ حديث جاء من العراق وليس له أصل في الحجاز فلا تقبله وإن كان صحيحاً، ما أريد إلا نصيحتك. وقال مسعر: قلت لحبيب بن أبي ثابت: أيّما أعلم بالسنة أهل الحجاز أم أهل العراق؟ فقال: بل أهل الحجاز... قال ابن المبارك: حديث أهل المدينة أصحّ، وإسنادهم أقرب. وقال الخطيب: أصحّ طرق السنن ما يرويه أهل الحرمين مكّة والمدينة؛ فإنّ التدليس عندهم قليل، والكذب ووضع الحديث عندهم عزيز»<sup>(٢)</sup>.

إنّ هذا التفاوت قد انعكس بشكل كبير على آراء وأحكام الجرحين والمعدّلين بحقّ من يختلفون معه في البيّنة والفكر والمنهج، وقد اعترف كثير من العلماء بحقيقة هذا الخلاف القائم، قال الترمذي: «وقد اختلف الأئمة من أهل العلم في تضعيف الرجال»<sup>(٣)</sup>. ولعلّ الذهبي يعطينا صورة قائمة عن حقيقة هذا الاختلاف الفاحش بينهم، حيث ينقل الحافظ السخاوي ذلك، فيقول: «قال الذهبي - وهو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال -: لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن قطّ على توثيق ضعيف، ولا على تضعيف ثقة»<sup>(٤)</sup>.

وإطلالة سريعة على كُتب الجرح والتعديل عند أهل السنة تبيّن حجم ذلك الخلاف الكبير الذي لا يسع الباحث في كثير من الأحيان أن يخرج بنتيجة واضحة من بين تلك

(١) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٥، ص ٣٤٤.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: ص ٤٧.

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى، العلل الصغير: ج ١، ص ٧٥٦.

(٤) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيبي: ج ٣، ص ٣٥٩.

الأقوال المتضاربة، بل يتفاقم الأمر ليصل إلى ورود قولين متضارين لأحد علماء الجرح والتعديل في راوٍ واحد، فيجرحه مرّةً ويعدّله أخرى، وشواهد هذا الأمر كثيرة جداً، منها على سبيل المثال ما يذكره ابن حجر عند حديثه عن يحيى بن أيوب بن جرير البجلي الكوفي، قال: «اختلف فيه قول يحيى بن معين»<sup>(١)</sup>. وفي ترجمة إسماعيل بن زكريا الخلقاني، قال الذهبي: «اختلف قول يحيى بن معين، فمرّة يقول: ثقة. ومرّة ضعّفه، ومرّة يقول: ليس به بأس»<sup>(٢)</sup>. وأمّا أبو جعفر الرازي عيسى بن عبد الله بن ماهان «فقد اختلف فيه قول عليّ بن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، فقال ابن المديني مرّة: ثقة. ومرّة: كان يخلط، وقال الإمام أحمد مرّة: ليس بالقوي. ومرّة: صالح الحديث، وقال يحيى بن معين مرّة: ثقة. ومرّة: يكتب حديثه إلاّ أنّه يُخطئ»<sup>(٣)</sup>. وغير ذلك من الأمثلة.

### لم يسلم من طعن أو قدح

أدّت كثرة الاختلافات وفوضى الأحكام في الجرح والتعديل عند أهل السنّة وكثرة أعداد الجرحين والمعدّلين، وغياب الأسس والضوابط، وتنوّع الاختلافات والمشارب - كما أشرنا - إلى عدم وجود راوٍ لم يوجد فيه طعن أو خدش من هنا أو هناك إلاّ ما ندر، بل لم يسلم من سهام القدح والتنقيص علماء الجرح والتعديل أنفسهم، فهذا هو البخاري إمام الجرح والتعديل عند أهل السنّة، قد تكلم فيه مسلم النيسابوري صاحب الصحيح، فقال: «وقد تكلم بعض منتحلي الحديث من أهل عصرنا في تصحيح الأسانيد وتسقيمها بقول لو ضربنا عن حكايته وذكر فساده صفحاً لكان رأياً متيناً ومذهباً صحيحاً؛ إذ الإعراض عن القول المطروح أخرى لإماتته، وإخمال ذكر قائله، وأجدر أن لا يكون ذلك

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، هدي الساري (مقدمة فتح الباري): ص ٤٥٩.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٨، ص ٤٧٦.

(٣) العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود (شرح سنن أبي داود): ج ١١، ص ١٥٧.

تنبيهاً للجهال عليه»<sup>(١)</sup>. والمقصود في ذلك البخاري؛ فلذا قال الذهبي: «ثم إن مسلماً لحدّة في خلقه انحرف أيضاً عن البخاري، ولم يذكر له حديثاً، ولا سّأه في صحيحه، بل افتتح الكتاب بالخط على من اشترط اللقي لمن روى عنه بصيغة (عن) وادّعى الإجماع في أنّ المعاصرة كافية، ولا يتوقّف في ذلك على العلم بالتقائهما، ويؤخّر من اشترط ذلك»<sup>(٢)</sup>. ومن اشترط ذلك هو البخاري نفسه، كما هو معلوم.

وترك أبو حاتم وأبو زرعة حديث البخاري وهما من أئمة الجرح والتعديل، ويكفي في سقوط حديث الراوي عن الاعتبار ترك أبي حاتم وأبي زرعة له، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم في الجرح والتعديل: «سمع منه [البخاري] أبي وأبو زرعة، ثم تركا حديثه»<sup>(٣)</sup>. وممن تكلم فيه يحيى بن معين، وهو من أساطين الجرح والتعديل وجهابذة نقد الرجال، فقد طعن فيه أحمد بن حنبل، وكان لا يرى الكتابة عنه؛ لأنّه أجاب في مسألة خلق القرآن على خلاف رأيه تقيّةً، فقال: «قال سعيد بن عمرو البرذعي: سمعت الحافظ أبا زرعة الرازي، يقول: كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التمار، ولا عن يحيى بن معين، ولا عن أحد ممن امتحن فأجاب. [قال الذهبي:] قلت: هذا أمر ضيق ولا حرج على من أجاب في المحنة، بل ولا على من أكره على صريح الكفر عملاً بالآية، وهذا هو الحق. وكان يحيى رضي الله عنه من أئمة السنة، فخاف من سطوة الدولة، وأجاب تقيّةً»<sup>(٤)</sup>. وقال أبو زرعة الرازي عنه: «لم يُنتفع بيحيى؛ لأنّه كان يتكلم في الناس»<sup>(٥)</sup>.

ومن الذين لم يسلموا من غائلة الجرح وآفة القدح - المستشرية بين الحفاظ وعلماء الحديث - الخطيب البغدادي الذي يُعدّ نجماً لامعاً في سماء الحديث وعلومه، فأراؤه

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج ١، ص ٢٢.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ١٢، ص ٥٧٣.

(٣) الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ج ٧، ص ١٩١.

(٤) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ١١، ص ٨٧.

(٥) المصدر السابق: ج ١١، ص ٩٠.

وأحكامه لها وزنها العلمي عند أهل الفنّ والمعرفة في علم الحديث، ومصنّفاته من أمّهات المصادر في هذا العلم<sup>(١)</sup>، فقد تحامل عليه ابن الجوزي كثيراً ووصمه بأشنع الصفات وبأقسى العبارات، فقال في المنتظم: «وقد كان في الخطيب شيئان: أحدهما: الجري على عادة عوام المحدّثين من قبله من قلة الفقه، والثاني: التعصّب في المذهب»<sup>(٢)</sup>. وقال في موضع آخر: «فأنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمّد بن طاهر المقدسي عن أبيه، قال: سمعت إسماعيل بن أبي الفضل القومسي وكان من أهل المعرفة بالحديث يقول: ثلاثة من الحفاظ لا أحبّهم لشدة تعصّبهم، وقلة إنصافهم: الحاكم أبو عبد الله، وأبو نعيم الأصبهاني، وأبو بكر الخطيب. قال المصنف: لقد صدق إسماعيل»<sup>(٣)</sup>.

وغير ذلك من التّهم التي ألصقتها بالخطيب البغدادي والتي لو قيل أقلّ منها في راوٍ لكان ذلك مدعاة لتركه وعدم الرواية عنه.

وغير ذلك من الشواهد الدالّة على تبادل القدح بين علماء الجرح أنفسهم. ولم يكن أئمة المذاهب الفقهيّة الأربعة الذين استقرّ عليهم أهل السنّة - بعد انحسار مدارسهم الفقهيّة الأخرى - بمنأى عن سهام القدح والتجريح، فقد نال منهم علماء الجرح واتّهموهم بشتّى التّهم والنعوت التي تحطّ من قدرهم ومكانتهم وتُسقط عدالتهم؛ الأمر الذي يُنبئ عن أنّ سهام علماء الجرح والتعديل قد طاشت في كلّ اتّجاه،

(١) قال عنه الذهبي: «الخطيب: الإمام الأوحّد، العلامّة المفتي، الحافظ الناقد، محدّث الوقت، أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ... وكتب الكثير، وتقدّم في هذا الشأن، وبدّ الأقران، وجمع وصنّف وصحّح وعلّل، وجرح وعدّل، وأرّخ وأوضح، وصار أحفظ أهل عصره على الإطلاق». الذهبي، محمّد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ١٨، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ١٥، ص ٣٣٧.

(٣) المصدر السابق: ج ١٦، ص ١٣٣.

ولم يسلم منها أحدٌ على الإطلاق.

وأبو حنيفة النعمان أكثر من تعرّض لهجوم المحدثين لتبنيّه مدرسة الرأي والاجتهاد في الفقه، وقلة الاعتماد على الحديث، فقد روي عن سفیان الثوري أنّه سُئل عن أبي حنيفة، فقال: «غير ثقة ولا مأمون، غير ثقة ولا مأمون، غير ثقة ولا مأمون»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن أحمد، قال: «سمعت أبي يقول: حديث أبي حنيفة ضعيف، ورأيه ضعيف»<sup>(٢)</sup>.

وروى الخطيب البغدادي بإسناده عن الحنيني، قال: «سمعت مالكا يقول: ما وُلد في الإسلام مولود أشأم من أبي حنيفة»<sup>(٣)</sup>. ومثل هذه الكلمات في أبي حنيفة كثيرة جداً في كتبهم ومصادرهم.

وكذلك لم يسلم الإمام الشافعي من الغمز فيه والغض منه، قال الذهبي في ترجمته له: «ونال بعض الناس منه غضباً، فما زاده ذلك إلا رفعة وجلالة، ولاح للمنصفين أنّ كلام أقرانه فيه بهوى»<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن عبد البر: «ومما نقم على ابن معين وعيب به أيضاً قوله في الشافعي: إنه ليس بثقة»<sup>(٥)</sup>.

ومالك بن أنس لم يكن غائباً عن طعون المحدثين وعلماء الجرح، فقد نال نصيباً من ذلك، فقد قال ابن عبد البر: «وقد تكلم ابن أبي دؤيب في مالك بن أنس بكلام فيه جفاء وخشونة كرهتُ ذكره... وتكلم في مالك أيضاً فيما ذكره الساجي في كتاب العلل عبد

(١) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد: ج ١٣، ص ٤٢٠.

(٢) المصدر السابق: ج ١٣، ص ٤٢١.

(٣) المصدر السابق: ج ١٣، ص ٤٠١.

(٤) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ١٠، ص ٩.

(٥) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله: ج ٢، ص ١٦٠.

العزیز بن أبی سلمة، وعبد الرحمن بن زید بن أسلم، وابن إسحاق، وابن أبی یحیی، وابن أبی الزناد، وعابوا أشياء من مذهبه وتكلم فيه غیرهم»<sup>(١)</sup>.

وعن الليث بن سعد، قال: «أحصيتُ على مالك بن أنس سبعين مسألة كلَّها مخالفة لسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) ممَّا قال مالك فيها برأيه»<sup>(٢)</sup>.

وأما أحمد بن حنبل، فقد وقع فيه أيضاً بعض النقاد ممن يعدّون من الطبقة العليا، ولهم حضورهم في ميدان الجرح والتعديل، كمحمد بن جرير الطبري ويحيى بن معين؛ إذ قصد الحنابلة يوماً محمد بن جرير الطبري «فسألوه عن أحمد بن حنبل يوم الجمعة في الجامع، وعن حديث الجلوس على العرش؟ فقال أبو جعفر: أمّا أحمد بن حنبل فلا يُعدّ خلافه. فقالوا له: فقد ذكره العلماء في الاختلاف، فقال: ما رأيته روي عنه، ولا رأيت له أصحاباً يعول عليهم، وأمّا حديث الجلوس على العرش فمحال...»<sup>(٣)</sup>.

وذكر ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل في ترجمة علي بن عاصم الواسطي أنه «قيل ليحيى بن معين: إن أحمد بن حنبل قال: إن علي بن عاصم ثقة. قال: لا والله، ما كان عليّ عنده قط ثقة، ولا حدّث عنه بحرف قط، فكيف صار اليوم عنده ثقة؟!»<sup>(٤)</sup>.

وفي الكلام اتِّهام واضح لأحمد بن حنبل في الكذب والتناقض في كلامه، فيوثق من كان ليس بثقة عنده.

هذا، وهناك أقوال عديدة للمتأخّرين من علماء الجرح في بعض علماء المذاهب أعرضنا عن ذكرها خوف الإطالة.

إنّ هذه التباينات والاختلافات والتضارب في الآراء والأقوال أدّى بهم إلى اللجوء إلى أساليب ووسائل لعلها تحافظ على البناء العام لعلم الجرح والتعديل على أقلّ التقادير.

(١) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٦٠ - ١٦١.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٤٨.

(٣) الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات: ج ٢، ص ٢١٣.

(٤) الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم، الجرح والتعديل: ج ٦، ص ١٩٩.

## حلول ومعالجات لحل الاختلافات

وللتخفيف من غلواء وحدة هذه الاختلافات الواسعة والكبيرة بين كبار الحفاظ والمحدثين، والتي امتدت لتطال حتى علماء الجرح أنفسهم وأئمة المذاهب، ومَن لهم شأن في الفقه والحديث ومَن يعولون عليهم، فرأوا أن بقاء الحال على ما هو عليه لا يُبقي حجراً على حجر؛ ومعه تنهار البنى الفكرية عندهم، فلجأوا إلى ابتكار طرق وأساليب جديدة من شأنها التقليل من هذه الاختلافات والتناقضات في الأحكام، فنظروا لها وأطروها وجعلوها على شكل قواعد، ولعل من أبرز وأهم هذه القواعد:

### أولاً: جرح الأقران لا يُعبأ به

في ضوء هذه القاعدة قرروا إسقاط الأقوال والأحكام والطعون بحق الأقران من أقرانهم من حسابات الجرح والتعديل وعدم الالتفات إليها؛ بحجة أن المعاصرة بين الجرح والمجروح تخلق بين العلماء نوعاً من الغيرة والحسد والتباغض، قال شعبة بن الحجاج: «احذروا غيرة أصحاب الحديث بعضهم على بعض، فلهم أشد غيرة من التيوس»<sup>(١)</sup>.

وقال الذهبي: «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، ما ينجو منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك، سوى الأنبياء والصدّيقين، ولو شئت لسردت من ذلك كرايس»<sup>(٢)</sup>.

ويتبيّن من كلام الذهبي مدى شيوع هذه الظاهرة في التراث السنّي، فكان لا بدّ من علاجها بابتكار وسيلة ما؛ ولذا نجد الذهبي يحمّد الله على التوصل إلى هذه الطريقة،

(١) الخطيب البغدادي، أحمد بن عليّ، الكفاية في علم الرواية: ص ١٣٦.

(٢) الذهبي، محمّد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ج ١، ص ١١١.

فيقول: «ولا يعتد - بحمد الله - بكثير من كلام الأقران بعضهم في بعض»<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أن هذه القاعدة لا تستند إلى دليل علمي ولا مرتكز عرفي، بل على العكس من ذلك، فإن الدليل قائم على خلافها؛ لأنَّ حكم الجراح والمعدّل على معاصره أقرب لليقين وأكثر إصابة للواقع؛ لأنَّها غالباً ما تنشأ عن حسّ ومشاهدة، قال سليمان الباجي: «أحوال المحدثين في الجرح والتعديل ممَّا يُدرك بالاجتهاد، ويُعلم بضرب من النظر؛ ووجه ذلك أن الإنسان إذا جالس الرجل، وتكررت محادثته له وإخباره إيَّاه بمثل ما يُخبر ناسٍ عن المعاني التي يُخبر عنها تحقق صدقه، وحكم بتصديقه»<sup>(٢)</sup>.

فطول المعاصرة والمعاشرة تكشف واقع الشخص لمن يعاصره، بخلاف غير المعاصر، ومجرّد احتمال كون هذه الأحكام ناشئة عن غيرة وحسد وتباغض لا يُبرّر إسقاط هذه الأحكام جملة؛ فإنَّ هذا الاحتمال موجود في كلّ حالة من الحالات بغض النظر عن المعاصرة وكون أحدهما قريباً للآخر، ثمَّ فرض كون الجراح عالماً تقياً دينياً يُضعف احتمال صدور هذه الأقوال منه عن هوى وتعصّب، وإلا فيجب إسقاط جميع أحكامه سواء في حقّ أقرانه أو غيرهم. وممَّن لم يرتض هذا المبنى الأمير الصنعاني، فقال: «إن كان مرادهم بالأقران المتعاصرون في قرن واحد، والمتساوون في العلوم، فهو مشكل؛ لأنَّه لا يعرف حال الرجل إلا من عاصره، ولا يعرف حاله من بعده إلا بأخبار من قارنه. إن أُريد الأول، وإن أُريد الثاني فأهل العلم هم الذين يعرفون أمثالهم، ولا يعرف أولي الفضل إلا ذوو الفضل، فالأولى إناطة ذلك لمن يعلم أن بينهما تنافساً أو تحاسداً أو شيئاً يكون سبباً لعدم الثقة لقبول بعضهم في بعض، لا لكونه من الأقران؛ فإنَّه لا يعرف عدالته ولا جرحه إلا من أقرانه»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق: ج ٣، ص ٦٠٧.

(٢) الباجي، سليمان بن خلف، التعديل والتجريح: ج ١، ص ٢٥١.

(٣) الصنعاني، محمد بن إسماعيل، ثمرات النظر في علم الأثر: ص ١٣٠.



## ثانياً: تصنيف علماء الجرح والتعديل

ومن الطُّرُق التي سلكوها لتضييق دائرة الاختلافات بينهم في توثيق الراوي وتضعيفه، هي تصنيف علماء الجرح والتعديل إلى ثلاثة أصناف: الأول: متشدّد ومتعنّت في أحكامه، الثاني: متساهل، الثالث: منصف معتدل. وهذه الطريقة تسهّل لهم سبيلاً للخروج من التضاد والتعارض الكثير بين أقوال المعدّلين والجرحين، ولعلّ أوّل مَنْ قام بهذا التصنيف هو الذهبي، قال السخاوي: «وقد قَسَمَ الذهبي مَنْ تكَلَّمَ في الرجال... على ثلاثة أقسام أيضاً: قسم منهم متعنّت في التوثيق متنبّت في التعديل يغمز الراوي بالغلطين والثلاث، فهذا إذا وثّق شخصاً فعرض على قوله بنواجذك وتمسك بتوثيقه، وإذا ضعّف رجلاً فأنظر هل وافقه غيره على تضعيفه، فإن وافقه ولم يوثّق ذاك الرجل أحدٌ من الحدّاق فهو ضعيف، وإن وثّقه أحدٌ فهذا هو الذي قالوا: لا يقبل فيه الجرح إلاّ مفسّراً... وقسم منهم متسامح، كالترمذي والحاكم... وقسم معتدل، كأحمد والدارقطني وابن عدي»<sup>(١)</sup>.

إنّ هذه الطريقة وإن استطاعوا في ضوئها من الناحية النظرية أو العملية التخلّص من كثير من موارد التعارض بين بعض أقوال علماء الجرح والتعديل، ولكن الكلام يبقى في المعيار الذي تمّ على أساسه هذا التصنيف، فإن كلّ واحد من هؤلاء يمكن أن يكون متشدّداً في مورد ومتساهلاً في آخر، وأنّ الاستقراء لا يمكنه أن يساعد على ذلك؛ بدليل اختلافهم في عدّ هذا أو ذاك من المتشدّدين أو المتساهلين، فعلى سبيل المثال اختلفوا في اعتبار ابن حبان البستي من المتشدّدين أم من المتساهلين، قال اللكنوي الهندي: «وقد نسب بعضهم التساهل إلى ابن حبان، وقالوا: هو واسع الخطو في باب

(١) السخاوي، محمّد بن عبد الرحمن، فتح المغيث: ج٣، ص ٣٥٨-٣٥٩.

التوثيق يوثق كثيراً ممن يستحق الجرح»<sup>(١)</sup>، في الوقت الذي وصفه الذهبي في أكثر من مورد بأنه مسرف ومتعنت ومتشدد في جرح الرجال، ففي ميزان الاعتدال في ترجمة سويد بن عمرو الكلبي الكوفي (ت ٢٠٤ هـ)، قال: «وثقه ابن معين وغيره. وأمّا ابن حبان، فأسرف واجترأ، فقال: كان يقلب الأسانيد، ويضع على الأسانيد الصحاح المتون الواهية»<sup>(٢)</sup>. وفيه أيضاً في ترجمة سعيد بن عبد الرحمن الجمحي (ت ١٧٦ هـ)، قال: «وثقه ابن معين وغيره... وأمّا ابن حبان، فإنه خساف قصاب، فقال: روى عن الثقات أشياء موضوعة»<sup>(٣)</sup>، وفي تاريخ الإسلام في ترجمة هارون بن سعد العجلي، قال الذهبي: «وقد شدّ ابن حبان كعوائده، فقال: لا تحل الرواية عنه... ثمّ قال الذهبي:... وهذا قد روى له مسلم»<sup>(٤)</sup>؛ ولذا قال اللكنوي الهندي عن القول بتساهل ابن حبان: «هو قول ضعيف؛ فإنك قد عرفت سابقاً أنّ ابن حبان معدود ممن له تعنت وإسراف في جرح الرجال، ومن هذا حاله لا يمكن أن يكون متساهلاً في تعديل الرجال»<sup>(٥)</sup>.

إنّ اختلافهم هذا ناجم عن أنّه لا يوجد من علماء الجرح من هو متشدد على الإطلاق أو متساهل على الإطلاق، قال في الرفع والتكميل: «واعلم أنّ من النقّاد من له تعنت في جرح أهل بعض البلاد أو بعض المذاهب، لا في جرح الكل»<sup>(٦)</sup>؛ ولذا وصف الذهبي الدارقطني بأنّه متساهل في بعض الأحيان<sup>(٧)</sup>، مع أنّه عدّ من المعتدلين.

(١) اللكنوي الهندي، محمد عبد الحي، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: ص ٣٣٥. أنظر: الشهرزوري،

عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح): ص ١٠.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ج ٢، ص ٢٥٣.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٤٨.

(٤) الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج ٩، ص ٣١٦.

(٥) اللكنوي الهندي، محمد عبد الحي، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: ص ٣٣٥.

(٦) المصدر السابق: ص ٣٠٨.

(٧) الذهبي، محمد بن أحمد، الموقظة في مصطلح الحديث: ص ٨٣.

ثمَّ مَنْ هو الذي يُعتمدُ قوله ويكون الفيصل في هذا التصنيف؟ هل هو الذهبي أم غيره؟ فالذهبي اتهم بالميل والحيف في أحكامه، فقد وصفه تلميذه تاج الدين السبكي بأبشع الأوصاف واتهمه بالتحامل على مَنْ يخالفه الرأي، فقال: «وهذا شيخنا الذهبي من هذا القبيل، له علم وديانة وعنده على أهل السنّة تحمّل مفرط، فلا يجوز أن يُعتمد عليه... وقد وصل من التعصّب المفرط إلى حدِّ يُسخر منه، وأنا أخشى عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين وأئمتهم الذين حملوا لنا الشريعة النبويّة؛ فإنّ غالبهم أشاعرة وهو إذا وقع بأشعري لا يبقى ولا يذر، والذي اعتقده أتهم خصاؤه يوم القيامة عند مَنْ لعل أدناهم عنده أوجه منه... أيّ لَمَّا أكثرْتُ بعد موته النظر في كلامه عند الاحتياج إلى النظر فيه، توقّفتُ في تحرّيه فيما يقوله، ولا أزيدُ على هذا غير الإحالة على كلامه، فلينظر كلامه مَنْ شاء، ثمَّ يُبصر هل الرجل متحرّجٌ عند غضبه، أو غير متحرّجٍ؟

وأعني بغضبه وقت ترجمته لواحد من علماء المذاهب الثلاثة المشهورين من الحنفيّة والمالكيّة والشافعيّة، فإنّي أعتقد أنّ الرجل كان إذا مدّ القلم لترجمة أحدهم غضب غضباً مفرطاً، ثمَّ قرطم الكلام ومزّقه، وفعل من التعصّب ما لا يخفى على ذي بصيرة، ثمَّ هو مع ذلك غير خبير بمدلولات الألفاظ كما ينبغي، فربما ذكر لفظة من الدّم لو عقل معناها لما نطق بها.

ودائماً أتعجّبُ من ذكره الإمام فخر الدين الرازي في كتاب الميزان في الضعفاء، وكذلك السيف الأمدي»<sup>(١)</sup>.

فمَنْ بعد الذهبي يُعتمدُ قوله إذن؟! وهو خريّت هذه الصناعة والخبير المتضلع منها، فإنّها مزلة الأقدام وهي «من المواضع التي يُخشى أن يغلب فيها الوهم على الفهم»<sup>(٢)</sup>. إنّ كلّ هذه المعطيات تؤسّر على أنّ هذا التصنيف لعلماء الجرح لم يكن مبنياً على

(١) السبكي، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى: ج ٢، ص ١٤.

(٢) الجزائري الدمشقي، طاهر، توجيه النظر إلى أصول الأثر: ج ١، ص ٢٨٢.

أسس واقعية أو منطقية؛ لغياب المعيار الواضح الذي على أساسه حصل هذا التصنيف.

### ثالثاً: احتجاج البخاري ومسلم أو أحدهما بالراوي

ومن الأمور التي تمسكوا بها للتخلص من كثرة الاختلافات بين الجارحين والمعدّلين هو أنّهم اعتمدوا على احتجاج الشيخين أو أحدهما براوٍ ما، وحكموا بتوثيقه وقبول حديثه وإسقاط ما قيل فيه من تضعيف أو جرح من قِبَل علماء آخرين مهما كان شأنهم وخطرهم، فعبروا عمّن ورد ذكره في الصحيحين أو أحدهما على سبيل الاحتجاج به بأنّه جاز القنطرة، كناية عن اعتباره وقبوله وتوثيقه، قال ابن حجر: «كان الشيخ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرّج عنه في الصحيح: هذا جاز القنطرة. يعني بذلك أنّه لا يلتفت إلى ما قيل فيه، قال الشيخ أبو الفتح القشيري في مختصره: وهكذا نعتقد وبه نقول، ولا نخرج عنه إلا بحجة ظاهرة، وبيان شاف يزيد في غلبة الظنّ على المعنى الذي قدّمناه من اتّفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين، ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما. قلت: فلا يُقبل الطعن في أحد منهم إلا بقادح واضح»<sup>(١)</sup>.

ولكن هذا الحلّ مع مخالفة البعض له يبقى حلاً ناقصاً لا يعالج جذور المشكلة من الأساس، لوجود أعداد غفيرة من الرواة الذين لم يخرّج لهم في الصحيحين ممّن وردوا في السنن والمسانيد والمصادر الأخرى.

### رابعاً: تقديم الجرح على التعديل

وهي من أهمّ القواعد التي تشبّثوا بها للتخلص من وجود التعارض بين أحكام الجارحين والمعدّلين في راوٍ معيّن، ومفادها تقديم الجرح على التعديل في شأن هذا الراوي، فلو وُجد جارحٌ ومعدّلٌ لهذا الراوي، فالمصير هو اعتماد الجرح وعدم قبول رواية هذا الراوي، وهي قاعدة أصولية وحديثية تناوّلها كلّ من المحدثين والأصوليين،

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، هدي الساري (مقدمة فتح الباري): ص ٣٨١.

فقد تناولها المحدثون في علم الجرح والتعديل، وبحثها الأصوليون عند تطرّقهم إلى بحث الأصل الثاني من مصادر التشريع وهو السنة النبوية، وذلك في أبحاث الراوي والمروى وشروطهما.

والحامل للعلماء على انتهاج هذه القاعدة واعتماد هذا الأصل هو عدّة نكات:

منها: إنّ التعديل مستند إلى الظاهر، والجرح أمرٌ باطن، والعلم بالباطن مقدّم على العلم بالظاهر، قال الشافعي: «وكان الجرح أولى من التعديل؛ لأنّ التعديل يكون على الظاهر والجرح يكون على الباطن»<sup>(١)</sup>. وقال الخطيب: «اتفق أهل العلم على أنّ من جرحه الواحد والاثنان وعدّله مثل عدد من جرحه فإنّ الجرح به أولى؛ والعلة في ذلك أنّ الجراح يُخبر عن أمر باطن قد علمه»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: إنّ لا يوجد هناك تعارض وتكاذب بين كلام الجراح وكلام المعدّل، بل الجراح يصدّق المعدّل في قوله؛ وذلك لأنّ الجراح قد علم شيئاً زائداً عمّا كان قد علمه المعدّل، فلا بدّ لنا من الأخذ بهذا العلم، وهذا ما أشار إليه الخطيب من أنّ الجراح «يصدّق المعدّل ويقول له: قد علمتُ من حاله الظاهرة ما علمتها وتفردتُ بعلم لم تعلمه من اختبار أمره. وإخبار المعدّل عن العدالة الظاهرة لا ينفي صدق قول الجراح فيما أخبر به؛ فوجب لذلك أن يكون الجرح أولى من التعديل... وقالت طائفة: بل الحكم للعدالة. وهذا خطأ؛ لأجل ما ذكرناه من أن الجارحين يصدّقون المعدّلين في العلم بالظاهر ويقولون: عندنا زيادة علم لم تعلموه من باطن أمره»<sup>(٣)</sup>. وقال النووي: «ولو تعارض جرح وتعديل قُدّم الجرح على المختار الذي قاله المحقّقون والجمهير، ولا فرق بين أن يكون عدد المعدّلين أكثر أو أقل، وقيل: إذا كان المعدّلون أكثر قُدّم التعديل، والصحيح

(١) الشافعي، محمّد بن إدريس، كتاب الأم: ج ٦، ص ٢٢١.

(٢) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الكفاية في علم الرواية: ص ١٣٢ - ١٣٤.

(٣) المصدر السابق: ص ١٣٢.

الأول؛ لأنَّ الجرح اطلع على أمرٍ خفيٍّ جهله المعدلُ»<sup>(١)</sup>. وقال ابن الصلاح: «إذا اجتمع في شخص جرحٌ وتعديلٌ فالجرح مقدّم؛ لأنَّ المعدلَ يُخبر عما ظهر من حاله، والجرح يُخبر عن باطن خفي على المعدل، فإن كان عدد المعدلين أكثر، فقد قيل: التعديل أولى، والصحيح والذي عليه الجمهور أنَّ الجرح أولى لما ذكرناه، والله أعلم»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: إنَّ القول بالعدالة مستند إلى أصالة العدالة وظاهر الحال، والجرح مستند إلى الدليل، والدليل مقدّم على الأصل، وغيرها من النكات الأخرى، ولا فرق - بناءً على هذا - بين أن يكون عدد المعدلين والجرحين متساوياً، أو أن أحد الفريقين أكثر من الآخر، كما أشار إليه النووي آنفاً، وتعرّض له الزركشي حين قال: «لأنَّ تقديم الجرح إنّما هو لتضمّنه زيادة خفيت على المعدل؛ وذلك موجود مع زيادة عدد المعدل ونقصه ومساواته، فلو جرحه واحد وعدّله مائة قدّم قول الواحد لذلك»<sup>(٣)</sup>.

### الجرح المفسّر هو المقدم على التعديل لا مطلقاً

قاعدة تقديم الجرح على التعديل ليس فقط لم تساهم في حلّ المشكل، بل أضافت مشكلاً آخر، وعقدت المسألة بدلاً من حلّها، فإنّهم وجدوا أنّ تقديم الجرح مطلقاً على التعديل يسبب مشاكل كثيرة، وذلك لعدّة أمور:

الأول: إنهم رأوا اختلاف الناس فيما يُجرح به الإنسان أو يُفسّق، قال ابن حجر: «الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة، منها ما يقدر، ومنها ما لا يقدر»<sup>(٤)</sup>.

فبعض الجرحين عندما يُسأل عن سبب جرحه لراوٍ معيّن فإنّه يذكر أموراً لا تُعدّ جرحاً

(١) النووي، محيي الدين، شرح صحيح مسلم: ج ١، ص ١٢٥.

(٢) الشهرزوري، عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح): ص ٨٧.

(٣) الزركشي، محمّد بن عبد الله، النكت على مقدمة ابن الصلاح: ج ٣، ص ٣٦٢.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، مقدّمة فتح الباري: ص ٣٨١.

وقدحاً، وقد أفرد الخطيب البغدادي في الكفاية باباً لبعض أحكام الجرح التي لا تُعدّ جرحاً في عرف العلماء، فسَمَّى هذا الباب: باب ذكر بعض أخبار مَنْ استفسر في الجرح، وذكر الخطيب فيه أموراً كثيرة، أشرنا إلى بعضها فيما سبق.

الثاني: إنّ هناك رواية قد ثبتت عدالتهم ووثافتهم إمّا بتخريج الشيخين لهم أو بتعديل الأئمة لهم، ووُجِدَ مَنْ جرحهم بجرح مبهم وأسقط عدالتهم، فأوا أنّه - بناءً على هذه القاعدة - سوف لن يسلم أحدٌ أبداً؛ ولذا قال السبكي: «فلو فتحنا هذا الباب أو أخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحدٌ من الأئمة؛ إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون»<sup>(١)</sup>.

فلم يجدوا مفرّاً من إدخال تعديل على قاعدة تقديم الجرح والتعديل لتصبح (أنّ الجرح المفسّر هو المقدم على التعديل) وليس الجرح المبهم، والجرح المفسّر هو: أن يذكر الجراح السبب الذي من أجله جرح وقدح في الراوي، فإن كان من أسباب الجرح قبيل، وإلا فهو مردود، قال ابن حجر بعد نقله لكلام الخطيب حول قاعدة تقديم الجرح على التعديل مطلقاً: «بل الصواب التفصيل، فإن كان الجرح والحالة هذه مفسراً وإلا عمّل بالتعديل، وعليه يُحمَل قول مَنْ قدّم التعديل كالقاضي أبي الطيب الطبري وغيره»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن دقيق العيد: «وقد اختلف الناس في أسباب الجرح؛ ولأجل ذلك قال مَنْ قال: لا يُقبل الجرح إلا مفسراً»<sup>(٣)</sup>. وقال النووي: «ولا يُقبل الجرح إلا مفسراً، وهو أن يذكر السبب الذي به جرح؛ ولأنّ الناس يختلفون فيما يُفسّق به الإنسان، ولعلّ مَنْ شهد بفسقه شهد على اعتقاده»<sup>(٤)</sup>. وقال الصنعاني: «ولا يغرّ مغرّباً بأنّ الجرح مقدّم على التعديل، فإنّهم وإن أطلقوا العبارة في ذلك، فذلك الجرح الميّن السبب؛ لأنّ ما لم يُيّن سببه فلا

(١) السبكي، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى: ج ٢، ص ٩.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج ١، ص ١٥.

(٣) القشيري، تقي الدين بن دقيق العيد، الاقتراح في بيان الاصطلاح: ص ٥٧.

(٤) النووي، محيي الدين، المجموع: ج ٢٠، ص ١٣٦.

يتحقَّق أنه جرح يوجب الرد»<sup>(١)</sup>. واعتبر اللكنوي الجرح المبهم مرفوضاً مطلقاً، حيث قال: «فإن الجرح المبهم غير مقبول مطلقاً، على المذهب الصحيح، فلا يمكن أن يُعارض التعديل وإن كان مبهماً»<sup>(٢)</sup>.

وأما التعديل، فلم يشترطوا فيه ذكر السبب، قال ابن الصلاح: «التعديل مقبول من غير ذكر سببه على المذهب الصحيح المشهور؛ لأن أسبابه كثيرة يصعب ذكرها، فإن ذلك يحوج المعدل إلى أن يقول: لم يفعل كذا، لم يرتكب كذا، فعل كذا وكذا، فيعدّد جميع ما يُفسَّق بفعله أو بتركه، وذلك شاقٌّ جدّاً»<sup>(٣)</sup>.

فأصبحت القاعدة بعد هذا التعديل أنه إذا تعارض جرح وتعديل فينبغي أن يكون الجرح حينئذٍ مفسّراً<sup>(٤)</sup>، فقال ابن قدامة: «ولا يُسمع الجرح إلا مفسّراً، ويُعتبر فيه اللفظ، فيقول: أشهد أنني رأيت يشرب الخمر، أو يُعامل بالربا، أو يظلم الناس بأخذ أموالهم أو ضربهم، أو سمعته يقذف. أو يُعلم ذلك باستفاضته في الناس، ولا بدّ من ذكر السبب وتعيينه»<sup>(٥)</sup>.

فاستقرّ الأغلب على هذا الرأي، واشتهر بينهم، وصار هو القاعدة المشهورة والمعروفة بينهم، سواء كان ذلك عند المحدثين، كما قال الخطيب البغدادي: «سمعت القاضي أبا الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري يقول: لا يُقبل الجرح إلا مفسّراً، وليس قول أصحاب الحديث: فلان ضعيف، وفلان ليس بشيء، مما يوجب جرحه وردّ خبره؛ وإنّما كان كذلك لأنّ الناس اختلفوا فيما يُفسَّق به، فلا بدّ من ذكر سببه لينظر هل هو فسق أم لا؟... قلت: وهذا القول هو الصواب عندنا، وإليه ذهب الأئمة من

(١) الصنعاني، محمد بن إسماعيل، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار: ص ٢٧٤.

(٢) اللكنوي الهندي، محمد عبد الحي، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: ص ١١٧.

(٣) الشهرزوري، عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح): ص ٨٦.

(٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، الباعث الحثيث (شرح اختصار علوم الحديث): ج ١، ص ٢٨٧.

(٥) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني: ج ١١، ص ٤٢٤.



حفاظ الحديث ونقّاده، مثل محمّد بن إسحاق البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري وغيرهما<sup>(١)</sup>. أو عند الأصوليين، كما قال ابن الصلاح: «وأما الجرح، فإنّه لا يُقبل إلّا مفسّراً مبين السبب؛ لأنّ الناس يختلفون فيما يجرح وما لا يجرح، فيطلق أحدهم الجرح بناءً على أمر اعتقده جرحاً وليس بجرح في نفس الأمر، فلا بدّ من بيان سببه لينظر فيما هو جرح أم لا، وهذا ظاهر مقرّر في الفقه وأصوله»<sup>(٢)</sup>. وقال العلامة أحمد محمد شاكر: «وهو المشتهر عند كثير من أهل العلم»<sup>(٣)</sup>.

### تقديم الجرح المفسّر على التعديل وعقبات في الطريق

إنّ قاعدة تقديم الجرح المفسّر هي أكثر القواعد عندهم استجابةً لمعالجة واقع مفروض، ولم تستند إلى أدلّة وحقائق علميّة؛ فإنّها أيضاً واجهت مشكلات عدّة:

المشكلة الأولى: إنّ هناك رواية احتجّ بهم البخاري ومسلم وأخرجوا لهم في الصحيحين، ولكن جاء في حقّهم أيضاً جرح مفسّر، وبعد أن تلقّى أهل السنّة الصحيحين بالقبول، ولكي يحافظوا على هذين الكتاين من ورود الخدشة فيهما كان لا بدّ من عمل بعض التعديلات على قاعدة تقديم الجرح المفسّر على التعديل، فاعتبر بعض العلماء أنّ هذا الجرح المفسّر لم يكن ثابتاً عند الشيخين؛ فلذا وثّقوا أولئك الرواة الذين ورد في حقّهم هذا الجرح، قال النووي: «ثمّ من وُجد في الصحيحين ممّن جرحه بعض المتقدّمين يُحمّل ذلك على أنّه لم يثبت جرحه مفسّراً بما يُجرح»<sup>(٤)</sup>. ونقل النووي أيضاً عن الخطيب البغدادي قوله: «ما احتجّ البخاري ومسلم وأبو داود به من جماعة

(١) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الكفاية في علم الرواية: ص ١٣٥-١٣٦.

(٢) الشهرزوري، عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح): ص ٨٦.

(٣) ابن كثير، إسحاق بن عمر، الباعث الحثيث (شرح اختصار علوم الحديث): ج ١، ص ٢٨٧.

(٤) النووي، محيي الدين، شرح صحيح مسلم: ج ١، ص ١٢٥.

عُلم الطعن فيهم من غيرهم محمولٌ على أنه لم يثبت الطعن المؤثر مفسر السبب»<sup>(١)</sup>.  
 المشكلة الثانية: يوجد رواية اشتهرت وثاقتهم شهرة واسعة، وبعضهم كان له  
 مذهب ومريدون وأتباع، فقرّر العلماء عدم تقديم الجرح ولو كان مفسراً على تعديلهم  
 ووثاقتهم، قال: تاج الدين السبكي: «إن الجرح لا يُقبل منه الجرح - وإن فسره في حقّ  
 مَنْ غلبت طاعته على معاصيه، ومادحوه على ذاميه، ومزكّوه على جارحيه - إذا كانت  
 هناك قرينة يشهد العقل بأن مثلها حامل على الوقعة في الذي جرحه... فنقول مثلاً: لا  
 يلتفت إلى كلام ابن أبي ذئب في مالك، وابن معين في الشافعي، والنسائي في أحمد بن  
 صالح؛ لأن هؤلاء أئمة مشهورون»<sup>(٢)</sup>.

المشكلة الثالثة: إن أكثر عبارات الجرح جاءت مبهمة غير مفسرة في كتب الجرح؛  
 وعليه لا يمكن الاستفادة منها، ومعها ينسدّ باب الجرح، قال ابن الصلاح: «ولقائل أن  
 يقول: إنما يعتمد الناس في جرح الرواة وردّ حديثهم على الكتب التي صنّفها أئمة الحديث  
 في الجرح أو في الجرح والتعديل، وقلّ ما يتعرّضون فيها لبيان السبب، بل يقتصرون على  
 مجرد قولهم: فلان ضعيف، وفلان ليس بشيء. ونحو ذلك، أو: هذا حديث ضعيف،  
 وهذا حديث غير ثابت ونحو ذلك، فاشترط بيان السبب يُفضي إلى تعطيل ذلك وسدّ  
 باب الجرح في الأغلب الأكثر...»<sup>(٣)</sup>.

وتخلّصاً من هذه المشكلة أجابوا بجوابين:

الجواب الأول: إن ما ذكره في كتبهم من جرح مبهم غير مفسر وإن كان لا يؤدي  
 إلى رفع اليد عن التعديل، ولكن له فائدة وهي التوقّف في حقّ هذا الراوي الذي جاء  
 بحقّه الجرح المبهم فيفتش عن حاله، قال ابن الصلاح: «وجوابه: أن ذلك [الجرح

(١) المصدر السابق.

(٢) السبكي، عبد الوهاب بن علي، قاعدة في الجرح والتعديل: ص ٢٤-٢٨.

(٣) الشهرزوري، عثمان بن عبد الرحمن، علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح): ص ٨٧.

المبهم] وإن لم نعتمده في إثبات الجرح والحكم به، فقد اعتمدناه في أن توقُّفنا عن قبول حديث مَنْ قالوا فيه مثل ذلك بناءً على أن ذلك أوقع عندنا فيهم ريبة قويّة يوجب مثلها التوقُّف»<sup>(١)</sup>. وقال النووي: «وعلى مذهب مَنْ اشترط في الجرح التفسير يقول: فائدة الجرح فيمن جرح مطلقاً أن يُتوقَّف عن الاحتجاج به إلى أن يُبحث عن ذلك الجرح»<sup>(٢)</sup>، وأكّد ذلك الصنعاني بقوله: «إنّ أكثر هذه العبارات في التجريح غير مبينة السبب، فهي من باب الجرح المطلق؛ فتكون غير مفيدة للجرح الموجب لإطراح الرواية، ولكن تكون موجبة للريبة والوقف في قبول مَنْ قيلت فيه وردّه»<sup>(٣)</sup>.

الجواب الثاني: إنّ الجرح المبهم يُقبَل ويُقدَّم على التعديل إذا كان من عارف بأسباب الجرح ومن أصحاب الشأن، وأمّا إذا كان من شخص غير عارف فلا يُقبَل، قال الخطيب البغدادي: «والذي يقوى عندنا ترك الكشف عن ذلك إذا كان الجرح عالماً»<sup>(٤)</sup>. وقال ابن كثير: «أما كلام هؤلاء الأئمة المنتصين لهذا الشأن، فينبغي أن يؤخّر مسلماً من غير ذكر أسباب؛ وذلك للعلم بمعرفتهم واطّلاعهم، واضطلاعهم في هذا الشأن»<sup>(٥)</sup>. وكذلك أشار إلى هذه القضية ابن حجر في نزّهة النظر، قال: «والجرح مقدّم على التعديل، وأطلق ذلك جماعةً، ولكنّ محلّه إن صدر مُبيّناً من عارفٍ بأسبابه؛ لأنّه إن كان غير مفسّرٍ لم يقدح فيمن ثبتت عدالته، وإن صدر من غير عارفٍ بالأسباب لم يُعتَبَر به أيضاً»<sup>(٦)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ٨٧.

(٢) النووي، محيي الدين، شرح صحيح مسلم: ج ١، ص ١٢٥.

(٣) الصنعاني، محمد بن إسماعيل، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار: ج ٢، ص ٢٧٤.

(٤) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الكفاية في علم الرواية: ص ١٣٥.

(٥) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، الباعث الحثيث (شرح اختصار علوم الحديث): ج ١، ص ٢٨٦.

(٦) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، نزّهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: ص ٤٦.

## شروط وضوابط تقديم الجرح المفسر على التعديل

إنّ هذه القاعدة ولكثرة الأمور التي واجهت علماء الجرح والتعديل - مضافاً لما ذكرناه - ولاختلاف المباني والاتجاهات، فقد أدخلت عليها تعديلات وأضيفت شروط واستثناءات نذكر بعضاً منها على سبيل المثال والإشارة، ومن أراد التوسّع فعليه بمراجعة كتب مصطلح الحديث ومقدمات كتب الجرح والتعديل، ومن هذه الاستثناءات أنّه قيل بتقديم جانب التعديل على الجرح المفسر إذا توفّرت بعض الشروط التي منها:

- ١- ما لو قال المعدّل: عرفتُ السبب الذي قاله الجارح، ولكنهُ تاب وحسنتُ حاله. أو إذا ذكر الجارحُ سبباً مُعيّناً للجرح، فنفاهُ المعدّلُ بما يدلُّ يقيناً على بطلان السبب.
- ٢- إذا كان المعدّلون من معاصري الراوي وعدم معاصرة الجارح له، فيُقدّم قول المعاصر؛ لأنّ المعاصر أعرف وأعلم بمن في عصره.
- ٣- أن يكون المعدّل من أهل بلد الراوي الذي تكلم فيه، والجارح لم يكن من بلده، فيُقدّم مَنْ كان من أهل بلده؛ لأنّه أعرف بأهل بلده.
- ٤- قوّة عبارة المعدّلين على عبارة الجارحين.

وغيرها من الشروط التي قد يختلف العلماء في الأخذ بها وعدمه. كما أنّهم أسقطوا بعض التضعيفات والتجريحات إذا صدرت من الأقران في بعضهم بعضاً، لا سيما إذا لاح أنّه لعدوّة أو لمذهب أو لحسد، كما تقدّم. إنّ ما قاموا به من محاولات وأساليب للحدّ من تفشّي ظاهرة الاختلافات بين علماء الجرح والتعديل لم تُجدِ نفعاً كبيراً للوقوف بوجه هذه المشكلة، وظلّ علم الجرح والتعديل يعاني منها إلى اليوم؛ ممّا جعله في حالة من عدم الثبات والاستقرار.

## عدم ثبات علم الجرح والتعديل

إنّ هذا التضارب الكبير في أقوال علماء الجرح والتعديل - والذي لم تستطع تلك

الطُّرُق والأساليب المبتكرة من تطويقه والحدِّ منه كما رأينا - جعل علم الجرح والتعديل يتَّسم بال مرونة السلبية؛ فباستطاعة المطلع على كتب الرجال أن يعدِّل رجلاً ويوثِّقه أو يضعِّفه حسبما يريد لكثرة الأقوال واختلاف النظريات وتشعبها، فيتمسَّك بما يفيد منها، ويغضُّ الطرف عمَّا لا ينفعه، خصوصاً مع قلة المطلعين على هذه الأمور، فيوقع عامَّة الناس في الخطأ والوهم، ويمرِّر عليهم ما يريد من أفكار ونظريات، ويُقصي ما لا يريد منها، وهذا ما يمكن ملاحظته بوضوح في تأليفات علماء أهل السنَّة في القرون المتأخِّرة، خصوصاً ما يرتبط منها في المسائل الخلافية، سواء ما وقع منها بين المذاهب السنيَّة أنفسها، أو ما بينها وبين بقية المذاهب الأخرى، وكان لهذا الأمر آثاره الخطيرة في حياة الأمة الإسلاميَّة ومسيرتها، وقد حدَّر من آثاره الخطيرة كثير من علماء أهل السنَّة، كاللكنوي الهندي في الرفع والتكميل، فحين ذكر اعتراض الذهبي على ابن الجوزي في جعله أبان بن يزيد العطار في عداد الضعفاء، ونقله أقوال مَنْ ضعِّفه فقط والسكوت عمَّن وثَّقه، قال اللكنوي: «هذه النصوص لعلَّها لم تفرغ صباح أفاضل عصرنا وأماثل دهرنا، فإنَّ شيمتهم أنَّهم حين قصدهم بيان ضعف رواية ينقلون من كتب الجرح والتعديل الجرح دون التعديل، فيوقعون العوام في المغلطة لظنِّهم أنَّ هذا الراوي عارٍ عن تعديل الأجلَّة، والواجب عليهم أن ينقلوا الجرح والتعديل كليهما، ثمَّ يرَّجِّحوا حسبما يلوح لهم أحدهما، ولعمري، تلك شيمة محرَّمة، وخصلة محرَّمة، ومن عاداتهم السيئة»<sup>(١)</sup>.

وهذا ما زال مستمرّاً إلى يومنا هذا حيث ضُعِّفت كثير من الروايات التي لا تنسجم مع التوجُّهات الفكرية والأجواء السائدة عند أهل السنَّة بهذه الطريقة، وبنيت على ذلك العديد من المتبنّيات العقديَّة والفكرية، وأُتخذت المواقف تجاه مَنْ قاده الدليل إلى اعتماد رؤية ومنهج مخالف لما هم عليه.

(١) اللكنوي الهندي، محمد عبد الحي، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: ص ٦٦.



خلاصة المقال

بالبحر العميق في الأبحاث

## مظلومية الإمام الحسين عليه السلام ومأساة كربلاء في النصّ الديني (دراسة مفهوميّة - وثائقيّة)

الشيخ قيصر التميمي

تعرّضنا في مطلع المقال للصيرورة والتكوّن المفهومي لفكرة المظلوميّة، وهي في اللغة عبارة عمّا يلحق المظلوم بفعل الظالم من الجور والأذى، والحيف والتجاوز، والابتزاز ونهب الحقوق، والقتل وسلب الممتلكات ونحو ذلك، وفي الرؤية الفلسفيّة تُعدّ من مقولة الإضافة، وهي الهيئة الحاصلة من نسبة متكرّرة قائمة بين طرفين متخالفين هما: (الظالم والمظلوم)، وكل واحد من هذين الطرفين يتشارك مع الآخر في صناعة وبناء معنى المظلوميّة ومفهومها، وأمّا بالنسبة إلى مُعطيات النصوص الدينيّة فهي تصف المظلوميّة في صيرورتها وتكوّنها بما يُشبه الإضافة الإشراقيّة، التي يرتبط ويتعلّق المضاف والإضافة فيها بطرف واحد فحسب، وهي تُعبّر عن جريمة نكراء بحقّ الإنسانيّة، وظاهرة مأساويّة في المجتمع، لا يصنعها ولا يتحمّل وزرها إلاّ الظالم وحده، ولو ساهم المظلوم مع الظالم وسعى في صناعتها وتكوينها، فإنه سيكون في صفوف الظالمين.

ثم انتقلنا بعد ذلك لرصد وثائق المظلوميّة ومستنداتها بشكل عامّ في النصوص الدينيّة: (القرآن الكريم والأحاديث الشريفة)، فيما يرتبط بحقيقتها وخصائصها وأحكامها وأهميّتها، واستعرضنا أيضاً التخليد القرآني والروائي لهذه الظاهرة، ومتى يستحقّ المظلوم التضامن والتقدير على مظلوميّته.

بعدها جاء دور الحديث حول المظلوميّة في النصّ الدينيّ الحسينيّ، فانظم حديثنا في بوتقة هذه العناوين: التأكيد على عنوان (مظلوميّة الحسين عليه السلام) في النصّ الدينيّ. لعن الأمة الظالمة وتحميلها مسؤوليّة ما واجهه الحسين عليه السلام من مظلوميّة ومأساة.



مظلومية الحسين عليه السلام توجب العذاب الأبدي لظالميه. شهادة المؤمن وإقراره بـ(مظلومية الحسين عليه السلام) أمام الله تعالى. الصلاة والتسليم على الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره بوصف (المظلومية).

ثم ذكرنا تحت عنوان: ثقافة المظلومية وبناء الدولة، بأن هذه الثقافة لو مثلت في واقعها ثورة مسلحة ضدّ الظالمين، ونهضة تصحيحية لإصلاح المجتمع وانتشاله من غياهب الظلم والجريمة والفساد، فإنها ستكون الأقدر دوماً على صناعة القادة الأكفأ وبناء الدولة الفاضلة. ثم أكدنا في الوقت ذاته على أن الإنسان ينبغي ألا يتعلّم كيف يكون مظلوماً؛ لأن مَنْ يتعلّم كيف يكون مظلوماً لا يتتصر أبداً. وفي نهاية المطاف أشرنا إجمالاً إلى ضرورة العمل على توظيف المظلومية الحسينية في واقعنا الديني والاجتماعي والسياسي.

*The injustice practiced against Imam al-Husayn (ʿa) and  
the Tragedy of Karbalā' in the religious texts; A conceptual-  
documentary study*

*Shaykh Qayṣar al-Tamīmī*

*In the beginning of the essay, the writer touches on the terms of consequence and the conceptual composition of the notion of maẓlūmiyyah, or wrongedness. Lexically, the Arabic word maẓlūmiyyah is an expression of acts of injustice, harm, prejudice, transgression, oppression, wrong, usurpation of rights, murder, and the like acts that are practiced against some person or a group of persons. From a philosophical view, this word is considered as a dependable expression, in the sense that its meaning depends upon another meaning. It is thus the result of a repeated process between two adversary parties; namely, the wrongdoer and the wronged, since each party shares the other in the making and construction of the meaning and notion of maẓlūmiyyah.*

*The religious texts, on the other hand, describe the consequence and composition of the state of being exposed to wronging, or wrongedness, in a way similar to actual attachment, where the attachment is related to one party only. In this meaning, practicing injustice on others is a hideous crime against humanity and a tragic phenomenon in the societies that the wrongdoer alone is responsible for it. If the other party contributes to it or has a hand in its committing, then he is also decided as a wrongdoer.*

*The essay then moves to mentioning the documents related to practicing injustice generally in the religious texts; namely, the Holy Qur'ān and the Prophetic traditions, with regard to the definition, peculiarities, laws, and seriousness of the crime of practicing injustice. The writer thus reviews the Qur'ānic texts and Prophetic traditions that refer to this phenomenon and shows the situations at which the wronged persons deserve support and appreciation for falling under injustice.*



Thereafter, the writer discusses the practice of injustice in the religious texts regarding Imam al-Ḥusayn (ʿa) specifically. Thus, the discussion comes under such titles like the following:

- Highlighting the title “Imam al-Ḥusayn’s being exposed to injustice” in the religious texts,

- Cursing the wronging community and charging them with the responsibility for the tragedy and injustice practiced against Imam al-Ḥusayn (ʿa),

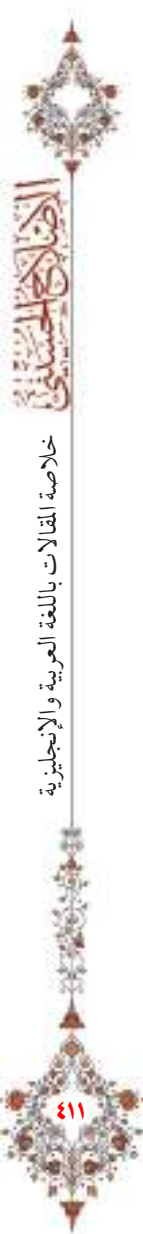
- Wronging Imam al-Ḥusayn (ʿa) necessitates eternal torture to the wrongdoers,

- True believers testify before Allah that Imam al-Ḥusayn (ʿa) was exposed to injustice, and

- Invoking Allah’s blessings upon Imam al-Ḥusayn (ʿa), his family members, and his supporters, and introducing them to have been exposed to injustice.

Under the title, “The culture of Imam al-Ḥusayn being wronged, and the construction of the State,” the writer confirms that if this culture is actually put into practice, it will be an armed revolution against all wrongdoers and a reformatory uprising for changing the community and saving from the doom of injustice, crime, and mischief. This culture is always the most capable of creating suitable leaders and building an ideal state. At the same time, the writer highlights the fact that man is required not to accustom himself to be a target for injustice and wronging, because those who are targets to injustice will never achieve victory.

Finally, the writer draws attention to the necessity of working toward using Imam al-Ḥusayn’s exposure to injustice as a goal in the religious, social, and political situations of our lives.



## نظرة في المأساة والمظلومية في كربلاء

حوار مع سماحة آية الله الشيخ

محمد جواد فاضل اللنكراني

لأجل تفعيل التواصل بين العلماء من ذوي الاختصاص وعامة الناس ارتأت مجلة (الإصلاح الحسيني) القيام بعقد الحوارات العلمية التخصصية؛ لتسليط الضوء على موضوع معيّن وإشباعه عن طريق إثارة ما يمكن إثارته عن طريق السؤال والجواب، ودرجاً على ذلك فقد التقت مجلتنا بسماحة الشيخ آية الله محمد جواد فاضل اللنكراني عن كُتبٍ للتحديث معه حول مسألة المأساة والمظلومية في كربلاء، واستفهام موقف الإسلام والعقل من الظلم والظالمين وحدود حرمة الظلم في الشرع المقدس إذا وجه إلى أي فردٍ بصورة عامة، وإذا كان الظلم منصباً على أهل البيت بالخصوص، ثم ما هو الأثر الذي تركته مظلومية سيد الشهداء عليه السلام في الأمة على مدى التاريخ... إلى غير ذلك من المواضيع القيّمة.

## *A view at the tragedy and injustice in Karbalā'*

*An interview with  
Ayatollah. Shaykh Muḥammad Jawād al-Fāḍil al-Lankarānī*

*For activating mutual connection between experienced scholars and ordinary people, the al-Iṣlāḥ al-Ḥusaynī Magazine proposes to manage some scholastic interviews with master scholars in order to pick up a certain subject and shed thorough light on it through posing any related questions possible in the question-answer form. In this regard, the Magazine interviewed His Eminence Shaykh Ayatollah Muḥammad Jawād al-Fāḍil al-Lankarānī and asked him a few questions on the issue of tragedy and injustice that took place in Karbalā' and interrogated about the attitude of both Islam and reason to wrongdoing and wrongdoers as well as the limits of the forbiddance of wronging in the Islamic Law, when it is practiced against any person in general and against the Holy Imams (ʿa) in particular. In addition to many subjects related to the same topic, the Magazine asked the Shaykh about the impact of the injustice that was practiced against Imam al-Ḥusayn (ʿa) on the Muslim community all over history.*

## هل خطَّط الإمام الحسين عليه السلام لإبراز مشهد المظلومية والمأساة في كربلاء؟

الشيخ نعمة الله الصالحي النجف آبادي

لعلَّ تحديد أهداف الإمام الحسين عليه السلام من ثورته وتحركه ضد بني أمية يُعدُّ من أدق مواضع النهضة الحسينية؛ لأنه صورة أُخرى عن الإحاطة بالملاكات المتصورة لذلك الفعل المعصوميِّ العظيم.

وفي هذا المقال استهدف الكاتب بسهامه من قال: إن الإمام الحسين عليه السلام سعى من خلال تحركه إلى الإطاحة بالحكم الأموي وفضح رؤوسه، أو إنه مهَّد لمصرعه وبشكلٍ مروّع لتحريك مشاعر الناس ضدَّ بني أمية، والكاتب وإن جعل المستشرق الألماني (مارين) غرضاً لنباله لكن ردهً يعمُّ كلَّ من شاكل (مارين) في آرائه، فسعى الكاتب جاهداً - بحسب آرائه الخاصة - إلى هدم رأي من قال: إن الإمام أعدَّ لمصرعه بمدة مديدة، وإنه سعى لأن يكون ذلك بصورة مروّعة، كما زعم أن لا مصلحة للإسلام في شهادته عليه السلام مبيّناً وجهة نظره الخاصّة بأمورٍ استعرضها في كلامه.

*Did Imam al-Ḥusayn (‘a) plan to emphasize the scene of  
injustice and tragedy in Karbalā’?*

*Shaykh Ni‘matullāh al-Ṣāliḥi al-Najaf‘ābādī*

*Perhaps, defining the objectives of Imam al-Ḥusayn’s uprising and reformative revolution against the Umayyad ruling authorities is considered one of the most critical subjects, since it is another aspect of comprehending all the ideas that can be concluded from this great action of an Infallible Imam.*

*In this essay, the writer criticizes those who adopted the opinion that Imam al-Ḥusayn (‘a), through his uprising and revolutionary act, aimed at overthrowing the Umayyad regime and unmasking its founders, or he only paved the way for the murder of slaying him at the hands of those tyrannical authorities in such an astounding way so as to provoke the people’s feelings of antagonism against the Umayyads. Although the writer targeted the German Orientalist, Martin, openly, his words might be open to all those who held the same opinion of Martin. So, he refuted their baseless arguments and, depending upon his personal inferences and views, attempted to refute all those who claimed that Imam al-Ḥusayn (‘a) had prepared for the murder of slaying him a long time before the event of Karbalā’ and wanted for this crime to take the form of astounding criminal event. The writer also disproved the claims of those who said that the martyrdom of Imam al-Ḥusayn (‘a) achieved no interest for Islam. Countering all these claims, the writer in this essay tries to prove his point of view through a number of discussions that he cites in this essay.*

## قراءة نقدية لمبحث المظلومية في كتاب (الشهيد الخالد)

الشيخ رافد التميمي

يُعدُّ هذا المقال ردًّا على مقالٍ مقتبس من كتاب (الشهيد الخالد) للشيخ الصالح النجف آبادي، منشور في هذا العدد من مجلّة الإصلاح الحسيني، والذي تناول فيه قضية المظلومية في كربلاء، وأنها لم تكن هدفاً من أهداف النهضة المباركة، وقد بيّن ذلك من خلال رده على أدلة من ادّعى ذلك، مع مجموعة من الاستبعادات والشواهد الأخرى، وقد نسب هذا القول إلى المستشرق الألماني مارين (مارتين)، ويبيّن منشأ الخطأ في شياع القول: إنّ المظلومية من أهداف النهضة الحسينية، وقد قام الكاتب بالردّ على النقاط التي ذكرها ببيان وجه الخلل فيها، والأدلة التي على خلافها، والتصورات الخاطئة التي وقع فيها الشيخ الصالح النجف آبادي.



*A critical evaluation of “wrongedness” discussed in al-Najaf’ābādī’s al-Shahīd al-Khālīd*

*Shaykh Rāfid al-Tamīmī*

The essay is a refutation to a chapter of Shaykh al-Ṣāliḥī al-Najaf’ābādī’s book: *al-Shahīd al-Khālīd*, published in this issue of *al-Iṣlāḥ al-Ḥusaynī Magazine*. In this chapter, the author discussed the issue of wrongedness during the Event of Karbalā’, arguing that this issue was not one of the goals of Imam al-Ḥusayn’s revolutionary movement.

The writer of the essay thus criticizes this claim and refutes the points provided as evidence by those who claimed so. He then mentions a set of improbabilities and other proofs supporting his claim. He proves that this claim was first said by the German Orientalist, Martin, and points out the background of the inaccuracy in the claim that wrongedness was one of the goals of Imam al-Ḥusayn’s reformative uprising. The writer thus refutes this claim through an ornate review of the points of inaccuracy mentioned therein, citing the points of evidence that prove the otherwise as well as the wrong ideas of Shaykh Najaf’ābādī.

## انتهاك حقوق المرأة والطفل في واقعة عاشوراء

الشيخ محمد جليل الكروي القيسي

يتحدّث المقال عن موضوع حقوقي في النهضة الحسينية، إذ تناول الباحث دراسة ما حدث من انتهاك لحقوق المرأة والطفل في واقعة عاشوراء على يد الجيش الأموي، ليحاكمها في ضوء الدستور الإلهي والأعراف السائدة في الجاهلية والقوانين العالمية، وقد قسّم الكاتب مقاله إلى محورين أساسيين: تكفّل المحور الأول ببيان مكانة المرأة والطفل وحقوقهما في ثلاثة مباحث، تحدّث في المبحث الأول عن مكانة المرأة والطفل عند عرب الجاهلية، فيما أشار في المبحث الثاني إلى موجز إجمالي عن الحقوق التي يتمتع بها الطفل والمرأة أثناء الحرب، واختتم هذا المحور بالحديث عن القوانين المقرّة عالمياً لضمان حقوق المرأة والطفل، فكان المبحث الثالث.

أمّا المحور الثاني فسلّط الباحث الأضواء فيه على انتهاكات حقوق المرأة والطفل التي حصلت من قبل جناة الحزب الأموي في الطف، فذكر عدة مصاديق لذلك منها: قطع الماء عن عيال الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ومنها: الإرهاب والتخويف، إلى جانب الضرب وما جرى من قتل وسلب وسجن، بالإضافة إلى المعاملة الهمجية التي قام بها ابن زياد وجيشه.

## *Violation of Women and Children Rights in the Event of Karbalā'*

*Shaykh Muḥammad Jalīl al-Karawī al-Qaysī*

*The essay discusses a juridical issue within the issues of Imam al-Ḥusayn's reformative uprising; namely, the issue of the violation of women and children rights during the Event of Karbalā' that was practiced by the Umayyad army. The writer thus judges this issue in the light of the Divine Law, the conventional traditions that were common to the people of the pre-Islamic era, and the international law. He thus divides the essay into two major parts. In the first part, which he further divides into three sections, he reviews the status and rights of woman and children in general. In the first section, he thrashes out the standing of women and children in the sight of the Arabs before the advent of Islam. In the second section, he touches on, yet briefly, the rights women and children must enjoy in warfare. He ends up this part with a discussion of the internationally decided laws that guarantee the rights of women and children.*

*In the second part of the essay, the writer sheds light on the violations of the rights of women and children that were practiced by the criminal Umayyad army during the Battle of al-Ṭaff. He thus mentions some examples, such as depriving Imam al-Ḥusayn's women and children of water; terrorizing and frightening them, the shameful acts of lashing, killing, robbing, and imprisoning the women and children after the event, and the savage treatment they suffered at the hands of Ibn Ziyād and his troops.*

## المأساة والمظلومية في أبعادها الإنسانية (الثورة الحسينية أنموذجاً)

السيد محمد باقر الهاشمي

من الشواخص المهمة في نهضة سيد الشهداء عليه السلام هي المأساة التي لازمت حركته المقدسة، وهذا المقال قراءة في ذلك الشاخص البين، فيبدأ الكاتب مقاله بالإشارة إلى أنّ المأساة والمظلومية كلما اقتربت من الحقيانية عمّت الإنسانية جمعاء بغضّ النظر عن الدين والعرق واللّون، فالمأساة قادرة على تحريك إنسانية الإنسان؛ ولذا كانت كربلاء محط رحال الإنسان بما هو إنسان، وبالقدر الذي غابت به قيم الإنسانية في يوم شهادة الحسين عليه السلام - بصورٍ تقشعرّ لها الأبدان - فقد أدّت تلك المأساة الى التواصل الإنساني فيما بعد، كما كانت شخصية الإمام الحسين عليه السلام قطب رحي كربلاء، ومركز الدائرة لكل ما يمتُّ لكربلاء بصلة.

## *Human Aspects of Tragedy and Oppression; Imam al- Ḥusayn's Revolution as a Model*

*Sayyid Muḥammad Bāqir al-Hāshimī*

*Tragedy that accompanied Imam al-Ḥusayn's blessed revolutionary movement was one of the most significant features of this uprising. The essay is a review of this clearly significant feature of the Imam's revolution. So, the writer begins with an indication of the fact that the closer to the truth this tragedy and suffering from wronging is, the more common to humanity it becomes, aside from religion, race, or color. In other words, the tragic feature of any case has the ability to provoke the humanity of human beings generally. For this reason, the tragic saga of Karbalā' has been the target of reactions of human beings in general, in their capacity as human beings, regardless of any other factor, because the values of humanity were obviously missing on the day of Imam al-Ḥusayn's martyrdom in such a way that moved every human being forcefully up and down. As a result of this tragedy, a kind of human contact was created, because Imam al-Ḥusayn's personality was the pivot of the Karbalā' Event and was the center of whatever is related to this event.*

## المظلومية في عزّة وإبء وجه آخر للنصر

الشيخ إسكندر الجعفري

تعدّ العلاقة بين المظلومية والنص من أهمّ الأسئلة التي تشغل ذهن المتابع للنهضة الحسينية، فكيف ينتصر المظلوم مع قهر عدوّه له عسكرياً؟ من هنا جاء المقال الذي بين أيدينا ليؤكد أن المظلوم العزيز هو المنتصر، وقد قسّم الباحث مقاله إلى ثلاثة محاور رئيسة، اضطلع المحور الأول ببيان مفهوم النصر في اللغة والقرآن الكريم والاستعمال المعاصر ليستنتج منه أن مفهوم النصر لا يقتصر على القلّة العسكرية، وفي المحور الثاني تناول الباحث العلاقة بين المظلومية والانتصار، واستنتج أن المظلومية المنتصرة في الصراع مع الظالمين هي المظلومية الإيجابية لا السلبية، وقد انتصرت المظلومية الإيجابية في النهضة الحسينية التي رفضت كلّ أشكال الذلّ والاضطهاد. وفي المحور الثالث استعرض الباحث مظاهر العزّة والإبء في النهضة الحسينية على مستوى الخطاب والمواقف، وذكر شواهد لكلّ من المستويين.

## *Exposedness to injustice gloriously and proudly; Another phase of victory*

*Shaykh Iskandar al-Ja'fari*

*The relationship between wrongedness and the texts is considered one of the most significant questions that occupy the mind of those interested in Imam al-Ḥusayn's revolutionary uprising. The question may be put in the following way: How can the one exposed to injustice triumph over his enemy militarily?*

*This is the subject matter of this essay whose writer tries to prove that the wronged party was the triumphant. The essay is thus divided into three major parts, the first of which is dedicated to explaining and analyzing the meaning of victory and triumph in language generally and in the terminology of the Holy Qur'ān particularly. He then shows the contemporary usage of this word to conclude that victory is not restricted to military overcoming. In the second part, he deals with the relationship between the state of being wronged and victory, to come to the conclusion that the state of being wronged in the conflicts against the oppressing party is positive but not negative. Hence, the positive wrongedness in Imam al-Ḥusayn's reformative movement was the triumphant, as it rejected all kinds of humility and persecution.*

*In the third part of the essay, the writer reviews the aspects of glory and pride in Imam al-Ḥusayn's revolution at the levels of speeches and attitudes. He then mentions models of each level.*

## التوظيف العقدي والديني لمأساة كربلاء في تراث المعصومين عليه السلام

الشيخ صباح عباس الساعدي

تناول الباحث في هذا المقال الجانب التوظيفي لمأساة عاشوراء في تراث أهل البيت، وكيف جعل الأئمة المعصومون عليهم السلام مظلومية الإمام الحسين عليه السلام تمشي في مسارها الذي جاءت من أجله. بدأ المقال - بعد تمهيد - ببحث الوجهة الفقهية لإبداء التظلم، وإن الشرع المقدس أجاز للمظلوم إبداء تظلمه حتى لو كان ذلك انتقاصاً من الظالم، ثم عرض الكاتب مسألة توظيف المظلومية من وجهة نظر القرآن الكريم، وتوصل إلى أن توظيف المظلومية وإبداءها للأجيال المتأخرة هو من المناهج التي اعتمدها القرآن الكريم في آيات كثيرة. بعد ذلك ركّز الكاتب على مظاهر التوظيف الديني والعقدي لمأساة كربلاء في تراث أهل البيت عليهم السلام، فذكر جانب التركيز على أن أعداء الإمام الحسين عليه السلام هم أعداء الله تعالى، والثقيف لزيارة قبور الأئمة من خلال واقعة عاشوراء، ولزوم التضحية وتحمل المصاعب من أجل حفظ الدين ونصرته، والتشجيع على قراءة القرآن والتدبر في آياته من خلال علاقة القرآن بالإمام الحسين عليه السلام، وأخيراً توظيف أهل البيت عليهم السلام لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام وربطها بالإمام الثاني عشر عليه السلام.



## Religious and creedal employment of the tragedy of Karbalā' in the heritage of the Infallible Imams

Shaykh Sabah 'Abbās al-Sā'idi

In this essay, the writer talks about the aspect of employing the tragedy of Karbalā' in the heritage of the Ahl al-Bayt (i.e. the Holy Prophet's family) and how the Holy Imams directed the injustice practiced against Imam al-Ḥusayn (ʿa) and kept it on the correct course for which it was launched. After a prelude, the essay begins with a discussion of the jurisprudential justification for complaining against injustice, proving that the Islamic Law allowed the wronged people to declare and prove their exposition to injustice even if that would lead to reproaching the wrongdoers.

The writer then moves to review the issue of employing wrongedness from the view of the Holy Qur'ān. So, he concludes that this method of declaring the injurious acts of the oppressors and informing the late generations of them is one of the styles used in many verses of the Holy Qur'ān.

After that, the writer focuses on examples of religious and creedal employment of the tragedy of Karbalā' in the heritage of the Holy Imams. He thus highlights the concentration on the fact that the enemies of Imam al-Ḥusayn (ʿa) are the true enemies of God the Almighty. He then mentions that the Holy Imams (ʿa) emphasized on publicizing the education of visiting the tombs of the Holy Imams (ʿa) through the Event of 'Āshūrā', the necessity of self-sacrifice and tolerating all difficulties in the course of safeguarding and protecting the religion, as well as encouragement on reading and thinking profoundly of the verses of the Holy Qur'ān through creating a relationship between the Holy Qur'ān and Imam al-Ḥusayn (ʿa). Finally, the writer calls attention to the Holy Imams' employing the issue of injustice to which Imam al-Ḥusayn (ʿa) was exposed and linking this issue with the twelfth Imam al-Mahdī (may Allah hasten his reappearance).

## المشيئة الإلهية لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام

السيد شهيد طالب الموسوي

تناول المقال مسألة مهمة من المسائل المتعلقة بمظلومية الإمام الحسين عليه السلام، وهي: مشيئة الباري - تبارك وتعالى - لمظلوميته، بدأ الكاتب ببحثٍ مفهومي في المشيئة الإلهية، فعرض المعنى اللغوي لها، ثم التعريف الاصطلاحي مستعيناً بكلمات أهل البيت عليهم السلام، لينتقل بعد ذلك إلى أقسام المشيئة، ثم صدور أفعال العباد في ظل المشيئة والإرادة الإلهية، ثم تطرّق الباحث إلى أسباب المظلومية في جهتين: جهة تعود إلى المظلوم وأخرى تتعلق بالظالم، وبعدها ركّز المقال على المشيئة الإلهية لمظلومية الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ثم سلّط الأضواء على إشراك العيال في تلك المأساة والمظلومية. وفي نهاية المقال ربط الباحث بين مظلومية الإمام الحسين عليه السلام ودولة العدالة المهدوية؛ لأن شعار دولة المنقذ العالمي: (يالثارات الحسين)، إذ أن هدف المشيئة الإلهية للمظلومية خلق الأسوة على مرّ الدهور للتضحية من أجل الدين، ومن خلال ذلك ينطلق أصحاب الإمام المهدي عليه السلام.

## *The Divine Will in the wrongedness of Imam al-Ḥusayn (ʿa)*

*Sayyid Shahīd Ṭālib al-Mūsawī*

*The essay touches on a significant issue that is related to the Imam al-Ḥusayn (ʿa) having been exposed to injustice; namely, the issue of the will of God the Almighty and its relationship with Imam al-Ḥusayn's being exposed to injustice. Thus, the writer begins with discussing the meaning and conception of the Divine Will, starting with explaining this term lexically and then terminologically, deriving his conclusions from the words of the Holy Imams (ʿa). He then moves to review the different parts of the Divine Will, proving that the acts of the human beings are always under the shadow of the Divine will and volition. The writer then discusses the reasons for wrongedness from two aspects, one is related to the wronged party while the other to the wronging party. After that, he focuses on the injustice which was practiced against Imam al-Ḥusayn (ʿa) and its relationship with the Divine Will. He then sheds light on the issue of the Imam's accompanying his family members to be partners in the tragedy and injustice to which he was exposed.*

*In the end, the writer tries to create a link between Imam al-Ḥusayn's state of having been wronged and the kingdom of ultimate justice that shall be founded by Imam al-Mahdī (ʿa), because the slogan that the Final Savior will raise shall be demanding with revenge for Imam al-Ḥusayn (ʿa). The purpose of the Divine Will behind the acts of injustice practiced against the religious personalities was always to create an exemplary model of self-sacrifice for the religion. This is the same background from which Imam al-Mahdī (ʿa) shall start his reformative global movement.*

## دراسة فقهية في الظلمية والمظلومية (كربلاء أنموذجاً)

الشيخ حبيب عبد الواحد الساعدي

يدور البحث في هذه الدراسة حول الظلمية والمظلومية من ناحية فقهية، فقد عقد الكاتب البحث في ثلاث جهات: تطرّق في الجهة الأولى إلى معنى الظلمية والمظلومية وأسباب صناعتها، إذ كان منها: نقض العهد المأخوذ من الناس على الإيمان بالله، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك إقامة حدّ القصاص، والركون إلى الظالمين، وظلم الناس بعضهم بعضاً.

وأما الجهة الثانية فقد وقع الكلام فيها حول الرؤية الفقهية تجاه الظالم من جهة ما يلزم على الناس فعله تجاهه، كحرمة إعانتة ووجوب محاربتة.

ثم عرّج الباحث على الجهة الثالثة باحثاً النظرة الفقهية للمظلومية والمظلوم، وذلك من ناحيتين: الأولى في وظيفة المظلوم تجاه نفسه، كحرمة تقبّل المظلومية والبقاء عليها، والدفاع عن النفس والاستنصار، وجواز التظلم والهجرة إلى بلدٍ آخر، والثانية حول وظيفة الناس تجاه المظلوم كنصرتة والدفاع عنه وحرمة خذلانه.

## *A Jurisprudential Study of Wronging and Wrongedness; Karbalā' as a Sample*

*Shaykh Ḥabīb 'Abd al-Wāḥid al-Sā'idi*

*The discussion in this essay revolves round two issues; namely, practicing injustice and exposing to injustice, from a jurisprudential point of view. The writer thus founds the discussion on three aspects. In the first aspect, he touches on the meanings of practicing injustice and exposing to injustice and the reasons for doing each act. Some of these reasons were: Breaking the covenant that God made with people that they should believe in Him, deserting the religious duty of enjoining the right and forbidding the evil, failing to establish the religious penal laws, inclining to the unjust people, and the people's wronging each other.*

*In the second aspect, the writer reviews the view of Muslim jurisprudence about wrongdoers and unjust persons, demonstrating what people are required to do toward such persons, such as the forbiddance of helping them and the duty of fighting them.*

*In the third aspect, the writer discusses the jurisprudential view about exposition to wrongdoing and the wronged persons in two parts. The first part is a discussion of the duty of the wronged persons towards themselves, such as the forbiddance of accepting and tolerating the state of being wronged, the duty of self-defense and asking for support, and the legality of complaining against wrongdoing and migration to another country in order to get rid of persecution. The second part is focused on the peoples' duty towards the wronged persons, such as the duty of supporting and defending them and the forbiddance of failure to support them.*

## منطلقات النهضة الحسينية وخلفياتها

### القسم الخامس

#### (مفاصل الحركة الحسينية)

السيد محمد الشوكي

يَبِّنُ الباحث في هذا القسم - وهو القسم الخامس من مقاله حول منطلقات النهضة الحسينية وخلفياتها - مفاصل الحركة الحسينية ومحطاتها التي تبدأ من رفض الإمام عليه السلام البيعة، ومغادرته المدينة ليحطَّ رحاله في مكة، وليبدأ نشاطه الإعلامي المكثف للإعداد للثورة وتهيئة مستلزماتها وبيان أهدافها ودعوة الأمة إلى ذلك، وإرسال مسلم بن عقيل إلى الكوفة لتقييم الأوضاع وتمهيد الأرضية؛ لأن موقف الكوفة كان واضحاً حسب الظاهر إذ تمثَّل بإرسال الكتب إلى الإمام عليه السلام وإعلان رفضها حكم بني أمية، وإنها كانت مع الإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام من حيث الجانب السياسي والعاطفي، إلا أنها لم تكن كذلك في الموقف العملي والإرادة، وقد ساهمت ظروف موضوعية في حصول مثل هذه الازدواجية في المجتمع الكوفي سيتناولها الباحث في المقال القادم - إن شاء الله - .

# *The Starting Points and Backgrounds of Imam al-Ḥusayn's uprising*

## *Part V: Major Stages of Imam al-Ḥusayn's Reformatory Movement*

Sayyid Muḥammad al-Shawḳī

*In the fifth part of the essay on the starting points and backgrounds of Imam al-Ḥusayn's uprising, the writer discusses the stages and stations of Imam al-Ḥusayn's revolutionary movement, starting with the Imam's rejection to pay homage to the tyrannical ruler, as a result of which he left the city of al-Madīnah and resided at Makkah where he launched his condensed propagandist activity for preparing for the revolution, arranging for its requirements, declaring its goals and objectives openly, inviting the community to participate in it, and sending Muslim ibn 'Aqīl to al-Kūfah for the purpose of assessing the public situation there and paving the way for the revolution. This is so because the situation of the people of al-Kūfah was so clear to the Imam apparently, especially after they sent him tens of epistles declaring their loyalty to him and their rejection of the Umayyad rule and standing with Imam al-Ḥusayn (ʿa) and the Holy Prophet's Family politically and sentimentally. Unfortunately, this was not their practical situation. Some objective circumstances contributed to the composition of such duality in the community of al-Kūfah, which the writer will discuss in details in the coming essay, God willing.*

## المؤسسة الشعائرية

### القسم الثاني

### (الأهداف والغايات)

الشيخ عامر الجابري

يتناول الباحث في هذا القسم الثاني من دراسته موضوع المؤسسة الشعائرية على الأهداف والغايات المتوخاة من تأسيسها، وقد تمثلت هذه الأهداف في أمرين مهمين هما: دور الشعائر في حفظ كيان التشيع، والثاني مساهمة المؤسسة الشعائرية في انتشار التشيع وازدهاره، واستشهد بكلام بعض المستشرقين على ذلك، كما تحدّث الباحث عن دور الشعائر الحسينية في بناء المسلم الشيعي على المستوى العقدي والاجتماعي والثقافي، وفي الختام تطرّق الباحث إلى وقفين مهمتين، كانت الأولى حول ضرورة مواكبة المؤسسة الشعائرية لمتطلبات العصر وتطوراته مع الحفاظ على عنصر الأصالة، وأما الثانية فكانت حول دور الفقهاء في هذه المؤسسة ومهمتهم في حفظها وتطويرها وترشيدها.



# *The Institution of Commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom*

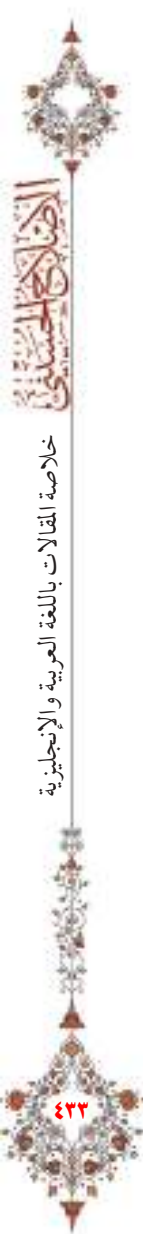
## *Part II: Goals and Outcomes*

*Shaykh 'Āmir al-Jābirī*

*In the second part of his essay, the writer thrashes out the topic of goals and outcomes expected from instituting a foundation for commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom. These goals may be summed up in two major missions: First, the role of these rituals in safeguarding the entity of Shi'ism and, second, their contribution to the outspread and flourishing of Shi'ism. The writer thus provides as evidence the words of some Orientalists.*

*He then shows the role of the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom at the creedal, social, and cultural levels.*

*In the end, he underlines two significant points: First, he deems important that the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom are updated to be compatible with the requirements of the present day along with observing the element of originality. Second, he highlights that the master scholars of jurisprudence must play an active role in safeguarding, developing, and directing the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom.*



## فقه التربة الحسينية

### (القسم الرابع)

الشيخ أحمد العلي

هذا المقال هو حلقة من سلسلة مقالات تناولت التربة الحسينية المباركة باعتبارها موضوعاً فقهياً لأحكام كثيرة تمّ ذكر قسم منها فيما مضى من مقالات للكاتب، وتناول في هذا القسم بعضاً آخر، فذكر في مقاله هذا عدة مسائل، منها: مسألة السجود على التربة الحسينية وحكمه الفقهي في خمسة مباحث مع تفرعاتها. ثم مسألة التحرّز بالتربة المباركة وأدلة ذلك، يليها مسألة التسبيح بتلك التربة الميمونة وما يتعلق بذلك من فروع، ثم عرض مسألة حكم جواز أو عدم جواز الإفطار على تلك التربة يوم العيدين: (الفطر والأضحى). وأخيراً تعرّض الكاتب إلى حكم الخمس - كحقّ مالي - في التربة الحسينية، وناقش أدلة ذلك.

*Religious Laws appertained to the blessed clay taken from  
Imam al-Ḥusayn's tomb*

*Part IV*

*Shaykh Aḥmad al-ʿAlī*

*This essay is a chapter within a series of essays that dealt with the religious laws appertained to the clay taken from Imam al-Ḥusayn's tomb, in its capacity as a jurisprudential issue under which many laws are listed. Some parts of these laws have been already mentioned in previous essays. In this essay, the writer goes on and discusses other issues, such as: Prostrating on the Ḥusaynī clay and the religious rulings appertained to this issue. The writer thus discusses this issue in five sections, along with further branches.*

*He then discusses the issue of seeking God's protection through the blessed Ḥusaynī clay and taking it for amulet. He thus reviews the points of evidence related. After that, the issue of making rosaries whose beads are made from the Ḥusaynī clay comes, along with secondary related issues. The writer then discusses the issue of the legality or illegality of breaking the ritual fasting by having some of the Ḥusaynī clay on the ʿĪd al-Fitr Day.*

*Finally, he touches on the issue of the khums levy (the one-fifth Islamic tax) in the Ḥusaynī clay when it is possessed, reviewing all the points of evidence related to this issue.*

## توثيق الشعر المنسوب إلى الإمام الحسين عليه السلام

### (القسم الأول)

د. عادل لعبيبي

لا يخفى أن الشعر هو أحد التناجات البشرية التي لعبت دوراً مهماً في مجالات شتى (عقائدية وفكرية وسياسية و...)؛ باعتباره ركناً ركيناً من الثقافة البشرية. وقد نُسب من الشعر الكثير لسيد الشهداء وخامس أصحاب الكساء الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وهذا المقال محاولة لتوثيق هذا الشعر بحسب معايير ذكرها الكاتب، وهي:

معيار الزمن، ومعيار التواتر في الشعر، ومعيار العصمة، فما خالفها لا يمكن نسبته له عليه السلام، واتضح - بحسب الكاتب - أن هناك ثلاثة أنحاء من الشعر، فشعرٌ منسوب للإمام الحسين عليه السلام ونُسب لغيره أيضاً، والصواب أنه له عليه السلام.

وشعر منسوب إليه عليه السلام ولم يشاركه فيه أحد.

وشعر منسوب إليه عليه السلام وإلى غيره، والصواب أنه لغيره.

تعرّض الكاتب في هذا القسم إلى النحو الأول والثاني.

وأما النحو الثالث فسيأتي - إن شاء الله - لاحقاً في القسم الثاني من المقال.

## Documenting Imam al-Husayn's Poetry

Dr. 'Ādil L'eibī

*Beyond doubt, poetry is one of the human products that play a major role in different aspects of life, including the creed, intellectuality, and politics, since it is seen as a significant pillar of human culture. Many poetic verses were ascribed to Imam al-Husayn (ʿa), the Chief of the Martyrs. This essay is an attempt to document these poetic verses to prove whether they were or were not issued by him, under certain standards to which the writer referred, as follows: (1) Standard of time, (2) standard of uninterrupted reporting of poetry, and (3) standard of infallibility. So, whatever poetry that is in violation of any of these standards cannot be proven to have been said by the Imam (ʿa). The writer thus proves that the poetic verses that are ascribed to Imam al-Husayn (ʿa) were of three kinds:*

*Some poetry was ascribed to him and to other people, while it was really said by him. Some other was ascribed to him alone. The third kind was the poetry that was ascribed to him and to other poets, while it was not said by him in reality.*

*In this essay, the writer discusses the first and second kinds of poetry, while he postpones discussing the third kind to a coming essay, God willing.*

## الاختلاف والتعارض في أحكام الجرح والتعديل عند أهل السنة (عمق في المشكلة ومناهات في الحلول)

د. السيد حاتم البخاتي

أراد الكاتب في هذا المقال أن يشير إلى مسألة حسّاسة في علم الجرح والتعديل عند أهل السنة، وهي كثرة أحكام الجارحين والمعدّلين؛ مما أدّى إلى حصول الاختلاف والتعارض فيما بينها؛ ما استدعى من علمائهم أن يقدّموا الحلول والمعالجات كإسقاط جرح الأقران بعضهم بعضاً من الحساب، وتصنيف علماء الجرح والتعديل، واحتجاج الشيخين أو أحدهما بالراوي، وتقديم الجرح على التعديل التي كثر الحديث فيها، ولكن تلك الحلول ظلّت بعيدة عن معالجة ظاهرة الاختلاف في الجرح والتعديل، بل ربما زادت المسألة تعقيداً وغموضاً، ما يستدعي إعادة النظر في أكثر هذه الأحكام والمسائل التي ربّوا عليها مسائل عقديّة خطيرة منستّ واقع الأمة الإسلاميّة ووحدتها.

*Disagreement and Contradiction in the Science of  
Discrediting and Crediting; A profundity in the problem and  
a maze in solutions*

*Dr. Sayyid Ḥātim al-Bukhārī*

*The writer of this essay tries to refer to a sensitive question in the field of the knowledge of al-jarḥ wa'l-ta'dīl, or discrediting and crediting; a scholarly course followed by Sunni scholars for evaluating the transmitters of Prophetic traditions. The question is that those involved in the study of the biographies of the transmitters issued too many contradictory judgments about the same transmitter. To solve this problems, their master scholars had to make some treatments, such as disregarding the discrediting of the opponents, classifying the scholars of discrediting and crediting into different classes, considering the opinions of Muslim and al-Bukhārī, or one of them, about a certain transmitter, and preferring discrediting to crediting in the common issues. Yet, these solutions failed to solve the problems of contradiction in this issue or even made it more complicated and obscure. For this reason, it was necessary to reconsider the majority of these laws and issues, as a result of which some serious laws appertained to the actuality and unity of the Muslim community were issued.*



إِنَّمَا أُخْرِجْتُ لِطَلْبِ الْأَصْلَاحِ فِي أُمَّتِي حَبِيبِي

# الاصلاح الحسني

مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية وتُعنى بالدراسات الدينية